

تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي
المتوفى ١٣٣٣هـ

اعتنى به وضبط نصه

الشيخ محيي الدين أسامة البيرقدار

الجزء الرابع

من أول سورة التوبة إلى آخر سورة الإسراء



الكتاب : الإكليل
على مدارك التنزيل وحقائق التأويل

Title : Al-Iklil ʿala madārik al-Tanzil wa ḥaqā'iq al-Ta'wil

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of The Holy Qur'an

المؤلف : محمد عبد الحق الحنفي (ت ١٣٣٣هـ)

Author : Muhammed Abd Al-Haq Al-Hanafi (D.1333 H.)

المحقق : محيي الدين أسامة البيرقدار

Editor : Muhiyiddin Ossama Al-Bayrqdar

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages : (7 volumes) 4608 (7 أجزاء) :عدد الصفحات

Size : 17* 24 cm :قياس الصفحات

Year : 2012 A.D. -1433 H. :سنة الطباعة

Printed in : Lebanon لبنان :بلد الطباعة

Edition : 1st (2 colors) الأولى (لونان) : الطبعة

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠




ISBN 978-2-7451-5727-2

(سورة التوبة)

(مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية، كوفي ومائة وثلاثون غيره)

لها أسماء: براءة، التوبة، (المقشقشة)، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي (تبرىء) منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها (وتثيرها وتحفر) عنها، (وتفضحهم) و(تنكلهم) و(تشردهم) و(تخزيهم) و(تدمدم عليهم). وفي ترك (التسمية) في ابتدائها أقوال؛ فعن علي وابن عباس ﷺ، (إن بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان). وعن عثمان ﷺ أن رسول الله ﷺ كان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة التوبة مدنيّة) أي بالاتّفاق، وقيل: إلا آيتين في آخرها: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، فإنهما نزلتا بمكّة، **(وهي مائة وتسع وعشرون آية، كوفيّ ومائة وثلاثون غيره)** وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمانٍ وثمانون حرفًا. اهـ خازن. **قوله: (المقشقشة)**... الخ. كلّها بصيغة الفاعل. **قوله: (تبرىء)** من التفعيل. **قوله: (وتُثيرها)** أي تُظهرها. **قوله: (وتحفر)** أي تبحث. **قوله: (تفضحهم)** من الباب الثالث. **قوله: (تنكلهم)** من التَّنكيل، أي تُعاقبهم، أي تُخبر وتبين عقابهم في الآخرة. **قوله: (تشردهم)** أي تطردهم وتفرّقهم. **قوله: (تُخزيهم)** من الأفعال بالخاء المعجمة والزاي المعجمة. **قوله: (تدمدم عليهم)** أي تُهلكهم. **قوله: (التسمية)** أي البسملة. **قوله: (إن بسم الله أمان)** لكونه مفتاح سلم ورحمة وبركة. **قوله: (وبراءة نزلت لرفع الأمان)** لأنها نزلت بالسيف ونبذ العهد والبراءة من عصمة المعاهدين ليس فيها

إذا نزلت عليه سورة أو آية قال: اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا، وتُوفي رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أين نضعها، وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال لأن فيها ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود، فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهي سبع. وقيل: اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال، وقال بعضهم: هما سورتان (فتركت بينهما فرجة) لقول مَن قال هما سورتان، وتركت بسم الله لقول مَن قال هما سورة واحدة.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾

﴿بَرَآءَةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من لابتداء الغاية متعلّق بمحذوف، وليس بصلة كما في قولك: «برئت من الذين» أي هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول: «كتاب من فلان إلى فلان». أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ كقولك: «رجل من بني تميم في الدار» والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم.

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فسيروا في الأرض كيف شئتم. والسيح: السير على (مهل). رُوِيَ أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسًا منهم - وهم (بنو ضمرة وبنو كنانة) - فنبذ العهد إلى الناكثين وأُمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا لا يتعرّض لهم، وهي

أمان، فلا يليق أن يكتب في أوّل سورة افتتحت بالمقاتلة ونبذ العهود. **قوله:** (فتركت بينهما فرجة). . . الخ. رعاية للجانبين، فإن قيل: ما حكمها شرعًا؟ قلنا: الحكم فيها استحباب تركها. وأمّا القول بحُرْمتها ووجوب تركها كما نقل عن بعض مشائخ الشافعيّة، فليس بثابت. اهـ قنوي.

قوله: (مهل) في مختار الصحاح: المَهَل - بفتحتين - التُؤَدَة. اهـ. **قوله:** (بنو ضمرة وبنو كنانة) في لسان العرب: بنو ضمرة من كنانة رهط عمرو بن أُميّة الضَّمْري. اهـ. وأيضًا فيه كنانة قبيلة من مُضَر، وهو كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن

الأشهر الحُرم في قوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها. وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان، وكان الأمير فيها (عتاب بن أسيد)، وأمر رسول الله ﷺ أبا بكر (على موسم) سنة تسع، ثم أتبعه عليًا راكب (العضباء) ليقرأها على (أهل الموسم) فقيل له: (لو بعثت بها إلى أبي بكر). فقال: (لا يؤدّي عني إلا رجل مني.

إلياس بن مُضَر، وبنو كنانة أيضًا من تغلِب بن وائل، وهم بنو عَكَب يقال لهم: قريش تَغْلِبَ. اهـ.

قوله: (عتابِ بن أسِيدَ) الصحابي، هو أبو عبد الرحمٰن، ويقال: أبو محمّد عَتّاب بن أسِيد ـ بفتح الهمزة ـ ابن أبي العَيْص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ القريشيّ العَبْشمي، أسلم يوم الفتح واستعمله النبيّ ﷺ على مكّة حين انصرف عنها بعد الفتح وسنّه يومئذ عشرون سنة. رَوَى عنه ابن المسيّب وعطاء بن أبي رباح وروايتهما عنه مرسلة لم يدركاه بلا شكّ، ولم يزل عتاب على مكّة حتى توفي بها. قال الواقديّ وآخرون منهم أولاد عتاب أنه توفي باليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، وقال آخرون: جاء نعي أبي بكر إلى مكّة يوم دُفِن عتاب، وتوفي أبو بكر يوم الإثنين لثمان، وقيل: لثلاث بقين من جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان عتاب خيّرًا مباركًا وفاضلًا، وأمّ عتاب زينب بنت عمرو بن أُميّة بن عبد شمس.

قوله: (على موسم) أي أهل موسم والموسم زمان الحجّ، وأمير الموسم أمير الحاج المنصوب من قِبَل الإمام. **قوله:** (العَضْباء) ـ بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والباء الموحدة، بوزن حمراء الناقة المشقوقة الأذن ـ وهي لقب ناقة رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ولم يكن في أذنيها شقّ، كما في بعض كتب اللغة وشروح الكشّاف. **قوله:** (أهل الموسم) أي الحجّاج. **قوله:** (لو بعثت بها إلى أبي بكر) أي ليت بعثت، فلو للتمنّي، فلا يقتضي الجواب، أو على ظاهره، فجوابه محذوف، أي لو بعثت لكان أسهل. **قوله:** (لا يؤدّي عني إلّا رجل منّي) أي قريب منّي نسبًا وذلك بوحي كما في حديث. اهـ شهاب. أي لا ينبغي أن يبعث بها إلى أبي بكر؛ إذ لا يؤدّي عني إلا رجلٌ مني، وأبو بكر ليس منّي ومن أهل بيتي، وإنْ كان أفضل وزيري. اهـ قنوي. وقد جرت العادة أن لا يتولّى تقرير العهد

فلما دنا) علي سمع أبو بكر **(الرغاء)** فوقف وقال: **(هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ)**. فلما لحقه قال: **(أمير أو مأمور؟)** قال: مأمور. فلما كان **(قبل التروية)** خطب أبو بكر وحثّهم على مناسكهم وقال عليّ يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: يا أيها الناس، إني رسول رسول الله إليكم فقالوا: بماذا؟ **(فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية)**، ثم قال: **(أمرت بأربع: أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة، وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده)**، فقالوا عند ذلك: يا علي أبلغ ابن عمك أنّا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا،

ونقضه إلّا رجل من الأقارب، فلو تولّاه أبو بكر لجازَ أن يقولوا هذا خلاف ما يُعرف فينا من نقض العهود، فربّما لم يقبلوا، فأرسل إليهم بتولية ذلك عليًّا.اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (فلما دنا)** أي قرُب من أبي بكر رضي الله تعالى عنه. **قوله: (الرغاء)** - بضم الراء والمدّ - صوت الإبل. **قوله: (هذا)** أي هذا الصوت **(رغاء ناقة رسول الله ﷺ)** وفي إرسالها أمر خطير، فوقف حتى لَحِقَه. **قوله: (أمير)** أي أنت أمير الحاجّ بدلًا مني **(أو مأمور)** بانقياد إلينا كسائر أصحابنا، وقيل: أو أنت مأمور بأمرٍ آخر. **قوله: (قبل التروية)** وهو السابع من ذي الحجّة، ويوم التروية ثامن ذي الحجّة سُمّي بها لأنهم يسقون إبلهم في هذا اليوم، والتروية لسقي الماء بقدر ما يزيل العطش. **قوله: (فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية)** أي من أوّل هذه السورة. **قوله: (أُمِرْتُ بأربع)**... الخ. أي بأن أخبر بها مناديًا. **قوله: (أن لا يقرب)** هذا **(البيت)** أي أن لا يدخله للحجّ أو العمرة، هذا مذهبنا والتفصيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة: الآية ٢٨] الآية، **(بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)** ومَنْ يطوف بالبيت عريانًا هم المشركون؛ ففي الحقيقة يرجع إلى الأوّل، **(ولا يدخل الجنّة إلّا كل نفس مؤمنة)**، وكان العلم بأنه لا يدخل الجنّة كافر لم يكن حاصلًا للمشركين قبل ذلك، أو المراد أنه لا يقبل منهم بعد ذلك إلّا الإيمان، أو السيف. قال الطيبي: فهو من باب لا أرينك هـٰهنا، أي أُمِرت بأن أُنادي بأن يتّصفوا بما يستعدّوا به أن يكونوا أهلًا للجنّة؛ إذ لا يقبل منهم سوى هذا، أو إخبارهم بأنّ عداوة المؤمنين للكَفَرة ومفارقتهم لهم ثابتة في الدنيا والآخرة، **(وأن يتمّ)** على صيغة البناء للمجهول **(إلى كل ذي عهد عهده)** بالرفع قائمٌ مقام فاعله،

وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن **(بالرماح)** وضرب بالسيوف؛ والأشهر الأربعة: شوال **(وذو القعدة)** وذو الحجة والمحرم، **(أو عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر)**، وكانت حرمًا لأنهم أومنوا فيها وحرّم قتلهم وقتالهم، **(أو على التغليب)** لأن ذا الحجة والمحرم منها. والجمهور على إباحة القتال في الأشهر الحُرم وأن ذلك قد نسخ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب.

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ ارتفاعه كارتفاع ﴿بَرَاءَةٌ﴾ على الوجهين، ثم الجملة معطوفة على مثلها، والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء، والفرق بين الجملة الأولى والثانية أن الأولى إخبار بثبوت البراءة، والثانية إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت. وإنما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين، وعلق الأذان بالناس، لأن البراءة مختصّة بالمعاهدين والناكثين منهم، وأما الأذان فعام لجميع الناس مَن عاهد ومَن لم يعاهد، ومَن

وتمام العهد تكميل زمانه؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٤]. **قوله: (بالرّماح)** الرّماح: جمع رمح في لسان العرب: الرُّمح من السلاح معروف. **قوله: (وذو القعدة)** بفتح القاف وكسرها. **قوله: (أو عشرون من ذي الحجّة والمحرّم وصفر وشهر ربيع الأوّل وعشر من ربيع الآخر)**؛ لأن التبليغ كان يوم النَّحر، وهذا القول أصوب، وعليه الأكثرون. **قوله: (أو على التغليب)** عطف على لأنهم أومنوا، أي إطلاق اسم الأشهر الحرم على عشرين من ذي الحجّة إلى عشرٍ من ربيع الآخر من جهة تغليب ما هو منها على ما هو ليس منها. واعلم أنّ الصحيح النّاطق به الأحاديث الصِّحاح الواقع عليه الاتّفاق أنّ الأشهر الحُرُم أربعة: ثلاث متتابعات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد: رجب، والاختلاف المذكور إنما هو في هذه الأربعة المشار إليها بقوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: الآية ٢].

(نكث) من المعاهدين ومَن لم ينكث ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ يوم عرفة **(لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج)**، أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمي، ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي بأن الله حذفت صلة الأذان تخفيفًا ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ عطف على المنوي في ﴿بَرِيٓءٌ﴾ أو على الابتداء وحذف الخبر أي ورسوله بريء، **(وقرىء بالنصب عطفًا على اسم «أن»)**، والجرّ **على** الجوار، أو على القسم كقولك

قوله: (نكث) في مختار الصحاح: **نكث** العهد والحبل نقضه، وبابه نصر.اهـ. **قوله: (لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحجّ)**؛ لأن مَنْ أدرك الوقوف فقد أدرك الحجّ، ومَنْ فاته فقد فاته الحجّ. **قوله: (وقرىء)** شاذًّا **(بالنّصب عطفًا على اسم «أنّ»)** وقارئه عيسى بن عمر وزيد بن عليّ وابن أبي إسحٰق رحمه الله، **«والجرّ على الجوار أو على القسم؛ كقوله: لعمرك»** قارئه الحسن رحمه الله. في فتح القدير للشوكاني رحمه الله: وقرىء ﴿ورسوله﴾ بالجرّ على أنّ الواو للقسم، رُوِي ذلك عن الحسن، وهي قراءة ضعيفة جدًّا؛ إذ لا معنى للقسم برسول الله ﷺ هٰهنا مع ما ثبت من النهي عن الحلف بغير الله. وقيل: إنه مجرور على الجوار.اهـ بحروفه. وقال العلّامة التفتازاني رحمه الله: قوله: وبالجرّ على الجوار هو في غاية السماجة، وليس جوار المشركين مما يحسن، بل يجوز عطف رسوله. وأمّا القسم بالرسول، فجائز من الله، ولهذا مثل بقوله: لعمرك، إلّا أنه في مثل هذا الموضع الملتبس كان ينبغي أن لا يجوز، والوجه ردّ قراءة الجرّ.اهـ. وهذه القراءة يبعد صحتها للإيهام، حتى أنه يُحْكَى أن أعرابيًّا... الخ. وفي جمع الجوامع عن أبي مُليكة رضي الله عنه قال: قدم أعرابيّ في زمان عمر قال: مَنْ يقرئني مما أنزل الله على محمد؟ فأقرأه رجل براءة، فقال: ﴿أنّ الله بريء من المشركين ورسوله﴾ بالجرّ، فقال له أعرابيّ: أوَقد بريء الله من رسوله، إنْ يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه؛ فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه فقال: يا أعرابيّ، أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ قال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألتُ مَنْ يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: ﴿إنّ الله بريء من المشركين ورسولِهِ﴾، فقلت: أوَقد بريء الله من رسوله، إن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه؛ فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابيّ، قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ

«لعمرك». وحُكِيَ أن أعرابيًا سمع رجلًا يقرؤها فقال: إن كان الله بريئًا من رسوله فأنا منه بريء، **(فلببه الرجل)** إلى عمر فحكى الأعرابي قراءته فعندها أمر عمر بتعلّم العربية ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ﴾ **(أي التوبة)** ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإصرار على الكفر ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التوبة أو تبتم على التولّي والإعراض عن الإسلام ﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ استثناء من قوله: ﴿فَسِيحُوا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا

ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: الآية ٣] بالضم، فقال الأعرابي: فأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه؛ فأمر عمر بن الخطّاب ﷺ أن لا يقرىء الناس إلّا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود، فوضع النحو، ابن الأنباري في الوقف والابتداء كرأي أخرجه ابن الأنباري وابن عساكر. اهـ. وفي إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: واتّفقوا على الرفع في ﴿ورسوله﴾ عطفًا على الضمير المستكنّ في بريء، أو على محل أنّ واسمها في قراءة مَنْ كسر إن. نعم روى زيد عن يعقوب النّصب عطفًا على اسم أن، وليس من طرقنا. اهـ. وقوله في قراءة مَنْ كسر أن في الإتحاف، وعن الحسن كسر همزة «إن الله بريء» على إضمار القول. اهـ. وفي تفسير النّيسابوري: ﴿ورسوله﴾ بالنصب روح وزيد، والباقون بالرفع. اهـ. وأيضًا فيه: قوله: ﴿ورسوله﴾ بالرفع مبتدأ محذوف الخبر، أي ورسوله أيضًا كذلك، أو هو معطوف على المنويّ في بريء، أو بريء هو ورسوله، وجاز العطف من غير تأكيد بالمنفصل المفصل، وقرىء بالجرّ على الجوار، أو على أن الواو للقسم؛ كقوله سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: الآية ٧٢]. **قوله: (فلببه الرجل)** في القاموس: لَبّبه تلبيبًا جمع ثيابه عند صدره ونحره في الخصومة، ثم جرّه. وقال العلّامة التفتازاني ﷺ: لببته إلى القاضي إذا جمعت ثيابه عند نحره، ثم جررته إلى الخصومة، وأصله الأخذ بالثياب. **قوله: (أي التوبة)** أي الضمير المقدّر المفهوم من تبتم كاعدلوا هو.

إلا الذين عاهدتم منهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ من شروط العهد أي وفَّوا بالعهد ولم ينقضوه. (**وقُرِىء «لم ينقضوكم» أي عهدكم**) وهو أليق لكن المشهورة أبلغ لأنه في مقابلة التمام ﴿وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ ولم يعاونوا عليكم عدوًا ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ (**فأدّوه إليهم**) تامًا كاملًا ﴿إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ (**أي تمام مدّتهم، والاستثناء بمعنى الاستدراك**) كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين: لكن الذين لم ينكثوا فأتمّوا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن (**قضية**) التقوى ألا يسوّي بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ مضى أو خرج ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ التي أُبيح فيها للناكثين أن يسيحوا ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين نقضوكم وظاهروا عليكم ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من حلّ أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وأسروهم، والأخذ: الأسر ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ وقيّدوهم وامنعوهم من التصرّف في البلاد ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل ممر و(**مجتاز**)

قوله: (**وقرىء**) شاذًا (**«لم ينقضوكم»**) بالضاد المعجمة، وهي على حذف المضاف، (**أي**) ينقضوا (**عهدكم**) فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه. وقارئه عطاء بن السّائب الكوفي وعكرمة وأبو زيد، وقرأ الجمهور: ﴿يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: الآية ٤] بالصاد المهملة، وهو يتعدّى إلى واحد وإلى اثنين، ويجوز هنا جعله متعدّيًا إلى اثنين بأن يكون كم مفعولًا أوّلًا، وشيئًا مفعولًا ثانيًا، وإلى واحد، فيكون شيئًا منصوبًا على المصدر، أي شيئًا من النقصان. **قوله:** (**فأدّوه إليهم**) أي أتمّوا، بمعنى أدّوا، ولذلك عدّى بإلى. **قوله:** (**أي تمام مدّتهم**) إشارة إلى تقدير مضاف؛ لأن مدّتهم لا يصح أن تكون غاية، بل الغاية آخرها، وهو المراد بالتمام؛ لأنه ما يتمّ به الشيء، وهو جزؤه الأخير، وقيل: المدّة بمعنى آخرها، وهو تكلّف. **قوله:** (**والاستثناء بمعنى الاستدراك**) أي استثناء منقطع وسمّاه استدراكًا لأنه يقدّر بلكن. **قوله:** (**قضية**) أي مقتضى.

قوله: (**مجتاز**) في لسان العرب: الاجتياز: السلوك، والمجتاز مُجتاب الطريق.

ترصدونهم به، (وانتصابه على الظرف). ﴿فَإِن تَابُوا﴾ عن الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر، أو فكفّوا عنهم ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ بستر الكفر والغدر بالإسلام ﴿رَّحِيمٌ﴾ برفع القتل قبل الأداء بالالتزام.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۞ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۞﴾

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ ﴿أَحَدٌ﴾ مرتفع بفعل شرط مضمر يفسّره الظاهر أي وإن استجارك أحد استجارك، والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن فأمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر على أن المستأمن لا يؤذى وليس له الإقامة في دارنا ويمكن من العود ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الأمر بالإجارة في قوله: ﴿فَأَجِرْهُ﴾ ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه، فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا أو يفهموا الحق ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ ﴿كَيْفَ﴾ استفهام في معنى الاستنكار أي مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم. ثم استدرك ذلك بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ﴾ أي ولكن الذين عاهدتم منهم ﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ ولم يظهر منهم نكث أي فما أقاموا على وفاء العهد ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء. و«ما» شرطية أي فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين.

قوله: (وانتصابه على الظرف) أي انتصاب كل على الظرفية، وكل وإن لم يكن ظرفًا لكن لها حكم ما يُضاف إليه؛ لأنه عبارة عنه.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، وحذف الفعل لكونه معلومًا أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أي يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا﴾ (لا يراعوا حلفًا ولا قرابة) ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهدًا ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بالوعد بالإيمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ الإيمان والوفاء بالعهد ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ناقضون العهد أو متمردون في الكفر، لا مروءة تمنعهم عن الكذب، ولا شمائل (تردعهم) عن النكث كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من (التفادي) عنهما.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿اشْتَرَوْا﴾ استبدلوا ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بالقرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا (وهو) إتباع الأهواء والشهوات ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بئس الصنيع صنيعهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ ولا تكرار، لأن الأول على الخصوص حيث قال: ﴿فِيكُمْ﴾ والثاني على العموم لأنه قال: ﴿فِي مُؤْمِنٍ﴾ ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة ﴿فَإِن تَابُوا﴾ عن الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾

قوله: (لا يُراعوا حلفًا ولا قرابة) وفي نسخة صحيحة: حلفًا أو قرابة. وعبارة الكشاف: لا يراعوا حلفًا، وقيل: قرابة. اهـ. والحلف ككتف القسم. **قوله:** (تردعهم) أي تمنعهم. **قوله:** (التفادي) التجانب والتباعد، يقال: تفادى الرجل عن كذا إذا تحاماه واحترز عنه.

قوله: (وهو) أي الثمن القليل الذي اختاره المشركون عن اتّباع أحكام القرآن.

(فهم إخوانكم على حذف المبتدأ) ﴿فِي ٱلدِّينِۗ﴾ لا في النسب ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ ونبينها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون فيتفكرون فيها (وهذا اعتراض)، كأنه قيل: وإن مَن تأمّل تفصيلها فهو العالم تحريضًا على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ أي نقضوا العهود المؤكدة بالأيمان ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ وعابوه ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِۙ﴾ فقاتلوهم، فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك، أو (زعماء) قريش الذين همّوا بإخراج الرسول (وقالوا: **إذا طعن الذميّ في دين الإسلام طعنًا ظاهرًا جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده**) وخرج من الذمّة.

قوله: (**فهم إخوانكم على حذف المبتدأ**) والجملة الاسمية في محل الجزم على جواب الشرط. **قوله:** (**وهذا اعتراض**) أي جملة معترضة[١] حيث وقعت بين كلامين متناسبين، فإنه تعالى بيّن أوّلًا حال مَنْ لا يراقب في الله إلّا ولا ذمّة وينقض العهد ويقول بلسانه ما يأبى عنه قلبه ويتعدّى ما حدّ له، ثم بيّن أنهم إنْ تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة فحينئذ تثبت لهم أحكام الإيمان جميعًا، وبيّن الله تعالى هذا المعنى بقوله: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبَة: الآية ١١]. ثم بيّن أنهم إن نكثوا أيمانهم، أي نقضوا عهدهم بإمّا بأن ارتدّوا عن الإيمان والعياذ بالله تعالى على أن يحمل العهد على مبايعة الإسلام بقرينة ذكره في مقابلة قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ [التوبَة: الآية ٥] الآية، بأن نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، واستمرّوا عليه بشهادة أنّ الآية وردت في ناقضي العهد، وأنه تعالى جعلهم صنفين: أحدهما مَنْ تاب منهم، والآخر مَنْ أقام على نقض عهده، فلمّا كانت الشرطيّتان متناسبتَيْن كانت جملة قوله: ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبَة: الآية ١١] معترضة بينهما. **قوله:** (**زُعَماء**) أي رؤساء. **قوله:** (**وقالوا إذا طعن الذميّ في دين الإسلام طعنًا ظاهرًا جاز قتله؛ لأن العهد معقودٌ معه على أن لا يطعن، فإذا طعن فقد نكث عهده**). قال

---

(١) بين فإن تابوا وإن نكثوا للتأكيد، كما اعترضت فيه.اهـ شهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

الجصّاص في أحكام القرآن: إنّ الآية تدلّ على أن أهل الذِّمّة ممنوعون من إظهار الطعن في دين الإسلام، وهو يشهد لقول مَنْ قال مِنَ الفقهاء: إنّ مَنْ أظهر شتم النبيّ ﷺ مِنْ أهل الذِّمّة فقد نقض عهده ووجب قتله. وقال أصحابنا: يُعزر ولا يُقتل، وهو قول الثوري والمنقول عن مالك والشافعي، وهو قول اللّيث قتله، وأفتى به ابن الهُمام كما في شرح الهداية، وفيه كلام مفصّل في الفروع.
وفي التفسيرات الأحمديّة: ذكر في كتب الفقه في بيان نقض العهد: أن نقض العهد عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه إنما يكون بأن غلب على موضع لحربنا أو لحق بدار الحرب لا بأن امتنع مِنَ الجزية أو زنى بمسلمة أو قتلها أو سبّ النبيّ عليه السلام، فلا يُقتل الذمّي بسبِّ النبيّ عليه السلام، بل يُعزر، على ما في الفتاوى. وعند الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل رحمه الله: سبّ النبيّ عليه السلام أيضًا ناقض للعهد، فيُقتل الذمّي إن سبَّ النبيّ عليه السلام، وظاهر عبارة القرآن يقتضي هذا الحكم؛ لأنه قال: ﴿وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟﴾ [التوبة: الآية ١٢]، ولا شكّ أن ليس طعن في الدِّين أكبر من سبّ النبيّ عليه السلام؛ إذ فيه إهانة الشرع وهَتْك حُرْمة الإسلام، والحقّ أن يكون فتوى أهل العلم في زماننا على هذا؛ إذ ليس في التعزير الذي قال أبو حنيفة رحمه الله: تهديد بحسب ما كان ذلك في القتل، مع أنّ في الرواية عن شرح ابن الهُمام أن أبا يوسف رحمه الله معهم. وأمّا سبّ المسلمون، فموجب للقتل بالإجماع، وإن تاب بعده وأصلح، فينبغي أن يُقتل البتّة إذا أظهر، وقد ذكر في تحقيقه المحشي الحلبي على شرح الوقاية كلامًا مشبعًا طويلًا نافعًا، فليرجع إليه. اهـ. وفي الدرّ المختار: (وينتقض عهدهم بالغَلَبة على موضع للحرب أو باللّحاق بدار الحرب)، زاد في الفتح: أو بالامتناع عن قبول الجزية (أو بجعل نفسه طليعة للمشركين)، بأن يبعث ليطلع على أخبار العدوّ، فلو لم يبعثوه لذلك لم ينتقض عهده، وعليه يحمل كلام المحيط.
(وصار) الذمّيّ في هذه الأربع صور (كالمرتدّ) في كلّ أحكامه، (إلّا أنه) لو أُسر (يُسْتَرَقّ) والمرتد يُقتل (ولا يُجبر على قبول الذمّة)، والمرتدّ يُجبر على الإسلام (لا) ينتقض عهده (بقوله: نقضت العهد)، زيلعيّ. (بخلاف الأمان) للحربيّ، فإنه ينتقض بالقول، بحر. (ولا بالإباء عن) أداء (الجزية)، بل عن قبولها، كما مرّ.

(﴿أَيِمَّةَ﴾ **بهمزتين: كوفي وشامي، الباقون: بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة**)، أصلها «أأممة» لأنها جمع إمام كعماد وأعمدة، فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأُدغمت في الميم الأُخرى. فمن حقّق الهمزتين أخرجهما على الأصل، ومَن قلب الثانية ياء فلكسرتها ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ وإنما

ونقل العينيّ عن الواقعات قتله بالإباء عن الأداء، قال: وهو قول الثلاثة، لكن ضعّفه في البحر. (و) لا (بالزنى بمسلمة، وقتل مسلم) وإفتان مسلم عن دينه وقطع الطريق (وسبّ النبيّ ﷺ)؛ لأن كفره المقارن له لا يمنعه، فالطارىء لا يرفعه، فلو من مسلم قتل، كما سيجيء. (ويؤدّب الذمّيّ ويعاقب على سبّه دين الإسلام أو القرآن أو النبيّ) ﷺ، حاوي وغيره. قال العينيّ: واختار في السبّ أن يُقتل. اهـ. وتبعه ابن الهُمام. قلت: وبه أفتى شيخنا الخير الرمليّ، وهو قول الشافعي، ثم رأيت في معروضات المفتي أبي السعود أنه ورد أمر سلطاني بالعمل يقول: أئمّتنا القائلين بقتله إذا ظهر أنه معتاده، وبه أفتى ثم أفتى في بكر اليهوديّ، قال لبشر النصراني: نبيّكم عيسى ولد زنى بأنه يقتل لسبّه للأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام. اهـ.

قلت: ويؤيّده أنّ ابن كمال باشا في أحاديثه الأربعينيّة في الحديث الرابع والثلاثين: «يا عائشة لا تكوني فاحشة»، ما نصه: والحقّ أنه يُقتل عندنا إذا أعلن بشتمه عليه الصّلاة والسّلام، صرّح في سير الذخيرة حيث قال: واستدلّ محمد لبيان قتل المرأة إذا أعلنت بشتم الرسول بما رُوي أنّ عمر بن عديّ لما سمع عصماء بنت مروان تؤذي الرسول، فقتلها ليلاً مدحه ﷺ على ذلك، انتهى فليُحفظ. اهـ بحروفه.

قوله: (﴿أَيِمَّةَ﴾ **بهمزتين كوفيّ**) أي عاصم وحمزة وعليّ الكسائي (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**والباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة**) . . . الخ. في السمين: قوله: ﴿أئمة الكفر﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿أئمة﴾ بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين ولا ألف بينهما، والكوفيّون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير إدخال ألف بينهما، وهشام كذلك، إلّا أنه أدخل بينهما ألفًا، هذا هو المشهور بين القرّاء السبعة، ونقل الشيخ عن نافع قارىء أهل المدينة

أثبت لهم الإيمان في قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم﴾ لأنه أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال: ﴿لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ على الحقيقة وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لا تكون يمينًا، ومعناه عند الشافعي رحمه الله أنهم لا يوفون بها لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث. («لا إيمان» شامي) أي لا إسلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ متعلّق بـ ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ وما بينهما اعتراض أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظائم، وهذا من غاية كرمه على المسيء. ثم حرض على القتال فقال:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ التي حلفوها في المعاهدة ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالقتال والبادىء أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم، وبخهم بترك مقاتلتهم وحضّهم عليها، ثم وصفهم بما يوجب الحضّ عليها من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب ﴿ٱلْعِقَابِ﴾ توبيخ على الخشية منهم ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ بأن تخشوه فقاتلوا أعداءه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فاخشوه **(أي إن قضية الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلا ربه)** ولا يبالي بمن سواه. ولما وبّخهم الله على ترك القتال جرّد

وابن كثير قارىء أهل مكّة، وأبي عمرو بن العلاء رأس النحّاة البصريّين أنهم يُبدلون الثانية ياء صريحة، وأنه قد نُقِل عن نافع المدني بينهما، أي بين الهمزة والياء. اهـ. وفي الإتحاف: ورد طعن الزمخشري ومَنْ تبعه كالبيضاوي، في وجه الإبدال. اهـ. **قوله:** («**لا إيمان**») بكسر الهمزة مصدر آمن (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالفتح جمع يمين، وأجمعوا على فتح الثانية.

قوله: (أي أن قضية الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلّا ربّه) القضية هنا بمعنى المقتضى، أي مقتضى إيمان المؤمن الذي يتحقّق أنه لا ضارّ ولا نافع إلّا الله، ولا يقدر أحد على مضرّة ونفع إلّا بمشيئة الله أن لا يخاف إلّا من الله، ومَنْ خاف الله خاف منه كل شيء والحصر من حذف متعلّق أحقّ المقتضى للعموم، أي أحقّ من كل شيء بالخشية، فلا ينبغي أن يخشى سواه.

لهم الأمر به بقوله:

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله: ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ قتلًا ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ أسرًا ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يغلبكم عليهم ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ طائفة منهم **(وهم خزاعة عيبة رسول الله ﷺ)**.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلًا على صحة نبوّته ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضًا، فقد أسلم ناس منهم **(كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل)**

قوله: (وهم خزاعة) هم حلف رسول الله ﷺ الذين عاهدوا قريشًا عام الحُدَيْبية على أن لا يُعينوا عليهم بني بكر، وكان فيهم قوم مؤمنون **(عَيْبَة رسول الله ﷺ)** أي موضع سرّه، وفي الحديث: «كانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مؤمنهم وكافرهم»، وهو في الأصل ظرف يجعل فيه الثياب. اهـ تفتازاني رحمه الله. وفي القاموس: الخزع كالمَنْع القطع كالتخزيع والتخلّف عن الصَّحب، والخزاعة القطعة تقتطع من الشيء، وبلا لام حيّ من الأزد سمُّوا لأنهم تخزّعوا عن قومهم، وأقاموا بمكّة. اهـ. قال مجاهد والسّديّ: أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم، ثم شفى الله صدور خزاعة من بني بكر حتى أخذوا ثأرهم منهم بالنبيّ ﷺ وأصحابه، رُوِيَ أنّ النبيّ ﷺ قال يوم فتح مكّة: «ارفعوا السّيف إلّا خزاعة من بني بكر إلى العصر»، ذكره البغوي رحمه الله.

قوله: (كأبي سفيان) صخر بن حرب، والد يزيد ومعاوية وأُمّ حبيبة أولاد أبي سفيان وإخوتهم.

قوله: (عكرمة بن أبي جهل) الصحابي، ابن عدوّ الله، هو أبو عثمان عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن

و(**سهيل بن عمرو**)، وهي ترد على المعتزلة قولهم: «إن الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم». ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان ﴿حَكِيمٌ﴾ في قبول التوبة.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ «أم» منقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ (**أي بطانة**) من الذين يضادون رسول الله ﷺ والمؤمنين ولما معناها التوقع، وقد دلّت على أن تبين ذلك متوقع كائن، وأن الذين

يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب القرشي المخزومي، وكان أبو جهل يُكنى في الجاهلية أبا الحكم فسمّاه النبيّ ﷺ أبا جهل، وكان أبو جهل وابنه عكرمة من أشدّ الناس عداوةً لرسول الله ﷺ، فقتل الله أبا جهل يوم بدر كافرًا، وبَقِيَ عِكْرمة ثم هداه الله تعالى، فأسلم عكرمة بعد الفتح بقليل وحَسُن إسلامه، ثم كان من صالحي المسلمين، ولمّا أسلم قال: يا رسول الله، لا أدع مالًا أنفقته عليك إلا أنفقت في سبيل الله مثله، واستعمله النبيّ ﷺ على صدقة هوازن عام حجّة الوداع، وله في قتال أهل الرِّدّة أثرٌ عظيم. رَوَى عن النبيّ ﷺ أحاديث رضي الله تعالى عنه.

قوله: (سهيل بن عمرو) الصحابي، هو أبو يزيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن ودّ بن نصر بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ بن غالب القريشي العامري أحد سادات قريش وأشرافهم وخُطبائهم، أسره المسلمون يوم بدر وعلى يديه انبرم[1] الصلح يوم الحُديبية، ثم أسلم يوم الفتح، وهو والد أبي جندل رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (أي بطانة) أي صديقًا معتمدًا عليه.

---

(١) في المصباح: أبرمت العقد إبرامًا أحكَمْته، فانْبَرَم. اهـ ١٢ منه عمّ فيضهم.

لم يخلصوا دينهم لله يميّز بينهم وبين المخلصين ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ﴾ معطوف على ﴿جَٰهَدُواْ﴾ داخل في حيّز الصلة كأنه قيل: ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقولك: «ما علم الله مني ما قيل فيّ». تريد ما وجد ذلك مني، والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من خير أو شر فيجازيكم عليه.

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ **(ما صحّ لهم)** وما استقام ﴿أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ **(«مسجد الله» مكيّ وبصريّ)** يعني المسجد الحرام، **(وإنما جمع في القراءة بالجمع لأنه قبلة)** المساجد وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد، ولأن كل بقعة منه مسجد، أو أريد جنس **(المساجد وإمامها)** وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس، وهو آكد إذ طريقه طريق الكناية كما تقول: «فلان لا يقرأ كتب الله» فإنه أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ باعترافهم بعبادة الأصنام وهو حال من الواو في ﴿يَعۡمُرُواْ﴾ والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين

قوله: (ما صحّ لهم)، وإنّما لم يحمل على نفي الوجود، كما هو الظاهر، ليُطابق الواقع، فإنهم عمروها كما يدلّ عليه قوله الآتي، فلا وجه للحمل على نفي الوجود. **قوله: («مسجد الله»)** بالتوحيد (مكّيّ) أي ابن كثير المكّي **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بالجمع. **قوله: (وإنما جمع في القراءة بالجمع؛ لأنه قبلة المساجد)** حاصله: إنما جمع للتعظيم كالملائكة في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٢] الآية، ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٩] الآية. وجه التعظيم ما ذكره المصنّف رحمه الله. **(وإمامها)** بكسر الهمزة، جعل المسجد الحرام كالإمام للمساجد لتوجّه محاريبها إليه توجّه المقتدي لجهة إمامه، فيكون التعبير عنه بالجمع مجازًا، علاقته ما ذكر وأما فتح همزة إمامها فركيك مفوّت للمبالغة، والمعنى الذي قصده المصنف رحمه الله: فلا تغترّ بمن قال إنّ معناهما واحد.

عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ دائمون.

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ عمارتها (رَمُّ ما استرم) منها (وقمها) وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا، لأنها بنيت للعبادة والذكر (ومن الذكر درس العلم) ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ولم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام (لما علم أن الإيمان بالله قرينة الإيمان بالرسول لاقترانهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها، أو دلّ عليه بقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾) وفي قوله: ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ تنبيه على الإخلاص، (والمراد الخشية

قوله: (رَمُّ ما استرمّ) في مختار الصّحاح: رَمّ الشيء يَرِم - بضم الراء وكسرها - رمًّا ومَرَمَّة أصلحه. اهـ. **قوله:** (قمها) في المصباح: قم البيت قمًّا من باب قتل كنسه. اهـ. **قوله:** (ومن الذكر درس العلم) أي العلوم الشرعيّة دون العلوم المنسوبة إلى الفلاسفة، لا سيّما العلم الإلـهيّ. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله:** (لما علم أنّ الإيمان بالله قرينة الإيمان بالرسول لاقترانهما في الأذان والإقامة وكلمة الشهادة وغيرها)، فإنه أينما جرى ذكر الله تعالى يكون ذكره عليه الصّلاة والسّلام مقارنًا لذكره تعالى، فلما كانا مزدوجين صارا كأنما شيءٌ واحد غير منفكّ أحدهما عن صاحبه، فكان الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام مندرجًا تحت ذكر الإيمان بالله تعالى. **قوله:** (أو دلّ[١] عليه بقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾)؛ لأن الصلاة لا تتمّ إلّا بالأذان والإقامة والتشهّد، وهذه الأشياء مشتملة على ذكر النبوّة، فاكتفى بذكر إقامتها عن ذكر الإيمان به عليه الصّلاة والسلام؛ لأن إقامتها تُوجب الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام، ولأن الصلاة والزكاة لما ذكرتا بلام العهد، والمعهود من الصلاة والزكاة عند المسلمين ليس إلّا الأعمال التي أتى بها رسول الله ﷺ، وإتيان تلك الأعمال يستلزم الإيمان به عليه الصّلاة والسّلام. **قوله:** (والمراد الخشية

---

(١) بالدّلالة الاستلزامية، وجه الدّلالة أن إقامة الصلاة إنما يكون بتصديق مبلّغها، وكذا الكلام في سائر المبرّات. اهـ قنوي رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

في أبواب الدين) بأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف، إذ المؤمن قد يخشى (المحاذير) ولا (يتمالك) أن لا يخشاها. وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها: فأريد نفي تلك الخشية عنهم ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء و(حسم لأطماعهم) في الانتفاع بأعمالهم لأن ﴿عَسَىٰ﴾ كلمة إطماع، والمعنى إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدًا بها عند الله دون مَن سواهم.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ السقاية والعمارة مصدران من (سقى) وعمر كالصيانة والوقاية، ولا بد من مضاف محذوف تقديره:

في أبواب الدّين)... الخ. جواب عمّا يقال: كيف قيل: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: الآية ١٨]، والحال أنّ المؤمن يخشى مما يؤذيه ويضرّه، كالظلمة والسباع المهلكة ونحوها، ولا يتمالك أن لا يخشى شيئًا منها؟

وتقرير الجواب: أنّ المعنى ـ والله أعلم ـ أنه تعالى إذا كلّف العبد بشيءٍ من الأُمور المتعلّقة بالدِّين كالحجّ والجهاد ونحوهما، وعرض له ما يمنعه من إقامة ذلك الأمر بأن يضرّه ويفوّت عليه شيئًا من حقوق نفسه على تقدير إقامة ذلك الأمر الذي كلّف به ينبغي أن لا يخاف مما يفوّت عليه حقّ نفسه، بل يجتهد في إقامة حقّ الله تعالى خوفًا من غضبه وعقابه ولا يختار على رضى الله رضى غيره خوفًا من ذلك الغير، كما قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: الآية ١٣]، وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٥]، فإنّ الخوف من المضار النفسانيّة أمرٌ جبليّ لا محذور فيه، إنّما المحذور ترجيح حقّ نفسه على حقّ الله تعالى، وأن يجعل فوات حظّ نفسه كعذاب الله. **قوله:** (المحاذير) جمع محذور. **قوله:** (يتمالك) أي يقدر. **قوله:** (حسم) أي قطع (لأطماعهم) جمع طمع.

قوله: (سقى) من باب رمى. وعمر بالتخفيف من باب كتب؛ لأن عمر المشدّدة إنما يقال في عُمر الإنسان لا في العَمارة.

أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله. وقيل: المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة **(ابن الزبير «سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام»)** والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوي بينهم، وجعل تسويتهم ظلمًا بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر في غير موضعهما. نزلت جوابًا لقول العباس حين أسر **(فطفق)** علي ﷺ يوبخه بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا. فقيل: أو لكم محاسن؟ فقال: نعمر المسجد ونسقي الحاج و**(نفك العاني)**. وقيل: افتخر العباس بالسقاية و**(شيبة)** بالعمارة، وعليّ ﷺ بالإسلام والجهاد، فصدق الله تعالى عليًا.

قوله: (ابن الزبير)، أي عبد الله بن الزبير بن العوام هو أبو بكر، ويقال: أبو خُبيب ـ بضم الخاء المعجمة ـ القريشي الأسديّ المكّي المدنيّ الصحابي ابن الصحابي، وأُمّه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنهما، وأبوه الزبير أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وحواريّ النبيّ ﷺ، وهو أوّل مولود وُلِد للمهاجرين في المدينة بعد الهجرة، وفرح المسلمون بولادته فرحًا شديدًا؛ لأن اليهود كانوا يقولون: قد سحرناهم، فلا يُولد لهم؛ فأكذبهم الله تعالى، فحنّكه رسول الله ﷺ بتمرٍ لاكَها، فكان ريق رسول الله ﷺ أوّل شيءٍ نزل في جوفه، وسمّاه عبد الله، وكناه أبا بكر بكنية جدّه أبي بكر الصديق، وسمّاه باسمه. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون حديثًا، اتّفقوا على ستّة، وانفرد مسلم بحديثين. رَوَى عنه أخوه عروة وابن مُليكة وعباس بن سهل وثابت البناني وعطاء وعبيدة السلماني وخلائق آخرون.

قوله: (سقاة الحاجّ) ـ بضم السين ـ جمع ساقٍ، **(وعَمَرة المسجد الحرام)** ـ بفتحتين ـ جمع عامر. **قوله: (طَفِقَ)** أي جعل. **قوله: (نفك العاني)** أي الأسير والفكّ الإطلاق.

قوله: (شيبة) بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ القريشي العبدري الحجبي من أهل مكّة، يُكنى أبا عثمان، وقيل: أبا صفيّة، وأبوه عثمان يُعرف بالأوْقص قتله عليّ يوم أُحد كافرًا، وأسلم شيبة يوم الفتح، وقيل: أسلم يوم حنين، وكان شَيْبة من خيار المسلمين ودفع له رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة وإلى ابن عمّه عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقال:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أولئك ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ من أهل السقية والعمارة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ لا أنتم والمختصون بالفوز دونهم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ («يَبْشُرهم» حمزة) ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ﴾ تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف ﴿لَّهُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿نَعِيمٌ (مُّقِيمٌ﴾ دائـــم) . ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ لا ينقطع. لما أمر الله النبيّ ﷺ بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولأخيه ولقرابته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم مَن يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم مَن تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي آثروه (واختاروه) ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أي ومَن يتول الكافرين

«خذوها خالدة مخلّدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني أبي طلحة، لا يأخذها منكم إلّا ظالم»، وهو جدّ هؤلاء بني شَيْبة الذين يَلُون حِجابة البيت الذين بأيديهم مفتاح الكعبة إلى يومِنا هذا. توفي سنة تسع وخمسين، وقيل: بل توفّي أيام يزيد بن معاوية وذكره بعضهم في المؤلّفة وحَسُن إسلامه. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: («يَبْشُرهم») بفتح الياء وسكون الباء وضمّ الشين والتخفيف من الثلاثيّ، (حمزة) والباقون بضمّ الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة. **قوله:** (﴿مُّقِيمٌ﴾ دائم) يعني أن المقيم استعارة للدّائم. اهـ شهاب رحمه الله . .

قوله: (واختاروه) عطف تفسير.

﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ﴾ أقاربكم و(«عشيراتكم» أبو بكر) ﴿وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ فوات وقت (نفاقها) ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ والآية (تنعي) على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين، إذ لا تجد عند أورع الناس ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ.

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥﴾

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾ كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة. وقيل: إن المواطن التي نصر الله فيها النبيّ عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنًا، ومواطن الحرب مقاماتها و(مواقفها) ﴿وَيَوۡمَ﴾ أي واذكروا يوم (﴿حُنَيۡنٍ﴾ وادٍ بين مكة والطائف) كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفًا، وبين (هوازن وثقيف) وهم أربعة آلاف، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: (لن نغلب اليوم من قلّة، فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام) ﴿إِذۡ﴾ بدل من

قوله: («عشيراتكم») بالألف بعد الراء جمع سلامة؛ لأن لكلّ منهم عشيرة (أبو بكر) شعبة عن عاصم رحمه الله. والباقون بغير ألف على الإفراد، أي عشيرة كلّ منكم. **قوله:** (نفاقها) ـ بفتح النون ـ بمعنى رواجها، والرَّواج ضدّ الكساد. **قوله:** (تنعي) أي تخيّر.

قوله: (مواقفها) بقاف بعدها فاء، أي محلّ مضاف الحرب والوقوف لها. **قوله:** (﴿حُنَيۡنٍ﴾ وادٍ بمكّة والطائف) على ثلاثة أميال من مكّة. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (هوازن وثقيف) هما قبيلتان معروفتان. **قوله:** (لن نُغلب اليوم) ـ مجهول ـ (من قلّة) من أجلها صفة لمحذوف أي لن نُغلب اليوم غَلَبة ناشئة من قلّة، والمراد إثبات الغَلَبة بالكثرة كناية. **قوله:** (فساءت رسول الله ﷺ)، وإنما ساءته عليه الصّلاة والسّلام تلك الكلمة لأن فيها اعتمادًا على الكثرة واعتبارًا لها، ولا يليق بهم الاعتماد إلّا على الله ونصرته، فلذلك أعلمهم الله تعالى بقوله: ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ

﴿يَوۡمَ﴾ ﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزلّ عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود، فانهزموا حتى بلغ (**فلّهم**) مكة وبقي رسول الله ﷺ وحده وهو ثابت (**في مركزه**) ليس معه إلا عمه العباس آخذًا بلجام دابته، (**وأبو سفيان**) بن الحارث ابن عمه آخذًا بركابه فقال للعباس: «(**صِحْ**) بالناس» وكان (**صيّتًا**)، فنادى: (**يا أصحاب الشجرة**) فاجتمعوا وهم يقولون: لبيك، لبيك نزلت الملائكة عليهم الثياب (**البيض**) على

كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـًٔا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: الآية ٢٥] أنهم ليسوا بكثرتهم يغلبون، وإنما يغلبون بنصر الله إيّاهم، فلما نظروا في ذلك اليوم إلى كثرتهم انهزموا ثم تداركهم بنصره حين التجؤوا إليه تعالى وتضرّعوا. **قوله: (فلّهم)** الفَلّ ـ بفتح وتشديد ـ المُنهزم يقع على الواحد وغيره. **قوله: (في مركزه)** أي مقرّه ومحلّه الأوّل. **قوله: (وأبو سفيان)** بن الحارث ابن عمّه ﷺ، فإنه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، واختلفوا في اسمه، فقال هشام بن الكلبيّ وإبراهيم بن المنذر والزبير بن بكّار وغيرهم: اسم أبي سفيان هذا المغيرة، وقال آخرون: اسمه كنيته لا اسم له غيره، وهو أخو النبيّ ﷺ من الرّضاعة، أرضعتهما حليمة، وكان يشبه النبيّ ﷺ هو وجعفر بن أبي طالب والحسن بن عليّ وقثم بن العباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وكان شاعرًا أسلم وحَسُن إسلامه وشَهِد مع النبيّ ﷺ حُنينًا وأبلى فيها بلاء حسنًا، وهو من فُضلاء الصحابة، وقال أبو سفيان عند موته: لا تبكوا عليّ، فلم أفعل خطيئة منذ أسلمت. توفي بالمدينة سنة عشرين، وصلّى عليه عمر بن الخطاب، وقيل: توفي سنة خمس عشرة ﷺ.

قوله: (صِحْ) أمر من الصَّيْحة بوزن بِع. **قوله: (صيّتًا)** بتشديد الياء، أي جهوري الصوت شديده، وهو بيان لسبب تخصيصه بالأمر. **قوله: (يا أصحاب الشجرة)** المذكورين في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: الآية ١٨]، كأنه رضي الله تعالى عنه قصد بها النداء تذكيرهم ببيعتهم والتنبيه على أن مَنْ كان حاله هذا، فكيف يفرّ مع أنّ النبيّ ﷺ في مركزه. **قوله: (البيض)** في المصباح: شيء أبيض ذو بياض، وهو اسم فاعل، والأُنثى بيضاء، والجمع بيض، والأصل بضمّ الباء لكن كُسرت لمجانسة الياء. اهـ

(خيول بلق)، فأخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب فرماهم به ثم قال: «انهزموا ورب الكعبة» فانهزموا وكان من دعائه ﷺ يومئذٍ «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان» وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «ما» مصدرية والباء بمعنى «مع» أي مع رُحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك: «دخلت عليه بثياب السفر» أي متلبسًا بها، والمعنى لم تجدوا موضعًا لفراركم عن أعدائكم فكأنها ضاقت عليكم ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ثم انهزمتم.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ رحمته التي سكنوا بها وأمنوا ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة أو ستة عشر ألفًا ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقتل والأسر و**(سبي النساء والذراري)** ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ وهم الذي أسلموا منهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ بستر كفر العدو بالإسلام ﴿رَّحِيمٌ﴾ بنصر الولي بعد الانهزام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ أي ذوو **(نجس)** وهو مصدر، يقال: نجس نجسًا و**(قذر وقذرًا)** لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس، ولأنهم

باختصار. **قوله: (خيول)** جمع خيل. **قوله: (بلق)** في مختار الصحاح: البُلق سواد وبياض، وكذا البُلْقة ـ بالضم ـ يقال: فرس أبْلق وفرس بَلْقاء. اهـ.

قوله: (سبي النساء) السَّبي الأسر **(والذّراري)** جمع ذرية.

قوله: (نجس) ـ بالكسر ـ نَجسًا ـ بفتحتين ـ **قوله: (قذر وقذرًا)** من باب تَعِب.

لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها (﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾) فلا يحجّوا ويعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ وهو عام تسع من الهجرة حين أمّر أبو بكر ﷺ على الموسم، ويكون المراد من نهي القربان النهي عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام

قوله: (﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾) قيل: المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد، وقيل: جميع الحرم، وهو الأقرب؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة: الآية ٢٨]؛ وذلك لأن موضع التجارات ليس هو عين المسجد، فلو كان المقصود من هذه الآية المَنْع من المسجد خاصّة لَمَا خافوا بسبب هذا المَنْع، وإنّما يخافون العيلة إذا مُنِعوا من حضور الأسواق والمواسم، يؤكّد هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: الآية ١]، مع أنّهم أجمعوا على أنه إنما رُفِع الرسول عليه الصّلاة والسلام من بيت أُمّ هانيء، ويؤيّده قوله عليه السلام: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»، وهي من أقصى عدن أبْيَن إلى ريف العراق طولًا، ومن جدّة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام عرضًا. واعلم أن جملة بلاد الإسلام في حقّ الكفار ثلاثة أقسام: القسم الأول الحرم، فلا يجوز لكافر أن يدخله بحال ذمّيًا كان ومستأمنًا؛ لظاهر هذه الآية: وإذا جاء رسول من دار الكفر إلى الإمام، والإمام في الحرم لا يأذن له في دخوله، بل يبعث إليه مَنْ يسمع رسالته خارج الحَرَم، وإن دخل مُشرك في الحرم متواريًا فمرض فيه أخرجناه مريضًا، وإنْ مات ودُفِن ولم نعلم نبشناه وأخرجنا عظامه إذا أمكن، هذا مذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه. وجوّز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحَرَم، وإنما يُمْنع من الحجّ والعمرة. والقسم الثاني من بلاد الإسلام: الحجاز، فيجوز للكافر دخولها بالإذن، ولكن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيّام لِمَا رُوِيَ عن عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَئِنْ عشت إلى قابل لأُخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلّا مسلمًا»، فمضى رسول الله ﷺ وأوصى، فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، فلم يتفرّغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر في خلافته، وأجّل لمن يقدم منهم تاجرًا ثلاثًا. والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام

وسائر المساجد عندنا، وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره. (وقيل: نهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي (فقرًا) بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من (الإرفاق) والمكاسب ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر (حجيج) الإسلام (﴿إِن شَآءَ﴾) هو تعليم لتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال إليه

يجوز للكافر أن يُقيم فيها بذمّة أو أمان، ولكن لا يدخل المساجد إلّا بإذن مسلم. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (وقيل: نهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه)، قال صاحب الكشاف: وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحَرَم كلّه، وأنّ على المسلمين أن لا يمكّنوهم من دخوله، ونهي المشركين عن أن يقربوا راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه. وقيل: المراد أن يُمنعوا عن تولّي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويفرقوا عن ذلك، هذا لفظه.

ويُفهم منه أنّ للآية محملًا سوى الحَمْل على الحجّ والعمرة، أعني المَنْع عن التولّي، وعلى كِلَيْهما يُمكن حَمْل عبارة الهداية وإنْ كان بعيدًا بحسب اللفظ، حيث قال: ولنا أنّ النبيّ ﷺ أنزل وفد ثقيف في مسجده وهم كفّار، ولأن الخبث في اعتقاده، فلا يؤدّي إلى تلويث المسجد، والآية محمولة على الحضور استيلاء واستعلاء أو طائفين عُراة، كما كانت عادتهم في الجاهلية، هذا لفظه. فقوله: استيلاء واستعلاء إشارة إلى الوجه الأخير، وقوله: أو طائفين عُراة إلى الوجه الأخير، وقوله: أو طائفين عراة إلى الوجه الأوّل، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (فقرًا) أي عيلًا مِنْ عال، بمعنى افتقر. قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى: الآية ٨]. **قوله:** (الإرفاق) جمع رفق، وهو المنفعة. **قوله:** (حجيج) جمع حاجّ. **قوله:** (﴿إِن شَآءَ﴾) قيّده بالمشيئة، مع أن القيد بها ينافي ما هو المقصود من الآية، وهو إزالة خوفهم من العَيْلة لفوائد، الفائدة الأُولى: أن لا يعتمد على حصول هذا المطلوب الموعود، بل يكون الإنسان أبدًا متضرّعًا إلى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات. والثانية: أنّ الإغناء الموعود ليس يجب

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في تحقيق آمالكم، أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وأراد ونزل في أهل الكتاب.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ لأن اليهود مثنيّة والنصارى مثلثة ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا أكل في الجنة ولا شرب ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنّة، أو لا يعملون بما في التوراة والإنجيل ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ ولا يعتقدون دين الإسلام الذي هو الحق. يقال: فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بيان للذين قبله، وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية، وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما رُوِيَ (الزهري) أن النبيّ عليه السلام صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا مَن كان من العرب (﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾) إلى أن يقبلوها، وسميت جزية لأنه مما يجب على

عليه تعالى، بل هو متفضّل به في ذلك، ولا يتفضّل به إلّا عن مشيئته وإرادته. والثالثة: التنبيه على أن الموعود ليس بموعود بالنسبة إلى جميع الأشخاص، بل بالنسبة إلى جميع الأمكنة والأزمان، وكان إبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لاحظ هذه الحكمة في دعائه بقوله: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٦]، فإنّ مَنْ التبعيضيّة في ذلك الدعاء بمنزلة قَيْد إنْ شاء في هذا الوعد. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (الزهريّ)، هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القريشي الزهري المدني، وهو تابعيّ رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾). . . الخ. ولمّا كان هٰهنا بيان الجِزْية، لا بدّ من بيان قدرها، وبيان مَن يجب عليه، ومَنْ لا يجب عليه؛ فاعلم أنه قد ذُكِر في كتب الفقه أنّ الجِزْية نوعان: جزية يقع عليها الاتّفاق والصّلح، فيقدّر بحسب ذلك. وجزية يبتدىء الإمام بوضعها، وذلك على الغني ثمان وأربعون درهمًا يأخذ في كل شهر أربعة دراهم؛ وعلى المتوسّط نصفها، وهو أربعة وعشرون درهمًا؛ وعلى فقير يكسب ربعها، وهو اثنا عشر درهمًا، أو لا يجب على فقير لا يكسب ولا على

أهلها أن يجزوه أي يقضوه، أو هي جزاء على الكفر على التحميل في تذليل ﴿عَن يَدٍ﴾ أي عن يدٍ **(مواتية)** غير ممتنعة ولذا قالوا: أعطى بيده إذا انقاد، وقالوا: نزع يده عن الطاعة. أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدًا غير نسيئة لا مبعوثًا على يدِ أحد ولكن عن يدي المعطي إلى يد الآخذ ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي تؤخذ منهم على **(الصغار والذل)** وهو أن يأتي بها بنفسه ماشيًا غير راكب، ويسلمها وهو قائم، والمتسلم جالس، وأن **(يتلتل)** تلتلة و**(يؤخذ بتلبيبه ويقال له: أدِّ)** الجزية **(يا ذميّ)** وإن كان يؤديها و**(يزخ في قفاه)** وتسقط بالإسلام.

صبي وامرأة ومملوك وأعمى وزَمِن وراهب لا يخالط. وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه: أقلّ الجزية في كل سنة، دينار، سواء فيه الغنيّ والفقير، فيجب على كلٍّ منهما هذا المقدار على السواء، نصّ به في البيضاوي. ودلائل كل ذلك مذكورة في موضعها بتمامها. **قوله: (مواتية)** بالمثناة الفوقيّة من المواتاة، بمعنى الموافقة. **قوله: (الصّغار)** ـ بالفتح ـ الذلّ. **قوله: (الذل)** ـ بضمّ ـ ضدّ العزّ. **قوله: (يتلتل)** تلتلة في مختار الصحاح: تلتله زعزعه وأقلعه وزلزله. **قوله: (يؤخذ بتلبيبه)** في لسان العرب: التلبيب من الإنسان ما في موضع اللَّبَب من ثيابه، ولبب الرجل جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قبضه وجرّه وأخَذَ بتلبيبه كذلك، وهو اسم كالتمتين. التهذيب: يقال: أخذ فلان بتلبيب فلان إذا جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه عند صدره وقبض عليه يجرّه. اهـ. **قوله: (ويقال له: أدّ يا ذمّي)** ذكر في كتب الفقه: أنه ميّز الذي في زيّه ومركبه وسرجه وسلاحه، فلا يركب خيلًا ولا يعمل بسلاح ويظهر الكستي، وهو الخيط الذي يكون معهم، ويركب على سرج كإكاف، ومُيِّزت نساؤهم في الطريق لئلا تشتبه بنساء المسلمين، ويُعلّم على دورهم، أي يجعل على بيوتهم كَيْلا يتوهّم السائل أنّه بيت المسلم، فيستغفر له؛ فانظروا يا أيها المؤمنون هل في هذا الزّمان ذمّيّ؟ وتفكّروا يا أيها المسلمون إن هم إلا حربيّ وما يعقلها إلّا العالمون، وقد طال الكلام في زماننا في بيان الذمّيّ والحربيّ بالإفراط والتفريط، والحقّ ما بيّنه بعض مشائخنا سلّمه الله تعالى في بعض رسائله، فطالِعْه إن شئت، وقد ذكر في تحقيقهما الأعظم الثاني كلامًا لا مزيد عليه، فليرجع إليه. اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله: (يزخ في قفاه)** في لسان العرب: زخّ في قفاه يزخّ زخّاء دفع، وقال ابن دريد: كل دفع

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ **(كلهم أو بعضهم)** ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر كقوله: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وعزير اسم أعجميّ، ولعجمته وتعريفه

زَخ. اهـ.

قوله: (كلّهم أو بعضهم) روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود: سلام بن مشكم، والنعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتّبعك وقد تركت قِبْلتنا، وأنت لا تزعم أن عُزير ابن الله؟ فأنزل الله هذه الآية. وقال عُبيد بن عُمَيْر: إنما قال هذه المقالة رجل واحِد من اليهود اسمه فِنْحاص بن عازوراء، وهو الذي قال: إنّ الله فقير، ونحن أغنياء؛ فعلى هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد، وإنما نُسِب ذلك إلى اليهود ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ [التوبة: الآية ٣٠] جريًا على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد، تقول العرب: فلان يركب الخيل، وإنما يركب فرسًا واحدًا، وتقول العرب: فلان يجالس الملوك، ولعلّه لم يُجالِس إلا واحدًا منهم، ورَوى عطيّة العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إنما قالت اليهود ذلك من أجل أنّ عزيرًا كان فيهم، وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم، فأضاعوا التوراة وعَمِلوا بغير الحقّ، فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يردّ إليه التوراة، فبينما هو يصلّي مُبتهلاً إلى الله عزّ وجلّ نزل نورٌ من السماء، فدخل جوفه، فعادت إليه، فأذن في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني الله التوراة وردَّها إليّ، فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله، ثم إنّ التابوت نزل بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلّمهم عُزير على ما في التابوت، فوجدوه مثله، فقالوا: ما أُوتي عزير هذا إلّا أنه ابن الله. وقال الكلبي: إن بخت نصّر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل وقتل مَنْ قرأ التوراة كان عُزَيْرًا إذ ذاك صغيرًا فلم يقتله لصغره، فلمّا رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم مَنْ يقرأ التوراة بعث الله لهم عُزيرًا ليجدّد لهم التوراة، ويكون لهم آية بعدما أماته الله مائة

امتنع صرفه، (ومن نَوَّنَ. وهو عاصم وعلي - فقد جعله عربيًا) ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ) ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ﴾ أي قـــول لا

سنة. قال: فأتى ملك بإناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره، فلمّا أتاهم قال: أنا عزير، فكذّبوه وقالوا: إن كنت كما تزعم، فأَمْلِ علينا التوراة، فكتبها لهم من صدره، ثم إنّ رجلًا منهم قال: إنّ أبي حدّثني عن جدّي أنّ التوراة جُعِلت في خابية ودُفِنت في كرم، فانطلقوا معه حتى أخرجوها، فعارَضُوها بما كَتَبَ لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفًا، فقالوا: إنّ الله لم يقذف التوراة في قلب عُزير إلّا أنه ابنه؛ فعِنْد ذلك قالت اليهود: عزير ابن الله؛ فعلى هذين القولين أنّ هذا القول كان فاشيًا في اليهود جميعًا، ثم إنه انقطع وانْدَرَس، فأخبر الله به عنهم وأظهره عليهم، ولا عِبْرة بإنكار اليهود ذلك، فإنّ خبر الله عزّ وجلّ أصدق وأثْبَت من إنكارهم. اهـ خازن.

قوله: (ومن نوّن) أي قرأ بالتنوين مكسورًا على الأصل، **(وهو عاصم وعليّ)** الكسائيّ، وكذا يعقوب البصريّ، وليس من السبعة **(فقد جعله عربيًا)** من التعزير، وهو التعظيم، فهو اسم أمكن، والباقون بغير تنوين. **قوله:** (﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ﴾) قال في الخازن: وأمّا قول النصارى المسيح ابن الله، فكان السّبب فيه أنهم كانوا على الدِّين الحقّ بعد رفع عيسى على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسّلام إحدى وثمانين سنة يصلّون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى على نبيِّنا وعليهم الصّلاة والسّلام، ثم قال بولص لليهود: إنْ كان الحقّ مع عيسى، فقد كفَرْنا والنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنّة، فإنّي سأحتال وأضلّهم حتى يدخلوا النار معنا. ثم إنّه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه، فعرقبه وأظهر النّدامة والتوبة، ووضع التراب على رأسه، ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عدوّكم بولص، فقد نُودِيت من السماء أنه ليس لك توبة حتى تتنصّر، وقد تُبت وأتيتكم، فأدْخَلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتًا منها لم يخرج منه سنة حتى تعلّم الإنجيل، ثم خرج وقال: قد نُوديت أنّ الله قبل توبتك، فصدَّقوه وأحبّوه وعلا شأنه فيهم، ثم إنه عمد إلى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم: نسطور، والآخر يعقوب، والآخر ملكان؛ فعلّم نسطور أنّ

(ويعضده) برهان ولا يستند إلى بيان، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته **(كالألفاظ المهملة)** ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولُهم قولَهم، ثم حذف المضاف وأُقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعًا يعني أن الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم، يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث، أو الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ قول اليهود ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ لأنهم أقدم منهم (﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ **عاصم**). وأصل المضاهاة

عيسى ومريم والإلٰه ثلاثة، وعلّم يعقوب أن عيسى ليس بإنسان، ولكنه ابن الله، وعلّم ملكان أنّ عيسى هو الله لم يزل ولا يزال؛ فلما استمكن ذلك فيهم دعا كلّ واحد منهم في الخلوة وقال له: أنت خالصتي وادع الناس لما علّمتك، وأمره أن يذهب إلى ناحيةٍ من البلاد، ثم قال لهم: إني رأيت عيسى في المنام وقد رَضِيَ عنّي، وقال لكل واحد منهم: إني سأذبح نفسي تقرّبًا إلى عيسى، ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه، وتفرّق أُولئك الثلاثة؛ فذهب واحد إلى الرّوم، وواحد إلى بيت المقدس، والآخر إلى ناحية أخرى، وأظهر كل واحد منهم مقالته، ودعا الناس إليها، فتبعه على ذلك طوائف من الناس، فتفرّقوا واختلفوا ووقع القتال، فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله.

وقال الإمام فخر الدّين الرازي ؒ، بعد أن حكى هذه الحكاية: والأقرب عندي أن يقال: لعلّه ذكر لفظ الابن في الإنجيل على سبيل التشريف، كما ورد لفظ الخليل في حقّ إبراهيم على سبيل التشريف، فبالغوا وفسّروا لفظ الابن بالبنوّة الحقيقيّة، والجُهّال قَبِلُوا ذلك منهم، وفَشَا هذا المذهب الفاسد في أتباع عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، والله أعلم بحقيقة الحال. اهـ.

قوله: (ويعضده) أي يعينه. **قوله: (كالألفاظ المهملة)**، فإن القول بأنّ له تعالى وَلَدًا ليس له معنى يقبله العقل للعلم بأنه تعالى مُنزَّه عن الحاجة والشّهوة والصّاحبة، فما هو إلّا مجرد لفظ يقال بالفم كالمهمل. **قوله:** (﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾) بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها واو **(عاصم)**، والباقون بضمّ الهاء وواو بعدها، فهما بمعنى واحد، وهو المشابهة، وفيه لغتان: ضاهأت وضاهيت.

قوله: (امرأة ضَهياء) بالمدّ كحمراء. **قوله: (الزجّاج)** هو أبو إسحٰق

المشابهة، والأكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم («امرأة ضهياء») وهي التي أشبهت الرجال بأنها لا تحيض كذا قاله (**الزجاج**)، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي هم (**أحقاء**) بأن يقال لهم هذا ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾ أي أهل الكتاب (﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ **علماؤهم** ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ **نساكهم**) ﴿أَرْبَابًا﴾ آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ الله كما يُطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ عطف على ﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ أي اتخذوه ربًا حيث جعلوه ابن الله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ يجوز الوقف عليه لأن ما بعده يصلح ابتداء يصلح وصفًا لواحدًا ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيه له عن الإشراك.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوّة محمد ﷺ بالتكذيب

إبراهيم بن محمد النحوي رحمه الله. **قوله:** (**أحِقّاء**) جمع حقيق، بمعنى خليق، أي لائق.

قوله: (﴿أَحْبَارَهُمْ﴾ **علماؤهم** ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ **نساكهم**) الأحبار جمع حَبْر، وقيل: جمع حِبْر ـ بالكسر ـ وقيل: هما لغتان بمعنًى، وهو الفقيه العالم ذميًا كان أو مسلمًا، بعد أن يكون مِنْ أهل الكتاب. قال أهل المعنى: الحِبْر العالم الذي صناعته يحبر المعاني بحُسْن البيان عنها، والرّاهب الذي تمكّنت الخشية والرّهبة من قلبه وظهرت آثار الرّهبة على وجهه ولسانه، فصار الأحبار مختصًا بعلماء اليهود من ولد هارون على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، والرهبان بعلماء النصارى أصحاب الصوامع. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

بحال مَن يريد أن ينفخ في (**نور عظيم منبثّ**) في الآفاق، يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق ليطفئه بنفخه. (**أجرى** ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ **مجرى «لا يريد الله»**) ولذا وقع في مقابله ﴿يُرِيدُونَ﴾ وإلا لا يقال: كرهت أو أبغضت إلا زيدًا.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآن ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام (﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ **ليعليه** ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾) على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر

قوله: (**نورٌ عظيم**) مُستفاد من إضافة النور إلى الله تعالى. **قوله**: (**منبثّ**) أي منشر. **قوله**: (**أجرى** ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ **مجرى «لا يريد الله»**)... الخ. يعني الاستثناء المفرغ، وإن اختصّ بالنفي إلّا أنه قد يُمال مع المعنى القرائن ومناسبة المقامات، فيجري بعض الإجابات مجرى النفي في صحة التفريغ معها؛ كما قيل في قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤٩]، وهذا ما يقال: إنه لا يجري في الإثبات إلّا أن يستقيم المعنى، ولو اكتفى بمجرّد جعل المثبت بمعنى نفي مقابله لجرى في كل مثبت ككرهت بمعنى ما أردت، وأبغضت بمعنى ما أجبت، وهكذا.

قوله: (﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ **ليعليه** ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾) قال أبو هريرة والضحّاك رضي الله عنهما: ذلك عند نزول عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، فلا يبقى أهل دين إلّا دخلوا في الإسلام، ويدلّ على صحة هذا التأويل ما رُوِيَ عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، قال: قال النبيّ ﷺ: «ويهلك في زمانه المِلل كلّها إلّا الإسلام»، وأخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللّات والعُزّى»، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أظنّ حين أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التّوبَة: الآية ٣٣] أنّ ذلك تامّ، قال:

دين الحق على كل دين ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ﴾ استعار الأكل للأخذ ﴿بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ أي (بالرّشا) في الأحكام ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ (سفلتهم) ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم: أخذ الرشا وكنز الأموال و(الضنّ) بها عن الإنفاق في سبيل الخير. ويجوز أن يُراد المسلمون الكانزون غير المنفقين، ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظًا. وعن النبيّ ﷺ: «ما أُدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطنًا، وما بلغ أن يزكي فلم يزكْ فهو كنز وإن كان ظاهرًا» ولقد كان كثير من الصحابة ﷺ **(كعبد الرحمٰن بن عوف)**

«إنه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحًا طيّبة تتوفّى كلَّ مَنْ كان في قلبه مثقال حبّة من خردل مِنْ إيمان، فيبقى مَنْ لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم».

قوله: (بالرّشا) جمع رشوة. في المصباح: الرّشوة ـ بالكسر ـ ما يُعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد، وجمعها رشى مثل سدرة وسدر، والضم لغة، وجمعه رُشًى ـ بالضم أيضًا ـ ورشَوْته رَشْوًا من باب قتل: أعطَيْته رشوة فارْتَشى، أي أخذ. اهـ. **قوله: (سَفَلتهم)** في مختار الصحاح: السَّفِلة ـ بكسر الفاء ـ السُّقاط من الناس، يقال: هو مِنَ السَّفِلة ولا تقل: هو سَفِلة؛ لأنها جمع، والعامّة تقول: رجل سَفِلة من قوم سَفِل، وبعض العرب يخفّف، فتقول: فلان من سِفْلة الناس، فتُنْقل كسرة الفاء إلى السِّين. اهـ. **قوله: (الضّنّ)** في مختار الصّحاح: ضَنَّ بالشيء يضَنّ ـ بالفتح ـ ضِنًّا ـ بالكسر ـ وضَنانة ـ بالفتح ـ أي بخل، فهو ضَنِين. اهـ.

قوله: (كعبد الرحمٰن بن عوف) الصحابي، هو أبو محمّد عبد الرحمٰن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة القريشي الزهريّ المدنيّ، كان اسمه في الجاهليّة عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وأمّه الشّفا بنت عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وُلِد بعد الفيل بعشر سنين. أسلم عبد الرحمٰن قديمًا قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهو أحد الثمانية السابقة إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد العشرة الذين شَهِد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد السّتّة الذين هم أهل شورى الذين

و(طلحة يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية، لأن الإعراض اختيار للأفضل والاقتناء مباح) لا يذم صاحبه ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ

أوصى إليهم عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنهم بالخلافة، وقال: إنّ رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ، وكان من المهاجرين الأوّلين، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وشَهِد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأُحدًا والخندق وبَيْعة الرّضوان وسائر المشاهد، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله، أعتق في يوم إحدى وثلاثين عبدًا. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وستّون حديثًا، اتّفقا منها على حديثين، وانفرد البخاريّ بخمسة. رَوَى عنه ابن عمر وابن عباس وجابر وأنس وجُبير بن مطعم وغيرهم من الصحابة وخلائق من التابعين منهم بَنُوه إبراهيم وحميد ومصعب بنو عبد الرحمٰن. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين، وهو ابن ثنتين وسبعين، وقيل: خمس وسبعين، وقيل: ثمانٍ وسبعين. ودُفِن بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

قوله: (طلحة) بن عبيد الله الصحابي، أحد العشرة الذين شَهِد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستّة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وسمّاه رسول الله ﷺ طلحة الخير وطلحة الجُود، وهو من المهاجرينَ الأوّلين، ولم يشهد بدرًا، ولكن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره كمن حضر، وشَهِد أُحدًا وما بعدها من المشاهد، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه إذا ذكر أحدًا قال: ذلك يوم كان كلّه لطلحة. رُوِيَ لطلحة عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثًا، اتّفقا منها على حديثين، وانْفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة. قُتِل رضي الله تعالى عنه يوم الجمل لعشرٍ خلَوْن من جمادى الأُولى سنة ستٍّ وثلاثين، وهذا لا خلاف فيه، وكان عمره أربعًا وستّين سنة، وقيل: ثمانيًا وخمسين، وقيل: اثنين وستّين، وقبره بالبصرة مشهور يُزار ويُتبرّك به. رَوَى عنه بَنُوه موسى وعيسى ويحيىٰ وعامر بن سعد وخلائق غيرهم من التابعين رضي الله تعالى عنهم. **قوله: (يقتنون الأموال ويتصرّفون فيها وما عابَهم أحد ممّن أعرض عن القنية؛ لأن الإعراض اختيار للأفضل، والاقتناء مباح)**. . .

﴿ٱللَّهِ﴾ الضمير راجع إلى المعنى لأن كل واحد منهما دنانير ودراهم، فهو كقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: الآية ٩]. أو أُريد الكنوز والأموال، أو معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله:

(فإني وقيار بها لغريب)

وقيار كذلك. وخصا بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما (قانون التموّل) وأثمان الأشياء. وذكر كنزهما دليل على ما سواهما ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

الخ. في مختار الصِّحاح: قنوت الغنم وغيرها قِنْوة وقَنَيْتُها أيضًا قِنْية ـ بكسر القاف وضمّها فيهما ـ إذا اقْتَنيْتَها لنفسك لا للتجارة، واقْتِناء المال وغيرها اتّخاذه. اهـ. **قوله:**

(فإني وقيار بها لغريب)

أوّله:

فمَنْ يكُ أمسى بالمدينةِ رَحْله

وهو لضابىء بن الحارث البُرْجميّ، وقَيّار قيل: هو اسم جمل ضابىء بن الحارث، وقيل: هو اسم لفرسه، يقول: مَنْ كان بالمدينة بيته ومنزله فلست منها ولا لي بها منزل، وكان عثمان رضي الله تعالى عنه حبسه لفرية افتراها، وذلك أنه استعار كلبًا من بعض بني نَهْشل يقال له قرحان، فطال مَكْثه عنده وطلبوه، فامتنع عليهم فعرضوا له وأخذوه منه فغضب فرمى أُمّهم بالكلب، وله في ذلك شعر معروف، فاعتقله عثمان وحبسه إلى أنْ مات عثمان رضي الله تعالى عنه، وكان همّ بقتل عثمان لما أمَرَ بحبسه، ولهذا يقول:

هَمَمْتُ ولم أفعل وكدت ولَيْتني تركت على عثمان تبكي حلائله

اهـ لسان العرب.

قوله: (قانون التموّل) القانون لفظ رومي معرب جمعه قوانين، وهو في الأصل بمعنى المسطر، ثم استعمل بمعنى الأصل. اهـ شهاب رحمه الله..

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ومعنى قوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أن النار تحمى عليها أي توقد، وإنما ذكر الفعل لأنه مسند إلى الجار والمجرور، أصله يوم تحمى النار عليها، فلما حذفت النار قيل: ﴿يُحْمَىٰ﴾ لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول: «رفعت القصة إلى الأمير» فإن لم تذكر القصة قلت: «رفع إلى الأمير» ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وخصّت هذه الأعضاء لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير **(عبسوا)**، وإذا ضمّهم وإياه مجلس **(ازورُّوا)** عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم، أو معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وهو توبيخ ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ **(أي وبال المال الذي كنتم تكتزونه، أو وبال كونكم كانزين)**.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ من غير زيادة، والمراد بيان أن أحكام الشرع تبتني على الشهور القمريَّة المحسوبة بالأهلة دون الشمسية ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما أثبته وأوجبه من حكمته أو في اللوح ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

قوله: (عبسوا) بابه جَلَس. **قوله: (ازورُّوا)** فعل ماض من باب احمر احمرارًا، والازْوِرار الانحراف، أي انحرفوا وعَدلوا.

قوله: (أي وبال المال الذين كنتم تكنزونه) إشارة إلى موصوليّة ما، وتقدير العائد بتقدير المضاف.

قوله: (أو وبال كونكم كانزين) إشارة إلى أنّ ما مصدريّة، وقدّر المضاف؛ إذ نفس الكنز ليس بمذوق.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ (ثلاثة سرد: ذو القعدة) للقعود عن القتال، و(ذو الحجة) للحج، (والمحرم) لتحريم القتال فيه، وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب إياه أي لتعظيمه ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾ أي الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعني أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء فغيروا ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ في الحرم أو في الاثني عشر ﴿أَنفُسَكُمۡۚ﴾ بارتكاب المعاصي (﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾) حال من الفاعل أو المفعول ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ﴾ جميعًا ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي ناصر لهم حثّهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها.

قوله: (ثلاثة سرد) أي متوالية من سرد[1] العدد تابعَه. **قوله:** (ذو القعدة) بكسر القاف وفتحها. اهـ قنوي رحمه الله.

قوله: (ذو الحِجّة) بكسر الحاء.

قوله: (والمحرم) لا يستعمل بغير الألف لكونه علمًا بالغَلَبة، ولا يجوز في الأعلام التصرّف والتغيّر.

قوله: (﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾). . . الخ. اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحُرُم، فقال قوم: كان كبيرًا حرامًا ثم نُسِخ بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبَة: الآية ٣٦]، يعني في الأشهر الحُرُم وفي غيرهنّ، وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهريّ وسفيان الثوري، قالوا: لأنّ النبيّ ﷺ غزا هوازن بحنين وثقيفًا بالطائف وحاصرهم في شوّال وبعض ذي القعدة، وقال آخرون: إنه غير منسوخ. قال ابن جريج: حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يحلّ للناس أن يغزوا في الحَرَم ولا في الأشهر الحُرُم، وما نُسِخت إلّا أن يُقاتَلوا فيها. اهـ خازن.

---

(١) في المصباح: سردت الحديث سَرْدًا من باب قتل، أتَيْتُ به على الولاء، وقيل لأعرابيّ: أتعرف الأشهر الحُرُم؟ فقال: ثلاثة سُرُد وواحد فَرْد. اهـ منه. عمّ فيضهم.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾

(﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ **بالهمزة**) مصدر نسأه إذا أخره، وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر. وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شقّ عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرًا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر ﴿زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ أي هذا الفعل منهم زيادة في كفرهم (﴿يُضَلُّ﴾ **كوفي غير أبي بكر**) ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالنسيء. والضمير في ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾ للنسيء أي إذا أحلّوا شهرًا من الأشهر الحرم عامًا رجعوا فحرموه في العامل القابل ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ ليوافقوا العدّة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين. واللام تتعلق بـ ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ و«يحرمونه» (**أو بـ «يحرمونه»**) فحسب (**وهو الظاهر**) ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾ أي فيحلوا بمواطأة العدّة وحدها من غير تخصيص ما حرّم الله من القتال، أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ﴾ زيّن الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ حال اختيارهم الثبات على الباطل.

قوله: (﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾ **بالهمزة**) المضمومة الممدودة بعد الياء، وهو قراءة الجمهور. وقرأ ورش بإبدال الهمزة ياء وإدغام الياء التي قبلها فيها، فيصير اللفظ بياء مشدّدة. **قوله:** (﴿يُضَلُّ﴾) بضم الياء وفتح الضاد مبنيًا للمفعول من أضل معدّى ضلّ (**كوفيّ غير أبي بكر**) شعبة عن عاصم، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ يعقوب بضمّ الياء وكسر الضاد مبنيًا للفاعل من أضلّ، وفاعل يضلّ ضمير الباري تعالى، أو الذين كفروا والمفعول محذوف، أي أتباعهم. والباقون بفتح الياء وكسر الضاد بالبناء للفاعل من ضلّ، وفاعله الموصول. **قوله:** (**أو بيحرمونه**) فحسب، أي فقط (**وهو الظاهر**)، وهو مقتضى مذهب البصريّين، فإنهم يعملون الثاني من المتنازعين لقربه، ومذهب الكوفيّين يقتضي أن تكون متعلقة بيحلّونه؛ لأنهم يعملون الأول لسبقه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟﴾ اخرجوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تثاقلتم وهو أصله إلا أن التاء أُدغمت في الثاء فصارت ثاء ساكنة، فدخلت ألف الوصل لئلّا يبتدأ بالساكن أي تباطأتم ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ ضمن معنى الميل والإخلاد فعُدي بـ «إلى» أي ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه، أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، وكان ذلك في غزوة تبوك استنفروا في وقت عسرة وقحط و(**قيظ**) مع بعد (﴿ٱلشُّقَّةُ﴾) وكثرة العدو فشقّ عليهم ذلك. وقيل: ما خرج رسول الله ﷺ في غزوة (**إلّا ورّى عنها**) بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام (**العدة**) ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بدل الآخرة ﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ في جنب الآخرة ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ إلى الحرب ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾ (**سخط**) على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قومًا آخرين خيرًا منهم وأطوع، وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئًا. وقيل: الضمير في ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ للرسول عليه السلام لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعده

قوله: (قَيظ) شدّة حرّ الصيف. **قوله:** (﴿ٱلشُّقَّةُ﴾) بالضم والكسر مسافة بعيدة يشقّ قطعها. **قوله:** (إلا ورّى عنها) أي سرّها وأظهر غيرها. **قوله:** (العُدّة) بالضم الاستعداد والتأهب، والعدّة ما أعددته من مال أو سلاح أو غير ذلك، والجمع عدد مثل غرفة وغرف. اهـ مصباح.

قوله: (سخط) في مختار الصحاح: السَّخَط ـ بفتحتين ـ والسُّخْط بوزن القُفْل ضدّ الرّضاء، وقد سخِط أي غضب، وبابه طرب، فهو ساخط. اهـ.

كائن (لا محالة) ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من التبديل والتعذيب وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد، فدلّ بقوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **(أسند الإخراج إلى الكفار)** لأنهم حين همّوا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أحد اثنين كقوله: «ثالث ثلاثة» وهما رسول الله وأبو بكر، وانتصابه على الحال ﴿إِذْ هُمَا﴾ بدل من ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾ ﴿فِى ٱلْغَارِ﴾ هو **(نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة)** على مسيرة ساعة **(مكثا فيه ثلاثًا)** ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثانٍ ﴿لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بالنصرة والحفظ. قيل: **(طلع المشركون)** فوق الغار **(فأشفق)** أبو بكر على رسول الله ﷺ فقال: إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال ﷺ: «**(ما ظنك)** باثنين الله ثالثهما». وقيل: لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله ﷺ: «اللهم

قوله: (لا مَحالة) أي لا بدّ.

قوله: (أسند الإخراج إلى الكفّار) مع أنّ المُسْنَد إليهم ليس إلّا الهمّ بإخراجه أو قتله، وهو عليه الصّلاة والسّلام، وإنما أُخرج بإذن الله تعالى لا بإخراج الكَفَرة إيّاه. **قوله: (نَقْب)** بفتح النون وسكون القاف، أي ثُقْب، أي كوّة **(في أعلى ثور)** بفتح الثاء وسكون الواو، فسّره المصنف بقوله: **(وهو جبل في يمنى مكّة)** أي في الجهة اليمنى، والمراد بالجهة اليمنى ما يلي المغرب.اهـ قنوي. **قوله: (مكثا فيه ثلاثًا)** أي ثلاث ليالٍ. **قوله: (طلع المشركون)** أي أشرفوا **قوله: (فأشفق)** أي خاف. **قوله: (ما ظنّك)** باثنين. . . الخ. أي أتظنّ بهما شرًّا وضررًا.

أعم أبصارهم» فجعلوا (يترددون) حول الغار ولا (يفطنون) قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا: مَن أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك (**لسائر الصحابة**) ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه ﴿عَلَيۡهِ﴾ على النبيّ ﷺ أو على أبي بكر لأنه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه، أو أيّده بالملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي دعوتهم إلى الكفر ﴿ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ دعوته إلى الإسلام ﴿هِيَ﴾ فصل ﴿ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ (﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ **بالنصب**: **يعقوب بالعطف**)، والرفع على الاستئناف أوجه إذ هي كانت ولم تزل عالية ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يعزّ بنصره أهل كلمته ﴿حَكِيمٌ﴾ يذلّ أهل الشرك بحكمته.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا﴾ في النفور لنشاطكم له ﴿وَثِقَالٗا﴾ عنه لمشقته عليكم، أو خفافًا لقلّة عيالكم وثقالًا لكثرتها، أو خفافًا من السلاح وثقالًا منه، أو ركبانًا و(**مشاة**) أو (**شبابًا**) وشيوخًا، أو (**مهازيل**)

قوله: (**يترددون**) بمعنى يجيؤون ويذهبون مِرارًا. **قوله**: (**يفطنون**) من بابي تعب وقتل. **قوله**: (**لسائر الصحابة**) في المصباح: اتّفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقيه، قليلًا كان أو كثيرًا. قال الصَّغاني: سائر الناس باقيهم، وليس معناه جميعهم كما زعم مَنْ قَصَر في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام.اهـ. **قوله**: (﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ **بالنصب**) أي بنصب التاء (**يعقوب**) البصري، وليس من السبعة (**بالعطف**) على كلمة الذين. والباقون بالرفع على الابتداء، وهو أبلغ ـ كما في البيضاوي ـ لِمَا فيه من الإشعار بأنّ كلمة الله عالية في نفسها، وإنْ فاق غيرها فَلا ثَباتَ لتفوّقه، ولا اعتبار، ولذا وسط الفصل.

قوله: (مُشاة) جمع ماشٍ. **قوله**: (شَبابًا) جمع شابّ. في مختار الصحاح: الشَّباب جمع شابٌ، وكذا الشُّبّان والشباب أيضًا: الحداثة.اهـ. **قوله**: (**مهازيل**) في لسان العرب: الهُزال نقيض السمن، وقد هَزَل الرجل والدابّة هَزالًا على ما لم يُسمّ

و(سِمانًا، أو صحاحًا ومراضًا) ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ إيجاب للجهاد بهما إن

فاعله، وهَزل هو هَزْلًا وهُزالًا. اهـ. وأيضًا فيه: وفي الهزال يقال: هُزِل الرجل يُهْزَل، فهو مهزول. اهـ. **قوله:** (سِمانًا) جمع سمين. في لسان العرب: السِّمن نقيض الهُزال، والسمين خلاف المهزول، وشيء سامن وسمين، والجمع سِمان. اهـ باختصار. **قوله:** (أو صِحاحًا) جمع صحيح. في المصباح: صحّ الشيء يصحّ من باب ضرب، فهو صحيح، والجمع صِحاح، مثل كريم وكِرام. اهـ. (ومِراضًا) جمع مريض. اهـ لسان العرب. وفي التفسيرات الأحمدية: إنْ كان معناه صِحاحًا ومِراضًا كان منسوخًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٢]، بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: الآية ٦١]، وبقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: الآية ٩١] الآية، وأنه ناسخ للآيات التي نهى فيها عن القتال، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٠] وأمثاله.

وقد أورد صاحب البيضاويّ كلامًا يدلّ على أنه إنْ كان معناه صِحاحًا ومِراضًا كان منسوخًا بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: الآية ٦١]، حيث قال: أو صِحاحًا ومِراضًا، ولذلك لمّا قال ابن أُمّ مكتوم لرسول الله ﷺ: أعليّ أن أنفر؟ قال: «نعم» حتى نزل: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: الآية ٦١] الآية، وكذلك قال صاحب الكشاف. ثم قال: وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نُسِخت بقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: الآية ٩١]. ثم نقل عن صفوان والزهري ما يدلّ على بقائها، سواء كان ندبًا أو وجوبًا. وفي الحُسينيّ عن أسباب النزول: أنه نزل حين تخلّف جماعة عن غزوة تبوك بحيلة حَمْل الأثقال، فقيل لهم: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] عن الأحمال، ﴿وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] معها. ولم يتعرّض صاحب المدارك والإمام الزاهد بنسخه ولا عدمه على أحد من التقدير، وكلام صاحب الهداية في أوّل باب الجهاد يدلّ على أن الآية محمولة على النّفير العام من غير نسخ مطلقًا، حيث قال: إلّا أن يكون النّفير عامًّا فيصير من فروض الأعيان؛ لقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: الآية ٤١] الآية.

أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ﴾ الجهاد

وصاحب الإتقان قد جعل الآية منسوخة بالآيات الثلاث مطلقًا، سواء كان بمعنى صحاحًا أو مِراضًا أو غيره، وأعمّ من أن يكون النّفير عامًّا أو لا، وأن يكون الأمر للوجوب أو لا، هذا ما قالوا.

وأقول: قد تقرّر بين الفقهاء أنّ النفير إذا كان عامًّا فرض الخروج على المسلمين جميعًا، سوى الأعمى والمُقعد والأقطع وأشباههم، وإذا لم يكن النّفير عامًّا يكون الخروج فرض كفاية إن أقامه البعض سقط عن الباقين، وإنْ تركوا أثِمُوا، فإن لم يكن الآية محمولة على النّفير العامّ، فإن كان الأمر للوجوب تكون الآية منسوخة بأيِّ معنًى أخذ الخفاف والثّقال؛ لأن التعميم حاصل على جميع معانيها، أو تكون محمولة على غزوة تبوك خاصّة، وإنْ كان الأمر للندب كانت الآية باقية على جميع مِنَ المعاني، وإنْ كانت الآية محمولة على النّفير العام، والأمر للوجوب؛ فحينئذ تكون منسوخة على تقدير أن يكون معناه صِحاحاً ومِراضًا، سواء كان بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٢]، وبقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ [النّور: الآية ٦١] الآية، أو بقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾ [التوبَة: الآية ٩١] الآية، وإنْ كان الأمر للندب حينئذ، ففي نسخها وعدمه احتمال، والأَوْلى عدمه.

واعلم أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٢] دالّ بالالتزام على عدم وجوب القتال على المرضى، والآيتان الباقيتان تدلّان بالمطابقة على ذلك، وأنّ المريض في قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النّور: الآية ٦١] مقابل للأعمى والأعرج، وهو إمّا عامّ منهما أو مبائن لهما، ولكن العُرف العام يطلق المريض على الأعمى والأعرج، فيكون عامًّا؛ ولمّا لم يكن نفي الأخصّ مستلزمًا لنفي الأعمّ، قال: ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النّور: الآية ٦١]، وفي قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾ [التوبَة: الآية ٩١] مقابل بالضعفاء، فيكون الضعفاء هم الشيخ الفاني ونحوه، ويشتمل المرضى الأعمى والأعرج أيضًا. وبالجملة، فعلم أنّ المريض لا يفرض عليه الجهاد، وإنْ كان النّفير عامًّا، ولكنّ المريض قد يُطلق على ذي مرض، مثل الحمّى ووجع الرأس؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تركه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ كون ذلك خيرًا فبادروا إليه. ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا﴾ هو ما عرض لك من منافع الدنيا، يقال: الدنيا عرض حاضر يأكل منه (البرّ) والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه مغنمًا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطًا مقاربًا، والقاصد والقصد المعتدل ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ لوافقوك في الخروج ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة (**الشاطة**) الشاقة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾. من دلائل النبوّة لأنه أخبر بما سيكون بعد (**القفول**) فقالوا كما أخبر، و﴿بِاللَّهِ﴾ متعلّق بـ ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾، أو هو من جملة كلامهم، والقول مراد

[البَقَرَة: الآية ١٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ [النّساء: الآية ٤٣]. وقد يُطلق على مثل الأعمى والأعرج والمُقعد والأقطع والزَّمِن. والمريض المذكور في مقابلة الصَّحيح في قوله: صحاحًا ومراضًا إنْ كان موافقًا للمريض المذكور في الناسخ في أيّ إطلاقٍ كان، كان نسخه به صحيحًا، وإلّا لا.

ومجال الشُّبهة في هذا المقام كثير، وجعل الصِّحاح والمِراض تفسيرًا للخِفاف والثِّقال يناسب أن يكون الصِّحة والمرض هو ما يطرأ على الإنسان مع سلامة الآلات، وكذا آيتان: قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ﴾ [النُّور: الآية ٦١] بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ﴾ [النُّور: الآية ٦١] يدلّ على أنّ المراد هو ما يطرأ عليه مع سلامة الآلات، ولكن أبدًا. وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ [التوبَة: الآية ٩١] بعد قوله تعالى: ﴿عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ [التوبَة: الآية ٩١] يدلّ على أنه يشتمل الأعمى والأعرج أيضًا، فيعمّ كِلَا المعنيَيْن، ولا يجب عليه الجهاد، والأَوْلى التعميم في الكلّ على ما لا يخفى؛ هذا كلّه يخطر بالبال ولم ينصّ به أحدٌ فيما أرى، والله أعلم بحقيقة الحال، وحقّية المقال. اهـ.

قوله: (البَرّ) ـ بالفتح ـ خلاف الفاجر. **قوله:** (الشاطّة) البعيدة. في لسان العرب: الشِّطاط: البُعْد شَطّت داره تَشُطّ وتَشِط شَطًّا وشطوطًا بَعُدت، وكل بعيد شاطّ. اهـ. **قوله:** (القُفول) الرجوع من السفر، وبابه دخل. اهـ مختار الصِّحاح.

في الوجهين أي سيحلفون ـ يعني المتخلفين ـ عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا. (**وقوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سد مسد جوابي القسم و﴿لَوْ﴾ جميعًا**). ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان (**كأنهم تمارضوا**) ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بدل من ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾ أو حال منه أي مهلكين، والمعنى أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب، أو حال من ﴿لَخَرَجْنَا﴾ أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك المشقة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يقولون.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ كناية عن الزلة لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب، وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلّوا لك بعللهم وهلا (**استأنيت**) بالإذن! ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ يتبين لك الصادق في العذر من الكاذب فيه. وقيل: شيئان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يُؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفدية من الأسارى، فعاتبه الله. وفيه دليل

قوله: (وقوله: ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سدَّ مسدَّ جوابي القسم، و﴿لَوْ﴾ جميعًا) فإنهما إذا اجتمعا وتقدَّم القسم على الشرط يجعل المذكور بعدهما جوابًا للقسم ويحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه. اهـ شيخ زاده ﷀ. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: فيه مذهبان، أحدهما: أن لخرجنا جواب القسم، وجواب لو محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط إذا تقدم القسم، وهو اختيار ابن عصفور رحمه الله. والآخر: أن لخرجنا جواب لو، وهي وجوابها جواب القسم، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله. وأمّا كونه سادًّا مسدّ جوابي القسم والشرط، فقيل عليه: إنّه لم يذهب إليه أحدٌ من أهل العربية. وأُجيب عنه بأن مُراده أنه لما حذف جواب لو ودلّ عليه جواب القسم جعل كأنه سدّ مَسَدّ الجوابَيْن. اهـ. **قوله: (كأنهم تمارضوا)** التّمارض أن يُرِي مِنْ نفسه المرضَ، وليس به. اهـ مختار الصِّحاح.

قوله: (استأنيت) استأخرت، من التأنّي.

جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام لأنه ﷺ إنما فعل ذلك بالاجتهاد، وإنما عوتب مع أن له ذلك لتركه الأفضل وهم يعاتبون على ترك الأفضل.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟﴾ ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ عدة لهم بأجزل الثواب يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلًا ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ شكوا في دينهم واضطربوا في عقيدتهم ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون لأن التردد **(ديدن المتحير)** كما أن الثبات ديدن المتبصر.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾ للخروج أو للجهاد ﴿عُدَّةً﴾ **(أُهْبة)** لأنهم كانوا **(مياسير)**، ولما كان ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ معطيًا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ **(نهوضهم)** للخروج كأنه

قوله: (دَيْدَن المتحيّر) الدَّيْدَن والدِّين العادة، تقول: ما زال ذلك دَيْدَنه ودَيْدُونَه ودِينه ودأبه وعادته وسَدَمَه وهَجِيرَه وهجيراه وإهْجِيراه ودُرابته. اهـ لسان العرب.

قوله: (أُهْبة) بهمزة مضمومة تَليها هاء وموحدة، هي هنا ما يحتاج إليه المسافر؛ كالزاد والرَّاحلة. **قوله: (مياسير)** في لسان العرب: أيْسَر الرجل إيسارًا ويُسْرًا عن كراع. واللّحياني: صار ذا يسار[1]، والصحيح أنّ اليُسْر الاسمُ، والإيسار المصدر، ورجل مُوسر والجمع مَياسِير، عن سيبويه. قال أبو الحسن: وإنما ذكرنا مثل هذا الجمع؛ لأن حكم مثل هذا أن يُجمع بالواو والنون في المذكّر والألف والتاء في المؤنث. **قوله: (نهوضهم)** في مختار الصحاح: نَهَض

---

(١) اليَسَار: الغِنَى. اهـ لسان العرب منه عمّ فيضهم.

قيل: ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض، أو قاله الرسول عليه السلام غضبًا عليهم، أو قاله الشيطان بالوسوسة ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ هو ذمّ لهم وإلحاق بالنساء والصبيان **(والزمنى)** الذين شأنهم القعود في البيوت.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧)﴾

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم معكم ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ إلا فسادًا وشرًّا، والاستثناء متصل لأن المعنى ما زادوكم شيئًا إلا خبالًا، والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك: «ما زادوكم خيرًا إلا خبالًا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلًا لأن الخبال بعضه ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ ولسعوا بينكم **(بالتضريب)** و**(النمائم)** وإفساد ذات البين. يقال: وضع البعير وضعًا إذا أسرع. وأوضعته أنا. والمعنى ولأوضعوا **(ركائبهم)** بينكم، والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي. وخط في المصحف «ولا أوضعوا» بزيادة الألف لأن الفتحة كانت تكتب ألفًا قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريبًا من نزول القرآن وقد بقي من تلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفًا وفتحها ألفًا

قام، وبابه قطع وخضع. اهـ. **قوله: (والزّمنى)** في المصباح: زمن الشخص زمنًا وزمانة، فهو زَمِنٌ مِنْ باب تعب، وهو مرض يدوم زمانًا طويلًا، والقوم زَمْنى مثل مرضى. اهـ.

قوله: (بالتضريب) أي الإفساد، من قولهم: ضرب البرد النبات إذا أفسده. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله: (النمائم)** في المصباح: نمّ الرجل الحديث نمًّا من بابي قتل وضرب سعى به ليوقع فتنة أو وحشة، فالرجل نمّ تسمية بالمصدر، ونمّام مبالغة، والاسم النّميمة، والنّميم أيضًا. اهـ. **قوله: (ركائبهم)** في لسان العرب: يجمع الركاب رَكائب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الرِّكاب الإبل التي يُسارع عليها، الواحدة راحلة، ولا واحد لها من لفظها. اهـ.

أخرى ونحوه «أو لا أذبحنه» [النمل: الآية ٢١] ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ حال من الضمير في «أوضعوا» ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالمنافقين.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ بصد الناس أو **(بأن يفتكوا به** عليه السلام **ليلة العقبة، أو بالرجوع يوم أُحد)** ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل غزوة تبوك ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ ودبروا لك **(الحيل)** والمكايد ودوّروا الآراء في إبطال أمرك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ وهو تأييدك ونصرك ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وغلب دينه وعلا شرعه ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ **(أي على رغم منهم)**.

قوله: (بأن يفتكوا به عليه السلام) في مختار الصحاح: الفَتْك: القتل على غِرّة، أي غفلة ـ بفتح الفاء وضمّها وكسرها ـ وقد فَتَكَ به يُفْتِك بالضمّ والكسر. اهـ. **(ليلة العقبة)** قال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: وقف اثنا عشر رجلاً من المنافقين على ثنيّة الوداع[1] ليلة العقبة ليفتكوا به ﷺ، فأخبره الله تعالى بذلك وسلّمه منهم. اهـ. **(أو بالرجوع يوم أُحد)**، فإنّ ابن أبيّ انصرف يوم أُحد مع أصحابه، وهم ثلاثمائة، وبقي النبيّ ﷺ مع خُلّص المؤمنين، وهم سبعمائة. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (الحِيَل)** جمع حِيلة. اهـ لسان العرب. وفي المصباح: الحِيلة الحذق في تدبير الأمور، وهو تقليب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود، وأصلها الواو. اهـ. **قوله: (أي على رغم منهم)** أي المراد بقوله: ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٤] لازمه، وهو جعلهم أذلّاء مستحقرين. اهـ قنوي رحمه الله.

---

(١) موضع معروف شامي المدينة، وهو بفتح المثلثة وكسر النون وتشديد الياء: العقبة، والوداع ـ بفتح الواو ـ سُمّي بها لأنه يودع الخارج بها. وقيل: الوداع اسم واد خلفها. اهـ شهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٩﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلّفت بغير إذنك أثمت، أو لا تلقني في (**الهلكة**) فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي. وقيل: قال (**الجد بن قيس**) المنافق: قد علمت الأنصار إني (مستهتر) بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر - يعني نساء الروم - ولكني أعينك بمالي فاتركني ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ يعني أن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلّف ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (**الآن لأن أسباب الإحاطة معهم أو هي تحيط بهم يوم القيامة**).

قوله: (الهَلَكة) مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ مصباح. **قوله: (الجدّ بن قيس)** بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله، وهو ابن عمّ البراء بن معرور. رَوَى عنه جابر وأبو هريرة، وكان ممّن يظنّ فيه النفاق، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة: الآية ٤٩]، وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة، فانتزع رسول الله ﷺ سؤدده، وجعل مكانه في النقابة عمرو بن الجموح، وحضر يوم الحديبية بايع الناس رسول الله ﷺ إلّا الجدّ بن قيس، فإنه استتر تحت بطن ناقته ﷺ، وقيل: إنه تاب وحَسُنت توبته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: (مُسْتَهتَر) - بفتح التاءين - أي مولَع - بفتح اللام - بمعنى كثير الشغف والمحبّة، يعني فاحش العشق لهنّ أو مواقعَتَهنّ من غير حِلّ.

قوله: (الآن لأن أسباب الإحاطة معهم، أو هي تُحيط بهم يوم القيامة)؛ فعلى الأول المجاز في جهنّم حيث استعمل في الأسباب. وعلى الثاني في محيطة حيث استعمل في الاستقبال، أو الكلام تمثيل شبّهت حالهم في إحاطة الأسباب بحالهم عند إحاطة النار.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ في بعض الغزوات ﴿حَسَنَةٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ (نكبة) وشدّة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد ﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ الذي نحن متسمون به من الحَذَرِ والتيقظ والعمل (**الحزم**) ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل ما وقع ﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾ عن مقام التحدث بذلك إلى أهاليهم ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورون ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ أي قضى من خير أو شر ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ أي الذي يتولانا ونتولاه ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ تنتظرون بنا ﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ وهما النصرة والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءيين إما ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ وهو (**قارعة**) من السماء كما نزلت على (**عاد وثمود**) ﴿أَوْ﴾ بعذاب ﴿بِأَيْدِينَا﴾ وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ بنا ما ذكرنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ ما هو عاقبتكم.

قوله: (نكبة) في المصباح: النكبة المصيبة، والجمع نكبات مثل سجدة وسجدات. اهـ. **قوله:** (**الحزم**) في مختار الصّحاح: الحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة. اهـ.

قوله: (قارعة) القارعة: الداهية والمصيبة. **قوله:** (عاد) قبيلة وهم قوم هود على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام. اهـ مختار الصّحاح.

قوله: (ثمود) قبيلة، ويُصرف ويُضمّ الثاء، وقُرِىء به أيضًا. اهـ قاموس. وهم قوم صالح على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام.

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿قُلْ أَنفِقُوا﴾ في وجوه البر ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ طائعين أو مكرهين نصب على الحال. (﴿كُرْهًا﴾ **حمزة وعلي**) وهو أمر في معنى الخبر ومعناه ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ أنفقتم طوعًا أو كرهًا ونحوه ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٨٠] وقوله:

(أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ديـنـا ولا مـقـليـة إن تـقـلـت)

أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت، وقد جاز عكسه في قولك: «رحم الله زيدًا»، ومعنى عدم القبول أنه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها أو لا يثيبها الله. وقوله: ﴿طَوْعًا﴾ أي من غير

قوله: (﴿كُرْهًا﴾) بضمّ الكاف (**حمزة وعلي**) الكسائي، والباقون بالفتح، وهما لغتان. **قوله:**

(أسِيئي بنا أو أحْسِنِي لا ملومة لـديـنـا ولا مـقـليّـة إن تـقـلّـت)

هو لكثير عزّة من قصيدته المشهورة، يقول لعزة: امتحني لطف محلّك عندي وقوّة محبتي لك وعامليني بالإساءة والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة، فلا نلومك. وقال العلّامة التفتازانيّ رحمه الله: قوله:

أسِيئي بنا أو أحْسِنِي لا ملومة لـديـنـا ولا مـقـليّـة إن تـقـلّـت

في صورة الأمر تأكيد لعدم تفاوت الحال، كأنه يأمرها بذلك لتحقّق ثباته على العهد وتبيّن غاية التبيّن، ولا في لا ملومة بمعنى غير، وإن تقلت التفات.اهـ بحروفه. وقال الجوهري: وتَقَلّى أي تبغّضَ. قال كثير:

أسِيئي بنا أو أحسني لا ملومة لـديـنـا ولا مـقـليّـة إن تـقـلّـت

خاطبها ثم غايَبَ.اهـ لسان العرب. وكثير عزّة هو عبد الرحمٰن بن أبي جمعة، الأسود بن عامر بن عويمر، أبو صخر الخزاعي الشاعر المشهور أحد عشّاق العرب، وإنما صغّروه لأنه كان شديد القصر. حدّث الوقاصيّ، قال: رأيت كثيرًا يطوف بالبيت، فمن حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار، فلا تصدّقه، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان أو أخيه عبد العزيز رحمهما الله

إلزام من الله ورسوله و﴿كَرْهًا﴾ أي ملزمين، وسمي الإلزام إكراهًا لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقًا عليهم كالإكراه ﴿إِنَّكُمْ﴾ تعليل لرد إنفاقهم ﴿كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ متمردين عاتين.

تعالى يقول له: طأطىء رأسك لا يصيبه السقف، وكان يلقب زبّ[١] الذباب، وكان أوّل أمره مع عزّة التي يتعشقها أنه مرّ بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم، فأرسلن إليه عزّة، وهي صغيرة، فقالت له: يقلن لك النسوة: بعنا كبشًا من هذه الغنم، وأنسئنا بثمنه إلى أن ترجع؛ فأعطاها كبشًا وأعجبته، فلمّا رجع جاءته امرأة منهنّ بدراهمه فقال: وأين الصبيّة التي أخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها؟ هذه دراهمك، قال: لا آخذ دراهمي إلّا ممّن دفعت إليه، وولّى وهو يقول:

قضى كل ذي دين فوفّى غريمه وعزّة ممطول معنى غريمها

فقلن له: أَبَيْت إلّا عزّة، وأَبْرَزْنها له، وهي كارهة، ثم إنها أحبَّته بعد ذلك أشدّ من حبّه لها.

وعن الهيثم بن عديّ أن عبد الملك سأل كثيرًا عن أعجب خبر له مع عزّة، فقال: حججت سنة من السنين وحجّ زوج عزّة بها، ولم يعلم أحد منّا بصاحبه، فلمّا كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعامًا لأجل رفقته، فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمة حتى دخلت إليّ، وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أبري سهمًا لي، فلما رأيتها جعلت أبري وأنظر إليها ولا أعلم حتى بَرَيْت ذراعي وأنا لا أشعر والدم يجري، فلمّا تبيّنت ذلك دخلت إليّ فأمسكت بيدي وجعلت تمسح الدم بثوبها، وكان عندي نحي[٢] من سمن، فحلفت لتأخذنّه، فجاءت به إلى زوجها، فلمّا رأى الدّم سألها عن خبره، قال: فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنّه، فلما أخبرته ضربها وحلف لتشتمني في وجهي، فوقفت عليّ وهو معها فقالت لي: يا ابن الزانية، وهي تبكي ثم

---

(١) الزُّبّ ـ بالضمّ ـ الذَّكر. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) النّحي ـ بالكسر ـ الزقّ أو مكان السمن خاصّة، كالنّحي والنحى كفتى. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ (وبالياء: حمزة وعلي) ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ أنهم فاعل «منع» وهم و ﴿أَن تُقْبَلَ﴾ مفعولاه أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم ﴿بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ جمع (كسلان) ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى، وصفهم بالطوع في قوله: ﴿طَوْعًا﴾ وسلبه عنهم هٰهنا لأن المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله ﷺ، أو من رؤسائهم، وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الإعجاب بالشيء أن تسرّ به سرور راضٍ به متعجب من حسنه، والمعنى فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها، أو بالإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له، أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم، أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وتخرج أرواحهم، وأصل الزهوق الخروج بصعوبة، ودلّت الآية على بطلان القول بالأصلح لأنه أخبر أن إعطاء الأموال والأولاد لهم

انصرفا، فذلك حيث أقول:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقليّة إن تقلَّتِ
هنيئًا مريئًا غير داء مخامر لعزّة من أعراضنا ما استحلّت

وكانت وفاة كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك رحمهم الله. اهـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص باختصار.

قوله: (وبالياء) التحتيّة (حمزة وعليّ) الكسائي؛ لأن التأنيث غير حقيقيّ، والباقون بالتاء على التأنيث. **قوله:** (كَسْلان) بفتح الكاف.

للتعذيب والإماتة على الكفر وعلى إرادة الله تعالى المعاصي، لأن إرادة العذاب بإرادة ما يعذب عليه، وكذا إرادة الأمانة على الكفر.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ لمن جملة المسلمين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام **(تقية)** ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ مكانًا يلجئون إليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ أو **(غيرانًا)** ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ أو **(نفقًا يندسون)** فيه **(وهو)** مفتعل من الدخول ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ لأقبلوا نحوه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون إسراعًا لا يردهم شيء **(من الفرس الجموح)**.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمِنْهُم﴾ ومن المنافقين ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ «إذا» للمفاجأة أي وإن لم يعطوا منها فاجؤوا السخط، وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله، لأنه ﷺ استعطف قلوب أهل مكة يومئذٍ بتوفير الغنائم عليهم **(فضجر)** المنافقون منه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ

قوله: (تقية) التقيّة ما يظهر لأجل اتّقاء الضرر، وليس عن اعتقاد. **قوله: (غيرانًا)** بكسر الغين جمع غار، كنيران ونار. **قوله: (نفقًا)** ـ بفتحتين ـ أي حجرًا في الأرض. **قوله: (يندسّون)** في القاموس: اندسّ انْدَفَنَ. **قوله: (وهو)** مفتعل من الدخول، وهو بناء مبالغة في هذا المعنى، والأصل مدتخل، فأُدغمت الدال في تاء الافتعال كما في ادَّان من الدَّين. **قوله: (من الفرس الجَموح)** ـ بالفتح ـ النفور الذي لا يردّه لجام.

قوله: (فضجر) في مختار الصحاح: الضَّجَر القلَق من الغمّ وبابه طَرِب، فهو ضَجِر ورجل ضَجُور. اهـ.

ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ جواب «لو» محذوف تقديره: ولو أنهم رضوا لكان خيرًا لهم، والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قلّ نصيبهم وقالوا: كفانا فضل الله وصنعه، وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة أُخرى فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله في أن (**يغنمنا ويخوّلنا**) فضله لراغبون.

ثم بيّن مواضعها التي توضع فيها فقال:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم كقولك: «إنما الخلافة لقريش» تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم، فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها، وأن تصرف إلى بعضها كما هو مذهبنا، (**وعن حذيفة بن اليمان وابن عباس**) وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا:

قوله: (يغنمنا) في مختار الصّحاح: المَغْنَم والغنيمة بمعنًى، وقد غَنِم ـ بالكسر ـ غُنْمًا وغَنّم تغنيمًا، أي نَفّله. اهـ. **قوله: (يخولنا)** في مختار الصحاح: خوّله الله الشيء تخويلًا ملّكه إيّاه. اهـ.

قوله: (حُذيفة بن اليمان) الصحابي، هو أبو عبد الله. أسلم حُذيفة وأبوه وهاجر إلى رسول الله ﷺ وشهدا جميعًا أُحُدًا وقتل أبوه يومئذ قتله المسلمون خطأً، فوهب لهم دمه، وأسلمت أُمّ حُذيفة وهاجرت، وكان صاحب سرّ رسول الله ﷺ في المنافقين يعلمهم وحده. توفي بالمدائن سنة ستّ وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما بأربعين ليلة، وقُتل عثمان يوم الجمعة لثماني عشرة خلَوْن من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، ولم يُدرك حُذيفة وقعة الجمل لأنها كانت في جمادى الأُولى سنة ستّ وثلاثين، ومناقبه وأحواله كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه. **قوله: (ابن عباس)** أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما.

في أي صنف منها وضعتها أجزأتك. (وعند الشافعي) رحمه الله: (لا بد من صرفها إلى الأصناف) وهو المروي عن (عكرمة).

قوله: (وعند الشافعي)، هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب رضي الله تعالى عنهم، وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأُسِرَ وفدى نفسه ثم أسلم، فقيل له: لِمَ لَمْ تُسلم قبل أن تَفْدي نفسك؟ فقال: ما كنت أحرم المؤمنين مطعمًا لَهم فِيَّ، رحمه الله. (لا بدّ من صرفها إلى الأصناف) أي يجب أن يُقسم زكاةَ ماله على الموجودين من الأصناف الستّة الذين سمّاهم: ثمانية أقسام قسمة على السَّواء؛ لأنّ سهم المؤلّفة ساقط، وسهم العامل ساقط إذا قسم زكاته بنفسه، ثم حصّة كل صنف من الأصناف الستة لا يجوز أن تُصرف إلى أقل من ثلاثة منهم إنْ وجد منهم ثلاثة أو أكثر، فلو فاوت بين أُولئك الثلاثة جاز، فإن لم يجد من بعض الأصناف إلّا واحدًا دفع حصّته ذلك الصنف إليه ما لم يخرج من حدِّ الاستحقاق، فإن انتهت حاجته وفَضُل شيء ردَّه إلى الباقين. اهـ خازن. وفي السِّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشيخ الإمام الخطيب الشربيني قدّس الله روحه وعمّ بالرحمة ضريحه: يجب تعميم الأصناف الثمانية في القسم إن أمكن بأن قسم الإمام ولو بنائبه ووجد، والظاهر الآية سواء في ذلك زكاة الفطر وزكاة المال، وإن لم يمكن بأن قسم المالك؛ إذ لا عامل أو الإمام، ووجد بعضهم كأن جعل عاملًا بأجرة من بيت المال، فتعميم مَنْ وجد منهم، وعلى الإمام تعميم آحاد كلّ صنف من الزكاة الحاصلة عنده؛ إذ لا يتعذّر عليه ذلك، وعلى المالك أيضًا إن انحصر الآحاد بالبلد بأن سهّل عادة ضبطهم ومعرفة عددهم ووفى بهم المال، فإن أخلّ أحدهما بصنفٍ ضمن، وإن لم ينحصروا ولم يَفِ بهم المال، ويجب إعطاء ثلاثة فأكثر من كل صنف لذكره في الآية بصيغة الجمع، وهو المراد في سبيل الله وابن السبيل الذي هو للجنس، ولا عامل في قسم المالك، ويجوز حيث كان أن يكون واحدًا إن حصلت به الكفاية، كما يُستغنى عنه فيما مرّ، وتجب التسوية بين الأصناف غير العامل، لا بين آحاد الصنف، إلا أن يقسم الإمام وتتساوى الحاجات، فتجب التسوية؛ لأن عليه التعميم، بخلاف المالك إذا لم ينحصروا ولم يَفِ بهم المال، هذا مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه.

....

وقال الرازي وغيره: لا دلالة في الآية على قول الشافعي في أنه لا بدّ من صَرْفها إلى جميع الأصناف؛ لأنه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الأصناف. وأمّا أنّ صدقة زيد بعينها يجب توزيعها على الأصناف كلّها، فلا؛ كما أنّ قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: الآية ٤١] الآية، يوجب قسم الخمس على الطوائف من غير توزيع بالاتّفاق، وما ذهب إليه الشافعي رضي الله تعالى عنه قول عكرمة، وما ذهب إليه الأئمّة الثلاثة من جواز صرفها إلى صنفٍ واحد هو قول عمر وحذيفة وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين، وكلٌّ على هدًى من ربّهم. اهـ باختصار.

قوله: (عكرمة)، هو أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله، مولى عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، أصله من البربر من أهل المغرب كان لحصين بن الخير العنبريّ، فوهبه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين ولي البصرة لعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، واجتهد ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تعليمه القرآن والسنن وسمّاه بأسماء العرب. حدّث عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري والحسن بن علي وعائشة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهو أحد فقهاء مكّة وتابعيها، وكان ينتقل من بلد إلى بلد. ورُوِي أنّ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال له: انطلق، فأفْتِ الناس. وقيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: عكرمة. وقد تكلّم الناس فيه؛ لأنه كان يرى رأي الخوارج. ورَوَى عن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ورَوى عنه الزهري وعمرو بن دينار والشعبي وأبو إسحٰق السبيعي وغيرهم. ومات مولاه ابن عباس وعكرمة على الرقّ ولم يُعتقه، فباعه علي بن عبد الله بن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فأتى عكرمة مولاه عليًّا فقال: بِعْتَ عِلْم أبيك بأربعة آلاف دينار، فاستقاله فأقاله فأعتقه، وقال عبد الله بن أبي الحارث: دخلت على عليّ بن عبد الله بن عباس وعكرمة مُوثَق على باب كنيف، فقلت: أتفعلون هذا لمولاكم؟ فقال: إنّ هذا يكذب على أبي. اهـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان للقاضي أحمد الشهير بابن خلكّان عليه رحمة الله تعالى المنّان.

....

وفي تهذيب الأسماء: وهو من كبار التابعين، سمع الحسن بن عليّ وأبا قتادة وابن عباس وابن عمرو وأبا هريرة وأبا سعيد ومعاوية وغيرهم. رَوَى عنه جماعة من التابعين منهم أبو شعثاء الشعبي والنخعيّ والسبيعي وابن سيرين وعمرو بن دينار وخلائق غيرهم من التابعين وخلائق من غيرهم. قال ابن معين: عكرمة ثقة، قال: وإذا رأيت مَنْ يتكلّم في عكرمة على الإسلام. وقال أبو حاتم: هو ثقة، وإنما أنكر عليه مالك ويحيىٰ بن سعيد لرأيه، وقال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلّا يحتجّ بعكرمة. وقال محمد بن سعد: كان كثير العلم بحرًا من البحور، وليس يُحتجّ بحديثه ويتكلّم الناس فيه. وذكر ابن سعد عن عمرو بن دينار، قال: دفع إليّ أبو الشعثاء مسائل أسأل عنها عكرمة، وقال: هو البحر، فاسألوه. وقال أحمد بن عبد الله العجلي: عكرمة ثقة، وهو بريء مما يرميه به الناس. وقال عكرمة: إني لأخرج إلى السوق، فأسمع الرجل يتكلّم بكلمة فيفتح لي خمسون بابًا من العلم. وقال أبو حاتم: أعلم موالي ابن عباس عكرمة. وقال أبو أحمد بن عديّ: لم يمتنع الأئمّة من الرواية عن عكرمة، وأدخله أصحاب الصحاح صحاحهم. قال البيهقي: رَوى له البخاري دون مسلم.اهـ. وفي وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان: وتوفي عكرمة في سنة سبع ومائة، وقيل: سنة ستّ، وقيل: سنة خمس، وقيل: سنة خمس عشرة، والله أعلم. وعمره ثمانون، وقيل: أربع وثمانون سنة. وروى محمد بن سعد عن الواقدي عن الخالد بن القاسم البياضي، قال: مات عكرمة وكثير عزّة الشاعر في يوم واحد سنة خمس ومائة، فرأيتهما جميعًا صلّي عليهما في موضع الجنائز بعد الظهر، فقال الناس: مات أفقه الناس وأشعر الناس رحمهما الله تعالى، وكان موتهما بالمدينة. وقيل: إنّ عكرمة مات بالقيروان، والأوّل أصح. وكان عكرمة كثير الطواف والجولان في البلاد، دخل خراسان وأصبهان ومصر وغيرهما من البلاد.

وعِكْرمة ـ بكسر العين المهملة وسكون الكاف وكسر الراء وفتح الميم وبعدها هاء ساكنة ـ وهو في الأصل اسم الحمامة الأُنثى، فسُمّي به الإنسان. وعُمارة بن حمزة مولى المنصور الموصوف بالتّيه من أولاده، وقال الخطيب البغداديّ: هو ابن عكرمة المذكور، والله أعلم.اهـ.

(ثم الفقير الذي لا يسأل) لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئًا فهو أضعف حالًا منه.

قوله: (ثم الفقير الذي لا يسأل) . . . الخ.

فائدة عظيمة:

اختلف العلماء في حدِّ الغني الذي يمنع من أخذ الصدقة، فقال الأكثرون: حدّه أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة، وهو قول مالك والشافعي. وقال أصحاب الرأي: حدّه أن يملك مائتي درهم، وقال قوم: مَنْ ملك خمسين درهمًا أو قيمتها لا تحلّ له الصدقة، لِمَا رُوِي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش» أو «خدوش أو كدوح». قيل: يا رسول الله، وما يُغنيه قال: «خمسون درهمًا أو قيمتها من الذهب» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحٰق، وقالوا: لا يجوز أن يعطي الرجل أكثر من خمسين درهمًا من الزكاة. وقيل: أربعين درهمًا، لما رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سأل وله قيمة أُوقية فقد ألحف»، أخرجه أبو داود، وكانت الأُوقيّة في ذلك الزّمان أربعين درهمًا. اهـ خازن.

وأيضًا فيه: وكل مَنْ دفع إليه شيئًا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق، فلا يزيد الفقير على قدر غِناه، وهو ما يحتاج إليه، فإن حصل أدنى اسم الغِنى فلا يعطى بعده شيئًا، وإنْ كان محترفًا لكنّه لا يجد آلة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته؛ فالاعتبار عند الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ما يدفع الحاجة من غير حدّ. وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: لا يُعطى الفقير أكثر من خمسين درهمًا. وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، فإن أعطيته أجزأ. اهـ. وفي الطريقة المحمّدية للفاضل المحقّق والحبر المدقّق محمد الحنفي رحمه الله في بيان آفات اليد وهي أخذ الزكاة والنذر والعشر والفطر والكفّارة واللقطة وما وجب تصدقه من المال الخبيث إن كان غنيًا غنى الأضحية، وهو مَنْ يملك مائتي درهم أو قيمتها فارغتين عن الدَّين والحوائج الأصليّة. اهـ.

....

وفي حاشية العالم العلّامة الشيخ أحمد الطحطاوي على مراقي الفلاح: قوله: وعن حاجته الأصليّة كثيابه المحتاج إليها لدفع الحرّ والبرد، وكالنفقة ودور السكنى وآلات الحرب والحِرفة وأثاث المنزل ودوابّ الركوب وكتب العلم لأهلها، فإذا كان عنده دراهم أعدّها لهذه الأشياء وحال عليها الحول لا تجب فيها الزكاة، وكتب العلم لغير أهلها ليست من الحوائج الأصليّة، وإن كانت الزكاة لا تجب على صاحبها بدون نيّة التجارة، بحر بتصرف. وقوله: وكالنفقة لا زكاة فيها، ولو حال عليها الحَوْل، قال فيه: وهو مخالف لما في المِعْراج والبدائع أن الزكاة تجب في النقد كيف أمسكه للنفقة أو للنماء. اهـ انتهت بحروفها.

وفي حاشية العلّامة السيّد أحمد الطحطاوي على الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار: يشترط في النّصاب ذهبًا أو فضّة لوجوب الزكاة فيه أن لا يحتاج إلى إنفاقه في الحاجة الأصليّة، وهو يفيد أنه إنْ كان معه دراهم أمسكها للنفقة لا زكاة فيها، ولو حال عليها الحول. قال في البحر: ويُخالفه ما في المِعْراج. الدراية والبدائع: إنّ الزكاة تجب في النقد كيف أمسكه للنماء أو للنفقة. اهـ.

وفي ردّ المحتار على الدرّ المختار: قال في البدائع: قدر الحاجة هو ما ذكره الكرخي في مختصره، فقال: لا بأس أن يُعطى من الزكاة مَنْ له مسكن وما يتأثّث به في منزله وخادم وفرس وسلاح وثياب البدن وكتب العلم، إن كان من أهله، فإن كان له فَضْل عن ذلك تبلغ قيمته مائتي درهم حَرُم عليه أخذ الصدقة، لِمَا رُوِي عن الحسن البصري قال: كانوا ـ يعني الصحابة ـ يُعطون من الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من السّلاح والفرس والدار والخدم، وهذا لأن هذه الأشياء من الحوائج اللازمة التي لا بدّ للإنسان منها. وذكر في الفتاوى فيمن له حوانيت ودور للغلّة، لكن غلّتها لا تكفيه ولعياله أنه فقير، ويحلّ له أخذ الصدقة عند محمّد، وعند أبي يوسف: لا يحلّ، وكذا لو له كرم لا تكفيه غلّته، ولو عنده طعام للقوت يساوي مائتي درهم، فإن كان كفاية شهر يحلّ أو كفاية سنة. قيل: لا يحلّ، وقيل: يحلّ؛ لأنه مستحقّ الصرف إلى الكفاية، فيلحق بالعدم وقد ادّخر عليه الصّلاة والسّلام لنسائه قوت سنة، ولو له كسوة الشتاء وهو لا يحتاج إليها في الصيف يحلّ، ذَكَر هذه الجملة في الفتاوى. اهـ.

....

وظاهر تعليله للقول الثاني في مسألة الطعام اعتماده. وفي التتارخانيّة عن التهذيب: أنه الصحيح، وفيها عن الصغرى: له دار يسكنها لكن تزيد على حاجته بأن لا يسكن الكلّ يحلّ له أخذ الصدقة في الصحيح، وفيها سُئِل محمد عمّن له أرض يزرعها أو حانوت يشتغلها أو دار غلّتها ثلاثة آلاف، ولا تكفي لنفقته ونفقة عياله سنة يحلّ له أخذ الزكاة، وإنْ كانت قيمتها تبلغ الوفاء، وعليه الفتوى، وعندهما لا يحلّ. اهـ ملخّصًا بحروفه.

فـائدة:

في حاشية العلّامة الشيخ أحمد الطحطاوي على مراقي الفلاح: يجوز للعامل الأخذ وإنْ كان غنيًا؛ لأنه فرغ نفسه لهذا العمل، فيحتاج إلى الكفاية. قال في المنح: وبهذا التعليل يقوى ما نُسِب للواقعات من أنّ طالب العلم يجوز له أخذ الزكاة، ولو غنيًا إذا فرغ نفسه لإفادة العلم واستفادته لعجزه عن الكسب والحاجة داعية إلى ما لا بدّ منه. اهـ انتهت بحروفها.

وفي الدرّ المختار: وعامل يعمّ الساعي والعاشر فيعطى، ولو غنيًا لا هاشميًا؛ لأنه فرغ نفسه لهذا العمل، فيحتاج إلى الكفاية، والغنى لا يمنع من تناولها عند الحاجة؛ كابن السبيل. بحر عن البدائع.

وبهذا التعليل يقوى ما نُسِب للواقعات من أن طالب العلم يجوز له أخذ الزكاة، ولو غنيًا إذا فرغ نفسه لإفادة العلم واستفادته لعجزه عن الكسب، والحاجة داعية إلى ما لا بدّ منه، كذا ذكره المصنف.

(بقدر علمه) ما يكفيه وأعوانه بالوسط، لكن لا يزاد على نصف ما يقبضه. اهـ. وقوله: يعمّ الساعي، هو مَنْ يسعى في القبائل لجمع صدقة السوائم. والعاشر مَنْ نصبه الإمام على الطرق ليأخذ العُشْر ونحوه من المارّة. اهـ طحطاويّ. وقوله: (ولو غنيًا) لأن ما يأخذ له شبه بالأجرة وشبه بالصدقة، فللأوّل يحلّ للغنيّ ولا يعطى لو هلك المال أو أدّاها صاحب المال إلى الإمام، وللثاني لا يحلّ للهاشمي، ويسقط الواجب عن أرباب الأموال لو هلك المال في يده؛ لأن يده كَيَد الإمام، بحر. قوله: (لا هاشميًا) في النهاية: ما يفيد صحة توليته، وعبارتها:

....

استعمل الهاشمي على الصدقة فأجرى له منها رزق لا ينبغي له أخذه، ولو عمل ورُزق من غيرها، فلا بأس به. قال في النهر: لكن ما مرّ أنّ من شرائط الساعة ـ يعني ومثله العامل ـ أن لا يكون هاشميًا هو الذي ينبغي أن يعوّل عليه.اهـ موضحًا. وعلى رواية أبي عصمة من جواز دفعها للهاشمي يجوز توليته عليها وأخذه الأجر. قوله: (لأنه فرغ نفسه)... الخ. علّة لقوله: ولو غنيًا، كما أفاده صاحب البحر، وهذا التعليل يفيد استحقاق الجزاء بالغًا ما بلغ، سواء هلك في يده أم لا، وهو غير التحقيق، والتحقيق ما قدَّمنا من أن له شبهين... الخ. ذكره صاحب البحر. قوله: (وبهذا التعليل) قد علمتَ أنه غير التحقيق ولا ينتج دعواه، فلا تتقوّى به دعوى أخرى.اهـ طحطاويّ. قوله: (ما نُسِب للواقعات) ذكر المصنّف أنه رآه بخط ثقة مغريًا إليها.

قلت: ورأيته في جامع الفتاوى ونصّه وفي المبسوط: لا يجوز دفع الزكاة إلى مَنْ يملك نصابًا إلّا إلى طالب العلم والغازي ومنقطع الحجّ؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «يجوز دفع الزكاة لطالب العلم وإن كان له نفقة أربعين سنة».اهـ.

قوله: (من أن طالب العلم) أي الشرعيّ. قوله: (إذا فرّغ نفسه) أي عن الاكتساب، قال ط ـ أي العلّامة السيّد أحمد الطحطاوي ـ: المراد أنه لا تعلّق له بغير ذلك، فنحو البطالات المعلومة وما يجلب له النشاط من مُذهبات الهموم لا ينافي التفرّغ بل هو سعي في أسباب التحصيل. قوله: (واستفادته) لعلّ الواو بمعنى أو المانعة الخلوّ .ط. قوله: (لعجزه) علّة لجواز الأخذ. (طحطاوي). قوله: (والحاجة داعية)... الخ. الواو للحال، والمعنى: أنّ الإنسان يحتاج إلى أشياء لا غِنَى له عنها، فحينئذ إذا لم يجز له قبول الزكاة مع عدم اكتسابه أنفق ما عنده ومكث محتاجًا، فينقطع عن الإفادة والاستفادة، فيضعف الدين لعدم مَنْ يتحمله، وهذا الفرع مخالف لإطلاقهم الحُرْمة في الغنى، ولم يعتمده أحد. (طحطاوي).

قلت: وهو كذلك، والأوْجه تقييده بالفقير، ويكون طلب العلم مرخّصًا لجواز سؤاله من الزكاة وغيرها، وإنْ كان قادرًا على الكسب إذ بدونه لا يحلّ له السؤال، ومذهب الشافعية والحنابلة أنّ القدرة على الاكتساب تمنع الفقر، فلا يحلّ له الأخذ فضلًا عن السؤال، إلا إذا اشتغل عنه بالعلم الشرعيّ.اهـ ردّ المحتار.

وعند الشافعي رحمه الله على العكس ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ هم السُّعاة الذين يقبضونها (﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾) على الإسلام أشراف من العرب، كان رسول الله ﷺ يتألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرًا لهم على الإسلام ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ (هم المكاتبون) يعانون منها (﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ الذين ركبتهم الديون) ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقراء (الغزاة)

قوله: (﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾). . . الخ. قال ابن الهُمام: المؤلّفة كانوا ثلاثة أقسام: قسم كفّار، كان رسول الله ﷺ يُعطيهم ليتألّفهم على الإسلام. وقسم كان يُعطيهم ليدفع شرّهم. وقسم أسلموا، وفيهم ضعف إسلام، فكان يتألّفهم ليقوّي إيمانهم. **قوله**: (**هم المكاتبون**) الذين يحتاجون لبدل الكتابة ليتأدّوا إلى صاحبهم، فيُعان في فكّ رقبتهم منها، هذا عندنا. وعند الشافعي رحمه الله، وهو المنقول عن سعيد بن جبير والزهري والشعبي على ما في شروح الهداية: وعند مالك وأحمد بن حنبل رحمه الله معناه أن يشتري بمال الزكاة عبيد فيُعتقون، وقيل: بأن يفدي الأسارى منها، نصّ بذلك في البيضاوي أخذًا من كلام صاحب الكشاف. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ **الذين ركبتهم الدُّيون**) بغير معصية، ولا يملكون نصابًا فاضلًا عن دينهم، فيُعانوا في قدر أداء ديونهم. اهـ التفسيرات الأحمديّة. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: الغارم والغريم وإنْ كان قد يُطلق كل واحد منهما على مَنْ له الدَّيْن، إلّا أن المراد بالغارم في الآية الذي عليه الدَّين، وأصل الغرم في اللغة لزوم ما يشقّ، والغرام العذاب اللازم، ويسمّى الدَّين غرامًا لكونه شاقًّا على الإنسان ولازمًا له. وفي الصحاح: الغرامة ما يلزم أداؤه، وكذلك المغرم والغريم، وقد غرم الرجل الدِّية، والمديون الذي لزمه الدَّيْن بسبب معصيته لا يدخل في الآية؛ لأن المقصود مِنْ صرف المال الإعانة، والمعصية لا تستوجب الإعانة، والدَّيْن الذي حصل بسبب غير معصية قسمان: دَيْن حصل بسبب نفقات ضروريّة أو في مصلحة، ودَيْن حصل بسبب حمالات وإصلاح ذات بَيْن، والكلّ داخل في الآية. والحَمالة ـ بالفتح ـ ما يتحمّله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة، مثل أن تقع حرب بين فريقين بسفك الدماء، فيدخل بينهم رجل يتحمّل ديات القتل عنهم على نفسه لإصلاح ذات البَيْن. اهـ. **قوله**: (**الغزاة**) جمع غازٍ كقاضٍ وقُضاة.

أو (الحجيج المنقطع بهم) ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ المسافر المنقطع عن ماله، وعدل عن اللام إلى «في» في الأربعة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدّق عليهم ممن سبق ذكره، لأن «في» للوعاء، فنبّه على أنهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها. وتكرير «في» في قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾ فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين. (**وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين**) ليدلّ بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم، (**حسمًا**) لأطماعهم وإشعارًا بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها، (**فما لهم وما لها، وما سلطهم**) على التكلّم فيها ولمز قاسمها! وسهم المؤلفة قلوبهم سقط بإجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر ﵁ لأن الله أعزّ الإسلام وأغنى عنهم، والحكم متى ثبت معقولًا لمعنى خاص يرتفع وينتهي بذهاب ذلك المعنى ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ في معنى المصدر المؤكد لأن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ معناه فرض الله الصدقات لهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمصلحة ﴿حَكِيمٞ﴾ في القسمة.

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾ الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد، سُمِيَ بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة، وإيذاؤهم له هو قولهم فيه ﴿هُوَ (أُذُنٞۚ)﴾ قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب و(**الغرّة**)، ففسّره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال: ﴿(قُلۡ أُذُنُ)

قوله: (الحجيج) جمع حاجّ. **قوله:** (المنقطع بهم) على لفظ اسم المفعول والباء للتعدية، يقال: هو منقطع به إذا انقطع به السفر دون طلبه لنفاد زاده أو عطب دابته. اهـ تفتازاني ﵀. **قوله:** (وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين) ومكائدهم. **قوله:** (حسمًا) أي قطعًا. **قوله:** (فما لهم) أي فما لهم وللصدقات (وما لها) أي وما للصدقات وللمنافقين؛ ففي الكلام حذف واختصار (وما سلّطهم) استفهام وتعجيب ثالث.

قوله: (﴿أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ﴾) قرأ نافع بإسكان الذال فيهما، والباقون بالضمّ.
قوله: (الغرّة) ـ بالكسر ـ الغفلة.

﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ كقولك «رجل صِدق» تريد الجودة والصلاح كأنه قيل: نعم هو أذن ولكن نِعم الأُذن، ويجوز أن يريد هو أُذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأُذن في غير ذلك. ثم فسّر كونه أذن خير بأنه ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلّة ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويقبل من المؤمنين (الخُلّص) من المهاجرين والأنصار، وعُدي فعل الإيمان بالباء إلى الله، لأنه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به، وإلى المؤمنين باللام لأنه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: الآية ١٧] كيف ينبو عن الباء ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالعطف على ﴿أُذُنُ﴾ (﴿وَرَحْمَةٍ﴾: حمزة) عطف على ﴿خَيْرٍ﴾ أي هو أُذن خير وأُذن رحمة لا يسمع غيرها ولا يقبله ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ أي وهو رحمة الذين آمنوا منكم أي أظهروا الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين، أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدارين.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ الخطاب للمسلمين، وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مؤمنين كما تزعمون، فأحق مَن أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق. (وإنما وحّد الضمير) لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شيء واحد كقولك «إحسان زيد وإجماله نعشني» أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.

قوله: (الخُلّص) جمع خالص. **قوله:** (﴿وَرَحْمَةٍ﴾) بخفض التاء (حمزة) عطف على خير، والجملة ح متعارضة بين المتعاطفتين. والباقون بالرفع.

قوله: (وإنما وحّد الضمير) . . . الخ. جواب عمّا يقال: كيف قيل: ﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] بإفراد الضمير، مع أنه ضمير الله ورسوله، فالواجب

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ﴾ أن الأمر والشأن ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يجاوز الحد بالخلاف (وهي مفاعلة من الحدّ) كالمشاقة من الشق ﴿فَأَنَّ لَهُۥ﴾ على حذف الخبر أي فحق أن له ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ خبر بمعنى الأمر أي ليحذر المنافقون ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ (﴿تُنْزَلَ﴾) بالتخفيف: (مكيّ وبصريّ) ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الكفر والنفاق، والضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم دليله ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾، أو الأولان للمؤمنين، والثالث للمنافقين، وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون إظهاره من نفاقكم، وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم وفي استهزائهم بالإسلام وأهله حتى قال بعضهم: وددت أني قدّمت فجلدت مائة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا.

تثنية الضمير؟ أجاب عنه أوّلًا بأنّ الإرضاءين متلازمان، فاكتفى بذكر أحدهما لكون ذكره وحده في حكم ذكرهما معًا؛ كقولك: إحسان زيد وإجماله رفعني. وثانيًا: بأنّ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ١٥] مبتدأ و﴿أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] خبره، و﴿رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٧] مبتدأ ثانٍ وخبره محذوف لدلالة خبر الأوّل عليه.

قوله: (وهي مفاعلة من الحدّ) الذي هو الجهة والجانب، فإنّ كل واحد من المخالفين والمُعاندين في غير حدّ صاحبه؛ كما يقال: شاقه إنْ كان في شقّ غير شقّ صاحبه، وعاداه إن كان في عدوة غير عدوة صاحبه.

قوله: (﴿تُنْزَلَ﴾) بالتخفيف، أي بإسكان النون وتخفيف الزاي، (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبصريّ) أي أبو عمرو البصري. والباقون بفتح النّون وتشديد الزاي.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ) إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (**بينا رسول الله ﷺ**) يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها، (**هيهات هيهات**). فأطلع الله نبيّه على ذلك فقال: احبسوا عليّ الركب فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا. فقالوا: يا نبيّ الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك، ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر، أي ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك؟ لقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ

قوله: (﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾)... الخ. المقصود أنّ الآية بظاهرها تدلّ على أنّ الاستهزاء بالشرائع يوجب الكفر؛ لأنه تعالى رتّبه على استهزائهم بقوله تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٦]، وهذا ذكر محيي السنّة رضي الله تعالى عنه في ترجمة الأحكام بالتفصيل، ولم أرَ في غيرها هذا الاستدلال، ونفس المسألة معروفة في علم الكلام، وقد ذكرها سعد المِلّة والدِّين بالتفصيل، وقال: إنّ من سَخِر باسم مِنْ أسماء الله تعالى أو بأمرٍ من أوامره أو تمنّى أن لا يكون نبيّ من الأنبياء على قصد استخفاف أو عداوة أو ضحك على وجه الرضاء لمن تكلّم بالكفر، أو جلس على مكانٍ مرتفع وحوله جماعة يسألونه مسائل ويضحكونه ويضربونه بالوسائد، أو أطلق كلمة الكفر، استخفافًا لا اعتقادًا، يكفر. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (**بينا رسول الله ﷺ**)... الخ. أصل بَيْنا بين، فأُشبعت الفتحة، فصارت ألفًا، ويقال: بيننا وبينما، وهما ظرفا زمان، بمعنى المفاجأة، ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر، ويحتاجان إلى جواب يتمّ به المعنى، والأفصح في جوابهما أن لا يكون فيه إذ وإذا، وقد جاءا في الجواب كثيرًا، تقول: بينا زيد جالس دخل عليه عمرو، وإذ دخل عليه، وإذا دخل عليه. اهـ لسان العرب باختصار. **قوله**: (هيهات هيهات) اسم فعل ماض بمعنى مصدر، أي بعد بعد. اهـ جلالين. وقوله: اسم فعل ماضٍ بمعنى مصدر، أي منزل منزلة المصدر، أي بعدًا. اهـ كمالين.

﴿كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ (لم يعبأ) باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون، باستهزائهم وبأنه موجودٌ فيهم حتى وبّخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير، وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سرّكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ قد أظهرتم كفركم باستهزائكم ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بتوبتهم وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ مصرّين على النفاق غير تائبين منه («إن **يعف تعذب طائفة» غير عاصم**).

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي كأنهم نفس واحدة، وفيه نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ وتقرير لقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ ثم وصفهم بما يدلّ على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ بالكفر والعصيان ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ عن الطاعة والإيمان ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ (**شحًا**) بالمبارّ والصدقات والإنفاق في سبيل الله ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾

قوله: (لم يعبأ) من عبأت بفلان، عَبَأ بالبيت واعتددت به.

قوله: («إن يُعف») بياء مضمومة وفتح الفاء مبنيًا للمفعول (**«تعذب»**) بتاء مضمومة وفتح الذال كذلك ﴿طَآئِفَةٍ﴾ [التوبة: الآية ٦٦] بالرفع نائب الفاعل، ونائب الفاعل في الأوّل الظرف بعده (**غير عاصم**)، فعاصم ﴿نعف﴾ بنون العظمة مفتوحة وفاء مضمومة بالبناء للفاعل، و﴿عَن طَآئِفَةٍ﴾ [التوبة: الآية ٦٦] محلّه النصب به، و﴿نعذب﴾ بنون العظمة وكسر الذال، ﴿طائفة﴾ الثاني منصوب مفعول به.

قوله: (شُحًا) أي بخلًا.

تركوا أمره أو أغفلوا ذكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ فتركهم من رحمته وفضله ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ **(هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرّد)** في الكفر والانسلاخ عن كل خير، **(وكفى المسلم زاجرًا وأن يلمّ)** بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمّهم.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩)﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود فيها ﴿هِيَ﴾ أي النار ﴿حَسْبُهُمْ﴾ فيه دلالة على عظم عذابها وأنه بحيث لا يزاد عليه ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق، والظاهر المخالف للباطن خوفًا من المسلمين وما يحذرونه أبدًا من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم الكاف في ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾ محلها رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم، أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أي

قوله: (هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرّد)... الخ. الكمال مستفاد من تعريف الجنس في الفاسقين الدال على أنّهم هم الجنس كلّه، ولم لم يحمل عليه لما صحّ الحصر المستفاد من ضمير الفصل وتعريف الخبر؛ لأنه كم من فاسق سواهم، وفسّر الفُسق بالتمرّد؛ لأن الكافر إذا وصف بالفسق دلّ على المبالغة في الخروج عن أمر الله وطاعته. **قوله: (وكفى المسلم)** فاعله ضمير يعود إلى قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، **(وزاجرًا)** تمييز أو حال **(وأن يلمّ)** متعلّق به أي زاجرًا عن الإلمام.

تلذّذوا (**بملاذ الدنيا**). والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق للإنسان بمعنى قدر من خير ﴿وَخُضۡتُمۡ﴾ في الباطل ﴿كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾ (**كالفوج الذي خاضوا، أو الخوض الذي خاضوا**). والخوض الدخول في الباطل واللهو، وإنما قدم ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ وقوله: ﴿كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ مغن عنه ليذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا (**والتهائهم**) بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة، ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ في مقابلة قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٧٠﴾

ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ هو بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ﴿(وَعَادٖ وَثَمُودَ) وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ﴾ وأهل مدين وهم قوم شعيب ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾ (**مدائن قوم لوط**)، وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر ﴿أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ فما صح منه أن

قوله: (بملاذ الدنيا) الملاذّ ـ بتشديد الذال ـ جمع لذّة على خلاف القياس، كالمحاسن جمع حسن على خلاف القياس **قوله: (كالفوج الذي خاضوا أو الخوض الذي خاضوا)** أي موصوف الذي مفرد اللفظ مجموع المعنى، وهو الفوج، أو الذي صفة للخوض المحذوف، وهو مصدر مفرد، أي كالخوض الذي خاضوه، والضمير للمصدر. **قوله: (والتهائهم)** هو افتعال من اللّهو، أي تلهيهم ولعبهم.

قوله: (﴿وَعَادٖ﴾) قوم هود. **قوله:** (﴿وَثَمُودَ﴾) قوم صالح. **قوله: (مدائن قوم لوط)**... الخ. عبارة تفسير الكشاف: مدائن قوم لوط، وقيل: قُريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهنّ انقلاب أحوالهنّ عن الخير والشرّ. اهـ. فافهم، وأصل معنى الائتفاك الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفله بالخسف، وهو قد وقع في قريات قوم لوط عليه الصّلاة والسّلام؛ فإن كانت مرادة به، فهي على حقيقتها،

يظلمهم بإهلاكهم لأنه حكيم فلا يعاقبهم بغير (جُرْم) ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر وتكذيب الرسل.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في التناصر والتراحم ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالطاعة والإيمان ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ عن الشرك والعصيان ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في «سأنتقم منك يومًا» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب ﴿حَكِيمٌ﴾ واضع كلا موضعه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ يطيب فيها العيش وعن **(الحسن البصري)** رحمه الله: قصورًا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر **(والزبرجد)** ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ هو علم بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم: الآية ٦١] وقد عرفت أن «الذي» و«التي» وضعا لوصف المعارف بالجمل وهي مدينة في الجنة ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وشيء من رضوان الله ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة

وإنّ كان المراد مُطلق قرى المكذبين، وهي لم تُخسف بأجمعها، فيكون المراد به مجازًا انقلاب حالها من الخير تشبيهًا له بالخسف على طريق الاستعارة؛ كقول ابن الروميّ:

وما الخسف أن تلقى أسافل بلدة   أعاليها بل أن تسود الأراذل

وقريات ـ بالتصغير ـ جمع قرية، لأن جمع المكبّر قرى. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (جُرْم) أي ذَنْب.

قوله: (الحسن البصري) التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (والزبرجد) هو غير الزمرّد.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وحده دون ما يعده الناس فوزًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف (﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ **بالحجة**) ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ في الجهادين جميعًا (**ولا تحابهم**)، وكل مَن وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ جهنم. (**أقام رسول الله ﷺ في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن**) ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع مَن معه. منهم (**الجلاس بن سويد**) فقال: والله لئن كان ما يقول محمد حقًّا لأخواننا الذين خلّفناهم وهم سادتنا فنحن

قوله: (﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ **بالحجّة**)، ولا تجوز المحاربة والمجاهدة بالسيف معهم؛ لأنهم يظهرون الإسلام ويُنكرون الكفر، وحكم شريعتنا أن يحكم بالظاهر؛ لقوله ﷺ: «نحن نحكم بالظاهر»، وقد أمر الله تعالى بالجهاد معهم، وهو عبارة عن بذل الجهد بالصرف عن المنكر والإرشاد إلى الحقّ، وليس في لفظ جاهد ما يدلّ على كون ذلك الجهاد بالسيف أو باللّسان أو بطريقٍ آخر، فنقول: الآية تدلّ على وجوب الجهاد مع المنافقين. وأمّا كيفيّة تلك المجاهدة؛ فلفظ الآية لا يدلّ عليها، وإنما تُعرف هي مِنْ دليل آخر قد دلّت الدلائل المنفصلة على أن المجاهدة مع الكفّار يجب أن تكون بالسيف، ومع المنافقين بإظهار الحجّة تارة باليد وتارة باللّسان؛ فمَنْ لم يستطع فبالقلب. **قوله**: (**ولا تحابهم**) من المُحاباة بمعنى المَيْل مجزوم بحذف آخر كذا، قيل[1]: ولا يبعد أن يكون من المُفاعلة من المحبّة، والمفاعلة على الوجهين للمبالغة. اهـ قنوي. **قوله**: (**أقام رسول الله ﷺ في غزوة تبوك شهرين**)... الخ. أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة بن الزبير. **قوله**: (**ينزل عليه**) جملة حالية. **قوله**: (**القرآن**) أي طائفة من القرآن، فإن القرآن يطلق على البعض كما يُطلق على المجموع.

قوله: (**الجلاس بن سويد**) بن صامت الأنصاري الأوسيّ، له صحبة وله ذكر في المغازي، وكان الجلاس منافقًا فتاب وحَسُنت توبته. وقال العلّامة الشهاب عليه

---

(١) أي قائله العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

شر من (الحمير). فقال (عامر بن قيس) الأنصاري للجلاس: (أجل) والله إن محمدًا صادق وأنت شر من الحمار. وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر فحلف بالله ما قال، فرفع عامر يده فقال: اللهم أنزل على عبدك ونبيّك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)﴾

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ يعني إن كان ما يقول محمد حقًّا فنحن شرّ من الحمير، أو هي استهزاؤهم فقال الجلاس: يا رسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام، وفيه دلالة على أن الإيمان والإسلام واحد لأنه قال: ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ (﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل محمد عليه السلام) أو قتل عامر لردّه على الجلاس. (وقيل: أرادوا أن يتوّجوا ابن أُبيّ) وإن لم يرض رسول الله ﷺ ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ وما أنكروا وما عابوا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ

رحمة الله الوهاب: الجلاس بضم الجيم والسين المهملة وتخفيف اللام بوزن غراب، رجل من الصحابة كان منافقًا وقد حَسُن إسلامه بعد ذلك. اهـ. **قوله:** (الحمير) جمع حمار. **قوله:** (عامر بن قيس) الأنصاريّ الصحابي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (أَجَلْ) أي نعم.

قوله: (﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل محمد عليه) الصّلاة و(السّلام)، قيل: هم اثنا عشر رجلًا من المنافقين بقتل رسول الله ﷺ، فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه، فجاء جبريل عليه السّلام فأخبره وأمره أن يرسل إليهم مَنْ يضرب وجوه رواحلهم، فأرسل حُذيفة لذلك. **قوله:** (وقيل: أرادوا أن يتوجوا ابن أُبيّ) أي عبد الله بن أُبيّ من باب التفعيل بتشديد الواو، أي يلبسوه التاج. قال السُّديّ: قال المنافقون: إذا رجعنا إلى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أُبيّ ابن سلول تاجًا، فلم يصلوا إليه. اهـ.

فَضْلِهِۦۚ﴾ وذلك أنهم كانوا حين (قَدِم) رسول الله ﷺ المدينة في (ضنك) من (العيش) لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة، (فآثروا) بالغنائم (وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألفًا) فاستغنى ﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ عن النفاق ﴿يَكُ﴾ التوب ﴿خَيْرًا لَّهُمْۖ﴾ وهي الآية التي تاب عندها الجلاس ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْاْ﴾ يصروا على النفاق ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۚ﴾ بالقتل والنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينجيهم من العذاب.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ رُوِيَ أن (ثعلبة بن حاطب) قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالًا فقال عليه السلام: «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقه. فدعا

وعبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول المنافق، وسلول أُمّ عبد الله، ولهذا قال العلماء: الصواب في ذلك أن يقال: عبد الله بن أُبي ابنُ سلول بتنوين أُبيّ، وكتابة ابن سلول بالألف، ويُعرب إعراب عبد الله؛ لأنّه صفة له لا لأُبيّ، وكان عبد الله بن أُبيّ رئيس المنافقين، ونزل في ذمّه آيات كثيرة مشهورة، وتوفي في زمن رسول الله ﷺ وكفّنه في قميصه قبل النّهي عن الصلاة على المنافقين، وإنما صلّى عليه لكرامة ابنه وإحسانًا وكرمًا وحلمًا.

قوله: (قَدِم) بفتح القاف وكسر الدال المخفّفة. **قوله:** (ضَنْك) ـ بالفتح ـ أي ضيق. **قوله:** (العيش) ما يتعيّش به كالمأكل وغيره. **قوله:** (فآثروا) أي استغنوا وكَثُرت أموالهم، والثراء كثرة المال. **قوله:** (وقتلوا للجلاس مولى) المولى بمعنى القريب، أو المعتق الذي له إرثه؛ (فأمر رسول الله ﷺ بديته اثني عشر ألفًا) الدِّية عشرة آلاف درهم، فزيادة الألفين على عادتهم في الزيادة تكرّمًا، وكانوا يسمّونها شنقًا ـ بفتح الشين المعجمة ونون وقاف ـ وهو ما زاد على الدية.

قوله: (ثعلبة بن حاطب) بن عمرو بن عبيد بن أُميّة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا، قاله محمد بن إسحٰق وموسى بن عقبة، وهو الذي سأل النبيّ ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه مالًا. وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، أخرجه ابن عبد البرّ

له فاتخذ غنمًا **(فنمت)** كما ينمى **(الدود حتى ضاقت بها)** المدينة، فنزل واديًا وانقطع عن الجمعة والجماعة، فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل: كثر ماله حتى **(لا يسعه وادي)** فقال: «**(يا ويح ثعلبة)**» فبعث رسول الله ﷺ **(مصدّقين)** لأخذ الصدقات **(فاستقبلهما الناس بصدقاتهم)**، ومرا بثعلبة فسألاه **(الصدقة)** فقال: ما هذه إلا جزية وقال: ارجعا **(حتى أرى رأيي)**، فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ

وابن مندة وأبو نعيم ونسبوه كما ذكرنا، كلّهم قالوا: إنه شهد بدرًا، وقال ابن الكلبي: ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميّة ـ يعني ابن زيد ـ بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري من الأوْس، شهد بدرًا وقُتل يوم أُحد، فإن كان هذا الذي في هذه الترجمة، فإمّا أن يكون ابن الكلبي قد وهم في قَتْله أو يكون القصة غير صحيحة، أو يكون وهو هو لا شكّ فيه. اهـ أسد الغابة باختصار.

وقال العلاّمة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وهذا ثعلبة بن حاطب، ويقال: ابن أبي حاطب الأنصاري الذي ذكره ابن إسحٰق فيمن بنى مسجد الضّرار، وليس هو ابن عمرو الأنصاريّ البدريّ؛ لأنه استشهد بأُحد، ولأنه ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحُديبية»، ومَنْ كان بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه، فينزل فيه ما نزل فهو غيره، كما قال ابن حجر في الإصابة: وإن كان البدري هو المشهور بهذا الاسم من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. اهـ.

قوله: **(فنَمَتْ)** أي زادت. **قوله:** **(الدود)** ـ بدالين مهملتين ـ معروف، وهو إذا حصل في شيء يتضاعف بسرعة. **قوله:** **(حتى ضاقت بها)** أي عليها. **قوله:** **(لا يسعه وادي)** أي وادٍ واحد، بل أودية. **قوله:** **(يا وَيْح ثعلبة)** ويح كلمة ترحّم لِمَا ناله من فتنة الدنيا، والمنادى محذوف، أي يا ناس أو يا زائدة للتنبيه، أو المنادى وَيْح؛ كقوله: يا حسرتى، كأنه نادى ترحّمه عليه ليحضر. اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** **(مصدّقين)** بتخفيف الصاد المهملة المفتوحة وتشديد الدال المهملة المكسورة، وهم الذين يأخذون الصدقات. **قوله:** **(فاستقبلهما الناس)** فمصدّقين بصيغة التثنية، وفي نسخة: فاستقبلهم الناس أي استقبلوا **(بصدقاتهم)** بلا طلب منهم فَرِحِين بما آتاهم الله من فضله، والباء بصدقاتهم إمّا للمصاحبة كما هو الظاهر، أو للتعدية، أي جعل الناس صدقاتهم مستقبلة، وفيه مجاز مع المبالغة. **قوله:** **(الصدقة)** أي الزكاة. **قوله:** **(حتى أرى رأيي)** من الرؤية البصريّة أو القلبية،

قبل أن يكلماه: «يا ويح ثعلبة» مرتين، فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال: إن الله منعني أن أقبل منك (فجعل التراب على) رأسه، فقبض رسول الله ﷺ (فجاء بها إلى أبي بكر ﵁ فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها، وهلك) في زمان عثمان ﵁ ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي المال ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ لنخرجن الصدقة والأصل «لنتصدقن» ولكن التاء أُدغمت في الصاد لقربها منها ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بإخراج الصدقة.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أعطاهم الله المال ونالوا مناهم ﴿بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ مصرّون على الإعراض ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فأورثهم البخل نفاقًا متمكنًا في قلوبهم لأنه كان

والثاني أنسب، والأوّل أبلغ، والمعنى: ارجعا فأتفكر حتى أعلم أيّ من العطاء أو الإمساك تقرّر فكري ورأيي. **قوله: (فجعل التراب على)** رأسه حثوه التراب ليس للتوبة، فإنّ الله تعالى يقبل التوبة ويعفو عن السيّئات، بل للعار في عدم قبول ما أعطاه وظهور حاله في الجملة بين المسلمين. **قوله: (فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها)** وجه عدم قبول الشيخين صدقته ما مرّ من الإصرار على النفاق ومتابعة لسيّد أرباب الوفاق. اهـ قنوي. وفي فتح القدير: ثم أتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، اقبل مني صدقتي فقد عرفت منزلتي من الأنصار، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأقبلها!! فلم يقبلها أبو بكر، ثم وُلّي عمر بن الخطاب، فأتاه فقال: يا أبا حفص، يا أمير المؤمنين اقبل مني صدقتي، قال: ويثقل عليه بالمهاجرين والأنصار وأزواج النبيّ ﷺ، فقال عمر: لم يقبَلْها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، أقبلها أنا!! فأبَى أن يقبلها، ثم وُلّي عثمان فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبَلْها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، وأنا أقبلها منك!! فلم يقبلها منه. اهـ بحروفه.

قوله: (وهلك) أي مات من غير إظهار التوبة عن نفاقه، بل مات على كفره ونفاقه، كما يُشعر به قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ [التوبة: الآية ٧٧] الآية.

سببًا فيه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدّق والصلاح وكونهم كاذبين، (ومنه جعل خلف الوعد ثلث: النفاق).

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ يعني المنافقين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسرّوه من النفاق بالعزم على إخلاف ما وعدوه ﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فلا يخفى عليه شيء ﴿ٱلَّذِينَ﴾ محله النصب أو الرفع على الذم، أو الجر على البدل من الضمير في ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ ﴿يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ يعيبون المطوعين المتبرعين ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ متعلق بـ ﴿يَلْمِزُونَ﴾. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ (حث على الصدقة) فجاء (عبد الرحمٰن بن عوف) بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال عليه السلام: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» فبارك الله له (حتى صُولحت تماضر امرأته عن ربع

قوله: (ومنه جعل خلف الوعد ثلث: النفاق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

قوله: (حثّ على الصدقة) أي رغّبهم وحضّهم عليها في خطبةٍ خطبها قبل خروجه إلى غزوة تبوك. **قوله:** (عبد الرحمٰن بن عوف) أحد العشرة الذين شَهِد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة رضي الله تعالى عنهم. **قوله:** (حتى صُولحت تُماضر) ـ بضم التاء وكسر الضاد المعجمة وآخرها راء مهملة ـ بنت الأصبغ ـ بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وبعدها باء موحدة مفتوحة ثم غين معجمة ـ ابن عمرو بن ثعلبة بن حصين كلب الكلبيّة التي طلّقها عبد الرحمٰن بن عوف في مرضه، فورثها عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنهم. (امرأته عن ربع

الثمن على ثمانين ألفًا)، وتصدّق (**عاصم بن عدي بمائة وسق**) من تمر ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على ﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ ﴿لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم. (**وعن نافع «جَهدهم»**) وهما واحد. (**وقيل: الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر**) فقال: بت ليلتي (**أجر بالجرير**) على صاعين فتركت صاعًا لعيالي، وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمٰن وعاصم إلا رياء، وأما صاع أبي عقيل فالله غني عنه ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ فيهزءون ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

الثمن على ثمانين ألفًا) أي ثمانين ألف درهم يدلّ على أن عبد الرحمٰن رضي الله تعالى عنه خلف أربع زوجات، وأن ثمن ماله كان أكثر من ثلاثمائة ألف وعشرين ألفًا ليصحّ أن يصالح إحدى الزوجات الأربع عن رُبع الثمن على ثمانين.

قوله: (عاصم بن عَدِي) هو أبو عبد الله، ويقال: أبو عَمْرو، ويقال: أبو عُمر، عاصم بن عَدِي بن الجَدّ ـ بفتح الجيم ـ ابن العجلان بن الحارثة ـ بالحاء المهملة ـ ابن ضُبَيْعة ـ بضم الضاد المعجمة ـ القُضاعي العجلاني حليف الأنصار، شهد أُحدًا ولم يشهد بدرًا بنفسه، كان رسول الله ﷺ استعمله على قباء وأهل العالية وضرب له بسهم، فكان له حكم مَنْ شَهِدَها، وهو صاحب عُويمر العجلاني في قصّة اللعان.

قوله: (بمائة وَسْق) الوَسْق ـ بفتح فسكون ـ ستّون صاعًا، والصاع ثمانية أرطال، وهو كَيْل معروف، وهذه القصة رواها ابن جرير عن أبي إسحٰق. **قوله: (وعن نافع «جَهدهم»)** قرأ الجمهور: جهد ـ بضمّ الجيم ـ وقرأ ابن هرمز وجماعة بالفتح. اهـ شهاب. **قوله: (وقيل: الجُهْد)** بالضمّ (**الطاقة، والجَهد**) بالفتح (**المشقّة**). **قوله: (وجاء أبو عقيل)** الأنصاريّ مختلف في اسمه، فقيل: جَيْحاب، قاله قتادة. (**بصاع من تمر**). . . الخ. رواه البزار من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، والطَبراني وابن مردويه عن أبي عقيل، والكلّ سبب للنزول. **قوله: (أجر بالجَرير)** الجَرِير حبل يجرّ به البعير بمنزلة العِذار للدابّة، والباء زائدة، أي أجُرّ الجرير، والمعنى بتّ أستقي للناس على أجرة صاعين.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

ولما سأل (عبد الله بن عبد الله بن أبي) رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه في مرضه نزل ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (وقد مرّ) أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل: لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ والسبعون جارٍ مجرى المثل في كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية، إذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لأنهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به، والمعنى وإن بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم. وقد

قوله: (عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ) بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجيّ الصحابي، وأبوه هو عبد الله بن أُبيّ ابنُ سَلُول المنافق، تقدَّم ذكره. وكان عبد الله بن عبد الله هذا من فُضَلاء الصحابة وساداتهم، وكان اسمه الحُباب، وبه كان أبوه يُكنى، فلمّا أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وشَهِد بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، واستأذن النبيّ ﷺ في قتل أبيه على نفاقه فنهاه، واستشهد عبد الله بن عبد الله يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه سنة اثنتي عشرة. اهـ تهذيب الأسماء. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: وكانت الخزرج قد أجمعت على أن يتوّجوا أباه عبد الله بن أُبيّ ويُملّكوه أمرهم قبل الإسلام، فلمّا جاء النبيّ ﷺ رجعوا عن ذلك، فحسد النبيّ ﷺ وأخذته العزّة، فأضمر النفاق، وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق: لَئِن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فقال ابنه عبد الله للنبيّ ﷺ: هو والله الذّليل وأنت العزيز يا رسول الله، إن أذِنْتَ لي في قتله قتلته، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أحد أبرّ بوالده منّي، ولكني أخشى أن تأمر به رجلًا مسلمًا فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي على الأرض حيًا حتى أقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار؛ فقال النبيّ ﷺ: «بل تحسن صحبته ونترفّق به ما صحبنا، ولا يتحدّث الناس أنّ محمّدًا ﷺ يقتل أصحابه، ولكن برّ أباك وأحْسِن صحبته». اهـ.

قوله: (وقد مرّ) أي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥٣].

وردت الأخبار بذكر السبعين وكلها تدلّ على الكثرة لا على التحديد والغاية، ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد أن العدد قليل وكثير، فالقليل ما دون الثلاث، والكثير الثلاث فما فوقها، وأدنى الكثير الثلاث وليس لأقصاه غاية. والعدد أيضًا نوعان: شفع ووتر، وأول الأشفاع اثنان، وأول الأوتار ثلاثة، والواحد ليس بعدد، **(والسبعة أول الجمع الكثير)** من النوعين لأن فيها أوتارًا ثلاثة وأشفاعًا ثلاثة، والعشرة كمال الحساب لأن ما جاوز العشرة فهو إضافة الآحاد إلى العشرة كقولك «اثنا عشر وثلاثة عشرة» إلى «عشرين»، والعشرون تكرير العشرة مرتين، والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك إلى مائة، فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه، وكمال الحساب والكثرة منه، فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لأقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى اليأس من المغفرة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ولا غفران للكافرين ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن الإيمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان.

قوله: (والسبعة أول الجمع الكثير). . . الخ. بيانه أن الستّة عند الحساب عدد تامّ، والعدد التامّ عندهم ما ساوى مجموع كسوره المنطقة وما عداه زائدًا أو ناقص، وكسوره سدس وهو واحد وثلث وهو اثنان ونصف، وهو ثلاثة ومجموعها ستّة، فإذا زِيد عليها واحد كانت أتمّ في الكمال، ولذا قال ابن عيسى الربعيّ: السبعة أكمل الأعداد؛ لأن الستّة أوّل عدد تامّ، وهي مع الواحد سبعة، فكانت كاملة؛ إذ ليس بعد التّمام سوى الكمال، ولذا سمّي الأسد سبعًا لكمال قوّته، والسبعون غاية الغاية؛ إذ الآحاد غايتها العشرات. وقال العلّامة القاضي البيضاوي في شرح المصابيح: السبعة تُستعمل في الكثرة، يقال: سبّع الله أجرك، أي كثّره، وذلك أن السبعة عدد كامل جامع لأنواع العدد كلّه؛ إذ الأعداد إمّا زوج أو فرد، وإمّا زوج زوج وإما زوج فرد؛ فالزوج هو الاثنان، والفرد هو الثلاثة، وزوج الزوج هو الأربعة، وزوج الفرد هو الستّة، والواحد[1] ليس من

---

(١) وذلك لأن الوحدة تقابل الكثرة لغة وعرفًا، فالمناسب عدم دخول الواحد في العدد لئلا يفوت المقابلة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المنافقون الذين استأذنوا رسول الله ﷺ فأذن لهم وخلّفهم بالمدينة في غزوة تبوك، أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم عن الغزو ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مخالفة له وهو مفعول له، أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له ﴿وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله، وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين (تثبيطًا) ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ استجهال لهم لأن مَن تصوّن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصوّن في مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل.

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ أي فيضحكون قليلًا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويبكون كثيرًا جزاء في العقبى، إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيرهُ. يُروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا (لا يرقأ)

الأعداد عندهم، لكنه منشأ العدد؛ فالسبعة ستّة وواحد، فهي مشتملة على جملة أنواع العدد ومنشئها؛ فلهذا استعمل في التكثير. اهـ. وقيل: إنها جامعة للعدد، لأنه ينقسم إلى فرد وزوج وكلّ منهما إمّا أوّل وإمّا مركّب، فالفرد الأوّل الثلاثة، والمركب الخمسة، والزوج الأوّل اثنان، والمركب أربعة، وينقسم إلى منطق كأربعة وأصمّ كستّة، والسبعة تشتمل جميعها، فإذا أُريد المبالغة جُعِلت آحادها عشرات، ثم عشراتها مئات، وهذه مناسبات ليس البحث فيها من دأب التحصيل. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (تثبيطًا) التثبيط: التعويق.

قوله: (لا يرقأ) أي لا يسكن، وبابه قطع.

لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من النفاق ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ أي ردّك من تبوك. وإنما قال: ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ لأن منهم مَن تاب من النفاق ومنهم مَن هلك ﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ إلى غزوة بعد غزوة تبوك ﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا﴾ (وبسكون الياء: حمزة وعلي وأبو بكر) ﴿وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾ ﴿مَعِيَ﴾ حفص ﴿إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ أول ما دعيتم إلى غزوة تبوك ﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ مع مَن تخلّف بعد.

وسأل ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنًا أن يكفن النبيّ ﷺ أباه في قميصه ويصلّي عليه فقبل، فاعترض عمر ﵁ في ذلك فقال ﵇: «ذلك لا ينفعه وإني أرجو أن يؤمن به ألف من قومه» فنزل:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

(﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم﴾) من المنافقين يعني صلاة الجنازة.

قوله: (وبسكون الياء: حمزة وعليّ) الكسائي، (وأبو بكر) شعبة عن عاصم. والباقون بالفتح.

قوله: (﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم﴾)... الخ. هذه الآية صريحة في أنه لا يجوز الصلاة على الكافر بحال؛ إذ قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُم﴾ [التوبَة: الآية ٨٤] الضمير فيه عائد إلى الكافر، ومات مجرور المحل على أنه صفة لأحد، وأبدًا يحتمل أن يكون ظرف ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ [التوبَة: الآية ٨٤] أي لا تصلّ عليهم أبدًا، ويحتمل أن يكون ظرف مات أبدًا؛ لأن إحياء الكَفَرة للتعذيب دون التمتّع، فكأنّهم ميّتون أبدًا، كذا في الحسيني. والأول هو المذكور في المدارك، والثاني هو المذكور في البيضاويّ، وإنما اختاره لأنه على التقدير الأوّل يجوز أن يكون النفي راجعًا إلى القَيْد، فيفهم جواز الصلاة عليه في بعض الأحوال، وهو باطل. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ﴾ [التوبَة: الآية ٨٤] عطف على ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ [التوبَة: الآية ٨٤]، أي لا تقف على قبره للدفن أو الزيارة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ﴾ [التوبَة: الآية ٨٤] إلى آخره تعليل لتأبيد الموت، أو لعدم جواز الصلاة والقيام على القبر. ومعنى

....

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] وهم كافرون؛ لأن الصلاة على الفاسق جائز بإجماع الصحابة والتابعين، ومضى عليه العلماء الصالحون، وهو مذهب أهل السنّة والجماعة، وإنما اختلف فيه الروافض خاصّة، فيجب حَمْله على معنى الكفر؛ إذ هو الفسق المُطلق، وقد شاع استعماله في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ﴾ [السّجدة: الآية ١٨] وغيره، ولمّا علّل الله تعالى على عدم جواز الصلاة بمجموع الكفر والموت، وكان حُسْن الخاتمة وقُبْحها أمرًا غيبيًّا عنّا حكمنا بأنّ مَن استقرّ على كلمة الإسلام إلى آخر الوقت يجوز الصلاة عليه، وإن كان يحتمل أن يسبق عليه الكتاب ويخرج من الدنيا كافرًا، ومن استقرّ على كلمة الكفر إلى آخر الوقت لم يجز الصلاة عليه، وإنْ كان يحتمل أن يسبق عليه الكتاب فيموت مؤمنًا، ثم في هذا التعليل دليلٌ على جواز الصلاة على المؤمنين؛ لأن سبب عدم جواز الصلاة هو الكفر والموت عليه.

وأمّا فرضيّة أو كونه كفاية، فقد ثبت بالسنّة المشهورة وليس في القرآن آية يستدلّ بها على فرضية صلاة الجنازة على المؤمنين سوى هذه. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]، فلا يدلّ عليها، فإنّ المراد بالصلاة ثمّة الدعاء في حالة الحياة؛ إذ الضمير في عليهم راجع إلى قوم مخصوص كانوا أحياء لم يلتفت إليهم رسول الله ﷺ، ولم يأخذ من أموالهم صدقة، فأمر بأخذ الصدقة منهم وبالدعاء والاستغفار لهم وعفو عصيانهم، فهو المراد ثمّة لا صلاة الجنازة المعروفة على ما سيجيء.

لا يقال: إن صاحب البيضاوي قد صرّح في هذه الآية أيضًا بأنّ المراد من الصلاة الدعاء والاستغفار للميت كما مرّ، فكيف يستدلّ بها على عدم جواز الصلاة على الكافر؟ لأنّا نقول: إنّ الدعاء والاستغفار لمّا مُنع مطلقًا في حقّ الميت الكافر كان مَنْع صلاة الجنازة التي هي أكمل الدعاء أوْلى. ولا يلزم في الآية جمع الحقيقة العرفية والمجاز الذي هو الحقيقة اللغويّة؛ لأن صلاة الجنازة في الحقيقة دعاء واستغفار، فكان المراد هو الدعاء لا غير، وإنّما صلاة الجنازة فرد من أفراده. والأَوْلى أنّ مَنْع الدعاء والاستغفار مطلقًا يُفْهم من آيات أُخر، وهذه الآية في دعاء مخصوص هو صلاة الجنازة. وممّا ينبغي أن يُعلم في هذا المقام أنّ الفقهاء ذكروا

(رُوِيَ أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرّك بثوب النبيّ ﷺ) ﴿مَّاتَ﴾ صفة لـ ﴿أَحَدٍ﴾ ﴿أَبَدًا﴾ ظرف لـ ﴿تُصَلِّ﴾ وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا دفن الميت

أنّ الصلاة لا تجوز على الكافر بحال، وإنْ كان له وليّ مسلم، حتى قالوا: إنه فيمن اشتبه عليه أنه مؤمن أو كافر لا يُصلّى عليه؛ لأن الصلاة على الكافر لا تجوز بحال، وترك الصلاة على المؤمن جائز في الجملة بخلاف غيرها من الأحكام، فإنه إذا مات كافر وله وليّ مسلم يغسله مثل غسل النجاسة، لا كالغسل المسنون، ويكفّن في خرقة تستر عورته، لا أن يكفّنه بالطريق المسنون، ويحفر حفرة ويُلقيه فيها، لا أن يحفر القبر ويلحد فيه ويدفن بالطريق المسنون؛ هذا ما قالوا. ولا يردّ عليهم أنّ الله تعالى كما منعهم عن الصلاة عليه بقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبَة: الآية ٨٤] كذلك مَنَعهم عن القيام على القبر للدفن والزيارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبَة: الآية ٨٤] على ما ذكرت آنفًا؛ لأنّا نقول: النهي مخصوص بالنبيّ عليه السّلام، أو نقول: إنه نهي عن الدَّفن والزيارة، وما ذكرت من إلقاء الكفرة في الحفرة إلقاء لا دفن له؛ إذ المطلوب ترك تعظيمهم وترك استغفارهم، وهما موجودان ح. لكن بقي شيء وهو أنّ المسألة المذكورة تدلّ على أنه إن لم يكن له وليّ مسلم لا يجوز أن يُقبر، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبَة: الآية ٨٤] يدلّ على أنه يجوز أن يُقبر، وإنما المنع قيام المسلم للدّفن والزيارة، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (رُوِيَ أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرّك بثوب النبيّ ﷺ). في تفسير روح البيان للفاضل الكامل إسمٰعيل حقّي رحمة الله عليه: رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ رئيس المنافقين عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول دعا رسول الله ﷺ في مرضه، فلمّا دخل عليه سأله أن يستغفر له ويصلّي عليه إذا مات ويقوم على قبره، ثم إنه أرسل إليه عليه السلام يطلب منه قميصه ليكفّن فيه، فأرسل إليه القميص الفوقاني، فردّه فطلب الذي يلي جلده، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: تعطي قميصك للرجس النجس، فقال عليه السلام: «إنّ قميصي لا يُغني عنه من الله شيئًا، وأرجو من الله تعالى أن يدخل به ألف في الإسلام»؛ وذلك أنّ المنافقين كانوا لا يُفارقون ابن أُبيّ، فلما رأوه يطلب منه عليه السلام قميصه يتبرّك به، ويرجو أن ينفعه القميص في دفع عذاب الله وجلب رحمته

وقف على قبره ودعا له فقيل: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ تعليل للنهي أي أنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله

وفضله أسلم ألف من الخزرج، وإنما قال عليه السلام: «إنّ قميصي لا يُغني» لعدم الأساس الذي هو الإيمان، ومثله إنما يؤثر عند صلاح المحلّ، ويدلّ عليه قوله عليه السلام: «ادفنوا موْتاكم وسط قوم صالحين، فإنّ الميت يتأذّى بجار السوء كما يتأذّى الحيّ بجار السوء»، وما يُروى: «الأرض المقدّسة لا تقدّس أحدًا، إنما يقدّس المَرْء عمله»، وقد ثبت أنّ عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه لمّا قتل سفيان بن خالد الهذلي ووضع بين يديه عليه السلام دفع إليه عصًا كانت بيده، وقال: «تحضر بهذه في الجنّة»، أي توكأ عليها، فكانت تلك العصا عنده، فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يجعلوها بين جلده وكفنه، ففعلوا. وثبت أنه عليه السلام حلق رأسه الشريف معمر بن عبد الله فأعطى نصف شعر رأسه لأبي طلحة، وفرّق النصف الآخر بين الأصحاب شعرة وشعرتين، فكانوا يتبرّكون بها وينصرون ما داموا حاملين لها، ولذا قال في الأسرار المحمّدية: لو وُضِع شعر رسول الله ﷺ أو عصاه على قبر عاصٍ لنجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإنْ كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب سكّانها بلاء ببركته، وإن لم يشعروا به، ومن هذا القبيل ماء زمزم والكفن المبلول به وبطانة أسار الكعبة والتكفّن بها وكتابة القرآن على القراطيس والوضع في أيدي الموتى، انتهى.

أقول: إن قلت: قد ثبت أن في خزانة السلاطين خصوصًا في خزانة آل عثمان شيئًا مما يتبرّك به من خرقة النبيّ عليه السلام وغيرها، ورأيناهم قد لا يُنصرون ومعهم شيء من لوائه عليه السلام، ويصيب بلدتهم آفات كثيرة. قلت: ذلك لهتكهم الحُرمة، ألا ترى أن مكّة والمدينة كان لا يدخلهما طاعون، فلمّا هتك السكّان حرمتهما دخلهما، والله الغفور.

فلمّا مات ابن أُبي انطلق ابنه، وكان مؤمنًا صالحًا إلى النبيّ ﷺ ودعاه إلى جنازة أبيه، فقال عليه السلام: «ما اسمك»؟ قال: الحباب بن عبد الله، فقال عليه السلام: «أنت عبد الله بن عبد الله، إن الحباب هو الشيطان» أي اسمه ـ كما في القاموس ـ ثم قال: «صلِّ عليه وادفنه»، فقال: إن لم تصلِّ عليه يا رسول الله لا يصلّي عليه مسلم، أنشدك الله أن لا تشمّت بي الأعداء، فأجابه عليه السلام تسليةً

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم، ولأن كل آية في فرقة غير الفرقة الأخرى.

له ومراعاةً لجانبه، فقام ليصلّي عليه، فجاء عمر رضي الله تعالى عنه فقام بين رسول الله ﷺ وبين القبلة لئلّا يصلّي عليه، وقال: أتصلّي على عدوّ الله القائل كذا وكذا يوم كذا وكذا، وعدّ أيّامه الخبيثة؛ فنزلت الآية. وأخذ جبريل عليه السلام بثوبه، وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: الآية ٨٤]، فأعرض عن الصلاة عليه؛ وهذا يدلّ على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله تعالى عنه، فإنّ الوحي كان ينزل على وِفْق قوله في آياتٍ كثيرة منها هذه الآية، وهو منصبٌ عالٍ ودرجة رفيعة له في الدِّين؛ فلذا قال عليه السلام في حقِّه: «لو لم أُبعث لبعثت نبيًّا يا عمر»، وقال: «إنه كان فيما مضى قبلكم من الأُمم محدثون فإنه إن كان في أُمّتي هذه فإنه عمر بن الخطّاب» رضي الله تعالى عنه. والمُحدَّث ـ بفتح الدال المشدّدة ـ هو الذي يلقى في نفسه الشيء فيخبر به فراسةً، وهي الإصابة في النظر، ويكون كما قال، وكأنه حدّثه الملأ الأعلى، وهذه منزلةٌ جليلة من منازل الأولياء، ولم يردّ النبيّ عليه السلام بقوله: «إن كان في أُمّتي» التردّد في ذلك؛ لأن أُمّته أفضل الأُمم وإذا وجد في غيرها محدثون ففيها أوْلى، بل أراد به التأكيد لفضل عمر، كما يقال: إن يكن لي صديق فهو فلان، يُراد به اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي سائر الأصدقاء، وقد قيل في فضيلة عمر رضي الله تعالى عنه:

له فضائل لا تخفى على أحدٍ إلا على أحد لا يعرف القمرا

وكذا في شرح المشارق لابن مالك.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: إنه عليه السلام رغب في أن يصلّي عليه بعد أن عَلِم أنه كافر مات على الكفر، وأن صلاته عليه دعاءٌ له بالمغفرة، وقد مَنَعه الله من أن يستغفر للمشركين، وأعلمه أنه لا يغفر للكفار، وأيضًا الصلاة عليه ودفع قميصه إليه تُوجب إعزازه، وهو مأمور بإهانة الكفار.

فالجواب أن الخبيث لما طلب منه أن يُرسل إليه قميصه الذي يمسّ جلده الشريف ليُدفن فيه غلب على ظنّه أنه قد تاب عن نفاقه وآمن؛ لأن ذلك الوقت

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ يجوز أن يراد سورة بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ بأن آمنوا **(أو هي «أن» المفسرة)** ﴿وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ ذوو الفضل والسعة ﴿وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ مع الذين لهم عذر في التخلّف **(كالمرضى والزمنى)** ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ أي النساء جمع «خالفة» ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ

وقت توبة الفاجر وإيمان الكافر، فلما رأى منه إظهار الإسلام وشاهد منه هذه الأمارات الدالّة على إسلامه غلب على ظنّه أنه صار مسلمًا، فرغب في أن يصلّي عليه، فلمّا أتى جبريل وأخبره بأنه مات على كُفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه. وقيل: نزلت الآية بعدما صلّى ولبث يسيرًا، فما صلّى بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره. وأمّا دفع القميص إليه، فذكروا فيه وجوهًا، منها: أن العباس عمّ النبيّ عليه السلام لما أُخذ أسيرًا يوم بدر ولم يجدوا له قميصًا يُساوي قدّه، وكان رجلًا طويلًا، كساه عبد الله قميصه، فهو عليه السلام إنما دفع إليه قميصه مكافأة لإحسانه ذلك لا إعزازًا له. ومنها: أنه تعالى أمره أن لا يردّ سائلًا، حيث قال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: الآية ١٠]، فالضنة بالقميص وعدم إرساله سيّما وقد سُئِل فيه مخلّ بالكرم. ومنها: أنه لعلّه أُوحي إليه أنك إن دفعت إليه قميصك صار ذلك حاملًا لدخول ألف نفرٍ من المنافقين في الإسلام، فعل ذلك بناءً عليه، والله أعلم بحقيقة الحال وما علينا إلا القبول وطيّ المقال، وهو الهادي إلى طريق التحقيق. اهـ.

قوله: (أو هي «أن» المفسرة) لأنه قد تقدّمها ما هو بمعنى القول، وعلى الأوّل كانت مصدريّة على حذف حرف الجرّ، وفي قوله: ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ﴾ [التوبة: الآية ٨٦] التفات من الغَيْبة إلى الخطاب، ومقتضى الظاهر أن يقال: استأذنه بناء على لفظ رسوله. **قوله: (كالمرضى)** جمع مريض. **قوله: (والزمنى)** جمع زَمِن بفتح الزاي وكسر الميم وهو المقعد.

قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليهم لاختيارهم الكفر والنفاق ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما في الجهاد من الفوزوالسعادة وما في التخلّف من الهلاك والشقاوة.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أي إن تخلّف هؤلاء فقد (نهض) إلى الغزو من هو خير منهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ تناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ. وقيل: الحور لقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ﴾ [الرحمـٰن: الآية ٧٠] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل مطلوب ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ قوله: ﴿أَعَدَّ﴾ دليل على أنها مخلوقة.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿(وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ) مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ هو من عذّر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى، وحقيقته أن يوهم أن له عذرًا فيما فعل ولا عذر له، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل: هم (أسد وغطفان) قالوا: إن لنا عيالًا وإن بنا (جهدًا) فأذن لنا

قوله: (نهض) قام، وبابه قطع وخضع.

قوله: (﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾) في الإتحاف: واختلف في ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبَة: الآية ٩٠]، فيعقوب بسكون العين وكسر الذال مخفّفة من أعذر يعذر، كأكرم يُكرم، وافقه الشنبوذي. والباقون بفتح العين وتشديد الذال إمّا من فعل مضعفًا بمعنى التكلّف، والمعنى: أنه يوهم أنّ له عذرًا ولا عُذر له، أو من افتعل، والأصل اعتذر، فأُدغمت الدال في الذال. **قوله:** (أسد وغطفان) هما قبيلتان معروفتان من العرب. **قوله:** (جهدًا) الجهد المشقّة التي تلحقهم بمفارقة الأهل.

في التخلّف ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ من الأعراب ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار.

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾﴾

(﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ **الهرمى**) والزمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ هم الفقراء من (مزينة وجهينة وبني عذرة) ﴿حَرَجٌ﴾ إثم وضيق في التأخر ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ بأن آمنوا في السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ المعذورين الناصحين ﴿مِن سَبِيلٖۚ﴾ أي لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ يغفر تخلفهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم.

قوله: (﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾)... الخ. قد ذكرت فيما سبق أنّ ثلاثة آيات ناسخة لقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة: الآية ٤١]، وهذه الآية أوْلى منها. والمعنى: ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما يُنفقون لفقْرهم ـ كجُهَيْنة وبنو عُذْرة ـ ﴿حَرَجٌ﴾ [التوبة: الآية ٩١] إثم في التأخير إذا نصحوا لله ورسوله بالإيمان والطاعة في السرِّ والعلانية، كما يفعل الموالي الناصح، على ما في الكشاف والمدارك، أو بما قدروا عليه فعلًا أو قولًا يعود على الإسلام والمسلمين بالصّلاح، على ما في البيضاوي، آخرًا بإظهار معذرته للتخلّف من أصحابه حتى لا يجترىء به غيره، على ما في الزاهدي. أو بإصلاح الفعل مع إخلاص النيّة، على ما في الحسينيّ. وبالجملة، فيُوضع من هؤلاء المذكورين الجهاد.

والمرضى في هذه الآية مقابل بالضعفاء، فلعلّ الضعفاء هم الشيخ الفاني وأمثاله، والمرضى شامل للأعمى والأعرج والمريض جميعًا بخلاف ما في قوله

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ لتعطيهم (الحمولة) ﴿قُلۡتَ﴾ حال من الكاف في ﴿أَتَوۡكَ﴾ و«قد» قبله مضمرة أي إذا ما أتوك قائلًا ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ﴾ هو جواب «إذا» ﴿وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ أي تسيل كقولك: «تفيض دمعًا» وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض و«من» للبيان كقولك: «أفديك من رجل»، ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز، ويجوز أن يكون ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ﴾ استئنافًا كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل: ما لهم تولوا باكين؟ فقيل: ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض ﴿حَزَنًا﴾ مفعول له ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ لئلّا يجدوا ما

تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النُّور: الآية ٦١]، ولهذا وحّد هذا وجمع ثمّة، هكذا يخطر بالبال. ومعنى قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: الآية ٩١] ليس عليهم جُناح ولا إلى مُعاتبتهم سبيل، فوضع المُحسنين موضع المضمر للدّلالة على إحسانهم، وكلام صاحب الهداية يدلّ على أنّ المعنى: ما على الناصحين غُرم وحجّة، ولذا قال في بيان مذهب أبي يوسف ومحمّد رحمهما الله: أنّ مَنْ أرسل صيدًا من يد المحرم لا ضمان عليه؛ لأنه آمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، وما على المُحسنين من سبيل؛ هذا لفظه. وعند أبي حنيفة رحمه الله: يضمن لأجل المُلك على ما هو أصله، وأصلهما في سائر آيات البدع واللّهو، وهذا فصل يطول شرحه، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (الهرمى) جمع هَرِم ـ بفتح الهاء وكسر الراء ـ وهو الضعيف من كبر السّنّ. **قوله:** (مُزَيْنة وجُهَيْنة) بوزن التصغير فيهما (وبني عُذْرة) مجموعها اسم قبائل.

قوله: (الحمولة) ـ بالفتح ـ الإبل التي تحمل. اهـ مختار الصّحاح.

ينفقون ومحله نصب على أنه مفعول له، وناصبة ﴿حَزَنًا﴾ والمستحملون (أبو موسى الأشعري وأصحابه، والبكاؤون) وهم ستة نفر من الأنصار.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في التخلّف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ وقوله: ﴿رَضُوا۟﴾ استئناف كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء؟ فقيل: رضوا ﴿بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي بالانتظام في جملة الخوالف ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

قوله: (أبو موسى الأشعري) هو عبد الله بن قيس بن سُليم بن حضّار بن بكر بن عامر بن عذَر بن وائل بن ناجية بن جماهر بن الأشعر، وهو نَبْت بن أُدد بن زيد بن يَشْجُب بن يُعرب بن قحطان، أبو موسى الأشعري الصحابي الكوفي. قَدِم على رسول الله ﷺ مكّة قبل هجرته إلى المدينة فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ مع أصحاب السفينتين بعد فتح خيبر، فأسهم لهم منها ولم يُسهم منها لأحد غاب عن فتحها غيرهم. قال الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود السّجستاني في كتابه شريعة القاري: لأبي موسى مع حُسْن صوته بالقرآن فضيلة ليست لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ: هاجر ثلاث هجرات: هجرة من اليمن إلى رسول الله ﷺ، وهجرة من مكّة إلى الحبشة، وهجرة من الحبشة إلى المدينة. قال غيره: واستعمله رسول الله ﷺ على زَبيد وعَدَن وساحل اليمن. رُوِي له عن رسول الله ﷺ ثلاثمائة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على خمسين، وانْفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة عشرة. توفي بالكوفة سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

قوله: (وأصحابه) من أهل اليمن. **قوله:** (والبكّاؤون) جمع بكّاء بصيغة المبالغة، وهم جماعة من الصحابة لم يكن لهم قدرة على ما يركبون للغزو مع النبيّ ﷺ طلبوا منه ذلك، فلمّا أجابهم بكوا وحزنوا حزنًا شديدًا، فاشتهروا بهذا، وتفصيلهم في سيرة ابن هشام.

يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ يقيمون لأنفسهم عذرًا باطلًا ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من هذه (السَّفْرة) ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ بالباطل ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم وهو علة للنهي عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ علة لانتفاء تصديقهم لأنه تعالى إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وما في ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ (أتنيبون) أم تثبتون على كفركم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي تردون إليه وهو عالم كل سر وعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم على حسب ذلك.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لتتركوهم ولا توبخوهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فأعطوهم طلبتهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ تعليل لترك معاتبتهم أي أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم لأنهم أرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ ومصيرهم النار يعني وكفتهم النار عتابًا وتوبيخًا فلا تتكلّفوا عتابهم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي يجزون جزاء كسبهم ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ أي غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطًا عليهم وكانوا (عرضة) لعاجل عقوبته وآجلها، وإنما قيل ذلك لئلا يتوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم.

قوله: (السَّفْرة) بفتح السين وسكون الفاء. **قوله:** (أتنيبون) من الإنابة.

قوله: (عرضة)[1] أي نُصبًا.

---

(١) العُرْضة فُعْلة بمعنى المفعول، كالقبضة يطلق لما يُعْرض دون الشيء، وللمعرَّض للأمر. اهـ بيضاوي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿ٱلْأَعْرَابِ﴾ (**أهل البدو**) ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل (**الحضر**) لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوٓا۟﴾ وأحق بأن لا يعلموا ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ يعني حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله عليه السلام: «إن (**الجفاء بالمدّ والقسوة في الفدادين**» **يعني الأكرة لأنهم يفدون**) أي يصيحون في حروثهم والفديد الصياح ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إمهالهم.

قوله: (أهل البدو) إشارة إلى أن الأعراب، وإن كان على صورة الجمع، نحو حجر وأحجار إلّا أنه ليس جمعًا لعرب، وإلّا لزم أن يكون الجمع أخصّ من الواحد، فإنّ العرب هو الصّنف الخاص من بني آدم، سواء سكن البوادي أم سكن القرى. وأمّا الأعراب، فلا يُطلق إلّا على مَنْ يسكن البوادي فقط، فعلى هذا يكون العرب أعمّ من الأعراب. وقيل: العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى، والأعراب أهل البدو؛ فعلى هذا هما متباينان. قال أهل اللغة: يقال: رجل عربيّ إذا كان نسبته إلى العرب، وجمعه العرب، كما يقال: مجوسيّ ويهوديّ، ثم تُحذف ياء النسبة في الجمع، فيقال: مجوس ويهود، ورجل أعرابي بالألف إذا كان بدويًّا يطلب مساقط العشب والكلأ، سواء كان من العرب أو من مواليهم، ويُجمع على الأعراب. والأعرابي إذا قيل له: يا عربيّ فَرِح، والعربي إذا قيل له: يا أعرابيّ غَضِب، فمَن استوطن القرى العربية فهم عرب، ومَن نزل البادية فهم أعراب، ويدلّ على الفرق قوله: «حبّ العرب من الإيمان». وأمّا الأعراب، فقد ذمّهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية، فقد ظهر بما قرّرنا أنّ الأعراب جمع أعرابيّ، وقد تقرّر أن الأصل في الجمع المحلّى بالألف واللام أن ينصرف إلى المعهود السابق، فإن لم يوجد المعهود السابق حُمل على الاستغراق للضرورة؛ إذ لو لم يُحمل عليه لزم الإجمال، فلذلك قال بعض العلماء: المراد بالأعراب هٰهنا جمع معيّنون من منافقي العرب يُوالون منافقي المدينة، فصرفوا هذا اللّفظ إليهم.

وفي التيسير: إنّ هذه الآية تتصل بقوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [التوبَة: الآية ٩٠]، أي أنّ سكان البوادي إذا كانوا كفّارًا أو منافقين، فهم أشدّ كفرًا

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٩٨﴾

﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ أي يتصدّق ﴿مَغۡرَمٗا﴾ **(غرامة وخسرانًا)** لأنه لا ينفق إلا تقيّة من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾) أي دوائر الزمان وتبدل الأحوال بدور الأيام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ أي عليهم تدور المصائب

ونفاقًا من أهل الحضر؛ وذلك لأن أهل البدو يشبهون الوحوش، فهم مجبولون على الامتناع عن الطّاعة والانقياد، ولأن استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم يزيد قساوة قلوبهم، ولأن مَنْ لم يدخل تحت تأديب مؤدّب ولم يُخالط أهل العلم والمعرفة، ولم يستمع لكتاب الله تعالى ومواعظ رسوله ﷺ بآياته الشافية، كيف يكون مساويًا لمن أصبح وأمسى في صُحبة أهل العلم والحكمة، مُستمعًا لمواعظ الأحكام والكتاب والسنّة؟ وإن شئت أن تعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية، فقابل الفواكه الجبليّة بالفواكه البستانيّة، ومَنْ كانوا أبعد عن سماع القرآن والسّنن وكانوا أجدر وأوْلى وأحقّ بأن لا يعلموا حدود العبادات والشرائع المنزلة على رسول الله ﷺ.

قوله: (الحضر) ـ بفتحتين ـ خلاف البادية. **قوله: (الجَفاء بالمدّ)** وهو ضدّ الوفاء، والمراد هنا غلظ الألسنة **(والقسوة في الفدادين)** بالتشديد **(يعني الأكرة)** في المصباح: أكرت الأرض حرثتها، واسم الفاعل أكّار للمبالغة، والجمع أكرة، كأنه جمع آكر وزان كفرة جمع كافر. اهـ. **(لأنهم يَفِدون)** في مختار الصحاح: الفديد الصوت، وقد فدّ الرجل يَفِدّ ـ بالكسر ـ فديدًا، ورجل فدّاد ـ بالفتح والتشديد ـ أي شديد الصوت. اهـ.

قوله: (غرامة وخسرانًا) إشارة إلى أن المغرم مصدر بمعنى الغرامة، وهي التزام ما لا يلزم، وهو لا يكون إلّا بضياع رأس المال، فلذلك عطف عليه قوله: وخسرانًا، وأصلها الملازمة، ومنها الغريم للزومه. **قوله:** (﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ﴾) التربّص الانتظار، والدوائر جمع دائرة وهي ما يُحيط بالإنسان من مصيبة ونكبة، فمعنى تربّص الدوائر انتظار المصائب بأن ينقلب الزمان على المسلمين بموت

والحروب التي يتوقعون وقوعها في المسلمين. (﴿السُّوء﴾ مكيّ وأبو عمرو وهو العذاب)، و(﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح ذم للدائرة) كقولك: «رجل سوء» في مقابلة قولك: «رجل صدق» ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرونه.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في الجهاد والصدقات ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ أسبابًا للقربة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُ﴾ ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي دعاءه لأنه ﷺ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم (كقوله: «اللهم صلّ على آل أبي أوفى») ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي النفقة أو صلوات الرسول ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ (﴿قُرُبَةٌ﴾ نافع). وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه، والتحقيق المؤذنين بثبات الآمر وتمكنه، وكذلك ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ أي جنته وما في السين من تحقيق الوعد، وما أدلّ هذا

الرسول ﷺ، وغَلَبة الكفار عليهم. قوله: (﴿السُّوء﴾) بضمّ السين (مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وأبو عمرو) البصريّ، (وهو) أي بمعنى المضموم (العذاب) والضّرر والبلاء. والباقون (﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بالفتح) وهو (ذمّ للدائرة) والإضافة فيه مِنْ إضافة الموصوف إلى صفته، وصفت الدائرة بالمصدر في الأصل للمبالغة، كما في نحو: رجل عدل، ثم أُضيفت إلى صفتها؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم: الآية ٢٨].

قوله: (كقوله) ﷺ (اللهمّ صلّ على آل أبي أوفى) أخرجه أصحاب الستة غير الترمذي، أَوْفى - بفتح الهمزة والفاء والقصر - والد عبد الله وزيد ابني أبي أَوْفى، اسمه علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم بن قُصَيّ بن حارثة الأسلميّ، من أصحاب بَيْعة الرّضوان. رَوَى له البخاري وهو آخر مَنْ بَقِيَ مِنَ الصحابة رضوان الله عليهم بالكوفة. توفي سنة سبع وثمانين. قوله: (﴿قُرُبَةٌ﴾) بضم الراء (نافع) والباقون بسكونها.

الكلام على رضا الله من المتصدقين، وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يستر عيب المخلّ ﴿رَّحِيمٌ﴾ يقبل جهد (المُقلّ).

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ صفة لهم ﴿مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ تبيين لهم وهم الذين صلّوا إلى (القبلتين)، أو الذين شهدوا بدرًا (أو بيعة الرضوان) ﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ عطف على ﴿ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ أي ومن الأنصار (وهم أهل بيعة العقبة الأولى) وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ من المهاجرين والأنصار فكانوا سائر الصحابة.

قوله: (المُقِلّ) أي الفقير.

قوله: (القبلتين) إحداهما: البيت الحرام، والأخرى: بيت المقدس. **قوله:** (أو شهد (بيعة الرضوان) بالحديبية، سُمّيت بيعة الرضوان لقوله تعالى في حقّهم: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: الآية ١١٩].

قوله: (وهم أهل بيعة العقبة الأُولى) كانت في سنة إحدى عشرة من البعثة، والثانية في سنة اثنتي عشرة، وفي عدد مَنْ بايع بها، وذكره بسط في السِّيَر. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. وهي عقبة منى التي يُرمى بها الجمار في الحجّ. اهـ مجمع البحار. وفي سفينة الراغب ودفينة المطالب للإمام الراغب من شرح البخاري للكرماني عليه الرحمة: اعلم أنّ رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم، فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطًا من الخزرج، فقال: «ألا تجلسون أكلّمكم»؟ قالوا: بلى، فجلسوا فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، وكانوا قد سمعوا من اليهود أنّ النبيّ عليه السّلام قد أظلّ زمانه، فقال بعضهم لبعض: والله إنه لذاك، فلا يسبقنّ اليهود عليكم؛ فأجابوه، فلمّا انصرفوا إلى بلادهم وذكروه لقومهم فَشَا أمر رسول الله ﷺ فيهم، فأتى في العام القابل اثنا عشر رجلًا إلى الموسم من الأنصار أحدهم عبادة بن الصامت، فلقوا رسول الله ﷺ

....

بالعقبة، وهي بيعة العقبة الأولى، فبايعوه بيعة النساء، يعني ما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [المُمتَحنَة: الآية ١٢]، ثم انصرفوا. وخرج في العام الآخر سبعون رجلًا إلى الحجّ، فواعَدهم عليه السلام العقبة أوْسط أيّام التشريق، قال كعب بن مالك: لمّا كانت اللّيلة التي واعدنا فيها، بتنا أوّل اللّيل مع قومنا، فلمّا استقبل الناس من النّوم تسلّلنا من فُرُشِنا حتى اجتمعنا بالعقبة، فأتانا رسول الله ﷺ مع عمّه العبّاس، فقال العبّاس: يا معشر الخزرج، إنّ محمّدًا حيث علمتم، في منعة ونصرة من قومه وعشيرته، وقد أبى إلّا الانقطاع إليكم، فإن كنتم وَافِين بما وعدتموه فأنتم وما تحمّلتم، وإلّا فاتركوه في قومه؛ فتكلّم رسول الله ﷺ داعيًا إلى الله ومرغّبًا في الإسلام وتاليًا للقرآن، فأجبناه بالإيمان، فقال: «إني أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتم به آباءكم»، فقلنا: ابْسِط يديك نُبايعك عليه، فقال عليه السلام: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبًا»، فأخرجنا من كل فرقة نقيبًا، وكان عبادة نقيب بني عوف، وهذه بيعة العقبة الثانية. اهـ.

وفي تفسير الخازن: وأمّا السابقون من الأنصار، فهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وهي العقبة الأولى، وكانوا ستّة نفر: أسعد بن زُرارة، وعوف بن مالك، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رباب. ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل، وكانوا اثني عشر رجلًا، ثم أصحاب العقبة الثالثة، وكانوا سبعين رجلًا، منهم: البراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، وسعد بن عُبادة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة؛ فهؤلاء سبّاق الأنصار. اهـ.

وفي تاريخ الخميس: في السنة الحادية عشرة من النبوّة كان ابتداء إسلام الأنصار، رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يخرج ويتبع آثار الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز في الموسم، ويقول: «مَنْ يُؤْويني؟ مَنْ ينصرني حتى أبلغ رسالة ربّي، فله الجنّة». وفي سيرة مغلطاي: فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة، فيردّونه أقبح ردّ، ويُؤذونه ويقولون:

....

قومك أعلم بك، وكان ممّن سمّى لنا من تلك القبائل: بنو عامر بن صَعْصَعَة ومحارب بن حفصة وفزارة وغسان ومُرّة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نضر[١] والبكاء وكنده وكعب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة إلى أن أراد الله إظهار دينه، فساقه عليه الصّلاة والسّلام إلى هذا الحيّ من الأنصار، وهو لقب إسلامي لنصرتهم النبيّ ﷺ، وإنما كانوا يسمّون أولاد قَيْلة، والأوس والخزرج، فأسلم أسعد بن زُرارة، وقيس بن ذكوان، انتهى كلام مغلطاي. فخرج في هذا الموسم يعرض نفسه على القبائل، كما كان يصنع في كل موسم، فبَيْنا هو عند العقبة؛ إذ لقي جماعة من الخزرج فقال: «من أنتم»؟ قالوا: من الخزرج، قال: «أفلا تجلسون حتى أُكلّمكم»؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وكان أُولئك قد سمعوا من اليهود أنه قد أظلّنا زمان نبيّ يُبعث.

وفي المواهب اللدنيّة: كان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب، وكان الأوس والخزرج أكثر منهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء، قالوا: إنّ نبيًّا سيُبعث الآن قد أظلّ زمانه نتبعه فنقتلكم معه، فلمّا كلّمهم قال بعضهم لبعض: والله إنه للنبيّ الذي يعدكم به اليهود، فلا يسبقنَّكم إليه، فأسلم منهم ستّة نفر، كلّهم من الخزرج، وهم: أبو أُمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن ذئاب[٢]، فقال لهم النبيّ ﷺ: «تمنعون ظهري حتى أبلّغ رسالة ربّي»، فقالوا: يا رسول الله، إنّما كانت بعاث العام الأوّل يوم مِنْ أيّامنا اقتتلنا به، وإن تقدم، ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا، لعلّ الله يصلح ذات بيننا ندعوهم إلى ما دعَوْتنا وموعدنا وموعدك الموسم العام القابل، وانصرفوا إلى بلادهم، ويسمّى هذا ابتداء إسلام الأنصار ومقتضى ما سنذكره بعد المعراج أن

---

(١) ابن عامر عدي بن نابي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) قوله: ابن ذئاب، وفي نسخة صحيحة ابن رباب، كما في أسد الغابة: جابر بن عبد الله ابن رباب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

تسمّى هذه بيعة العقبة الأُولى، كذا في الوفاء. ولمّا قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فَشَا فيهم الإسلام، فلم يبقَ دار من دُور الأنصار إلّا فيها ذكر رسول الله ﷺ. اهـ.

وأيضًا في تاريخ الخميس بعد ذكر قصة المعراج: وفي السنة الثانية عشر وقعت بيعة العقبة الأُولى، ومقتضى ما قدَّمناه قبل المعراج أن تكون هذه الثانية، كذا في الوفاء والمواهب اللدنيّة. ولمّا كان العام المقبل الموعد، وخرج رسول الله ﷺ عامئذٍ إلى الموسم، فلقيه اثنا عشر رجلًا. وفي الإكليل: أحد عشر رجلًا، وهي العقبة الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورة، وهم أبو أُمامة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي، ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن ذئاب[1] لم يحضرها، والسبعة تتمّة الاثني عشر، هم: معاذ بن الحارث، ورفاعة - وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور - وذكوان بن عبد القيس الزرقيّ، وقيل: إنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكّة فسكنها معه، فهو مهاجريّ أنصاري، قُتل يوم أُحد، وعُبادة بن الصامت بن قيس، وأبو عبد الرحمٰن يزيد بن ثعلبة البلويّ، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة، وهؤلاء من الخزرج. والأوس رجلان: أبو الهيثم بن التَّيْهان من بني عبد الأشهل، وعُويمر بن ساعدة؛ فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء، أي وفق بيعتهنّ التي نزلت بعد فتح مكّة، وهي أن لا نشرك بالله شيئًا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف والسّمع والطاعة في العُسْر واليسر والمَنْشط والمكره، وأثرة علينا أن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحقّ حيث كنّا لا نخاف في الله لَوْمة لائم، قال عليه السلام: «فإن وفَّيْتم فلكم الجنّة، ومَنْ غشَّني وفعل مِنْ ذلك شيئًا كان أمره إلى الله إنْ شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه»، ولم يعرض يومئذ القتال، ثم انصرفوا إلى المدينة، وبعث رسول الله ﷺ معهم مُصعب بن عمير إلى المدينة يعلّم أهلها الأحكام، ويقرىء القرآن؛ فنزل على أسعد بن زُرارة.

---

(١) قوله: ابن ذئاب كذا في نسخة، وفي نسخة صحيحة بإسقاط هذا القول. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وفي المواهب اللَّدنيّة: أظهر الله الإسلام ـ أي في المدينة ـ وكان أسعد بن زُرارة يجتمع بالمدينة بمن أسلم ﷺ وكتبت الأوْس والخزرج إلى النبيّ ﷺ: ابعث إلينا مَنْ يُقرئنا القرآن، فبعث إليهم مُصعب بن عُمير، فأسلم خلقٌ كثير، وفشا الإسلام فيهم، وكتب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم، فأذن له، فجمع بهم في دار سعد بن خيثمة، وكان أوّل مَنْ جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ، ثم قَدِم مُصعب على رسول الله ﷺ مع السبعين الذين وافوه كما سيجيء في العقبة الثانية، فأقام مصعب بمكّة قليلًا ثم قَدِم قبل رسول الله ﷺ المدينة مهاجرًا، فهو أوّل مَنْ قَدِمها، والله أعلم.

وفي ذي الحجّة من السنة الثالثة عشر من النبوّة قبل الهجرة بثلاثة أشهر وقعت بيعة العقبة الكبرى، وبعضهم يسمّيها العقبة الثانية، ومقتضى ما قدّمناه أن تسمّى الثالثة، كذا في الوفاء.

وفي التاريخ الأوسط للبخاري ﷺ: أنّ أهل مكّة سمعوا هاتفًا يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ، وهو يقول:

فإن يسلم السعدان يُصْبِحُ محمّدٌ بمكّة لا يخشى خلاف مخالفِ

وفي رواية:

من الأمن من لا يخشى خلاف مخالف

فقالت قريش: لو عَلِمْنا مَنِ السّعدان؟ قال عند ذلك:

أيا سعد سعد الأوس إن كنت ناصرًا ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيبا إلى داعي الهدى وتمنَّيَا على الله في الفردوس منية عارف

قال أهل السِّيَر: في السنة الثالثة عشر من النبوّة قَدِمَ مكّة في موسم الحجّ قريب من خمسمائة نفر، وفي رواية: ثلاثمائة نفر من الأوس والخزرج، وخرج معهم مصعب بن عمير إلى مكّة، واتّفق منهم سبعون رجلًا. قال ابن سعد: يزيدون رجلًا أو رجلين، وامرأتان[1]: نسيبة بنت كعب أُمّ عمارة، وأسماء بنت

---

(١) قوله: نسيبة هذه ـ بفتح النون وكسر السين ـ قاله الأمير أبو نصر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

عدي بن عمرو. وقال ابن إسحٰق: ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان. وقال الحاكم: خمس وسبعون نفسًا لاقوا رسول الله ﷺ، فواعدهم أن يحضروا شعب العقبة في الليلة الثانية من ليالي التشريق للمبايعة.

وفي الصفوة: جاء قوم من أهل العقبة يطلبون رسول الله ﷺ، فقيل لهم: هو في بيت العبّاس، فدخلوا عليه، فقال لهم العبّاس: إنَّ معكم مِنْ قومكم مَنْ هو مخالفٌ لكم، فأخفوا أمركم حتى يتصدّع هذا الحاجّ ونلتقي نحن وأنتم، فنوضح لكم هذا الأمر، فتدخلون فيه على أمرٍ بيِّن؛ فوعدهم رسول الله ﷺ اللّيلة التي في صبيحتها النفر الآخر. وفي رواية: فواعدوه العقبة من أوسط أيام التشريق، والمعنى واحد أن يوافيهم أسفل العقبة، وأمرهم أن لا ينبّهوا نائمًا، ولا ينتظروا غائبًا، ولمّا فرغوا من الحجّ، وكانت اللّيلة الموعودة خرج القوم بعد هدء الناس. وفي المنتقى: باتوا تلك الليلة في رِحالهم حتى إذا مضى ثلث اللّيل خرجوا من رحالهم لميعاد رسول الله ﷺ يتسلّلون مُستخفين تسلّل القطا حتى اجتمعوا في الشّعب عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلًا، ومعهم امرأتان: أُمّ عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن، وأسماء بنت عدي بن عمرو إحدى نساء بني سليم، وقد سبقهم رسول الله ﷺ ومعه العبّاس وليس معه غيره، وهو يومئذ على دين قومه إلّا أنه يحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له، فلمّا جلس واجتمعوا له كان أوّل مَنْ تكلَّم العبّاس، فقال: يا معشر الخزرج - وكانت الأوس والخزرج تُدعى الخزرج - قد دعَوْتم محمّدًا إلى ما دعَوْتُموه، ومحمد من أعزّ الناس في عشيرته يمنعه والله مَنْ كان على قوله، ومَنْ لم يكن كذلك، مَنَعَه للحسب والشرف، وقد أبى محمّد الناس كلّهم غيركم. وفي وفاء الوفاء: وقد أبى إلا الانحياز إليكم، فإن كنتم أهل قوّة وجَلَد ونظر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبةً، فإنها سترميكم عن قوس واحدة، فارتؤوا رأيكم وائتمروا أمركم، فلا تفرّقوا إلا عن اجتماع، فإن أحسن الحديث أصدقه، وأُخرى صِفُوا إليّ الحرب كيف تقاتلون عدوّكم؟ فسكت القوم وتكلّم عبد الله بن عمرو بن حِزام، فقال: نحن والله أهل الحرب غُذينا بها ومُرِينا وورثناها عن آبائنا كابرًا عن كابرٍ، نرمي بالنَّبْل حتى تفنى، ثم نطاعن بالرماح حتى تكسر، ثم نمشي بالسيوف فنضرب بها حتى يموت الأعجل منّا، أو من عدوّنا.

....

فقال العباس: هل فيكم دروع؟ قالوا: نعم شاملة، وقال البراء بن معرور: قد سمِعْنا ما قلت، والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه، ولكن نريد الوفاء والصدق وبذل المُهَج وأنفسنا دون رسول الله ﷺ. وعن الشعبيّ قال: انطلق رسول الله ﷺ بالعباس إلى السبعين عند العقبة تحت الشجرة، فقال العباس: ليتكلّم متكلّمكم ولا يطيل الخطبة، فإنّ عليكم مِنَ المشركين عينًا، وإن يعلموا بكم فيفضحوكم. فقال قائلهم ـ وهو أسعد ـ: يا محمّد، سَلْ لربِّك ما شئت، ثم سَلْ لنفسك وأصحابك ما شئت، ثمّ أخبرنا ما لنا من الثواب على الله إذا فعلنا ذلك، فقال: «أسألكم لربّي أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا ممّا تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: «الجنة»، قالوا: فلك ذلك. وفي المنتقى: تكلّم رسول الله ﷺ، فتَلَا القرآن ودعا إلى الله تعالى ورغّب في الإسلام، ثم قال: «أبايعكم»، قال: «بايعوني»، قالوا: على أيِّ شيءٍ نُبايعك يا رسول الله؟ قال: «بايعوني على السّمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله ولا تخافوا لومة لائم، وعلى أن تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم وأزواجكم»، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحقّ نبيًّا لنمنعنّك مما نمنع منه العزيز فينا، فبايعوا رسول الله ﷺ والعباس آخذٌ بيد رسول الله ﷺ يؤكّد له البيعة على الأنصار، وقالوا: فنحن والله أهل الحرب والحلقة ورثناها كابرًا عن كابر؛ فعرض في الحديث أبو الهيثم بن التّيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الناس ـ يعني اليهود ـ حبالًا وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم». وفي رواية: «المحيا محياكم والممات مماتكم، أنتم منّي وأنا منكم، أُحارب مَنْ حاربتم وأُسالم مَنْ سالمتم»، وقال: «أخرجوا منكم اثني عشر رجلًا نقيبًا يكونون على قومهم»، فأخرجوا اثني عشر نقيبًا: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وقال رسول الله ﷺ للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء كفالة الحواريّين لعيسى ابن مريم»؟ قالوا: نعم.

....

رُوِيَ عن عاصم بن عمرو بن قتادة: أنّ القوم لمّا اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ، قال العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصاري: يا معشر الخزرج، هل تدرون على ما تُبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةٌ وأشرافكم قَتْلٌ، أسلمتموه، فمِنَ الآن، وهو والله خزي الدنيا والآخرة إنْ فعلتم، وإن كنتم ترون أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه على نهك الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إنْ نحن وفَيْنا؟ قال: «الجنّة»، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه.

قال عاصم بن عمرو: والله ما قال العباس ذلك إلا ليشدّ العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم. وقال عبد الله بن أبي بكر: والله ما قال العباس ذلك إلّا ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول، فيكون أقوى لأمر القوم، فالله تعالى أعلم أيّ ذلك كان؛ فبنو النجار يزعمون أن أبا أُمامة أسعد بن زُرارة كان أوّل مَنْ ضرب على يده، وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهيثم بن التّيهان، وقال كعب بن مالك: أوّل مَنْ ضرب على يدي رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم تتابع القوم. قال كعب: فلمّا بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قطّ: يا أهل الجباجب[١]، هل لكم في مُذَمّم والصبأة معه قد جُمِعُوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أَزَبُّ[٢] العقبة»، وفي رواية: «ابن أزَبِّ العقبة، لأفرغنّ لك أي عدوّ الله، ارجعوا إلى رحالكم نصركم الله»، فقال له العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة: والذي بعثك بالحقّ لئن شئت لنميلنّ غدًا على أهل منى بأسيافنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم»، فرجعنا إلى مضاجعنا، فنِمْنا عليها، فلما أصبحنا غدت علينا جلّة قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنّا قد بَلَغنا أنكم جئتم إلى

---

(١) قوله: الجباجب: الطبل، وجبال مكّة حرسها الله تعالى أو أسواقها أو منحر بمنى كان يُلْقى به الكروش والضِّخام من النُّوق. انتهى قاموس.

(٢) هو شيطان اسمه أَزَبُّ العقبة. ١٢ قاموس.

وقيل: هم الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة والخبر ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بأعمالهم الحسنة ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بما أفاض عليهم من نعمته الدينية

صاحبنا هذا، فتستخرجونه من بين أظهرنا وتُبايعون على حربنا؟ والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال: فانبعث مَنْ هناك مِنْ مُشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه، وقد صَدَقوا لم يعلموا، ثم إنّ قريشًا أتوا عبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول، فذكروا له ما قد سمعوا من أصحابه، فقال: وما كان قومي ليتفوّتوا عليّ بمثل هذا وما علمته. ثم إنّهم قالوا لرسول الله ﷺ: أتخرج معنا، قال: «ما أُمِرْتُ به». قال رزين: وقد قيل: وقع بين قريش والأنصار كلام في سبب خروج النبيّ ﷺ معهم، ثم ألقي الرعب في قلوب قريش، فقالوا: ليس يخرج معكم إلّا في بعض أشهر السنة ولا تتحدّث العرب بأنكم غلبتمونا، فقالت الأنصار: الأمر في ذلك لرسول الله ﷺ، ونحن سامعون لأمره؛ فأنزل الله على رسوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأنفال: الآية ٦٢]، أي إن كان كفار قريش يريدون المَكْر فسيمكر الله بهم، فانصرفت الأنصار إلى المدينة.

وفي سيرة ابن هشام، قال: ونفر الناس من منى، فتفتش القوم الخبر فوجدوه قد كان. قال ابن إسحٰق: وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عُبادة بإذاخر، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيبًا، وقيل: إنّ قريشًا بدا لهم فخرجوا في آثارهم، فأدركوا منهم رجلين كانا تخلّفا في أمر فردّوهما إلى مكّة: المنذر والعبّاس بن عُبادة، فأدركهما جُبير بن مطعم والحارث بن أُميّة، فخلصاهما فلحقا بأصحابهما. وفي رواية: إنّ الرجلين هما المنذر وسعد بن عُبادة. فأمّا المنذر، فأعجز القوم ونجا. وأمّا سعد، فأخذوه وربطوا يديه إلى عنقه بشِسْع[1] رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكّة يضربونه ويجذبونه بجمّته، وكان ذا شعرٍ كثير، ثم خلّصه منهم جُبير بن مُطعم والحارث بن أُميّة؛ لأنه كان يجير لهما تجارتهما ويمنعهم أن يُظْلموا ببلده. اهـ.

---

(١) الشّسْع ـ بالكسر ـ قبال النعل. انتهى قاموس.

والدنيوية ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿رَضِيَ﴾ ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (﴿مِن تَحْتِهَا﴾: مكيّ) ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يعني حول بلدتكم وهي المدينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ (**وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا نازلين حولها**) ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ عطف على خبر المبتدأ الذي هو «ممن حولكم» والمبتدأ ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت «ومن أهل المدينة قوم» ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف، وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلامًا مبتدأ، أو صفة لـ ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره، ودلّ على مهارتهم فيه بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ أي يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط (**تنوقهم**) في (**تحامي**) ما يشككك في أمرهم. ثم قال: ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرّهم غيره، لأنهم يبطنون الكفر في (**سويداء قلوبهم ويبرزون**) لك ظاهرًا كظاهر المخلصين من

قوله: (﴿مِن تَحْتِهَا﴾) بمن الجار وخفض تحتها بها كسائر المواضع (مكّيّ) أي ابن كثير المكي. والباقون بحذف من وفتح تحتها على المفعولية فيه.

قوله: (**وهم: جُهَيْنة وأسْلم وأشْجَع وغِفار كانوا نازلين حولها**)، كذا ذكره جماعة من المفسّرين المتأخرين؛ كالبغوي والواحدي وابن الجوزي وما ذكروه مشكل؛ لأن النبيّ ﷺ دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم، فإنْ صحّ نقل المفسّرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ [التوبَة: الآية ١٠١] على القليل؛ لأن لفظة مِنْ للتبعيض، ويُحمل دعاء النبيّ ﷺ لهم على الأكثر والأغلب، وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسّرين ودعاء النبيّ ﷺ لهم. اهـ. خازن. **قوله:** (**تنوقهم**) التنوق: التصنّع والتكلّف بإظهار النيقة، وهي الحذق وما يعجب الناظر. **قوله:** (**تحامي**) أي اجتناب. **قوله:** (**سويداء قلوبهم**) في مختار الصّحاح: سَواد القلب حَبّته، وكذلك أسْوَده وسَوْداؤه وسُوَيْداؤه. اهـ. **قوله:** (**ويبرزون**) أي يظهرون.

المؤمنين ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ هما القتل وعذاب القبر، (أو الفضيحة) وعذاب القبر، أو أخذ الصدقات من أموالهم (ونهك أبدانهم) ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ أي عذاب النار.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَءَاخَرُونَ﴾ أي قوم آخرون سوى المذكورين ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم، ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا نادمين وكانوا عشرة، فسبعة منهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين أوثقوا أنفسهم على (سواري المسجد) فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلّى ركعتين، وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم، فذكر له أنهم أقسموا أن لا (يحلوا) أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلهم فقال: وأنا أقسم أن لا أحلّهم حتى أومر فيهم فنزلت، فأطلقهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا (التي خلفتنا) عنك فتصدّق بها وطهرنا فقال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا، فنزل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ ﴿خَلَطُوا۟﴾ (﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خروجًا إلى الجهاد ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفًا عنه)، أو التوبة والإثم (وهو من قولهم «بعت الشاء) شاة

قوله: (أو الفضيحة) وذلك ما رُوي أنه ﷺ قام خطيبًا يوم الجمعة، فقال: «اخرج يا فلان، فإنك منافق»، فأخرج من المسجد ناسًا وفضحهم. **قوله:** (ونهك أبدانهم) أي جعلها ضعيفة قريبة من التلاشي والاضمحلال. عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الأمراض في الدنيا وعذاب الآخرة، فإنّ مرض المؤمن يفيد تكفير السيّئات، ومرض الكافر تعذيب مَحْض.

قوله: (سواري المسجد) السارية الأسطوانة. اهـ مختار الصّحاح. **قوله:** (يحِلُّوا) بابه ردّ. **قوله:** (التي خلفتنا) أي جعلت سببًا لتخلّفنا.

قوله: (﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ خروجًا إلى الجهاد ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلّفًا عنه) أي العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله ﷺ إلى سائر الغزوات، والسيِّىء هو تخلّفهم عنه، وغزوة تبوك. **قوله:** (وهو من قولهم: بعت الشاء

(ودرهمًا») أي شاة بدرهم، فالواو بمعنى الباء لأن الواو للجمع والباء للإلصاق فيتناسبان، أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك: «خلطت الماء واللبن» تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك: «خلطت الماء باللبن» لأنك جعلت الماء مخلوطًا واللبن مخلوطًا به. وإذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطًا بهما كأنك قلت: «خلطت الماء باللبن واللبن بالماء» ﴿(عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ولم يذكر توبتهم لأنه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة.

ودرهمًا)[1] . . . الخ. جواب عمّا يقال: إنّ الخلط يستدعي مخلوطًا به. وفي الآية قد عطف أحد المخلوطين على الآخر، فما المخلوط به؟ أجاب عنه أوّلًا بأن الواو مستعار لمعنى الباء بناءً على أنّ الواو للجمع، والباء للإلصاق، والجمع والإلصاق من وادٍ واحد، فصحّ أن يستعمل ما وُضِع لأحدهما فيما وُضع له الآخر بطريق الاستعارة، كما في قولهم: بعت الشاء[2] شاة ودرهمًا، أي شاة بدرهم. وثانيًا بأن المخلوط به في كلّ واحد من المخلوطين هو المخلوط في الخلط الآخر؛ لأن الخلط لما اقتضى مخلوطًا به فهو إمّا الآخر أو غيره، والثاني مُنتفٍ بالأصل وبالقرينة لدلالة سياق الكلام في مثل قولك: خلطت الماء واللّبن على أنّ كلّ واحدٍ منهما مخلوط ومخلوطٌ به، وهو أبلغ من أن يقال: خلطت الماء باللّبن، لأنك إذا عيّنت المخلوط به يكون الخلط واحدًا يقصد أحدهما أوّلًا، ويجعل مخلوط بالآخر، وإذا كان بالواو يكون الخلط متعدّدًا يقصد كل واحد من الخلطَيْن، فيجعل مخلوطًا بالآخر، فيكون الماء واللّبن مخلوطَيْن ومخلوطًا بهما، فكأنك قلت: خلطت الماء باللّبن واللّبن بالماء، فيكون ما قلت بالواو أبلغ مما قلت بالباء.

قوله: (﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾)، قال المفسّرون: عسى من الله يدلّ على الوجوب إلّا أن كلامه تعالى ينزل على حسب ما يتعارف الناس، فالسّلطان العظيم إذا التمس المحتاج منه شيئًا، فإنه لا يجيب إلا بما يدلّ على الترجّي والطمع، كلعلّ وعسى تنبيهًا على أن ليس لأحدٍ أن يلزمني شيئًا، وإني لا أفعل ما أفعل إلّا

(١) بدل من الشاء، أي درهم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بالمدّ والهمزة آخره، وهمزة بدل من الهاء بدليل جمعه على شياء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ كفارة لذنوبهم، وقيل: هي الزكاة ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ عن الذنوب وهو صفة لـ ﴿صَدَقَةً﴾ **(والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث)**. والتاء في ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ للخطاب لا محالة ﴿بِهَا﴾ بالصدقة والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه، أو بمعنى **(الإنماء)** والبركة في المال ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ **(واعطف عليهم بالدعاء لهم)** وترحم، **(والسُّنّة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها)** ﴿إِنَّ (صَلَوٰتَكَ)﴾ ﴿صَلَوٰتَكَ﴾ **(كوفي غير أبي بكر)**. قيل: الصلاة أكثر من الصلوات لأنها للجنس ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم من الندم والغمّ لما فرط منهم.

على سبيل التفضّل والكرم، فهذا المعنى هو فائدة ذكر عسى ولعلّ في مثل هذا الموضع. في تفسير البيضاوي: (﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾) أن يقبل توبتهم.اهـ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: التوبة إذا أسندت إلى العبد معناها ظاهر، وإذا أُسندت إلى الله تعالى فمعناها قبولها؛ لأن أصل معناها العود، فالعبد يعود إلى الطاعة، والله يعود بإحسانه وتفضّله عليه.اهـ.

قوله: (والتاء للخطاب) للنبيّ ﷺ، **(أو لغيبة المؤنث)** وضمير المؤنث للصدقة. **قوله: (الإنماء)** وهو الزيادة. **قوله: (واعطف عليهم بالدعاء لهم)** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معنى الصلاة عليهم أن يدعو لهم، وهو معنى قوله: «اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى». **قوله: (والسُّنّة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها)**، قال النوويّ في شرح مسلم: قال الفقهاء: الدعاء لدافع الزكاة سنّة لا واجب، خلافًا لبعض الشافعيّة عملًا بظاهر الآية، واستحبّ الشافعي أن يقول في دعائه: آجرك الله فيما أعطيت وجعله لك طهورًا وبارك لك فيما أبقيت، والصحيح أنه لا يستحبّ، انتهى. **قوله:** (﴿صَلَوٰتَكَ﴾) بالتوحيد وفتح التاء **(كوفي غير أبي بكر)** شعبة عن عاصم، أي حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف، والمراد بها الجنس. والباقون بالجمع وكسر التاء.

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ المراد المتوب عليهم أي ألم يعلموا قيل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ **(إذا صحت)** ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ **(ويقبلها)** إذا صدرت على خلوص النيّة وهو للتخصيص أي إن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويردّها فاقصدوه بها ووجهوها إليه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ كثير قبول التوبة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يعفو **(الحوبة)**.

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَقُلِ﴾ لهؤلاء التائبين ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ أي فإن عملكم لا يخفى ـ خيرًا كان أو شرًّا ـ على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم، أو

قوله: (إذا صحّت) باستجماع شرائطه، فإذا لم يستجمع بشرائطه لا يقبل، وإن أطلق عليه التوبة فقيد إذا صحت احترازيّ. اهـ قنويّ. **قوله: (ويقبلها)** جعل قوله تعالى: ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: الآية ١٠٤] استعارة تبعيّة؛ لأن الآخذ حقيقة هو الرّسول ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]، ثم عيّن لأخذها غيره، كما قال ﷺ لمعاذ رحمه الله تعالى: «خذها من أغنيائهم وردّها إلى فقرائهم»، فإنّه يدلّ على أن آخذ تلك الصدقات هو معاذ يأخذها ليصرفها إلى الفقراء، فوجب أن يكون لأخذ المسند إليه تعالى بمعنى القبول. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: يعني أن الأخذ هنا استعارة للقبول والإثابة، لا كناية كما قيل؛ لأن الكريم والكبير إذا قبل شيئًا عوّض عنه؛ إذ الآخذ هو الرّسول ﷺ، لا الله تعالى، وقد يجعل الإسناد إلى الله تعالى مجازًا مرسلًا. وقيل في نسبة الأخذ إلى الرّسول ﷺ في قوله: خذ، ثم إلى ذاته تعالى إشارة إلى أن أخذ الرسول ﷺ قائم مقام أخذ الله تعالى تعظيمًا لشأن نبيّه ﷺ؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، فهو على حقيقته، ولا يخفى ما فيه من البُعد في ادّعاء الحقيقة، وإنْ كان ما فَهِمه معنى حسنًا. اهـ. **قوله: (الحوبة)** ـ بفتح الحاء ـ الخطيئة.

غير التائبين ترغيبًا لهم في التوبة، فقد رُوِيَ أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا: هؤلاء الذين تابوا (**كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم**) فنزلت. وقوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ ما يغيب عن الناس ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما يشاهدونه ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبئة تذكير ومجازاة عليه.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ (**بغير همز: مدني وكوفي غير أبي بكر. «مرجئون» غيرهم**) من أرجيته وأرجأته إذا أخرته، (**ومنه المرجئة**) أي وآخرون من المتخلفين

قوله: (كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يُجالَسون، فما لهم) عبارة شيخ زاده رحمه الله: كانوا بالأمس معنا، فما لهم اليوم لا يأتون. اهـ.

قوله: (بغير همز مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدنيّ، وليس من السبعة. (**وكوفي غير أبي بكر**) شعبة عن عاصم، أي حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف. («**مرجئون**») بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة (**غيرهم**) أي ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري - وليس من السبعة - وابن عامر الشاميّ، وأبو بكر عن عاصم رحمه الله.

قوله: (ومنه المرجئة) هم الذين لا يقطعون في حقّ أهل الكبائر بشيء مِن عقوبة أو عفو، بل يؤخرون الحكم في ذلك إلى يوم القيامة. وأمّا أهل السنّة، فيقطعون بأنّ حكمهم العقاب بمقتضى الوعيد لا الوجوب، لكن يجوز العفو. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: وسُمِّيت المرجئة بهذا الاسم لأنهم يؤخّرون العمل عن الإيمان الذي هو الاعتقاد في المرتبة، ويقولون: لا يضرّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومنهم مَنْ يقول: المعرفة الإيمان بالله والخضوع والمحبّة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الصّفات فهو مؤمن، ولا يضرّ معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصي، ولا يعاقَب عليها، وإبليس كان عارفًا بالله، وإنما كفر باستكباره وترك الخضوع لله؛ كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٣٤]. وفي الحواشي القطبيّة: المُرْجئة هم الذين لا يقطعون على أهل الكبائر بشيء من عقوبة أو عفو، بل يؤخّرون الحكم

موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ إن أصروا ولم يتوبوا ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ إن تابوا وهم ثلاثة: (كعب بن مالك)، و(هلال بن أمية)، و(مرارة بن الربيع)،

في ذلك إلى يوم القيامة. وقال الإمام: وسُمِّيت المرجئة بهذا الاسم لأنهم لا يجزمون على القول بمغفرة التائب، ولكن يؤخّرون الأمر فيها إلى مشيئة الله تعالى. وقال الإمام الأوزاعي: لأنهم يؤخّرون العمل عن الإيمان. اهـ.

قوله: (كعب بن مالك) الصحابي، هو أبو عبد الله، وقيل: هو أبو عبد الرحمٰن، وقيل: أبو محمّد، وقيل: أبو بشر كعب بن مالك بن عمرو بن القَيْن بن سواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة - بكسر اللام - ابن سعد بن عليّ الأنصاريّ الخزرجيّ السّلمي - بفتح السين واللام -. شهد العقبة وأُحدًا وسائر المشاهد إلا بدرًا وتبوك، وهو أحد الثلاثة الذي تاب الله عليهم وأنزل فيهم: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة: الآية ١١٨] الآية. رُوِي لكعب عن رسول الله ﷺ ثمانون حديثًا، اتّفقا على ثلاثة، وللبخاري حديث ولمسلم حديثان. جُرِح كعب يوم أُحد أحد عشر جرحًا في سبيل الله، وهو أحد شعراء رسول الله ﷺ، وكانوا ثلاثة: حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. وكان حسّان يقبل على الأنساب، وابن رواحة يُعيّرهم بالكفر، وكعب يخوّفهم الحرب. توفي بالمدينة في زمن معاوية سنة ثلاث وخمسين، وقيل: سنة خمسين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (هلال بن أمية) الصحابي، وهو هلال بن أُمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف، واسمه مالك بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الواقفيّ المدنيّ، شهد بدرًا وأُحدًا، وكان قديم الإسلام، وكان يكسر أصنام بني واقف، وكانت معه رايتهم يوم الفتح، وهو الذي قذف امرأته بشريك بن سمحاء، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، وذكرهم في سورة براءة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (مُرارة[١] بن الرَّبيع)، ويقال: ابن ربيعة الأنصاري العَمري الصحابي من بني عمرو بن عوف. شَهِد بدرًا على الصحيح، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم رضي الله تعالى عنه.

---

(١) بمضمومة وفتح راء خفيفتين بينهما ألف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

تخلّفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ برجائهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إرجائهم، وإما للشك **(وهو راجع إلى العباد)** أي خافوا عليهم العذاب وأرجو لهم الرحمة. ورُوِيَ أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شدّ أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغمّ، فلما علموا أن أحدًا لا ينظر إليهم فوّضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا﴾ تقديره: ومنهم الذين اتخذوا. **(﴿ٱلَّذِينَ﴾ بغير واو. مدني وشامي)**، وهو مبتدأ خبره محذوف أي جازيناهم. رُوِيَ أن بني عمرو بن عوف لما بنوا **(مسجد قباء)** بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم فصلّى فيه **(فحسدتهم إخوانهم ـ بنو غنم)** بن عوف ـ وقالوا: نبني مسجدًا ونرسل إلى رسول الله يصلّي فيه ويصلّي فيه **(أبو عامر الراهب)** إذا قدم من الشام وهو الذي قال لرسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم أُحد: لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم،

قوله: (والضابط مكّة) في أكثر النسخ الصحيحة: (ضابط مكّة). **قوله: (وهو راجع إلى العباد)** جواب عمّا يقال: أمّا وإمّا للشكّ، والله تعالى مُنزّه عنه، فما وجه إيراده هٰهنا؟ فأجاب عنه بأنّ الترديد بكلمة إمّا هٰهنا لشكّ العباد، ومثله كلمة أو، في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصّافات: الآية ١٤٧]، ولعلّ في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طٰه: الآية ٤٤]، فالمعنى ليكن أمرهم عندكم بين الخوف والرجاء.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ﴾ بغير واو مدنيّ) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. **(وشاميّ)** أي ابن عامر الشامي، والباقون بزيادة واو قبلها، أي قبل الذين. **قوله: (مسجد قباء)** ـ بضم القاف والمدّ ـ محل بقرب المدينة، ويجوز فيه الصرف وعدمه. **قوله: (فحسدتهم إخوانهم)** سمّاهم إخوانًا لأنهم أبناء أخَوَيْن. **قوله: (بنو غَنْم)** بالفتح.

قوله: (أبو عامر الراهب) هو والد حنظلة غسيل الملائكة، أي الذي استشهد يوم أُحد وغسلته الملائكة، وكان أبو عامر قد ترهّب في الجاهليّة ولبس المسوح

فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدًا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبيّ ﷺ: بنينا مسجدًا (للذي العلّة والحاجة) ونحن نحب أن تصلّي لنا فيه فقال: «إني (على جناح سفر) وإذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلينا فيه». فلما (قفل) من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فقال: (لوحشي ـ قاتل حمزة ـ

وتنصّر، فلمّا قَدِم النبيّ ﷺ المدينة قال له أبو عامر: ما هذا الدِّين الذي جئت به، فقال له النبيّ ﷺ: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»، فقال أبو عامر: فأنا عليها، فقال له النبيّ ﷺ: «إنك لست عليها»، قال أبو عامر: بلى ولكنّك أدخلت في الحنيفية ما ليس منها، فقال النبيّ ﷺ: «ما فعلت، ولكن جئت بها بيضاء نقيّة»، فقال أبو عامر: أمات الله الكاذب منّا طريدًا وحيدًا غريبًا، فقال النبيّ ﷺ: «آمين»، وسمّاه الناس أبا عامر الفاسق، فلمّا كان يوم أُحد قال أبو عامر الفاسق للنبيّ ﷺ: لا أجد قومًا يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل كذلك إلى يوم حُنين، فلمّا انهزمت هوازن يَئِس أبو عامر وخرج هاربًا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوّة وسلاح، وابنوا لي مسجدًا، فإني ذاهِبٌ إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجندٍ من الروم، فأُخرج محمّدًا وأصحابه، فبنوا مسجد الضّرار إلى جنب مسجد قباء، فذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِرۡصَادٗا﴾ [التوبَة: الآية ١٠٧] يعني: انتظارًا لمن حارب الله ورسوله، يعني أبا عامر الفاسق، ليصلّي فيه إذا رجع من الشام ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾ [التوبَة: الآية ٣٠] يعني أن أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد الضّرار. **قوله:** (للذي العلّة) يعني المريض (و) لذي (الحاجة)، يعني مَنْ شغلته حاجة عن المجيء للجماعة حتى ضاق الوقت. **قوله:** (على جناح سفر) أي آخذين في السفر وشارعين فيه استعارة من جناح الطائر. **قوله:** (قفل) بمعنى رجع، ومنه القافلة تفاؤلًا.

قوله: (لوحشيّ) بن حرب الصحابي، كنيته أبو دُسْمَة، وهو من سودان مكّة، ويقال له الحبشيّ، وهو مولى طُعْمة بن عدي، وقيل: مولى جُبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف، (وهو قاتل حمزة) رضي الله تعالى عنه يوم أُحد، وشارك في قتل مسيلمة الكذّاب يوم اليمامة، وكان يقول: قتلت في جاهليّتي خير الناس، وقتلتُ بعد إسلامي شرّ الناس. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ أربعة أحاديث، وقيل: ثمانية. روى البخاري منها حديثًا في قتله حمزة. روى عنه ابنه حرب بن

ومعن بن عدي وغيرهما): «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه» ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه (كناسة) تلقى فيها (الجيف) و(القمامة، ومات أبو عامر بالشام) ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول له وكذا ما بعد أي مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ وتقوية للنفاق ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم كانوا يصلّون مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا أن يتفرّقوا عنه وتختلف كلمتهم ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ﴾ وإعدادًا لأجل من ﴿حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهو الراهب أعدوه له ليصلّي فيه ويظهر على رسول الله ﷺ (وقيل: كل مسجد بني مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار) ﴿مِن قَبْلُ﴾ متعلق:

وحشيّ وعبيد الله بن عدي بن الجبار وجعفر بن عمرو بن أُميّة، قيل: سكن دمشق، والصحيح المشهور أنه سكن حمص.

قوله: (حمزة) بن عبد المطّلب عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورَضِيَ عنه. **قوله:** (معن بن عديّ) بن الجدّ بن العجلان البلوي حليف الأنصار، وهو أخو عاصم بن عديّ، ذكره ابن إسحٰق فيمن شهد أُحدًا، وقُتل معن بن عدي يوم اليمامة شهيدًا رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (وغيرهما) كمالك بن الدُّخْشُم، وعامر بن السَّكن ﷺ. **قوله:** (كناسة) في مختار الصّحاح: الكُناسة القمامة. اهـ. وفي المصباح: الكُناسة ـ بالضمّ ـ ما يكنس، وهي الزبالة والسباطة والكساحة بمعنًى. اهـ. **قوله:** (الجيف) جمع الجِيفة جُثّة الميت إذا أراح. اهـ مختار الصّحاح. **قوله:** (القُمامة) الكناسة. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (ومات أبو عامر) الراهب (بالشام) غريبًا وحيدًا. **قوله:** (وقيل: كل مسجد بني مباهاةً أو رياءً أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيّب؛ فهو لاحق بمسجد الضّرار). قال صاحب الكشاف: وعن عطاء: لمّا فتح الله الأمصار على عمر رضي الله تعالى عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد، وأن لا يتّخذوا في مدينة مسجدَيْن يضارّ أحدهما صاحبه، هذا لفظه. فالعجب من المشايخين المتعصّبين في زماننا يبنون في كلّ ناحية مساجد طلبًا للاسم والرسم واستعلاء لشأنهم واقتداءً بآبائهم، ولم يتأمّلوا ما في هذه الآية والقصة من شناعة حالهم وسوء فعالهم، وقد ذكر علماء الأُصول: أنّ الصلاة في الأرض المغصوبة منهيّة لغيرها، أعني لشغل ملك الغير، لا لأنها صلاة، ولكن لمّا لم يتّصل المكان بالصلاة اتّصال الوقت بها أو بالصوم لم يكن

بـ ﴿حَارَبَ﴾ أي من قبل بناء هذا المسجد يعني يوم الخندق ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ﴾ كاذبين ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلّين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في حلفهم.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ للصلاة ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ اللام للابتداء و﴿أُسِّسَ﴾ نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلّى فيه أيام مقامه بقباء وهي **(يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء)** والخميس وخرج يوم الجمعة، أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ **(من أيام وجوده)**. قيل: القياس فيه مذموم

الصلاة في المكان المغصوب مكروهًا، كالصلاة في الأوقات المكروهة، ولا فاسدة كالصوم في يوم النَّحر. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قال العلّامة الشيخ الأجلّ مولانا أحمد المعروف بملا جين صاحب التفسيرات الأحمدية في المنهيّة: المقصود من هذا الكلام تتميم مسألة المساجد المذكورة بما يناسبها، والتنبيه على أن قُبح المكان بمثل هذه الوجوه لا يفسد الصلاة ولا يكرهها، وإن كان موجبًا للإثم. ونهي الصلاة في مسجد الضّرار مخصوص به، فلا يتعدّى إلى ملحقاته. اهـ. **قوله: (مباهاة)** أي مفاخرة.

قوله: (يوم الاثنين) همزته وصل. اهـ مصباح. **(والثلاثاء)** ممدود. اهـ مصباح. وفي القاموس: بالمدّ ويضمّ. اهـ. **(والأربعاء)** ممدود، وهو بكسر الباء، ولا نظير له في المفردات، وإنما يأتي وزنه في الجمع وبعض بني أسد يفتح الباء، والضمّ لغة قليلة فيه. اهـ مصباح. **قوله: (من أيام وجوده)** قال السُّهيلي نوّر الله مرقده في الآية من الفقه: صحة ما اتّفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع عمر رضي الله تعالى عنه حين شاورهم في التاريخ، فاتّفق رأيهم على أن يكون من عام الهجرة؛ لأنه الوقت الذي عزّ فيه الإسلام، والحين الذي أمن فيه النبيّ ﷺ، وبُنيت المساجد وعُبد الله كما يحبّ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل، وفهمنا الآن بفعلهم أنّ قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: الآية ١٠٨] أن ذلك اليوم هو أوّل أيام التاريخ الذي يؤرّخ به الآن، فإنْ كان الصحابة رضوان الله

لأنه لابتداء الغاية في الزمان، و«من» لابتداء الغاية في المكان، **(والجواب أن من عام في الزمان والمكان)** ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ مصليًا ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ قيل: لما نزلت مشى رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء، فإذا الأنصار جلوس فقال: أمؤمنون أنتم؟ **(فسكت القوم)**. ثم أعادها فقال عمر: يا رسول الله إنهم لمؤمنون **(وأنا معهم)**، فقال عليه السلام: «أترضون بالقضاء»؟ قالوا: نعم. قال: «أتصبرون على البلاء»؟ قالوا: نعم. قال: «أتشكرون في **(الرخاء)**»؟ قالوا: نعم. قال عليه السلام: «مؤمنون أنتم **(ورب الكعبة)**». فجلس ثم قال: «يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط»؟ فقالوا: يا رسول الله **(نتبع الغائط**

تعالى عليهم أجمعين أخذوه من هذه الآية، فهو الظنّ بهم لأنهم أعلم الناس بتأويل كتاب الله، وأفهمهم بما في القرآن من الإشارات، وإن كان ذلك على رأي واجتهاد، فقد علمه الله وأشار إلى صحته قبل أن يفعل؛ إذ لا يُعقل قول القائل: فعلته أوّل يوم إلّا بالإضافة إلى عام معلوم أو شهر معلوم أو تاريخ معلوم، وليس هٰهنا إضافة في المعنى إلّا إلى هٰذا التاريخ المعلوم؛ لعدم القرائن الدالّة على غيره من قرينة لفظ أو حال، فتدبّره ففيه معتبر لمن ادَّكر وعلم لمن رأى بعين فؤاد واستبصر.

قوله: (والجواب أن من عام في الزمان والمكان) هذا مذهب الكوفيّين وأنها للابتداء مطلقًا، ولهم أدلّة من القرآن كهذه الآية. وقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾ [الرُّوم: الآية ٤]، ومِنْ كلام العرب كما فصل في النّحو ومنع البصريّون دخولها على الزّمان وخصّوه بمذ ومنذ، وتأوّلوا الآية بأنها على حذف مضاف، أي من تأسيس أوّل يوم وقدروا مثله فيما ورد من كلامهم. وقال أبو البقاء: إنه ضعيف؛ لأن التأسيس المقدّر ليس بمكان حتى يكون لابتداء الغاية وسبقه إليه الزجّاج. قلت: إنما فرّوا من كونها لابتداء الغاية في الزّمان، وليس في كلامهم ما يدلّ على أنها لا تكون لابتداء الغاية، إلّا في المكان. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (فسكت القوم) سكوتهم حياءً من النبيّ ﷺ. **قوله: (وأنا معهم)** بضمير المتكلم، أو بكسر الهمزة وضمير الجمع. **قوله: (الرخاء)** ـ بالمدّ ـ سِعَة الرزق وعدم الشِّدّة. **قوله: (وربّ الكعبة)** قَسَم. **قوله: (نتبع الغائط**

الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار بالماء فتلا النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾). قيل: هو عام في التطهر عن النجاسات كلها. وقيل: هو التطهر من

الأحجار الثلاثة، ثم نتبع الأحجار بالماء؛ فتلا النبيّ ﷺ: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾)، فثبت أن الاستنجاء بالماء أفضل؛ لأنه يحتمل أن يكون مدحهم بالتطهير بمجموع الأحجار والماء، ويحتمل أن يكون لاستعمالهم الماء بعد الأحجار، وإليه مال صاحب الهداية؛ لأنه قال: وغسله أفضل؛ لقوله تعالى فيه: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: الآية ١٠٨]، وأنزلت في قوم يتّبعون الحجارة بالماء، هذا كلامه. فقد أورد الآية دليلًا على كون الاستنجاء بالماء أفضل، ووجه كون الآية دليلًا عليه أنّ الله تعالى قد بالغ في مدحهم به، وقد ثبت منه كونه محبوبًا لله وأدنى درجاته أن يكون مستحبًّا، فيُحمل عليه المتيقّن ما لم يدلّ دليل آخر على كونه فوقه، وهذا إذا لم يجاوز النَّجس المخرج. أمّا إذا جاوز النَّجس المخرج يجب الاستنجاء بالماء. وأمّا الاستنجاء بالأحجار، فإنه وإن كان ثبوته محتمل الآية بأن يكون المدح للمجموع، لكن لا يُفهم منها كونه سنّة حين حمل المحبوبيّة على ما هو الأدنى، وهو الاستحباب، ولهذا قال صاحب الهداية: إنّ الاستنجاء بالأحجار سُنّة؛ لأنه واظب النبيّ عليه السلام عليها، أي مع التَّرك أحيانًا، وهو دليل السنّة؛ هذا ما قالوا.

وبهذه الآية استدلّ أهل الأُصول على أن مسّ الذَّكر غير ناقض للوضوء؛ وذلك لأن الله تعالى قد مدح المستنجين بالماء، ولا شكّ أنّ في ذلك مسّ الذَّكر، فلو كان مسّ الذكر ناقضًا للوضوء، كيف يكون المستنجي بالماء أهلًا للمدح؟ وهذا وإنْ كان استدلالًا غير تامّ، كما هو ظاهر، لكنه صلح إلزامًا على الشافعي رضي الله تعالى عنه فيما قال: إنّ مسّ الذكر ناقض للوضوء قائلًا بأنه مسّ الذكر فكان حدثًا، كما إذا مسّه وهو يبول؛ لأن رتبة الجواب الموافقة بدليل المستدلّ الفاسد بالفاسد، والصحيح بالصحيح، فلا إيراد على الحنفية في أنّ مسّ الذكر خارج الوضوء غير مسّ الذكر إذا خلا فيه.

نعم في هذا المقام شبهة أخرى، وهي أن الفقهاء ذكروا في بيان الاستنجاء بالأحجار والماء أن السُّنَّة عند البعض الاستنجاء بالأحجار الثلاث، ولكن المرأة تدبر بالحجر الأول، وتُقبل بالثاني، وتُدبر بالثالث في كل حال، وهكذا يفعل

الذنوب بالتوبة. ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء، ومعنى محبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ وضع أساس ما يبنيه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه، والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه، خير أم مَن أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله شفا جرف هار في قلّة الثبات **(والاستمساك)**، وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازًا عما ينافي التقوى. والشفا: **(الجرف والشفير)**،

الرجل إن كان الزمان صيفًا، ويعكس إنْ كان شتاءً، ثم يأخذ الماء بعدها فضلًا إن لم يجاوز النَّجس المخرج، ووجوبًا إن جاوز، وهذا كلّه يدلّ على أنّ المراد من الاستنجاء طلب النجوّ بعد الغائط في موضع الدُّبر، وأن الاستنجاء بالصفة المذكورة إنما يُطلق عليه، والتطهير الذي يكون بعد البول في موضع الحشفة إنما يُطلق عليه الاستبراء، كما يُستفاد من بعض مصنّفات شهاب الملّة والدِّين.

وما ذِكر أهل الأُصول يدلّ على أنه يعمّ التطهير الذي بعد البول، والتطهير الذي بعد الغائط كما لا يخفى وجهه، ولكنّ الحقّ أنّ مراد الفقهاء أيضًا أعمّ؛ كما يدلّ عليه قولهم: والاستنجاء من كلّ حدث أي خارج من السبيلين سنّة.

غاية ما في الباب أن الاستنجاء بعد الغاية لمّا احتاج إلى زيادة تفصيل عقبوه بقولهم: يُدبر بالحجر الأول، ويقبل بالثاني من غير إظهار أنّ هذا طريق الاستنجاء المخصوص. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (الاستمساك) الثبات واشتداد بعضه ببعض، كأنه يُمسكه. **قوله: (الجرف)** ـ بضمّتين وبسكون الراء ـ البِّرْء التي لم تُطْوَ، وقيل: هو الهوّة وما يجرفه السيول من الأودية لجرف الماء له، أي أكله وإذهابه. **قوله: (الشّفير)** في مختار الصحاح: حرف كل شيء شَفْره وشفيره، كالوادي ونحوه. اهـ. وفي المصباح:

وجرف الوادي: جانبه الذي يتحفر أصله بالماء **(وتجرفه السيول)** فيبقى **(واهيًا)**، والهار الهائر وهو المتصدع الذي **(أشفى)** على التهدم والسقوط، ووزنه **(فَعِلَ)** قصر عن فاعل كخلف مَن خالف، وألفه ليس بألف فاعل إنما هي عينه وأصله «هور» فقلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل و**(كُنْه أمره)** **﴿أفمن أُسّس بنيانه﴾**، **«أمن أُسّس بنيانه»** **شاميّ ونافع** (**«جرْف»** **شاميّ وحمزة ويحيىٰ** **﴿هَارٍ﴾** **بالإمالة**: **أبو عمرو**) وحمزة في رواية ويحيىٰ **﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾** **(فطاح به)** الباطل في نار جهنم. ولما جعل الجرف الهائر مجازًا عن الباطل رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف، وليصوّر أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف **(فهوى)** في قعرها.

شفير كل شيء حرفه كالنهر وغيره.اهـ. **قوله: (وتجرفه السيول)** أي تأكله وتذهب به. **قوله: (واهيًا)** في المصباح: وَهَى الحائط وَهْيًا من باب وعد ضعف واسترخى.اهـ. وأيضًا فيه: وَهَى الشيء إذا ضَعُف أو سقط.اهـ. **قوله: (أشفى)** أي أشرف. **قوله: (فَعِلٍ)** بكسر العين. **قوله: (كنه أمره)** كُنْه الشيء نهايته.اهـ مختار الصحاح. **قوله: (﴿أفمن أُسّس بنيانه﴾، «أمن أُسّس بنيانه»)** في الموضعين بضم الهمزة وكسر السين فيهما على البناء للمفعول ورفع النون فيهما على النيابة عن الفاعل، **(شاميّ)** أي ابن عامر الشاميّ **(ونافع)**، والباقون بفتحهما على البناء للفاعل، ونصب بنيانه بعدهما مفعول به، والفاعل ضمير مَنْ. **قوله: (جرْف)** بسكون الراء **(شاميّ)** أي ابن عامر الشامي **(وحمزة)** بن حبيب الزيّات، **(ويحيىٰ)** بن آدم القريشي عن أبي بكر بن عياش عن عاصم. والباقون بالضمّ. **قوله: (﴿هَارٍ﴾ بالإمالة أبو عمرو)** البصري وحمزة في رواية، ويحيىٰ بن آدم عن أبي بكر عن عاصم. **والإمالة** أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرًا، وهي المحضة. ويقال لها: الكسرى والاضجاع والبطح، وهي المرادة عند الإطلاق، وقليلًا وهو بين اللفظين، ويقال له: التقليل وبين بين والصغرى، ويجتنب في الإمالة المحضة القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه. **قوله: (فطاح به)** في مختار الصحاح: طاح هلك وسقط، وبابه قال وباع.اهـ. **قوله: (فهوى)** في مختار الصحاح: هَوَىٰ يَهْوِي كَرَمَى يرمي هَوْيًا ـ بالفتح ـ سقط إلى أسفل.اهـ.

قال (جابر): رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم.

﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾

﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكّهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم (﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ شاميّ وحمزة وحفص أي تتقطع).

قوله: (جابر) بن عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما، هو أبو[1] عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، وقيل: أبو محمد جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ـ بالراء ـ ابن ساردة ـ بالسين المهملة ـ ابن تزيد ـ بالتاء المثناة فوق ـ ابن جُشَم بن الخزرج الأنصاري السلمي ـ بفتح السين واللام ـ المدني، وهو أحد المُكثرين الرواية عن رسول الله ﷺ. رَوى ألف حديث وخمسمائة حديث وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على ستّين حديثًا، وانفرد البخاري بستّة وعشرين، ومسلم بمائة وستّة وعشرين، ومناقبه كثيرة. استشهد أبوه يوم أُحد فأحياه الله وكلّمه: «يا عبد الله ما تريد؟» فقال: أن أرجع إلى الدنيا فأستشهد مرّة أخرى. وثبت في صحيح مسلم عن جابر، قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة ولم أشهد بدرًا ولا أُحدًا، منعني أبي، فلمّا قُتِل أبي يوم أُحد لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة قطّ. توفي جابر بالمدينة سنة ثلاث وسبعين، وقيل: ثمان وسبعين، وقيل: ثمان وستّين، وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه، وكان ذهب بصره في آخر عمره وحيث أطلق جابر في هذه الكتب، فهو جابر بن عبد الله، وإذا أراد ابن سمرة قيّده.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ﴾) بفتح التاء مبنيّ للفاعل (شاميّ) أي ابن عامر الشاميّ (وحمزة) بن حبيب (وحفص) عن عاصم، وكذا أبو جعفر المدنيّ ويعقوب البصريّ، وليسا من السبعة. (أي تتقطّع) أي أصله تتقطّع مضارع تقطع،

---

(١) في الإصابة في تمييز الصحابة: يُكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمٰن وأبا محمد أقوال، وفي تهذيب التهذيب في بيان جابر أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمٰن، ويقال: أبو محمّد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(غيرهم «تُقطع») أي إلا أن تقطع قلوبهم قطعًا وتفرّق أجزاء فحينئذٍ يسلون عنه، وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة، (ثم يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصوير لحال زوال الريبة عنها، ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها) وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار، أو معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندمًا وأسفًا على تفريطهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بعزائمهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في جزاء جرائمهم.

حُذِفت منه إحدى التاءين. (غيرهم) أي الباقون («تُقطع») بضمّ التاء بالبناء للمفعول مضارع قطّع بالتشديد.

قوله: (ثم يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصوير لحال زوال الرَّيْبة عنها، ويجوز أن يُراد حقيقة تقطيعها)... الخ. كذا في تفسير الكشاف. وفي تفسير البيضاوي: إلّا أن تقطع قلوبهم قطعًا، بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك والإضمار، وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعمّ الأزمنة. وقيل: المراد بالتقطّع ما هو كائن بالقتل، أو في القبر، أو في النار. وقيل: التقطّع بالتوبة ندمًا وآسِفًا. اهـ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قوله: بحيث لا يبقى لها قابليّة الإدراك... الخ. أي لا يزال بنيانهم رَيْبة في كل وقت إلّا وقت تقطيع قلوبهم، أو في كل حال إلّا حال تقطيعها، وهو كناية عن تمكّن الرَّيْبة في قلوبهم التي هي محلّ الإدراك وإضمار الشكّ، بحيث لا يزول منها ما داموا أحياء، إلّا إذا قطعت ومُزِّقت؛ فحينئذ تخرج الرَّيْبة منها وتزول، والمبالغة في الريبة واضحة، وهذا على التصوير والفرض، فلا تقطيع فيه. وعلى الوجه الذي بعده، فالتقطيع والتمزيق بالموت وتفريق أجزاء البدن، فهو حقيقيّ، ويفيد لزوم الرّيبة ما داموا أحياء. وعلى الثالث المراد: إلّا أن يتوبوا ويندموا ندامةً عظيمة تفتّت قلوبهم وأكبادهم، فتقطيع القلب مجازًا وكناية عن شدّة الأسف، والفرق بين الوجوه ظاهر، لكنه قيل: إيّاك أن تتوهّم أنّ مراده بالأوّل ما في الكشاف، من أنه تصوير لحال زوال الرَّيْبة عنها؛ إذ ليس في كلامه ما يدلّ عليه، وكأنّه لم يَرْض به؛ لأن احتمال الحقيقة في الوجه الثاني يمنع الحمل على التمثيل، لأن المجاز مشروط بالقرينة وقد دفع بأن جعل الكلام محتملًا للحقيقة، والمجاز في كلامهم كثير، ومبناه على أن القرينة لا يجب أن تكون قطعيّة، بل قد تكون احتماليّة؛ فإن اعتبرت جعل مجازًا، وإلّا جعل

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ (مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء. ورُوِيَ: تاجرهم، فأغلى لهم الثمن). وعن (الحسن): أنفسًا هو خلقها وأموالًا هو رزقها. ومرّ برسول الله ﷺ أعرابي وهو يقرؤها فقال: بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بيان محل التسليم ﴿فَيَقۡتُلُونَ

حقيقة وكناية، ومَنْ لا يسلمه قال: يتعيّن هنا أنه كناية، ولا يخفى أنه ليس في كلام المصنّف ما يخالف كلام الكشاف، حتى يقال: إنه لم يرتضه، ومثله من المتكلّفات الباردة. اهـ.

قوله: (مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء)؛ إذ لا يمكن حمل الكلام على الحقيقة؛ لأنه لا يجوز أن يشتري الله شيئًا في الحقيقة، فإنه مالك الكلّ، فإنّ أنفسنا مخلوقة لله تعالى، وأموالنا رزقه، فأخرج الكلام على صورة الاستعارة التمثيليّة زيادة في الدعاء إلى الطاعة. **قوله:** (وروي: تاجَرهم فأغلى لهم الثمن)، كذا في تفسير الكشاف. وفي تفسير العلّامة ابن كثير: قال الحسن وقتادة: بايعهمُ الله فأغلى ثمنهم، انتهى. وقوله: تاجرهم، في غياث اللغات: مُتاجرة باهم تجارت كردن. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، قال: ثامَنهم والله وأغلى لهم.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، قال: ثامَنهم والله فأغلى لهم الثمن. وقوله: ثامَنهم في لسان العرب: يقال: ثامَنْت الرجل في المبيع أُثامنُه إذا قاولتَه في ثمنه وساومته على بيعه واشترائه، انتهى. **قوله:** (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه.

﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ أي تارة يقتلون العدو وطورًا يقتلهم العدو. («فيُقْتلون ويَقْتلون» حمزة وعليّ) ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ مصدر أي وعدهم بذلك وعدًا ﴿حَقًّا﴾ صفته، أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ وهو دليل على أن أهل كل ملّة أمروا بالقتال ووعدوا عليه. ثم قال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين، ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن منه وأبلغ ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ فافرحوا غاية الفرح فإنكم تبيعون فانيًا بباقٍ ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ قال (الصادق): ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها.

قوله: («فيُقْتلون ويَقْتلون») بناء الأوّل للمفعول، والثاني للفاعل (حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون ببناء الأوّل للفاعل، والثاني للمفعول، أي تقديم كونهم مقتولين على كونهم قاتلين للإشعار بأن طائفة كثيرة من المسلمين وإن صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعًا للباقين عن المُقاتلة، بل يبقون بعد ذلك مع الأعداء قاتلين لهم بقدر الإمكان، كما قال: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٦]، أي ما وَهِن مَنْ بَقِي منهم. وقرأ الباقون بتقديم المبني للفاعل على المبنيّ للمفعول للدّلالة على أنّهم يقتلون ولا يرجعون عنهم، إلّا أن يصيروا مقتولين.

قوله: (الصادق) أي جعفر بن محمد الصادق، هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، الهاشميّ المدني الصادق، أُمّه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه. رَوَى عن أبيه والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. روى عنه محمد بن إسحٰق ويحيىٰ الأنصاري ومالك والسُّفيانان وابن جريج وشعبة ويحيىٰ القطّان وآخرون، واتّفقوا على إمامته وجلالته وسيادته. قال عمرو بن المِقْدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيّين. قال البخاري رحمة الله عليه في تاريخه: وُلِد جعفر سنة ثمانين، وتوفي سنة ثمانٍ وأربعين ومائة رحمه الله.

﴿التَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رفع على المدح أي هم التائبون **(يعني المؤمنين المذكورين)**، أو هو مبتدأ خبره ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ أي الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة، وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال. وعن **(الحسن)**: هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ على نعمة الإسلام ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الصائمون لقوله عليه السلام: **(«سياحة أُمتي الصيام»، أو طلبة العلم)** لأنهم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه، أو السائرون في الأرض للاعتبار ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ المحافظون على الصلوات ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بالإيمان والمعرفة والطاعة ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ عن الشرك والمعاصي **(ودخلت الواو للإشعار بأن السبعة عقد تام)**، أو للتضاد بين الأمر

قوله: (يعني المؤمنين المذكورين) أي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [التوبة: الآية ١١١] وعدَ لهم الجنة أولًا، ثم بيَّن في هذه الآية أنّ أُولئك هم الموصوفون بهذه الصفات. **قوله: (الحسن)** البصريّ التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله: (سياحة أُمتي الصيام)**، وإنما سمّى الصائم سائحًا لأنه يمتنع عن الشهوات كالسائح في الأرض، فإنه يقنع بما تيسّر له مما يُوصله إلى مقصده، ولا يتوسّع في استيفاء اللذّات واتّباع الشهوات؛ لأن الصائم لمّا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسدّ على نفسه أبواب الشهوات انفتحت عليه أبواب الحكمة والمعرفة، ومالت نفسه إلى عالم المعقولات، وانتقل من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة، وهذا الانتقال هو السياحة في عالم الروحانيات، فلذلك شبّه الصائم بالسائح في الأرض، وقال عليّ كرَّم الله وجهه: المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] الغزاة في سبيل الله يقطعون المنازل والمراحل إلى أن يَصِلوا إلى ديار الكفرة، فيُجاهدوهم. **قوله: (أو طلَبة العلم)**... الخ. قاله عكرمة رحمة الله عليه. **قوله: (ودخلت الواو للإشعار بأن السبعة عقد تام)** وقيل: إنما دخلت الواو فيه لأنها واو الثمانية؛ كقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ [الكهف: الآية ٢٢]. قال بعض النحويّين: هي لغة فصيحة لبعض العرب، يقولون: إذا عدوا واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستّة سبعة وثمانية تسعة عشرة. قال القرطبيّ: وهي

والنهي (**كما في قوله**: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا﴾) [التحريم: الآية ٥] ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ أوامره ونواهيه، أو معالم الشرع ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المتصفين بهذه الصفات.

(**وهَمّ** عليه السلام **أن يستغفر لأبي طالب فنزل**):

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ أي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك، ثم ذكر عذر إبراهيم فقال:

لغة قريش. **قوله: (كما في قوله**: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا﴾) في سورة التحريم، (﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾) ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: الآية ٥] أي طلّق النبيّ أزواجه (﴿أَن يُبۡدِلَهُۥٓ﴾) بالتشديد والتخفيف (﴿أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾) خبر عسى، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (﴿مُسۡلِمَٰتٖ﴾) مقرّات بالإسلام (﴿مُّؤۡمِنَٰتٖ﴾) مخلصات (﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾) مُطيعات (﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ﴾) صائمات أو مهاجرات (﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارٗا﴾).

قوله: (وهَمّ عليه السلام أن يستغفر لأبي طالب، فنزل)... الخ. في تهذيب الأسماء: أعمامه ﷺ أحد عشر، أحدهم الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطّلب، وأبو لهب، وعبد الكعبة، وحَجْل ـ بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة ـ وضِرار، والغَيْداق، أسلم منهم: حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًا؛ لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العبّاس قريب منه في السنّ، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطّلب، وكان أكبر سنًا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

قال العلّامة الفاضل الكامل الشيخ إسمٰعيل حقّي رحمه الله: بقي هٰهنا أن الجمّ الغفير من العلماء ذهبوا إلى أن النبيّ ﷺ مرّ على عقبة الحجون في حجّة الوداع، فسأل الله أن يحيي أُمّه، فأحياها فآمنت به وردّها الله تعالى، أي روحها، قال في إنسان العيون: لا يقال على ثبوت هذا الخبر وصحته التي صرّح بها غير واحد من الحفّاظ، ولم يلتفتوا إلى مَنْ طعن فيه كيف ينفع الإيمان بعد الموت؟ ولا

....

يُعترض؛ لأنّا نقول: هذا من جملة خصوصيّاته ﷺ. وفي كلام القرطبي: قد أحيى الله تعالى على يده جماعة من الموتى، فإذا ثبت ذلك، فما يمنع إيمان أبويه بعد إحيائهما؟ ويكون زيادةً في كرامته وفضيلته، ولو لم يكن إحياء أبويه نافعًا لإيمانهما وتصديقهما لما أُحييا، كما أن ردَّ الشمس لو لم يكن نافعًا في بقاء الوقت لم تردّ، والله أعلم، انتهى.

يقول الفقير: قد أشبعنا الكلام في إيمان أبويّ النبيّ عليه السلام، وكذا إيمان عمّه أبي طالب، وجدّه عبد المطّلب بعد الإحياء في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: الآية ١١٩]، فارجع إليه. وجاء أن عبد المطلب رفض في آخر عمره عبادة الأصنام، ووحّد الله وتؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها، وجاءت السنّة بها، منها الوفاء بالنّذر، والمَنْع من نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المَوْءُودَة، وتحريم الخمر والزنى، وأن لا يطوّف بالبيت عريان، كذا في كلام سَبْط ابن الجوزيّ. وقال في أبكار الأفكار في مشكل الأخبار: إن عبد المطّلب قد كان يتعبّد في كثير من أحواله بشريعة إبراهيم عليه السلام، ويتمسّك بسُنَن إسماعيل عليه السلام، ولم ينكر نبوّة محمّد عليه السلام؛ إذ لم يكن قد بُعِث في أيّامه، ولا يقطع بكفر مَنْ مات في زمن الفَتْرة، فلم يكن حكمه حكم الكفّار المشركين الذين شهد النبيّ عليهم السلام بأنهم فحم جهنّم، انتهى. قال في السيرة الحلبية: منع الاستغفار لأُمّه عليه السلام إنما يأتي على القول بأنّ مَنْ بدّل دينه أو غيّره أو عَبد الأصنام من أهل الفَتْرة مُعذّب، وهو قولٌ ضعيف مبنيٌّ على وجوب الإيمان والتوحيد بالعقل، والذي عليه أكثر أهل السنّة والجماعة أن لا يجب ذلك إلا بإرسال الرسل، ومن المقرّر أن العرب لم يُرسل إليهم رسول بعد إسمٰعيل عليه السلام، وأنّ إسمٰعيل انتهت رسالته بموته كبقيّة الرسل؛ لأن ثبوت الرسالة بعد الموت من خصائص نبيّنا ﷺ، وأنّ أهل الفترة من العرب لا تعذيب عليهم، وإن غيّروا أو بدّلوا أو عبدوا الأصنام، والأحاديث الواردة بتعذيب مَنْ ذكر أو بدّل أو غيّر أو عبد الأصنام مؤوّلة، أو خرّجت مخرج الزجر للحَمْل على الإسلام. ثم رأيت بعضهم رجّح أن التكليف بوجوب الإيمان بالله تعالى وتوحيده، أي بعدم عبادة الأصنام، يكفي فيه وجود

....

رسول دعا إلى ذلك، وإن لم يكن الرسول مرسلًا لذلك الشخص بأن لم يدرك زمنه حيث بلغه أنه دعا إلى ذلك أو أمكنه علم ذلك، وأنّ التكليف بغير ذلك من الفروع لا بدّ فيه من أن يكون ذلك الرسول مرسلًا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته؛ وعلى هذا، فمَنْ لم يُدرك زمن نبيّنا ﷺ ولا زمن مَنْ قبله من الرُّسل مُعذَّب على الإشراك بالله بعبادته الأصنام؛ لأنه على فرض أن لم تبلغه دعوة أحد من الرُّسل السابقين إلى الإيمان بالله وتوحيده، ولكنه كان متمكّنًا من علم ذلك، فهو تعذيب بعد بعث الرسل لا قبله، وحينئذ لا يشكل ما أخرجه الطبراني في الأوسط بسندٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بعث الله نبيًّا إلى قوم ثم قبضه إلّا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنّم». ولعل المراد المبالغة في الكثرة، وإلّا فلا. أخرج الشيخان عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا تزال جهنّم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربّ العزة فيها قدمه فيرتدّ بعضها إلى بعض، وتقول: قطّ قط» أي حسبي بعزّتك وكرمك.

وأمّا بالنسبة لغير الإيمان والتوحيد من الفروع، فلا تعذيب على تلك الفروع لعدم بعثة رسول إليهم، فأهل الفترة وإنْ كانوا مقرّين بالله إلّا أنهم أشركوا بعبادة الأصنام، فقد حكى الله عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: الآية ٣]، ووجه التفرقة بين الإيمان والتوحيد وغير ذلك أنّ الشرائع بالنسبة للإيمان بالله والتوحيد كالشريعة الواحدة؛ لاتّفاق جميع الشرائع عليه. هذا وقد جاء أنهم ـ أي أهل الفترة ـ يُمتحنون يوم القيامة، فقد أخرج البزار عن ثوبان أنّ النبيّ عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهليّة يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربّهم فيقولون: ربنا لم تُرسل إلينا رسولًا ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت إلينا رسولًا لكنّا أطْوَع عبادك، يقول لهم ربهم: أرأيتم إن أمرتكم بأمرٍ أن تطيعوني؟ فيقولون: نعم، فيأخذ على ذلك مواثيقهم، فيُرسل إليهم: أن ادخلوا النار، فينطلقون حتى إذا رأوها فَرَقوا ورجعوا، فقالوا: ربّنا فرِقْنا منها، ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: ادخلوها داخرين»، فقال النبيّ ﷺ: «لو دخلوها أوّل مرّة كانت عليهم بردًا وسلامًا».

....

قال الحافظ ابن حجر: فالظنّ بآله ﷺ، يعني الذين ماتوا قبل البعثة، أنهم يُطيعون عند الامتحان إكرامًا للنبيّ عليه السلام لتقرّ عينه، ونرجو أن يدخل عبد المطّلب الجنّة في جماعة مَنْ يدخلها طائعًا، إلّا أبا طالب، فإنه أدرك البعثة ولم يُؤمن به بعد أن طلب منه الإيمان، انتهى كلامه.

ولعلّه لم يذهب إلى مسألة الإحياء، ولذا قال ما قال في حقِّ أبي طالب:

نا اميدم مكن از سابقهٔ لطفِ ازل

توچه دانى كه پسِ پرده كه خوبست وكه زشت. اهـ بحروفه.

وقوله: قد أشبعنا الكلام في إيمان أبوي النبيّ عليه السلام.... الخ. عبارته في سورة البقرة هكذا: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية ١١٩] ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلّغت؟ والجحيم المكان الشديد الحرّ والقرّ، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٩] - بفتح التاء وجزم اللام - على أنه نهي لرسول الله ﷺ عن السؤال عن حال أبويه، على ما رُوِي أنه عليه السلام قال: «ليت شعري ما فعل أبواي»؟ أي ما فعل بهما، وإلى أيِّ حالٍ انتهى أمرهما، فنزلت.

واعلم أنّ السلف اختلفوا في أن أبوي النبيّ ﷺ: هل ماتا على الكفر، أو لا؟ وذهب إلى الثاني جماعة متمسّكين بالأدلّة على طهارة نسبه عليه الصّلاة والسّلام منْ دَنَس الشِّرك وشَيْن الكفر وعبادة قريش صنمًا، وإنْ كانت مشهورة بين الناس، لكن الصواب خلافه؛ لقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٥]، وقوله تعالى في حقِّ إبراهيم: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: الآية ٢٨]. وذهب إلى الأوّل جمع منهم صاحب التيسير، حيث قال: ولمّا أمر رسول الله ﷺ بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أين والديّ؟ فقال: «في النار»، فحَزِن الرجل فقال عليه السلام: «إن والدَيْك ووالديّ ووالدي إبراهيم في النار»؛ فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٩]، فلم يسألوه شيئًا بعد ذلك؛ وهو كقوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠١].

....

وذهب نفر من هذا الجَمْع بنجاتهما من النار، منهم الإمام القرطبي حيث قال في التَّذكرة: إن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: حجّ بنا رسول الله ﷺ حجّة الوداع، فمرّ على عقبة الحجون، وهو باكٍ حزين مغتمّ، فبكيت لبكاء رسول الله ﷺ، ثم إنه طفر، فنزل فقال: «يا حُمَيْراء[1] استمسكي» أي زمام الناقة، فاستندت إلى جنب البعير، فمكث عني طويلًا، ثم إنه عاد إليّ وهو فَرِحٌ متبسّم فقلت له: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، نزلت من عندي وأنت باكٍ حزين مغتمّ، فبكيت لبكائك يا رسول الله، ثم إنك عدت إليّ وأنت فَرِح مبتسم، فعمّاذا يا رسول الله؟ فقال: «ذهبت لقبر آمنة أُمّي فسألت الله أن يُحييها فأحياها فآمنت».

ورُوِيَ أنّ الله أحيى له أباه وأُمّه وعمّه أبا طالب وجدّه عبد المطلب. قال الحافظ شمس الدِّين الدمشقي:

حَبَا الله النبيّ مزيد فَضْلٍ ... على فضلٍ وكان به رؤوفا
فأحيى أُمّه وكذا أباه ... لإيمانٍ به فَضْلًا لطيفا
فسلّم فالقديم به قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

وفي الأشباه والنظائر: مَنْ مات على الكفر أُبيح لعنه، إلا والدي رسول الله ﷺ؛ لثبوت أن الله تعالى أحْياهما له حتى آمَنَا، كذا في مناقب الكردري. وذكر أنّ النبيّ عليه السلام بكى يومًا بكاءً شديدًا عند قبر أبويه وغرس شجرة يابسةً، وقال: «إن اخضرّت، فهو علامة إمكان إيمانهما»، فاخضرّت ثم خرجا من قبرهما ببركة دعاء النبيّ ﷺ وأسلما ثم ارتحلا. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سرّه: وممّا يدلّ على ذلك أنّ اسم أبيه كان عبد الله، والله من الأعلام المختصّة بذاته تعالى لم يسمّ به صنم في الجاهلية، فإنّ اسم بعض أصنامهم اللّات وبعضها العزّى، انتهى كلامه.

وليس إحياؤهما وإيمانهما به ممتنعًا عقلًا ولا شرعًا، وقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يُحيي الموتى،

---

(١) يعني عائشة رضي الله تعالى عنها، كان يقول لها أحيانًا: يا حُمَيْراء، تصغير الحمراء، يريد البيضاء. اهـ لسان العرب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وكذلك نبيّنا عليه السلام أحيى الله على يديه جماعة من الموتى، وإذا ثبت هذا، فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادةً في كرامته وفضيلته؟ وما رُوِي من أنه عليه السلام زار قبر أُمّه وأبكى مَنْ حوله، فقال: «استأذنت في أن أستغفر لها، فلم يُؤذن لي. واستأذنت في أن أزور قبرها، فأُذن لي؛ فزوروا القبور فإنها تذكّركم الموت»، فهو متقدّم على إحيائهما؛ لأنه كان في حجّة الوداع، ولم يزل عليه السلام راقيًا في المقامات السَّنِيَّة صاعدًا في الدرجات العَلِيَّة إلى أن قَبَض الله روحه الطاهرة؛ فمِنَ الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له عليه السلام بعد أن لم تكن.

فإن قلت: الإيمان لا يقبل عند المُعاينة، فكيف بعد الإعادة؟

قلت: الإيمان عند المعاينة إيمان بأس، فلا يقبل بخلاف الإيمان بعد الإعادة، وقد دلّ على هذا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية ٢٨]، وورد أن أصحاب الكهف يبعثون آخر الزمان ويحجّون ويكونون من هذه الأُمّة تشريفًا لهم بذلك. وورد مرفوعًا: «أصحاب الكهف أعوان المهدي»، فقد اعتدّ بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت، ولا بِدع أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبيّ عمر، ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفائه تلك اللحظة الباقية، وآمَنَا فيها فيعتدّ به، وتكون تلك البقيّة بالمدّة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيّه ﷺ، كما أنّ تأخير أصحاب الكهف هذه المدّة من جملة ما أُكرِمُوا به ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأُمّة. وذهب خاتمة الحفّاظ والمحدثين الإمام السخاوي في هذه المسألة إلى التوقّف، حيث قال في المقاصد الحسنة بعدما أورد الشعر المذكور للحافظ الدمشقيّ: وقد كتبت فيه جزءًا، والذي أراه الكفّ عن التعرّض لهذا إثباتًا ونفيًا، انتهى.

وسُئل القاضي أبو بكر بن العربيّ أحد الأئمّة المالكيّة عن رجل قال: إنّ آباء النبيّ عليه السلام في النار؟ فأجاب بأنه ملعون؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٧]، وفي الحديث: «لا تُؤذوا الأحياء بسبب الأموات». وسُئِل الإمام الرستغفي عن قول بعض الناس:

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ أي وعد أبوه إياه أن يسلم (أو هو وعد أباه) أن يستغفر وهو قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾

أن آدم عليه السلام لما بدت منه تلك الزّلّة اسودّ منه جميع جسده، فلمّا أُهبط إلى الأرض أُمِرَ بالصيام والصلاة، فصام وصلّى فابيضّ جسده، أيصحّ هذا القول؟ قال: لا يجوز في الجملة القول في الأنبياء عليهم السلام بشيء يؤدّي إلى العيب والنقصان فيهم، وقد أُمِرْنا بحفظ اللّسان عنهم؛ لأن مرتبتهم أرفع وهم على الله أكرم، وقد قال عليه السلام: «إذا ذكرت أصحابي فأمسكوا»، فلمّا أُمِرْنا أن لا نذكر الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشيء يرجع إلى العَيْب، فلأن نُمسك ونكفّ عن الأنبياء أوْلى وأحقّ؛ فحقّ المسلم أن يُمسك لسانه عمّا يُخِلّ بشرف نسب نبيِّنا عليه السلام ليست من الاعتقاديات، فلا حظّ للقلب منها. وأمّا اللّسان، فحقّه أن يُصان عمّا يتبادر منه النقصان، خصوصًا إلى وَهْم العامّة لأنهم لا يقدرون على دفعه وتداركه، فهذا هو البيان الشافي في هذا الباب بطرقه المختلفة التقطته من الكتب النفيسة، وقرنت كل نظير إلى مثله، والحمد لله تعالى وحده. اهـ بحروفه في تبيين المحارم للعلامة سنان افندي في باب النهي عن الاستغفار للكفار.

روى القرطبي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ رسول الله ﷺ أحيا والديه فآمَنا به، وهما الآن مؤمنان يأكلان ويشربان في الجنّة، وصحّح القرطبي هذا الحديث وتبعه جماعة من العلماء، في هذا القول انتهى. وأيضًا فيه: ونقل بعضهم أنّ عيسى عليه السلام إذا نزل من السماء إلى الأرض يحيي والدي رسول الله ﷺ فيجعل والده ﷺ رئيس عسكره في قتال الدجّال ومَنْ تبعه من اليهود، والله تعالى أعلم بالصواب. اهـ.

قوله: (أو هو وعد أباه) بفتح الهمزة والباء الموحدة، يعني أنّ فاعل وعد ضمير إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإياه ضمير عائد على أبيه بدليل ما قرأه حماد الراوية والحسن وابن السّميقع وابن نَهِيك ومعاذ القارىء، كما في الدرّ المصون، فإنه قرأوا (أباه) بالموحدة.

[الممتحنة: الآية ٤] (**دليله قراءة الحسن «وعدها أباه»**) ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذي به يغفر له ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ﴾ من جهة الوحي ﴿لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿أَنَّهُۥ﴾ أن أباه ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بأن يموت كافرًا وانقطع رجاؤه عنه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾ وقطع استغفاره (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾) هو المتأوه (**شفقًا وفرقًا**)، ومعناه أنه (**لفرط**) ترحمه ورقّته كان يتعطف على أبيه الكافر ﴿حَلِيمٌ﴾ هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى، لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنك.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ أي ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه (**محظور**)، لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام، ولا يخذلهم إلا إذا قدموا

قوله: (دليله قراءة الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه وغيره، كحماد وابن السميقع وابن نهيك ومعاذ القاري كما في الدرّ المصون. (**«وعدها أباه»**) بالباء الموحدة، وهذه قراءة شاذّة. **قوله:** (﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾) لَكثير التأوّه، وهو أن يقول الرجل عند الشّكاية والتوجّع: آه من كذا، وأصله: أوه ـ بسكون الواو وكسر الهاء ـ فقلبوا الواو ألفًا وقالوا: آه من كذا، وربما شدّدوا الواو وكسروها وسكّنوا الهاء، فقالوا: أوّه، وربما حذفوا الهاء، فقالوا: أوّ، وبعضهم يفتح الواو مع التشديد، فيقول: أوّه، وبعضهم يقول: أوّاه ـ بالمدّ والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء ـ لتطويل الصوت بالشكاية. وفي الحديث: «الأوّاه الخاشع المتضرّع»، وقيل: معنى كون إبراهيم ﷺ أوّاهًا أنه كلّما ذكر لنفسه تقصيرًا أو ذكر له شيئًا من شدائد الآخرة كان يتأوّه إشفاقًا واستعظامًا له. **قوله: (شَفقًا)** محرّكة، أي خوفًا. في القاموس: الشَّفَق ـ محرَّكة ـ الخوف والشفقة، وشفق وأشفق حاذَرَ. اهـ باختصار. **قوله: (فَرَقًا)** في مختار الصّحاح: الفَرَق الخوف، وقد فَرِق منه من باب طرب. اهـ. **قوله: (لفرط)** الفَرَط: الغَلَبة.

قوله: (محظور) بالحاء المهملة والظاء المعجمة، بمعنى ممنوع.

عليه بعد بيان **(حظره)** وعلمهم بأنه واجب الاجتناب، وأما قبل العلم والبيان فلا، وهذا بيان لعذر مَن خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين، والمراد بـ ﴿مَّا يَتَّقُونَ﴾ ما يجب اتقاؤه للنهي، فأما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلّف عنه كقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: الآية ٤٣] ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ فيه بعث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبيّ ﷺ والمهاجرين والأنصار ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ في غزوة تبوك ومعناه في وقتها. والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق وكانوا في عسرة من الظّهر **(يعتقب العشرة على بعير واحد)**، ومن الزاد تزودوا **(التمر المدود والشعير المسوس)** و**(الإهالة الزنخة)**، وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصّها الجماعة ليشربوا عليها الماء، ومن الماء حتى نحروا الإبل وعصروا **(كرشها)**

قوله: (حظره) بالحاء المهملة والظاء المعجمة، أي منعه.

قوله: (يعتقب العشرة على بعيرٍ واحد) أي يتعاقبونه في الركوب واحدًا بعد واحد. **قوله: (التمر المدوّد)** في مختار الصِّحاح: داد الطعام يَداد دَوْدًا بوزن يخاف خوفًا، وأداد ودوّد وتدويدًا كلّه بمعنى، أي وقع فيه السوس. اهـ. **قوله: (والشعير المسوّس)** في مختار الصحاح: السُّوس يقع في الصوف والطعام، وسَاس الطعام يساس سَوْسًا بوزن قول إذا وقع فيه السوس، وكذا أساس الطعام وسوّس تسويسًا. اهـ. **قوله: (الإهالة)** بالكسر الودك المُذاب. اهـ مصباح. **قوله: (الزنخة)** في مختار الصّحاح: زنخ الدهن تغيّر، فهو زنخ وبابه طرب. اهـ. **قوله: (كرشها)** في مختار الصحاح: الكَرِش بوزن الكَبِد، والكِرْش بوزن الكِبْد، الكلّ مجترّ بمنزلة المَعِدة[1] للإنسان، وتؤنّثها العرب. اهـ.

---

(١) المِعْدة بوزن الرعدة لغة فيها. اهـ مختار الصحاح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وشربوه، وفي شدة زمان من **(حمارّة القيظ)** ومن **(الجدب)** والقحط ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه. وفي ﴿كَادَ﴾ ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النصب وهو كقولهم: «ليس خلق الله مثله» أي ليس الشأن خلق الله مثله (﴿يَزِيغُ﴾ **حمزة وحفص**) ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ تكرير للتوكيد ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ أي وتاب على الثلاثة وهم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أُمية، وهو عطف على ﴿ٱلنَّبِيِّ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن الغزو ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ **(برحبها)** أي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانًا يقرّون فيه **(قلقًا)** و**(جزعًا)** ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها خرجت من فرط الوحشة والغمّ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بعد خمسين يومًا ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ليكونوا من جملة التوابين ﴿إِنَّ

قوله: (حمارة القَيْظ) في لسان العرب: حمارّة القيظ ـ بتشديد الراء ـ وحَمَارَته شدّة حَرّه ـ بالتخفيف ـ عن اللّحيانيّ: وقد حُكِيَت في الشتاء، وهي قليلة، والجمع حمَارّ. اهـ. وفي مختار الصحاح: القَيْظ حارّة الصيف. اهـ. **قوله: (الجدب**[1]**)** ضدّ الخِصْب. **قوله:** (﴿يَزِيغُ﴾) بالياء على التذكير **(حمزة)** بن حبيب **(وحفص)** عن عاصم. والباقون بالتأنيث.

قوله: (برحبها) بضمّ الراء إشارة إلى أنّ ما مصدريّة، والباء للملابسة. **قوله: (قَلَقًا)** القلق الانزعاج، وقد قَلِق من باب طرب، فهو قَلِق، يقال: بات فلان قلِقًا وأقلقه غيره. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله: (جزعًا)** الجَزَع ضد الصبر، وبابه طرب، وقد جَزِع وأجْزع غيره. اهـ مختار الصحاح.

---

(١) بمعنى القحط. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عن (أبي بكر الورّاق) أنه قال: التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ في إيمانهم دون المنافقين، أو مع الذين لم يتخلفوا، أو مع الذين صدقوا في دين الله نية وقولًا وعملًا. والآية تدلّ على أن الاجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ المراد بهذا النفي النهي وخصّ هؤلاء بالذكر وإن استوى كل الناس في ذلك، لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾ ولا أن (يضنوا) ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ عما يصيب نفسه أي لا يختاروا لبقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه في البأساء والضرّاء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ النهي عن التخلّف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ (عطش) ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ (مجاعة) ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الجهاد (﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾) ولا يدوسون مكانًا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم

قوله: (**أبي بكر**) محمد بن عمر الحكيم، (**الورّاق**) أصله من ترمذ، وأقام ببلخ، لَقِي أحمد بن خضرويه وصحب محمد بن سعد الزاهد ومحمد بن عمر البلخي، له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات.اهـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار.

قوله: (**يَضِنّوا**) في مختار الصحاح: ضَنّ بالشيء يضَن ـ بالفتح ـ ضِنًّا ـ بالكسر ـ وضَنَانة ـ بالفتح ـ أي بخل، فهو ضَنِين به. قال الفراء: ضَنَّ يَضِن بالكسر لغة.اهـ. **قوله:** (**عطش**) العطش ضدّ الريّ، وبابه طرب. **قوله:** (**مجاعة**) أي جوع. **قوله:** (﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾)... الخ. قال صاحب الكشاف: وبهذه

وأرجلهم ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يغضبهم ويضيق صدورهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ ولا يصيبون منهم إصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: لكل روعة سبعون ألف حسنة. يقال: نال منه إذا (رزأه) ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم. وفيه دليل على أن مَن قصد خيرًا كان سعيه فيه مشكورًا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك، وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لأن وطء ديارهم مما يغيظهم، وقد أسهم النبيّ ﷺ لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب. والموطىء إما مصدر كالمورد، وإما مكان. فإن كان مكانًا فمعنى ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يغيظهم وطؤه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾ في سبيل الله ﴿صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ **(مثل ما أنفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة)** ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾

الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة رحمه الله، أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة؛ لأن وطأ ديارهم مما يغيظهم وينكىء فيهم، ولقد أسهم النبيّ عليه السلام لابنَي عامر، وقد قدما بعد تقضي الحرب، وأمدّ أبو بكر الصدّيق المهاجرين إلى أميّة وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس،فلحقوا بعدما فتحوا، فأسهم لهم. وعند الشافعي رحمه الله: لا يُشارك المَدد الغانمين، هذا لفظه. وهكذا ذكر صاحب الهداية هذا الخلاف من غير تعرّض للآية، فقال: وإذا لحقهم المَدد في دار الحرب قبل أن يُخرجوا الغنيمة إلى دار الإسلام شاركوهم فيه، خلافًا للشافعي رحمه الله بعد انقضاء القتل، هكذا سرد الكلام. . . الخ. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (رزأه) في مختار الصحاح: رزأته أي أصابته مصيبة، ورزأ أي نَقَصَ. اهـ.

قوله: (**مثل ما أنفق عثمان رضي الله تعالى عنه**)، وهو ألف دينار، قيل: وألف جمل أعان به المسلمين (**في جيش العسرة**) أي في غزوة تبوك.

أي أرضًا في ذهابهم ومجيئهم وهو كل (منفرج) بين جبال (وآكام) يكون منفذًا للسيل، وهو في الأصل فاعل من «ودى» إذا سال ومنه (الودْيُ)، وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ من الإنفاق وقطع الوادي ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ متعلق بـ ﴿كُتِبَ﴾ أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرًا لأجرهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

(﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ﴾) اللام لتأكيد النفي أي أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ فحين لم

قوله: (منفرج) ـ بضمّ الميم وبفتح الراء ـ اسم مكان بمعنى ما انعطف يمنةً أو يسرة؛ لأنه منخفض بين جبال يجري فيه سيولها، وهو (منعطف) في الأكثر.
قوله: (آكام) في المصباح: الأكمة تلّ، وقيل: شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربما غلظ، وربما لم يغلظ، والجمع أكم وأُكمات، مثل قَصبة وقُصُب وقصبات، وجمع الأكم آكام، مثل جبل وجبال، وجمع الآكام أُكُم ـ بضمّتين ـ مثل كتاب وكتب، وجمع الأُكم آكام، مثل عنق وأعناق. اهـ.
قوله: (الوَدْي) ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول يخفَّف ويثقل، قال الأزهري: قال الأُموي: الوَدي والمَذي والمني مشدّدات وغيره يخفّف، وقال أبو عبيدة: المنيّ مشدّد والآخران مخفّفان، وهذا أشهر. اهـ مصباح.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ﴾). . . الخ. اعلم أن للآية توجيهين ذكروهما، واكتفى الإمام الزاهد وصاحب الحسيني بالثاني فقط، أحدهما: أن ضمير ليتفقهوا ولينذروا ورجعوا راجع إلى الطائفة، والقوم هو الفرقة. والآخر: أن يكون بالعكس، فعلى الأول معناها ما استقام للمؤمنين أن ينفروا إلى تحصيل العلم كافّةً، فهلّا نفر مِنْ كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ليتفقّهوا، أي الطائفة النافرة، ولينذروا قومهم الباقية إذا رجعوا إلى قومهم، يعني يجعلوا غاية سَعْيهم ومعظم غرضهم من الفَقاهة إرشاد القوم وإنذارهم لا الترفّع على الناس

يكن نفير الكافة (فهلّا نفر) ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ أي من كل جماعة كثيرة

والتبسّط في البلاد لعلهم يحذرون، أي إرادة أن يحذروا عمّا ينذرون منه، فيكون في الآية دليل على أن الفقه من فروض الكفاية، وعلى أن خبر الواحد حجّة للعمل؛ لأنه جعل إنذار الطائفة النافرة للفرقة الباقية مفيدًا للعمل، وهو اسم للواحد والاثنين فصاعدًا، هكذا ذكره القاضي البيضاوي. وذكر الإمام فخر الإسلام في أوّل الكتاب: أنّ الله تعالى ندب للفقه في هذه الآية ودعاهم إلى الإنذار، والإنذار هو العلم والعمل جميعًا؛ فدلّ على أن العمل داخل في الفقه وفي أقسام السنّة أن خبر الواحد يوجب العمل؛ لأن الله تعالى دعاهم إلى العمل بقول: ﴿طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢] وهو اسم للواحد والاثنين فصاعدًا، وعلى الثاني قيل في نزولها: لما نزل في المتخلّفين ما نزل سبق المؤمنون إلى النفر وانقطعوا عن الفقه، فأصرُّوا أن ينفر من كل فرقة طائفة إلى الجهاد، ويبقى أعقابهم يتفقّهون لئلّا ينقطع التفقّه الذي هو الجهاد الأكبر. فمعناها ما استقام للمؤمنين أن ينفروا كافّةً لغزو، فهلّا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة للغزو، وليتفقّهوا ـ أي الجماعة الكثيرة الباقية ـ ولينذروا قومهم، أي الطائفة النافرة إذا رجعوا إلى تلك الفرقة، فلا يكون الآية دليلًا على حجّية خبر الواحد، نعم يستقيم أن يكون دليلًا على حجية الخبر المشهور كما لا يخفى على المُنصف، وعلى الجهاد لا يفرض على كل واحد، وأن التفقّه أيضًا من الفروض الكفاية، ولعلّ ذلك فيما احتاج المسلمون إلى الغزو والعلم جميعًا. أو يقال: إنّ الآية محمولة على ما لم يكن النفر عامًّا، فيكون الجهاد فرض كفاية، وأن التفقّه هو الاجتهاد، ومن المعلوم أنه فرض كفاية، وإنما فرض العين هو تعلّم المسائل لا الفقه؛ كما قال عليه السلام: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، هذا ما يخطر بالبال، والله أعلم.اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (فهلّا نفر) يعني أن لولا هنا تحضيضيّة لا امتناعيّة، وهي مع الماضي تفيد التوبيخ على ترك الفعل، ومع المضارع تفيد طلبه والأمر به، لكن اللَّوْم على التَّرك فيما يمكن تلافيه قد يفيد الأمر به في المستقبل، ولذا قيل: إنّ الآية تدلّ على وجوب طلب العلم، لا لما قيل: إنّ التوبيخ على الترك يقتضي الوجوب.اهـ شهاب رحمه الله. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: يعني أن لولا تحضيضيّة مثل هلّا، وقد تقرّر أن حرف التحضيض إذا دخل على الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل،

جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (**ليتكلفوا الفقاهة**) فيه (**ويتجشموا المشاق**) في تحصيلها ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ وليجعلوا (**مرمى**) همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ دون الأغراض الخسيسة من التصدّر والترؤس والتشبّه بالظلمة في المراكب والملابس ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ما يجب اجتنابه. وقيل: إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثًا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعًا عن التفقه في الدين، فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد، ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر، إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثرًا من الجهاد (**بالنصال**). والضمير في ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصّلوا في أيام غيبتهم من العلوم. وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه.

والتوبيخ إنما يكون على ترك الواجب، فيُستفاد منه كون الفعل واجبًا، فظهر أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢] الأمر بالنفير بعدما بيَّن أنه لا يمكن نفير الكافّة لأيّ مطلوبٍ كان من المطالب الدينيّة، أي لأي مطلوب كان من المطالب؛ كالغزو والتفقّه في الدِّين والتفقه في معرفة أحكام الدين، وهو ينقسم إلى فرض عين؛ كعلم الطهارة والصوم والصلاة. وفرض كفاية، مثل أن يتعلّم حتى يبلغ درجة الاجتهاد والفتيا، والمراد من العلم في قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ما يكون تعلّمه فرض عين. اهـ.

قوله: (**ليتكلّفوا الفَقاهة**) فيه إشارة إلى أن صيغة التفعّل المتكلّف، وليس المراد به معناه المتبادر، بل مقاساة الشدّة في طلبه لصعوبته، وأنه لا يحصل بدون جهد وجدّ. **وقوله:** (**الفَقاهة**) ـ بالفتح ـ في لسان العرب: فَقُه فَقَاهة وهو فقيه. اهـ. وفي القاموس: الفقه ـ بالكسر ـ العلم بالشيء والفهم له والفِطْنة، وغلب على علم الدِّين لشرفه، وفَقُه ككرم وفَرِح، فهو فقيه. اهـ. **قوله:** (**ويتجَشموا المشاق**) أي يرتكبوها. **قوله:** (**مَرمى**) أي مقصد. **قوله:** (**بالنّصال**) في مختار الصِّحاح: النَّصْل نصل السهم والسيف والسكين والرمح والجمع نُصول ونِصال. اهـ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ يقربون منكم ﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾. القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم، ولكن الأقرب فالأقرب أوجب. وقد حارب النبيّ ﷺ قومه، ثم غيرهم من عرب الحجاز، ثم الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره، وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة و(عنفًا) في المقال قبل القتال ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرة والغلبة.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ («ما» صلة) مؤكدة ﴿فَمِنْهُم﴾ فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ بعضهم لبعض ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾ إنكارًا واستهزاء بالمؤمنين و﴿أَيُّكُمْ﴾ مرفوع بالابتداء وقيل: هو قول المؤمنين للحثّ والتنبيه ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ يقينًا وثباتًا أو خشية أو إيمانًا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلًا ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفرًا مضمومًا إلى كفرهم ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ هو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني

قوله: (عنفًا) في المصباح: عنف به وعليه عُنْفًا من باب قرب إذا لم يرفق به، فهو عنيف. اهـ.

قوله: («ما» صلة) بالكسر، أي زائدة.

المنافقين (**وبالتاء: حمزة خطاب للمؤمنين**) ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ نفقة صغيرة ولا﴾ عن نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ لا يعتبرون. أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ لا يتوبون بما يرون من دولة الإسلام، ولا هم يذكرون بما يقع بهم من (**الاصطلام**).

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ (**تغامزوا بالعيون**) إنكارًا للوحي وسخرية به قائلين ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم، أو إذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد إن قمتم من حضرته عليه السلام ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عن حضرة النبيّ عليه السلام مخافة الفضيحة ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن فهم القرآن ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لا يتدبرون حتى يفقهوا.

قوله: (وبالتاء) أي بتاء الخطاب (**حمزة خطاب للمؤمنين**) على جهة التعجّب. والباقون بياء الغيب رُجوعًا على الذين في قلوبهم مرض.

قوله: (﴿فِي كُلِّ عَامٍ﴾) الاستغراق هنا العرفي، أي في كلّ عام مِنْ أعوامهم زمن نفاقهم (﴿مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾)، والمراد مجرّد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور، وهذا المعنى وإن فُهِم من قوله مرّتين؛ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [المُلك: الآية ٤] الآية، لكن أُريد المبالغة، فاختير ما ذكر في النظم، فكلمة أو بمعنى بل؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصّافات: الآية ١٤٧]، لكن حمله على الترديد أُدخل في إفادة المبالغة. اهـ قنوي. **قوله: (الاصطلام)** الاستئصال. اهـ مختار الصّحاح.

قوله: (تغامزوا بالعيون) يعني أن المراد من النظر النظر المخصوص الدالّ على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها..

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

(﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ **محمد** عليه السلام) ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شديد عليه شاق ـ لكونه بعضًا منكم ـ عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ على إيمانكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ فاستعن بالله وفوّض إليه أمورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فوّضت أمري إليه ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ هو أعظم خلق الله. خلق مطافًا لأهل السماء وقبلة للدعاء ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ بالجر وقرىء بالرفع على نعت الرب جلّ وعزّ. عن أبيّ: آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية.

قوله: (﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ محمّد عليه السلام)... الخ. يقول كاتب الحروف غفر الله له ولوالديه وأشياخه وأحبابه: قد رأيت رسالة للعلّامة علي القاري عليه رحمة الله الباري في المدينة المنوّرة على صاحبها الصّلاة والسّلام ونسختها، فأحببت أن أُلحقها بتفسير هذه الآية الشريفة لتزيد بها الفائدة، وتتمّ بها العائدة، وهي هذه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أحمد الله الأزلي الأبدي، على ما أضاء النور الأحمدي، وأشرق الضياء المحمّديّ، المَنْعوتَ بالمحمود، في العالم والوجود، وأفاء على العرب والعجم، بأنواع النِّعَم، وأضاف الجود، وأهداه إلى الناس كافّة، إرسال هداية وهديّة ورحمة ورأفة، وهو الرَّحيم الوَدُود، بإبراز هذا المولود، في أحسن المَوْرود، وهو شهر ربيع الأوّل، على ما عليه المعول، صلّى الله تعالى عليه وسلم، وشرّفه وكرّم، وأحسن إليه، وقرّبه واصطفاه لديه، ولقد أحسن المقال مَنْ قال، مِنْ بعض أرباب

....

الحال: شعر[(١)]:

لهذا الشهر في الإسلام فضل ومنقبة تفوق على الشهور
فمولود به واسمٌ ومعنّى وآيات بهرن لدى الظهور
ربيعٌ في ربيعٍ في ربيع ونورٌ فوق نورٌ فوق نور

وقد قال تعالى في القرآن العظيم، والفرقان الحكيم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، وأظهر هذا الإخبار، المتضمّن لحصول الأنوار، مصدّرًا بالقسم المقدّر ومؤكّدًا بحرف التحقيق، إشارةً إلى أنّ مجيئه صلّى الله تعالى عليه وسلّم إليهم من علامات العناية وأمارات التوفيق، والخطاب عامٌّ شامل للمؤمنين والكافرين، لكنه هدى للمتقين، وحجّة على الآخرين، كماء النّيل ماءٌ للمحبوبين، ودعاء للمحجوبين، وإيماءً إلى أنّ مجيئه موعودٌ إليكم، ومقصودٌ لديكم، بمقتضى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: الآية ٣٨]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٣٩]، وفي الإتيان بالشرطية المُؤكّدة بما المزيدة في إتيان الرسول، ومجيئه المقبول، دلالة كاملة، وعلامة شاملة، إلى أن بعث الرسول ليس بواجب عليه سبحانه إلا بموجب وعده، وفضله وكرمه على عباده، وفيه إشعار بأنه لولا إرسالنا إياه بالمجيء إليكم، لما تنزّل عن مرتبته ولا نزل باختياره عليكم، فإنه من المقرّبين إلينا، ومن المعظّمين لدينا، وهو لا يحب الغَيْبة عن حضرة الحقّ، بالإقبال والتوجّه إلى الخلق. أمَا ترى إلى أيازِ الخاص، حيث كان من عبيده الخواصّ، كلما عرض عليه سيّده وسلطانه من المناصب الجليلة، لم يقبله وأقبل على إقبال الحضرة العَليّة، لكنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ترك ما يريد لما يختاره الله تعالى ويُريد، كما هو شأن المراد والمريد، وقد قال قائلهم: شعر:

أُريد وِصاله ويريد هَجْري فأترك ما أُريد لما يُريد

(١) من الوافر وأجزاؤه مَفَاعِلَتُنْ ستّ مرّات. ١٢ منه عمّ فيضهم.

مَفَاعِلَتُنْ مَفَاعِلَتُن فَعُولُن مفاعلتن مفاعلتن فعولن
مقطوفه مقطوف

....

فهذه مرتبة أهل الكمال، من أرباب الحال، الجامعين بين تجلّيات الجمال والجلال، الفانين عمّا سواه في الإدبار والإقبال، ولذا لمّا قيل لأبي يزيدَ: ما تريد؟ قال: أريد أن لا أُريد. وقد قال بعض أرباب التوفيق، من أصحاب التحقيق والتدقيق: هذه أيضًا إرادة عند الصوفية السادة، إذًا إرادة عدم الإرادة من باب الزّيادة، تلميحًا إلى مقام الفناء عن السِّواء، وحالة التسليم والرّضاء في قضاء القَضاء، ثم التنوين في رسولٌ للتعظيم، المحتوي للتكريم، فكأنه تعالى قال: لقد جاءكم أيها الكرام رسولٌ كريم، من ربٍّ كريم، بكتاب كريم، فيه دعاء إلى رَوْح ورَيْحان وجنّةِ نعيم، وزيادةُ بشارة إلى لقاءِ كريم، وإنذارٍ عن الحميم والجحيم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: الآيتان ٤٩، ٥٠]، من عظمة هذا الرسول أنه أخذ الميثاق من الأنبياء الكرام، والرُّسل العِظام، أن كل مَنْ أدرك وقت مجيئه بالرسالة، على جهة العَظَمة والجلالة، آمَنَ به ونصره وأظهر كماله، كما أشار إليه المفسّرون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: الآية ٨١]، وقد هَدَى عليه السلام إلى هذا المقام العالي، بقوله: «لو كان موسى حيًّا لما وَسِعَه إلّا اتّباعي»، وأومأ إلى ذلك، بل إلى أنه فوق ما هنالك، في المرتبة بقوله: «آدمُ ومَنْ دونه تحت لوائي يوم القيامة»، ثمّ كأنه سبحانه يقول: اعلموا أنه صلّى الله تعالى عليه وسلم ما جاءكم إلى جانبكم إلا باعتبار القالب الصُّوري، على وجه الظهور النُّوري، ولكنه باعتبار القلب الحضوريّ واقفٌ عند بابنا، حاضرٌ في جنابنا، لا يَغيب من البَيْن لَمْحة عين، فهو مجمع البحرين؛ لأنه غريب عندكم وقريبٌ إلينا، وبائنٌ عنكم وكائنٌ علينا، وقرشي معكم وعرشي لدينا، ومع هذا مرجعه إلى الحضرة وإنْ طالت الغيبة كما هو شأن الرسول بالنسبة إلى المُرْسِل، بعد حصول المقصد المُوصِل، ففيه مَزْج الهناءِ بالعِزاء، على ما عليه جميع نِعَم الدنيا بظهور البقاء وتعقيب الفناء، ومن الغريب أنهما وَقَعا في موسم واحد وربيع متّحد على السَّواء، كما وقع من عجائب التاريخ أن عُرس[١] ميمونةَ رضي الله تعالى عنها كانت بسَرِف حيث بنى بها وهنّاها، ووقع فيه موتها ودفنها

(١) بالضمّ الزّفاف مثل كتاب، وهو إهداؤها إلى الزوج .اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وعزاؤها، فسبحان الحيّ الذي لا يموت ولا يفوت ولا يزول ولا يحول، والحمد لله الذي أحيانا بالإسلام، وجعلنا من أُمّة محمّد عليه السلام الذي هو متمنّى الأنبياء الكِرام، فمجيئه عليه الصّلاة والسّلام من تَمام النّعمة وغاية الإكرام، فوجب الإقبال والاستقبال، في زمانِ الإرسال ومكان الإيصال، وقد جمع الله تعالى من مَحْض الإفضال بين حصول النعمتين العظيمتين، لأهل البقعتين الكريمتين، أعني الحرمَيْن الشريفَيْن، والمحلَّيْن المنيفَيْن، زادهما الله تشريفًا وتكريمًا، ومَهابةً وتعظيمًا، حيث وقع المولد المُكرَّم بمكّة الأمينة، والمَدْفَن المعظّم في المدينة السَّكينة، على ساكنها من الصلوات أفضلها، ومن التحيّات أكملها، وقد قام أهل كلٍّ بما هو أهلٌ له، وفعل كلٌّ من الجميل بما هو ميسّر وسُهّل له، من زيارة المولد والمولود، وحصل لهم غاية الفوز ونهاية المقصود. قال شيخ مشائخنا الإمام العلّامة، الحبر البحر الفهّامة، شمس الدين محمد السخاوي، بلغه الله المقام العالي، وكنت ممن تشرّف بإدراك المولد في مكّة المشرّفة عدَّة سنين، وتعرّف ما اشتمل عليه من البركة المشار لبعضها بالتعيين، وتكرّرت زيارتي فيه لمحل المولد المستفيض، وتصوّرَتْ فكرتي ما هنالك من الفخر الطويل العريض، قال: وأصل عمل المولد الشريف لم يُنْقَل عن أحدٍ من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حَدَثَتْ بعدها بالمقاصد الحسنة والنيّة التي للإخلاص شاملة، ثم لا زال أهل الإسلام، في سائر الأقطار والمدن العِظام، يحتفلون في شهر مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، وشرّف وكرّم، بعمل الولائم البديعة، والمطاعم المشتملة على الأمور البهيجة الرفيعة، ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويُظهرون المسرّات ويزيدون في المبرّات، بل يَعْتَنُون بقراءة مولده الكريم، ويَظهرُ عليهم من بركاته كل فضلٍ عظيم عَمِيم، بحيث كان مما جُرِّب؛ كما قال الإمام شمس الدين بن الجزري المقرىء المقرّب، ومن خواصّه أنه أمان تامّ في ذلك العام، وبشرى تعجيلِ نيل ما يُبْتَغى ويُرام، قال: وأكثرهم بذلك عنايةً أهل مصر والشام ولسلطان مصر في تلك الليلة من إنعام أعظم مقام، قال: ولقد حضرت في سنة خمس وثمانين وسبعمائة ليلة المولد عند الملك الظاهر بَرْقوق رحمه الله بقلعة الجبل العَلِيّة فرأيت ما هالَني، وسرّني وما ساءَني، وحرّرت ما أنفق في تلك الليلة على القرّاء والحاضرين، من الوعّاظ والمُنشدين، وغيرهم من الأتباع

....

والغلمان والخدّام المتردّدين، بنحو عشرة آلافِ مثقالٍ من الذّهب العَين، بالحَدْس المُصيب لا المَيْن[١]، ما بين خلع ومطعوم ومشروب ومشموم ومسموع، وغيرها مما يستقيم به الضّلوع، وعددت في ذلك خمسًا وعشرين جُوقةً من القرّاء الصِّنْتِيتِينَ[٢]، المرجوّ كونهم مثبتين[٣]، ولم ينزل واحد منهم إلّا بنحو عشرين خلعة من السلطان، ومن الأُمراء الأعيان. قال السخاوي: قلت: ولم يزل ملوك مصر خدّام الحرمين الشريفين، ممن وفّقهم الله لهدم كثير من المناكير والشَّيْن، ونظروا في أمر الرّعية كالوالد لولده، وشهّروا أنفسهم بالعدل فأسعفهم الله بجنده ومَدَده، كالملك السعيد الشهيد الظاهر المصدّق أبي سعيد جَقْمَق، يعتنون به، ويتوجهون لطريق سببه، بحيث ارتفعت جوق القرّاء في أيّامه بيقين، للزيادة على الثلثين، فذكروا بكل جميل، وكَفَوْا من المهمات كل عريض وطويل. وأما ملوك الأنْدَلُس والغرب فلهم فيه ليلة تسير بها الركبان، يجتمع فيها أئمّة العلماء الأعلام ممن يليهم من كلّ مكان، وتعلوها بين أهل الكفر كلمة الإيمان، وأظنّ أهل الروم لا يتخلّفون عن ذلك، اقتفاءً بغيرهم من الملوك فيما هنالك، وبلاد الهند تزيد على غيرها بكثير، مما أعلمنيه بعض أولي النقل والتحرير. قلت: وأمّا العجم، فمن حيث دخل هذا الشهر المعظم، والزمان المُكرّم، لأهلها مجالس فخام، من أنواع الطعام، للقرّاء الكرام، والعلماء العظام، وللفقراء من الخاصّ والعام، وقراءات الختمات، والتلاوات المتواليات، والإنشادات المعتمدات، وأجناس المبرّات والخيرات، وأنواع السرور، وأصناف الحبور، حتى بعض العجائز من غزلهنّ ونسجهنّ يجمعن ما يقمن بجمعهن الأكابر والأعيان، وبضيافتهنّ ما يقدرْنَ عليه في ذلك الزمان، ومن تعظيم مشائخهم وعُلمائهم هذا المولد المعظّم، والمجلس المكرّم، إنه لا يأباه أحد في حضوره، رجاء إدراك نوره وسروره، وقد وقع لشيخ مشائخنا مولانا زين الدين محمود البهدايني النقشبندي، قُدِّس سرّه العليّ، أنه أراد سلطان الزمان، وخاقان الدوران، همايون بادشاه، تغمّده الله وأحسن مثواه، أن يجتمع به، ويحصل له المَدَد والمُدَد بسببه، فأباه الشيخ وامتنع

---

(١) أي الكذب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) الصِّنْتِيت كالصِّنْدِيد وزنًا ومعنًى، أي السيد ومهترو بزرك. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) أي مثبتين وجودهم بالفضائل العَلِيّة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

أيضًا أن يأتيه السلطان، استغناءً بفضل الرحمٰن، فألَحّ السلطان على وزيره بَيْرام خان، بأنه لا بدّ من تدبير الاجتماع في المكان، ولو في قليلٍ من الزّمان، فسمع الوزير أن الشيخ لا يحضر في دعوة من هناء وعزاء إلّا في مولد النبيّ عليه السلام، تعظيمًا لذلك المقام، فأنْهى إلى السلطان فأمره بتهيئة أسبابه الملوكانيّة، من أنواع الأطعمة والأشربة ومما يُشمّ به ويُتبخّر في المجالس العلميّة، ونادى الأكابر والأهالي، وحضر الشيخ مع بعض الموالي، فأخذ السلطان الإبريق، بيد الأدب ومعاونة التوفيق، والوزير أخذ الطّشت من تحت آمِرِه، رجاء لطفه ونظره، وغَسَلا يد الشيخ المكرّم، وحصل لهما ببركة تواضعهما لله ولرسوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، المقامُ المعظم، والجاهُ المفخّم. قال السخاوي: وأما أهل مكّة، معدن الخير والبركة، فيتوجّهون إلى المكان المتواتر بين الناس أنه محل مولده، وهو في سوق اللّيل رجاء بلوغ كلّ منهم بذلك لمقصَده، ويزيد اهتمامهم به على يوم العيد، حتى قلّ أن يتخلّف عنه أحد من صالح وطالح ومقلّ وسعيد، سيما الشريف صاحب الحجاز، بدون تَوَارٍ وانْحِجازٍ. قلت: الآن، سيما الشريف لا يُبان، في ذلك المكان، ولا في ذلك الزمان، وجدّد قاضيها وعالمها البرهاني الشافعي رَحِمَه الله تعالى إطعام غالب الواردين، وكثير من القاطنين المشاهدين، فاخرَ الأطعمة والحلوى، ويمدّ للجمهور في منزله صُبَيْحَتها سماطًا جامعًا رجاءً لكشف البلوى، وتَبِعه ولده الجمّالي في ذلك، للقاطن والسالك. قلت: أمّا الآن، فما بقي من تلك الأطعمة إلا الدخان، ولا يظهر مما ذكر إلا ريحُ الريحان؛ فالحال، كما قال[1]:

أمّا الخيام فإنها كخيامهم لٰكِنْ نساءُ الحيّ غير نسائها

قال: ولأهل المدينة كثّرهم الله تعالى به احتفال، وعلى فِعله إقبال، وكان للملك المظفّر صاحب إِرْبِلَ[2] رحمه الله بذلك فيها أَتَمُّ العناية، واهتمامها ما بشأنه جاوز الغاية، أثنى عليه به العلّامة أبو شامة، أحد شيوخ النوويّ السابق في الاستقامة، في كتابه الباعث، على إنكار البدع والحوادث، وقال مثل هذا الحَسَنُ

(١) من الكامل، وأجزاؤه: متفاعلن ستّ مرات. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) كاثريد، بلد قريب الموصل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

يندب إليه، ويُشكر فاعله ويُثنى عليه، زاد ابن الجزريّ: ولم يكن في ذلك إلّا إرغام الشيطان، وسرور أهل الإيمان. قال - يعني ابن الجزري -: وإذا كان أهل الصليب اتّخذوا ليلة مولد نبيِّهم العيد الأكبر، فأهل الإسلام أوْلى بالتكريم وأجدر. قلت لما يرد عليه: إنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب، ولم يظهَر من هذا الشيخ لهذا السؤال جواب. قال على سبيل الإضراب: بل خرّج شيخ مشائخ الإسلام، خاتمة الأئمّة الأعلام، أبو الفَضْل ابن حجر، الأستاذ المُعتبر، تغمّده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنّته، فعلَه على أصلٍ ثابت يميل إلى الاستناد إليه كلّ حبر هُمام، وهو ما ثبت في الصحيحَيْن من أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قَدِم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجّى موسى عليه السلام، فنحن نصومه شكرًا لله عزّ وجلّ؛ فقال ﷺ: «فأنا أحقّ بموسى عليه السلام منكم» فصامه، وأمر بصيامه، وقال: «إنْ عِشْتُ إلى قابل» الحديث. قلت: وافقهم أوّلًا للألفة، ثم خالفهم آخرًا تحقيقًا لصورة المخالفة، قال - أي الشيخ - فيُستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما مَنّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة، أو دَفْع نَقْمة، ويُعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كلّ سنة والشكر لله تعالى يُحَصِّلُ أنواع العبادة؛ كالصلاة والصيام والتلاوة، وأيّ نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبيّ نبيّ الرحمة صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم؟! قلت: وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] إشعارٌ بذلك، وإيماءٌ إلى تعظيم وقت مجيئه لما هنالك، قال: وعلى هذا فينبغي أن يُقْتَصر فيه على ما يُفَهِّم الشكرَ لله تعالى من نحو ما ذكر وأما ما يتبعه من السّماع واللّهو وغيرهما، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مُباحًا[1] بحيث يعين السرور بذلك اليوم فلا بأس بإلحاقه، وما كان حرامًا أو مكروهًا فيُمْنَع، وكذا ما كان فيه خلاف، بل[2] يحسن في أيام الشهر كلّها ولياليه، يعني كما جاء عن ابن جماعة تمنّيه، فقد اتّصل بنا أن الزاهد القدْوة المُعَمر أبا إسحٰق إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن إبراهيم بن جماعة لمّا كان في المدينة النبويّة، على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل التحيّة، كان يعمل طعامًا في المولد النبويّ ويُطعم الناس ويقول: لو

---

(١) كالمسابقة في الرّمي والفرس والإبل والإقدام. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) إضراب عن فلا بأس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

تمكّنت عملت بطول الشهر كل يوم مولد. قلت: وأنا لما عجزت عن الضيافة الصورية، كتبت هذه الأوراق لتصير ضيافة معنوية نورية، مستمرّة على صفحات الدهر، غير مختصّة بالسَّنة والشهر، وسمّيته بالمورد الرَّويّ، في المولد النبويّ.
قال: وأمّا قراءة المولد ينبغي أن يُقْتَصَر منه على ما أورده أئمّة الحديث في تصانيفهم المختصّة بذلك، كالمورد الهنيّ، وغير المختصّة به بل ذُكِرَ ضمنًا كدلائل النبوّة للبيهقيّ، ولا بأس بلطائف المعارف لابن رجب في ذلك لأن أكثر ما بأيدي الوُعّاظ منه كذب واختلاق، بل لم يزالوا يولِّدون ما هو أقبح وأسمح ممّا لا تحلّ روايته ولا سماعه، بل يجب على من علم بطلانَه إنكارُه، والأمر بترك قراءته على أنها لا ضرورة إلى سياق ذكر المولد بل يكتفي بالتلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبويّة والزهديّة، المحرّكة للقلوب إلى فعل الخير وعمل الآخرة، والصلاة والسلام على صاحب المولد. واعلم أنّ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، أي رجل موصوف بوصف النبوّة والرّسالة، ومنعوت بنعت العظمة والجلالة، إمّا إشارة إلى مآله حين بلوغ زمان كماله، وظهور أوان جماله، أو إيماء إلى ما ورد من قوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطّين»، وهو وإن قال بعض الحفّاظ: لم نقف عليه بهذا اللفظ، لكن جاء معناه في طرق صحيحة. منها: ما رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن العِرْباض بن سارية رضي الله تعالى عنه عن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم، قال: «إني مكتوب عند الله خاتَم النبيّين وإنّ آدم لمُنْجدل في طينته»، أي لطريحٌ ملقًى على الأرض قبل نفخ الروح فيه. ومنها: ما رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم عن ميسرة الضَّبّي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، متى كنتَ نبيًّا؟ فقال: «وآدم بين الماء والطّين»، ويُروى: «كُتِبْتَ» من الكتابة. ومنها: خبر الترمذي وحسّنه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنهم قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد». وورد: «أنا أوّل الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا». وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه: أنه صلّى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة،

....

وكان عرشه على الماء». ومن جملة ما كتب في الذِّكر وهو أُمّ الكتاب أن محمّدًا خاتم النبيّين، والمراد ظهور نبوّته للملائكة المقرّبين وعلوّ روحه في أعلى مقام عليّين إعلامًا بعظيم شرفه وتميّزه على سائر الأنبياء والمُرسلين، ثم خصّ الإظهار بحالة كون آدم عليه السلام بين الروح والجسد؛ لأنه أوان دخول الأرواح إلى عالم الأجساد، وتميّز الذرّيّة والأولاد، من الآباء والأجداد. وأجاب الإمام حجّة الإسلام في كتاب النفخ والتسوية عن وصفه صلّى الله تعالى عليه وسلم نفسه بالنبوّة قبل وجود ذاته، وتحقّق كمالات صفاته، بأن المراد بالخلق هنا التقدير لا الإيجاد، فإنه قبل أن تحمل به أُمّه لم يكن مخلوقًا موجودًا، ولكن العنايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود. وقال[1]: وهو معنى قولهم: أوّل الفكر آخر العمل، وآخر العمل أوّل الفكر؛ فقوله: «كنت نبيًّا» أي في التقدير قبل تمام خلقة آدم؛ إذ لم ينشأ إلا لينتزع من ذرّيته محمّد ﷺ، وتحقيقه: أن للدار في ذهن المهندس وجودًا ذهنيًّا سببًا للوجود الخارجي وسابقًا عليه، فالله تعالى يقدّر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيًا، انتهى ملخّصًا. وذهب السبكي رحمه الله إلى ما هو أحسن، وللمقصود أبْيَن، وهو أنه جاء أن الأرواح خُلِقَتْ قبل الأجساد، فالإشارة بكنت نبيًّا إلى روحه الشريفة أو حقيقةٍ من حقائقه ولا يعلمها إلّا الله تعالى ومَنْ حَباه بالاطّلاع عليها، ثم إنه تعالى يؤتي بكلّ حقيقة منها ما شاء في أيّ وقت شاء، فحقيقته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم قد تكون من حين خُلِق آدم عليه السلام آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيّئة له وأفاض عليها من ذلك الوقت فصار نبيًّا، وكتب اسمه الشريف على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته الزائدة عنده، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت، وإن تأخر جسده الشريف المتّصف بها فحينئذ تَنَجُّزُ إيتائه النبوّة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجّل لا تأخر فيه، وإنما المتأخّر تكوّنه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر على الوجه الأتمّ، صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم. قال: ومن فسّر ذلك بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبيًّا لم يصل لهذا المعنى؛ لأن عِلمه تعالى مُحيط بجميع الأشياء، فالوصف بالنبوّة في ذلك الوقت ينبغي أن يُفهم منه أنه أمرٌ ثابت له فيه، وإلّا لم يختصّ بأنه نبيّ؛ إذ الأنبياء كلّهم كذلك بالنسبة لعلمه سبحانه.

(١) القائل هو الإمام المذكور رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

قال القسطلاني[١] ﷺ: لمّا تعلقت إرادة الله تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمّدية، من الأنوار الصّمديّة، في حضرة الأحديّة، ثم سلخ منها العوالم كلّها، عِلْوَها وسِفلِها، على صورة حُكْمِه، كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه تعالى بنبوّته، وبشّره برسالته هذا ولم يكن آدم إلّا كما قال: «بين الروح والجسد»، ثم انبجست منه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم عيون الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم المورد الأحْلى، فهو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس، لما انتهى الزّمان بالاسم الباطن في حقّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به، انتقل حكم الزّمان إلى اسم الظاهر فظهر محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم بكليّته روحًا وجسمًا، فهو صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إن تأخّرت طينته، فقد عُرِفَتْ قيمته، فهو خزانة السرّ، وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفُذ أمرٌ إلّا منه، ولا ينتقل خبرٌ إلّا عنه، كما قال:

ألا[٢] بأبي مَنْ كان ملكًا وسَيِّدًا ... وآدم بين الماء والطين واقف
فذلك الرسول الأبطحي محمّد ... له في العلى مجدٌ تليد[٣] وطارف
أتى بزمان السعد في آخر المدى ... وكان في كلّ عصر مواقف
إذا رام أمرًا لا يكون خلافه ... وليس لذاك الأمر في الكون صارف

قال: وروينا في جزء من أمالي أبي سهل القطّان عن سهل بن صالح الهَمْدَاني، قال: سألت أبا جعفر محمدَ بنَ عليّ: كيف صار محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم يتقدّم الأنبياء، وهو آخر مَنْ بُعِث؟ قال: إنّ الله تعالى لمّا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، كان محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أوّل مَنْ قال: بلى. وأخرج ابن سعد عن الشعبي: متى

---

(١) بالفتح منسوب بطريق قسطلة، وبالضم خطأ.

(٢) من الطويل، وأجزاؤه: فعولن مفاعيلن أربع مرّات. ١٢.

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

مقبوضة مقبوض

(٣) كأمير قديم وهو نقيض الطارف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

استُنْبِئْتَ يا رَسُول الله؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد، حين أخذ الميثاق مني»، وهو يدلّ على أن آدم لما صوّر طينًا استخرج منه محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ونُبِّىء وأُخذ منه الميثاق، ثم أُعيد إلى ظهره ليخرج أوانَ وجوده، فهو أوّلهم خلقًا، وخلقُ آدم السابق كان مواتًا لا روح فيه، وهو صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان حيًّا حين استخرج ونُبِّىء وأُخذ منه ميثاقه، فهو أوّل النبيّين خلقًا وآخرهم بعثًا، ولا ينافي هذا أنّ استخراج ذريَّة آدم إنّما كان بعد نفخ الروح فيه؛ لأنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم خُصّ من بين بني آدم بذلك الاستخراج الأوّل. وفي تفسير العماد ابن كثير عن عليّ وابن عباس رضي الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨١] الآية، أنّ الله لم يبعث نبيًّا إلّا أخذ العهد عليه في محمد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لئن بُعِث وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، ويأخذ العهد بذلك على قومه. وأخذ السبكي رحمه الله من الآية أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم على تقدير مجيئهم في زمانه مرسل إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّةً لجميع الخلق من آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم من أُمّته، يعني في الجملة؛ فقوله: «وبُعِثْت إلى الناس كافّة» يتناول مَنْ قَبْل زمانه أيضًا، وبه يتبيّن معنى «كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد»، وحكمة كون الأنبياء في الآخرة تحت لوائه وَصَلاته بهم ليلة الإسراء. قلت: ويؤيّده ما ذكره الإمام فخر الرازي في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرقان: الآية ١]، يشمل الملائكة وغيرهم. قال: وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأُمّي، أخبرني عن أوّل شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: «يا جابر إنّ الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنّة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنيّ ولا إنسيّ، فلمّا أراد الله أن يخلق الخَلْق قسم ذلك النور بأربعة أجْزاءٍ[١]، فخلق من الجزء الأوّل القلم، ومن الثاني اللَّوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجْزاءٍ، فخلق من الأوّل

---

(١) أي زاد فيه، لا أنه قسم ذلك النور الذي هو نور المصطفى؛ إذ الظاهر أنه حيث صوّره بصورة مماثلة لصورته التي سيصير عليها لا يقيسه إليه ولا إلى غيره. اهـ زرقاني.

....

حَمَلة العرش، ومن الثاني الكرسيّ، ومن الثالث بقيّة الملائكة. ثم قسم الرابع أربعةَ أجزاء، فخلق من الأوّل السمٰوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنّة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاءٍ، فخلق من الأوّل نور أبصار[1] المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور ألسنتهم وهو التوحيد لا إلـٰه إلّا الله محمّد رسول الله» الحديث. قلت: ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور: الآية ٣٥] أي نور محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ﴾ [النور: الآية ٣٥] الآية، واختلفوا في أوّل المخلوقات بعد النور المحمّدي، فقيل: العرش، لما صحّ من قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «قدّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»، فهذا صريح في أنّ التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أوّل خلق القلم؛ لحديث عُبادة بن الصّامت مرفوعًا: «أوّل ما خلق الله القلم، وقال له: اكتب، قال: يا ربّ وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء»، رواه أحمد والترمذي وصحّحه ولكن صحّ في حديث مرفوع من حديث أبي رُزَيْن العقيليّ رواه أحمد والترمذي «أن الماء خُلِق قبل العرش»، وفي قوله تعالى: ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُود: الآية ١] إشارة إليه ودلالة عليه. وروى السُّدّيّ بأسانيد متعدّدة: «الله تعالى لم يخلق شيئًا مما خلق قبل الماء»؛ فعُلِم أنّ أوّل الأشياء على الإطلاق النور المحمّدي، ثم الماء، ثم العرش، ثم القلم؛ فذِكْر الأوّلية في غير نوره صلّى الله تعالى عليه وسلّم إضافيّة، وورد: «لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور في ظهره، فكان يلمع في جبينه ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على أكتاف ملائكته وأمرهم فطافوا به في السمٰوات ليرى عجائب ملكوته». قال جعفر بن محمد: مَكَثَتْ الروح في رأس آدم مائة عام، وفي صدره مائة عام، وفي ساقَيْه وقدمَيْه مائة عام، ثم علّمه الله تعالى أسماء جميع المخلوقات، ثم أمر الملائكة بالسجود سجود تعظيم وتحيّة لا سجود عبادة؛ كسجود إخوة يوسف له، فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى، وآدم كالقبلة. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان يوم الجمعة من وقت الزّوال إلى

---

(١) بمعنى بصائر أو الأعم منها ومن الحسية. ولم يعتبر أيضًا الكفار لأنهم لما فقدوا نفعها كانت مضرّة عليهم لا منفعة لهم. زرقاني.

....

العصر، ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم، وسُمِّيت حواء لأنها خُلِقت من حيّ، فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومَدّ يده لها، فقالت الملائكة: مَهْ يا آدم، قال: ولِمَ، وقد خلقها لي؟ فقالوا: حتى تؤدّي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلّي على محمّد ثلاث مرات. وقد ذكر ابن الجزري في كتاب سَلْوة[1] الأحزان أنه لما رامَ القرب منها طلبت المهر منه، فقال: يا ربّ وماذا أُعطيها؟ قال: يا آدم صلّ على حبيبي محمّد بن عبد الله عشرين مرّة، ففعل. قلت: ولعلّ الثلاث كان مهرًا معجّلًا، والعشرين صَداقًا مؤجّلًا. وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا ربّ، أسألك بحقّ محمد إلّا غفرت لي؟ فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت ولم أخلقه؟ قال: يا ربّ لأنك لمّا خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إلـٰه إلّا الله محمّد رسول الله، فعَلِمْتُ أنك لم تُضِف إلى اسمك إلّا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدَقْتَ يا آدم، لأنه أحبّ الخلق إليّ، وإذا سألتني بحقّه فقد غفرتُ لك ولولا محمّد ما خلقتك»، رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمـٰن بن زيد بن أسلم، وقال: تفرّد به عبد الرحمـٰن، ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذرّيتك». وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال: «هبط جبريل على النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فقال: إنّ ربك يقول: إن كنت اتّخذت إبراهيم خليلًا فقد اتّخذتك حبيبًا، وما خلقتُ خلقًا أكرم عليّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا»، ولله درّ العارف الوليّ سيدي عليّ الوفوديّ[2]:

سَكَنَ الفؤاد فعِشْ هنيئًا يا جَسَدْ ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
روح الوجود خيال من هو واحد ... لولاه ما تمّ الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصَّدْر وجميعهم ... هم أعينٌ هو نُورُها لمّا ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أوّل مَنْ سجد

---

(١) بالفتح ويضمّ. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٢) من الكامل، وأجزاؤه: متفاعلن ستّ مرات.

....

أو لو رأى النمرودُ نور جماله عَبَدَ الجَليل مع الخليل ولا عَنَد

لكن جمال الله جلّ فلا يرى إلا بتخصيص من الله الصمد

وإنما خلق الله تعالى حواء لتسكن إلى آدم ويسكن إليها، فحين صار لديها فاضت بركاته عليها، فولدت له في تلك الأعوام الحسنى، أربعين ولدًا في عشرين بطنًا، ووضعت شيثَ وحدَه، كرامةً لمن أطلع الله بالنبوّة سَعْدَه. ولمّا توفي آدم عليه السلام كان شيث عليه السلام وصيًّا على ولده، ثم أوصى شيث ولده بوصيّة آدم أن لا يضع هذا النور إلّا في المطهّرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية جاريةً تُنقَل من قرنٍ إلى قرنٍ إلى أن أدّى الله النور إلى عبد المطّلب وولده عبد الله، وطهّر الله تعالى هذا النّسب الشريف من سِفاح الجاهلية، كما ورد عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في الأحاديث المرضيّة. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيما رواه البيهقي في سننه: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «ما ولدني من سِفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام». قال القسطلاني: والسفاح ـ بكسر السين المهملة ـ الزّنا، والمراد به هنا أن المرأة تسافح الرجل مدّة، ثم يتزوّجها بعد ذلك. ورَوى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبي عن أبيه، قال: كتبت للنبيّ ﷺ خمسمائة أُمّ، فما وجدت فيهن سفاحًا، ولا شيئًا مما كان عليه من أمر الجاهلية. وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأُمي، لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء» رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم وابن عساكر. ورَوى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا: «لم يلتق أبواي قطّ على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة مصفًّى مهذّبًا لا تتشعّب شعبتان إلا كنت في خيرهما». وعنه في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٩]، قال: «من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجتك نبيًّا» رواه البزار، ورواه أبو نعيم نحوه. وفيه تنبيه على أنه عليه السلام انتقل من أصلاب الأنبياء الكرام، وليس معناه أنّ الآباء كلّهم من الأنبياء، فإنه خلاف ما عليه إجماع العلماء، ولا أن آباءه جميعهم من أهل الإسلام، فإنّ فيهم مَنْ أجمع على كفره الفقهاء الأعلام، كعبد المطلب وأبي إبراهيم عليه

....

السلام، وأبويه[1] صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما بيّنت في غير هذا المقام، مما ألّفت في تحقيق هذه المسألة، رسالة مستقلّة، وأدّيت بالأدلّة القاطعة القامعة، في ردّ ما ألّفه السيوطي من الرسائل الثلاثة في هذه المادّة اللامعة، ثم قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] أي جنسكم وهو بشر مثلكم لكنه رسول منّا مبلّغ عنّا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: الآية ١١٠]، والحكمة فيه أن الجنسيّة علّة الانضمام، وبها يحصل الالتئام وكمال النظام، وأيضًا يسهل الاقتداء به على وجه التّمام؛ إذ لو أرسل ملك لقيل له القوّة الملكيّة، ونحن عاجزون عن متابعته لضعف البشريّة، بخلاف ما إذا كان الرّسول بشرًا، فإنه يُقتدى به قولًا وفعلًا وحالًا وأثرًا، فإنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم واسطة بين المرسَل والمرسل إليه بأخذ الفَيْض من الحقّ، وإيصاله إلى الخلق، ولم يُفهم هذا المعنى، وغفل عن هذا المَبْنى، جَمْع من الكفّار، حيث قالوا بطريق الإنكار، أبعث الله بشرًا رسولًا؟ وهذا يدلّ على سَخافة عقولهم حيث رضوا أن يكون الإلـٰه حجرًا، واستبعدوا أن يكون الرسول بشرًا. والحاصل أن مجيء الرسول نعمة جسيمة، وكونه من جنس البشر منحةٌ عظيمة، وقال بعضهم: قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] أي جنس العرب وهو لا ينافي ما سبق، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: الآية ٤]، وقد صحّ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأسانيد متعدّدة أنه قال: «ليس من العرب قبيلة إلّا وقد وَلَدَتِ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُضَريها وربيعِيها ويمانيها»، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: الآية ٢٣]. وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لم يكن بطن من قريش إلّا ولرسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فيهم قرابة، فنزلت: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: الآية ٢٣]، أي أن تَصِلُوا ما بيني وبينكم، وقُرِىء: ﴿مِّنْ أَنفَسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] بفتح الفاء أي من أعظمكم قدرًا نقله الحاكم عن ابن عباس رضي

---

(١) مما يجب أن يقال في هذا المقام جزى الله تعالى السيوطي ومن حذى حذوه من الأئمة الحنفية والشافعية وسامح الله تعالى هذا المؤلف بما زلّ به قدمه ويرجى لكثرة علمه أن لا يكون معتقدًا في آخر أمره. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

الله تعالى عنهما. وأخرج ابن مَرْدَوَيْه عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قرأ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، فقال عليّ بن أبي طالب: يا رسول الله، ما معنى أنفسكم؟ فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «أنا أنفسكم نَسَبًا وصهرًا وحَسَبًا، ليس فيّ ولا في آبائي مِنْ لدنْ آدم سِفاح، كلنا نكاح». وأخرج البيهقي في الدّلائل عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: خطب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم وقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلّا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبويّ فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية وخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح، من لدنّ آدم حتى انتهيتُ إلى أبي وأُمّي، فأنا خيركم نفسًا وخيركم أبًا». وأخرج أحمد والترمذي وحسّنه عن العباس بن عبد المطّلب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إن الله حين خلق الخلق جعلني في خير خلقه، ثم حين فرّقهم جعلني في خير الفريقين، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم بيتًا وخيرهم نفسًا، أي خيرهم أصلًا ونسبًا وخيرهم ذاتًا وحسبًا». وأخرج الحكيم الترمذي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الله تعالى خلق الخلق فاختار مِنَ الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مُضَر، واختار من مُضَر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيارٍ إلى خيار». وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: ذُكِر لنا أن نبيّ الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «إذا أراد الله أن يبعث نبيًا نظر إلى خير أهل الأرض قبيلة، فيبعث من خيرها رجلًا». ويُرْوَى عن زين العابدين عليّ بن الحسين عن جدّه عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم رفعه: «كنت نورًا بين يديّ الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عَشَر ألفَ عام، فلمّا خلق آدم جعل ذلك النور في صلبه، فلم يزل

....

ينقله من صلبٍ إلى صُلْب حتى استقرّ في صلب عبد المطّلب»، وكذا عند القاضي عياض في الشفا بلا سند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ قريشًا كانت نورًا بين يديّ الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفَيْ عام، يسبِّح ذلك النور وتسبِّح الملائكة بتسبيحه، فلمّا خلق الله آدم ألقى ذلك النّور في صُلْبه، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح وقذفني في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة، والأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبويّ ولم يلتقيا على سفاحٍ قطّ». ولبعضهم شعر:

حَفظ الإلٰه كرامةً لمحمّد آباءه الأمجاد صَوْنًا لاسمه
تركوا السفاح فلم يُصِبْهم عارُهُ من آدمٍ إلى أبيه وأُمّه

وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم، قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه». قال السخاوي ﷺ: فالرسول صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم سيّد الأوّلين والآخرين والملائكة المقرّبين، وسند الخلائق أجمعين، وحبيب ربّ العالمين، المخصوص بالشفاعة العظمى يوم الدِّين، مولانا أبو القاسم وأبو إبراهيم محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب، واسمه شَيْبة الحمد، قيل: وإنما قيل له عبد المطّلب لأن أباه هاشمًا قال لأخيه المطلب، وهو بمكّة حين حضرته الوفاة: أدرِك عبدك بيثرب، وقيل: إنّ عمه المطلب جاء به إلى مكّة رديفه، وهو بهيئة بَذّة، فكان يُسْأل عنه، فيقول: هو عبدي، حياءً أن يقول ابنُ أخي، فلمّا أدخله وأحسن من حاله أظهر أنه ابنُ أخيه، وهو أوّل مَنْ خَضَبَ بالسواد من العرب، وعاش مائة وأربعين سنة. ابن هاشم واسمه عمرو، وإنما قيل له هاشم لأنه كان يَهْشِم الثّريد لقومه حين الجدب. ابن عبد مناف بن قصيّ تصغير قصيّ، أي بعيد، لأنه بَعُد عن عشيرته في بلاد قُضاعة حين احتملت أُمّه فاطمة، ابن كلاب وهو إمّا منقول من المصدر الذي في معنى المُكالبة، نحو كالَبْتُ العَدُوّ مكالبةً، أي مشاذّة ومضايقة. وإمّا من الكلاب جمع كلب، لأنهما يريدون الكَثْرة كما تَسَمَّوْا بسباع. وسُئِل أعرابي: لِمَ تسمّوا أبناءكم بشر الأسماء، نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمّي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا، يريدون أن

....

الأبناء عدّة للأعداء وسهام في نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء، ابن مرّة بضمّ الميم وتشديد الراء، ابن كعب وهو أوّل مَنْ سَمّى يوم الجمعة يوم العَرُوبة، وكان يخطُب فيه وتجتمع قريش لسماعه، وأوّل مَنْ قال: أما بعد، وربما أنذر في خطبته بخروج النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويعلمهم بأنه من ولده، ويأمرهم باتّباعه، ويقول شعر:

يا ليتني[1] شاهدٌ فحواءَ دعوته حينَ العشيرةُ تنفي الحقّ خِذْلانا

ابن لؤي تصغير اللأي[2]، ابن غالب بن فهر بكسر الفاء واسمه قريش، أو لقبه وفهر اسمه، وإليه ينتهي نسب قريش، فمن لم يكن مِنْ وَلَده فليس بقرشيّ، بل كِناني، وهذا هو الأصحّ وعليه نُسّاب قريش ابن مالك بن النّضر، وقيل: إنه لقبه لنضارة وجهه واسمه قيس، وعند كثيرين أنه جِماع قريش، ابن كنانة بكسر الكاف، أبو قبيلة، ابن خزيمة تصغير خَزَمة ـ بالخاء والزاي المعجمتين ـ ابن مدركة على صيغة الفاعل ابن إلياس بكسر الهمزة قطعًا في قول الأنباري، وقيل: بفتحها وصلًا، وهو قول قاسم بن ثابت ضدّ الرجاء باسم النبيّ المشهُور، واللام فيه للتعريف، وقال السهيليّ: وهذا أصح، ويذكر أنه كان يَسْمَع في صلبه تلبية النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بالحجّ، ويُذْكر أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «لا تسبّوا إلياس، فإنه كان مؤمنًا» ذكر ذلك السهيلي في روضته. وحكى الزبير أنه كان ينكر على بني إسمٰعيل ما غيّروا من سُنن آبائهم، وكان يقوم فيهم ويَعِظهم حتى جمعهم على رأيه ورضوا به رضى مَنْ لم يرضوا من أحد بعد أُدَدٍ[3]، وهو أوّل مَنْ أهدى البُدْن إلى البيت، ولم تَبْرَح العربُ تعظّمه تعظيم أهل الحكمة. ابن مضر على وزن عُمَر، قيل: لأنه كان يَضِير قلب من رآه حسنَه وجماله، وكان حسن الصوت، فاتّفق أنه سقط عن بعيره[4] فأُصيبت يده وهو يقول: وايَدَاهْ وَايَدَاهْ، فنَشِطت الإبل لسماع صوته ذلك،

---

(١) من البسيط، وأجزاؤه: مستفعلن فاعلن أربع مرات: مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلن مستفعلن (مخبونة)، فاعلن مستفعلن فَعْلن (مقطوع).

(٢) كالسعي الإبطاء والاحتباس والشدّة. ١٢.

(٣) كعُمر مصروفًا بضمّتين أبو قبيلة. ١٢ قاموس.

(٤) يقع على الذّكر والأُنثى. ١٢ مصباح.

....

بحيث كان ذلك أصل الحُداء[1] في العرب، وصدق قول القائل: أنه أول من حَدا، ومن كلماته مَنْ يزرع شرًّا يحصِدْ ندامة، وخير الخير أعْجله. ويُرْوَى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لا تسبّوا مُضر وربيعة ـ يعني أخاه ـ فإنهما كانا مسلمين على ملّة إبراهيم عليه السلام، بل يُرْوى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معهما أيضًا خُزَيْمة الماضي، ومَعَدٌّ وعَدْنانٌ وأُدَدُ وقَيْسٌ وتميمٌ وأسدٌ وضَبَّةٌ، وأنهم ماتوا على مِلّة إبراهيم عليه السلام، فلا تذكروهم إلا بما يذكر به المسلمون. ابن نزار ـ بكسر النّون وتخفيف الزاي ـ مأخوذ من النُّزر، وهو القليل؛ لأنه كان فريد عصره. وقيل: لأنه لمّا وُلِد ونظر أبوه نور محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بين عينيه فَرِح فرحًا شديدًا، وأطعم طعامًا كثيرًا زمانًا مديدًا، وقال: إن هذا كلّه نِزارٌ، أي قليل لحقّ هذا المولود. ابن معدّ ـ بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال ـ. ويُرْوى أن بُخْت نصّر لما غزا بلاد العرب أوحى الله تعالى إلى أرميا نبيّ بني إسرائيل إذ ذاك: أن ائْتِ مَعَدًّا، فأخرجه عن بلاده واحمله إلى الشام وتولّ أمره، فإنه يخرج من ولده محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم خاتَم النبيّين، ففعل به ذلك. ويُروى أنّ أولاده لمّا بلغوا عشرين أو أربعين أغاروا على عسكر موسى عليه السلام، فانتهوا فدعا موسى عليهم، فأوحى الله تعالى إليه: لا تَدْعُ عليهم. وفي لفظ: أنه دعا فلم يُجَبْ حتى فعلوا ذلك ثلاثًا، فقال: يا ربِّ دعوتك على قوم أغاروا علينا فلم تُجِبْني فيهم، فقال: يا موسى دعَوْتني على قوم فيهم خِيرَتي في آخر الزّمان. ابن عدنان ـ بفتح العين ـ وإلىٰ هنا من النسب الشريفِ لا خلاف فيه، وإنما الخلاف فيمن فوق عدنان، على أقوالٍ كثيرة متباينة جدًّا، ولذا يُروى أنّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم كان إذا بلغ في النسب إلى عدنان أمْسَك، وقال: «كذب النسّابون»، قال تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفُرقان: الآية ٣٨]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ولو شاء الله أن يُعَلّمه لعلّمه. وقال ابن دِحْية: أجمع العلماء والإجماع حجّة على أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إنما انْتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه. وفي مُسْنَد الفِرْدوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم كان إذا انتسب لم يتجاوز مَعَدّ بن عدنان ثم يُمسك، ويقول: «كَذَبَ

(١) كغراب وهو الغناء لها. ١٢ مصباح.

....

النسَّابون». وقال السهيلي: الأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. وقال غيره: كان ابن مسعود ﷺ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: الآية ٩] قال: كَذَب النسّابون، يعني أنهم يدّعون علم الأنساب، ونفى الله علمها عن العباد في الكتاب. ورُوِيَ عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: إذا انتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بين عدنان وإسمٰعيل ثلاثون أبًا لا يُعْرَفُون. وقال عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما: ما وجدنا أحدًا يعرف بعد معد بن عدنان. وسُئِل مالك رضي الله تعالى عنه عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم، فكره ذلك وقال من أخبره ذلك، وكذا رُوِيَ عنه في رفع نسب الأنبياء عليهم السلام. وعن ابن شهاب أنّ أوّل ما ذكر من فضائل عبد المطلب أنّ قريشًا خرجت من الحَرَم لمّا قَدِم عليهم أصحاب الفيل، وقال هو: والله لا أخرج من حرم الله أبْغِي العِزّ من غيره، ولا أبْغِي سواه عنه بَدِيلًا، وأقام عند البيت المحرم، حتى كان من أمره مع صاحب الحبشة حين خرج إليه مطلوبًا ما عظم به عنده وعند قومه أولي الوجاهة والكرم، وأهلك الله سبحانه الحبشة، وردهم عن بيته وأزال عن أهله تلك الوحشة، وكان السقاية والرّفادة لعبد المطّلب بعد عمّه المطّلب، فإنه أقام لقومه ما كان آباؤه يقيمونه لهم من قبله، فشَرُف بذلك شرفًا لم يبلغه آباؤه، ولا وصل أحد منهم إلى مثله وأحبَّه قومُهُ، وعَظُم خَطَرُه فيهم واعتمدوه في إرشادهم وتنبيههم والرّفادة شيء كانت قريش في الجاهلية تتخارجه من بينهم على قدر طاقتهم، بحيث يجتمع من ذلك كثير، ثم يشترون به طعامًا وزبيبًا للنبيذ ويطعمون الناس ويَسْقُونَهم أيام موسم الحجّ حتى تنقضي. ويُرْوى عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أنه قال: «أنا ابن الذبيحين»، يعني بهما جدّه إسمٰعيل عليه السلام وأباه عبدَ الله. والقصة أخرجها الطبراني من طريق ابن وهب عن أُسامة بن زيد، عن الزهري، عن قَبِيصة بن ذُؤَيْب أن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان عبد المطلب نذر إن كَمُل له عشرة من الولدان أن يَنْحر أحدهم، فلمّا كَمُل عشرة أقرع بينهم أيّهم يَنْحر، فطارت القرعة على عبد الله، وكان أحبّ الناس إلى عبد المطلب، فقال: اللّهمّ هو أو مائة من الإبل؟ ثم أقرع فطارت القرعة على المائة

....

من الإبل. وذكر الزّبير بن بَكّارٍ أنه نحرها وتركها للناس، فأخذوها. قال السخاوي: وصارت الدية مشروعة بتعيين مائة من الإبل بين المسلمين بعد أن كانت في الجاهلية عشرة، ولهذا اقتصر على هذا العدد في القرعة المتكرّرة حيث كان عبد المطلب يزيد عشرة ثم عشرة إلى أن صارت مائة، فجاءت عليها القرعة. قال القسطلاني: وكان سبب نذره حَفْر أبيه عبد المطلب زمزم؛ لأن الجُرْهُمّي عَمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقيّض الله لهم مَنْ أخرجهم من مكّة، فعمد عمرو إلى نفائس، فجعلها في زمزم، وبالغ في طمّها وفرّ إلى اليمن بقومه، فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رُفِعت عنها الحُجُب برؤيا منام رآها عبد المطلب دلّته على حفرها بأمارات عليها، فمنعَتْه قريش من ذلك، ثم آذاه من السفهاء مَنْ آذاه، واشتدّ بذلك بلواه، ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولدٌ سواه، فنذر لئن جاءَهَ عشرة بنين وصاروا له أعوانًا، ليذبحنّ أحدهم قربانًا، ثم احتفر عبد المطّلب زمزم فكانت له فخرًا وعزًّا. وذكر البرقي في سبب تزويج عبد الله بآمنة أنّ جدّه كان يأتي اليمن، فينزل عند عظيم من عظمائهم، فنزل عنده مرّة، فإذا عنده رجل ممّن قرأ الكتب، فقال: ائذن لي، أُفَتِّش مِنْخَرك، فقال: دونك فانظر، فقال: أرى نبوّة ومُلكًا، وإنما هي في المَنافِيّيْنِ، يعني عبد مناف بن قصيّ وعبد مناف بن زهرة، فلمّا انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فزوّجه بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، وتزوّج هو بابنة عمّها هالة ابنة أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة. قال كعب الأحبار: وأعطى الله آمنة عند ذلك من النور والبهاء والوقار والجمال والكمال ما كانت تُدعى به سيّدة قومها، وبقي عبد الله والنور بين عينيه لا يخرج حتى أذن الله للنور أن يخرج إلى بطن أُمّه. وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق مَعْمَر عن الزهريّ قال: كان عبد الله من أحسن فَتًى في قريش، فمرّ بنسوة مجتمعات فقالت امرأة منهنّ: يا نساء قريش أيتكنّ تتزوّج هذا الفتى، فتصطاد النّور الذي بين عينيه؟ قال: فتزوّج آمنة، فحملت برسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم. قال ابن عبد البرّ: لمّا تزوّج عبد الله آمنة كان ابن ثلاثين سنة، وقيل: ابن خمسٍ وعشرين، وقال غيره: ثمانية عشر. قال السخاويّ: وهو الراجح. وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ: لمّا أراد الله خلق

....

محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في بطن أُمّه، وذلك في ليلة الجمعة من رجَب أمر الله تعالى في تلك اللّيلة رضوان خازن الجِنان أن يفتح أبواب الفردوس، وينادي مُنادٍ في السمٰوات والأرضين: ألَا إنّ النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم الهادي في هذه الليلة يستقرّ في بطن أمّه الذي فيه يتمّ خلقه ويخرج إلى الناس نذيراً. وذكر الزبير بن بكّار أنّه كان في أيّام التشريق في شِعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، وللواقدي من جهة وهب بن زمعة عن عمّته قالت: كنا نسمع أن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لمّا حملت به أُمّه آمنة كانت تقول: ما شَعَرْتُ أنّي حَمَلْتُ به ولا وجدتُ ثِقَلًا كما تجد النّساء إلا أنّي أنكرتُ رفع حيضتي، وربما كانت تقول: وأتاني آتٍ وأنا بين النائم واليَقْظان، فقال: هل شَعَرْتِ أنكِ حملتِ؟ فكأني أقول: ما أدري، فقال: إنكِ حملتِ بسيّد هذه الأُمّة ونبيِّها، وسمِّيه محمّدًا، وذلك يوم الاثنين. ولابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن جعفر عن حليمة السعدية مرضعته: أن آمنة قالت لها: إنّ لابني هذا شأنًا، إني حَمَلت حملًا فلم أحْمِل حملًا قطّ كان أخفّ عليّ، ولا أعظم بركةً منه، ثم رأيت نورًا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت له أعناق الإبل ببصرى من أرض الشام، ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان، وقع[١] واضعًا بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء. وفي صحيح ابن حبان ومستدرك الحاكم ومسند أحمد وغيرهم عن العِرْباض بن سارية السّلمي، قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إني عند الله في أُمّ الكتاب لخاتَم النبيّين، وإن آدم لمُنْجَدل في طينته، وسأُنبئكم بأوّل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى قومه، ورؤيا أُمّي التي رأت أنه خرج منها حين وضعت نورًا أضاءت له قصور الشام». قال السخاوي: قوله: ببصرى، قال شيخنا: يحتمل أن يُقرأ بضمّ الموحدة وسكون المهملة مقصورًا، ويحتمل أن يقرأ ببصري ـ بفتح الباء والصاد ـ أي أنها رأت رؤيا عين ببصرها، قال: وبُصْرى على الأوّل بلدة معروفة بطرف الشرق من عمل دِمَشْق مما يلي حَوْران، وهي قصبة من جهة الحجاز بينها وبين الشام نحو مرحلتين. والنكتة في تخصيصها بالذِّكر مع أنه في رواية: «أضاء ما بين المشرق والمغرب»، وفي لفظ: «الأرض»، وهما أشمل كونه

(١) أي وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وصل بنفسه الشريفة إليها وما جاوزها، وقال بعضهم: الإشارة إلى ما خصّ الشام به من نور نبوّته، فإنها دار ملكه، كما ذكر أنّ في الكتب السالفة محمّد رسول الله مولده بمكّة، ومهاجره بيَثْرِب وملكه بالشام، فمن مكّة بُدِأتْ نبوّة محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وإلى الشام تنتهي، ولهذا أُسْرِيَ بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إلى بيت المقدس، وهو من الشام، كما هاجر إبراهيم عليه السلام قبله إلى الشام، بل قال بعض السلف: ما بعث الله نبيًّا إلّا من الشام، فإن لم يُبْعَث منها هاجر إليها، وفي آخر الزمان يستقرّ العلم والإيمان بالشام، فيكون نور النبوّة فيها أظهر منه في سائر البلاد، انتهى. وما وقع من اختلاف الروايات في خروج النور أهو حين الحمل أو الوضع لا مانع من وقوعه في الوقتين، وإنْ كانت الرواية حين الوضع أوْلى بالاتّصال.

وبالجملة، فهذا النور إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وامتداد ملك أُمّته ودين ملّته إلى الآفاق بالطول والعَرْض، وهما أكثر مما بين الجنوب والشمال، بحيث زالت به ظلمة الشرك منهما والضلال، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: الآيتان ١٥، ١٦]. وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]، وقد قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم كما في مسلم وغيره عن ثوبان: «زُوِيَتْ ـ أي جُمِعَت ـ لي مشارقُ الأرض ومغاربُها، وسيبلغ مُلْك أُمّتي ما زُوِيَ منها». وقولها: فلم أحْمِل حَمْلًا كان أخفَّ عليَّ منه يُفهم منه أنها حملت بغيره، وسيما عند ابن سعد مما هو أصْرَحُ منه حديثُ إسحٰق بن عبد الله، قالت: قالت أُمّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: قد حَمَلْتُ الأولاد، فما حملت. وقال ابن سعد: قال الواقديّ: وهذا مما لا يُعرف عندنا ولا عند أهل العلم، فلم تَلِدْ آمنة ولا عبد الله غير رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم. قال الواقديّ: وحدّثني ابن أخي الزهريّ عن عمّه قال: قالت آمنة: لقد عَلَقْتُ به فما وجدت له مشقّة حتى وضعته، وهو عند غيره بلفظ: ما شَعرْت به ولا وجدت له ثقلًا كما تجد النساء. قال السخاويّ:

....

واللفظان يمكن التأويل فيهما على ما سبق عن إسحٰق بن عبد الله إن كان هو ابن طلحة، فهو مُرْسَلٌ رجالُه رجال الصحيح لا يَمْنَع أن تكون آمنةِ أَسْقَطَتْ من عبد الله سِقْطًا، فأشارت بذلك إليه، وبه يجتمع الروايات إن قَبِلنا كلام الواقديّ. وقد قال ابن الجوزي: أجمع علماء النَّقْل على أن آمنة لم تحمل بغير النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فقولها: لم أحمل خرج على وجه المبالغة، أو على أنه وقع اتّفاقًا، والجمع الذي قيل أنسب. وأما دعوة إبراهيم عليه السلام، فيشير بها إلى أنه لمّا شرع في بناء الكعبة دعا الله تعالى أن يجعل ذلك البلد آمنًا، ويجعل أفئدة الناس تَهْوي إليهم ويَرْزُقَهُم من الثمرات، فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: الآية ١٢٩]، فاستجاب الله دعاءه في هذا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وجعله الرسول الذي سأل إبراهيم عليه السلام ودعاه أن يبعث إلى أهل مكّة، والمعنى أنّ الله تعالى لما قضى أن يجعل محمّدًا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم خاتَم النبيّين وأثبت ذلك في أُمّ الكتاب أَنْجَزَ هذا القضاء بأن قيّض إبراهيم عليه الصّلاة والسلام للدعاء الذي ذكره ليكون إرساله إيّاه بدعائه كما يكون نقله من صُلبه إلى أصلاب أولاده. وأما بشرى عيسى عليه الصّلاة والسّلام، فيشير بها إلى أن الله تعالى أمره به فبشّر به صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قومه فعرّفه بنو إسرائيل قبل أن يُخْلق كما حكى تعالى عنه في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصّف: الآية ٦]. قال السخاوي: وقد كانت السَّنَة التي حُمِل فيها به صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فيما نقل سنة شديدة الجَدْب والضّيْق على قريش، فاخضرّت لهم الأرض وحملت الأشجار وأَخْصَبَتْ مكّةُ خِصْبًا عظيمًا بحيث سُمِّيت سنة الفتح والابتهاج، وأتاهم الرِّفْد من كل مكان بهذا الإفراج، وعبد المطّلب وهو يومئذ صاحب أحكام قريش وسائر العرب يخرج في كل يوم متوشّحًا ويطوف بالبيت، ويقول: يا معشر القريش إني أنظر إلى تمثال شخص مُمَثلًا بين عينيّ كأنه قطعة نور كامل لا أَمُلُّ رؤيته، وتجحد قريش رؤيته كذلك إمّا حَسَدًا أو عمًى. **بل** نُقِل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ كل دابّة لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حُمِل بمحمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وربّ الكعبة. وهو إمام الدنيا وسِراج أهلها، ولذا لم يبقَ كاهنة في قريش ولا قبيلة من

....

قبائل العرب إلا حُجِبتْ عن صاحبها، وانتزع علم الكَهَنة منهم، ولم يبق سريرُ مَلِكٍ من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه ذلك، ومرّت وَحْش المشارق إلى وحش المغارب بالبشارات، وكذا بشّر أهل البحار بعضهم بعضًا، ونُودِي في كل شهر من شهوره عليه السلام في كلّ من السماء والأرض، أنْ أبْشِروا فقد آن لأبي القاسم محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم أن يخرج إلى الأرض ميمونًا مباركًا. قال: وبقي في بطن أُمّه تسعة أشهر كملًا[1] لا تشكو وَجَعًا ولا ريحًا ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل. قال الواقدي: وفي غُضُون[2] هذا الحَمْل المكمّل بَعَث جدّه عبد المطلب بابنه عبد الله إلى غزّة من بلاد الشام يمتار لهم طعامًا مع تجّار قريش، ولمّا رجعوا مَرِض فتخلّف لذلك بالمدينة النبويّة عند أخوال أبيه بَني عَدِيّ بن النجّار شهرًا، ثم مات بالمدينة. وعند ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب: أنه بعثه يمتار لهم تمرًا من يَثْرِب، فمات بها ودُفِن بها في دار النّابغة. وهذا القول هو الذي رجّحه ابن إسحٰق، ورواه ابن سعد أيضًا وجزم به الزبير بن بكّار وغير واحد. وقال ابن الجوزيّ: هو الذي عليه مُعْظم أهل السِّيَر، وأطلق غيره عَزْوه للجمهور، وقال بعضهم؛ مات بعد وضعه، فقد أخرجه يحيىٰ بن سعيد الأُمويُّ في المغازيّ من طريق عثمان بن عبد الرحمٰن الوقّاصيّ أحد الضعفاء عن الزهري عن سعيد بن المسيّب أن آمنة لمّا وضعته أمر عبد المطّلب ابنه عبد الله أن يأخذه فيطوف به في أحياء العرب، فطاف به حتى استأجر حليمة على إرضاعه، وذكر أنه قام عندهم ستّ سنين حتىٰ كان مِنْ شقّ صدره ما كان، فردَّته إلى أُمّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، واختلفوا كم كان سِنُّهُ حينئذٍ؟ فقيل: ابن سنتين وأربعة أشهر، حكاه ابن إسحٰق. وقيل: ابن سبعة أشهر، حكاه ابن سعد. ويقال: إنّ عبد الله خرج وهو في هذا السنّ إلى أخوال أبيه بالمدينة زائرًا، فتوفّي بها. ويقال: إن الملائكة قالت: إلٰهنا

---

(١) قوله: كَمَلًا ـ بفتحتين ـ أي كاملًا وافيًا. قال اللّيث: هكذا يتكلّم به، وهو سواء في الجمع والواحد، وليس بمصدر ولا نعت، إنما هو كقولك: أعطيته المال الجميع، كذا في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) الغَضنُ ويُحرّك كُلّ تَثنّ في ثوب أو جلد أو درع، ج. غضون والعناء والتعب. ١٢ قاموس.

....

وسيّدنا بَقِيَ نبيّك يتيمًا، فقال الله عزّ وجلّ: أنا له وليٌّ وحافظ ونصير. وقيل لجعفر الصادق: لِمَ يَتِمَ[١] النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم من أبويه؟ فقال: لئلّا يكون عليه حقّ لمخلوق، نقله عنه أبو حيّان[٢] في البحر[٣]. قال السخاويّ: وقد خلّف أبوه جارية أُمّ أيْمَن بركة الحبشية وخمسة أجمال وقطعة غنم، فوَرِث ذلك رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فكانت أُمّ أيمن رضي الله تعالى عنها تحضُنُه، ثم إن الخؤولة المشارَ إليها كونَ هاشم بن عبد مناف تزوّج في المدينة سلمى ابنة عمرو أحَدَ بني عَدِي بن النجّار، فولدت عبدَ المطّلب، وقد ثبت في الصحيح في حديث الهجرة قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إني أنْزِلُ على أخوال عبد المطلب أُكْرِمُهم بذلك». وأما ما وقع في رواية أخرى من قوله: «أنْزِلُ على أخواله» أو قال: «على أجداده»، فالشكّ فيه من رواية ابن إسحٰق السَّبِيعيّ. وأيًّا ما كان، فمجاز؛ فالخؤولة من جهة الأُمومة، والنزول إنْ كان على بني مالك بن النجّار لا على بَني عديّ. وروى البيهقي في الدلائل والطبراني وأبو نعيم من طريق محمّد بن أبي سُوَيْد الثقفيّ عن عثمان بن أبي العاص: حدّثتني أُمّي فاطمة ابنة عبد الله الثقفيّة إحدى الصحابيّات أنها حضرت آمنة لمّا ضربها المخاض ليلًا، قالت: فجعلت أنظر إلى النجوم تدلّى وتدنُو حتى قلت: ليقعن عليّ، فلما وَلَدَتْ خرج منها نورٌ أضاء له البيت والدار. قال ابن سعد: أخبرنا الهَيْثَم بن خارجة، حدثنا يحيىٰ بن حمزة، عن الأوزاعيّ، عن حسّان بن عطيّة، أنّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لمّا وُلِد وقع على كفَّيْه وركبتَيْه شاخصًا بَصَره إلى السماء، وهو مُرْسَل قويّ. ومن مرسل إسحٰق بن أبي طلحة: أنّ آمنة قالت: وضعتُه نظيفًا ما ولدته كما يولدُ السَّخْلُ[٤] ـ أي المولود المحبّ إلى أهله ـ ما به قَذَر، وهو جالس على الأرض بيده. ولأبي الحُسين بن بِشْران عن ابن السَّمّال: أخبرنا أبو الحسن بن البراء، قالت آمنة: ولدته جاثيًا على ركبتيه ينظر إلى السماء، ثم قبض قبضة من الأرض، وأهوى ساجدًا، قالت: وكبّيت عليه إناء فوجدته قد انفلق الإناء عنه وهو يمصّ

---

(١) كضَرَب وعَلِم يتمًا ويفتح وهو يتيم. ١٢ قاموس.

(٢) محمد بن يوسف أندلسي المتوفّى سنة ٧٤٩. ١٢.

(٣) يعني البحر المحيط في التفسير. ١٢. (٤) ولد الشاة ما كان. ١٢ مصباح.

....

إبهامه يشخَب[1] لَبَنُها. قال السخاويّ: وكانت آمنة لما وضعته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أرسلت إلى جدِّه أنه قد وُلِد لك الليلة غلام، فانظر إليه؛ فلما جاء أخبرته خَبَرَهُ وحدّثته بما رأت حين حملت به، فأخذه وقام يدعو الله ويشكره، لما أعطاه ويقول: شعر[2]:

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيّب الأردان
وقد ساد في المهد على الغلمان أُعيذه بالبيت ذي الأركان

وذهبت ثُويبة جارية أبي لهب عمّه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم فبشّرته أنه وُلِد لأخيه عبد الله غلام، فأعتقها في الحال. قال القسطلاني: وهي ممّن أرضعته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قال: وقد رُؤي[3] أبو لهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلّا أنه خفّف عني كل ليلة الاثنين وأمصّ من بين أصبعيّ هاتين ماءً، وأشار لرأس أصبعيه، وأن ذلك بإعتاق ثُوَيْبة عندما بشّرتني بولادة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وبإرضاعها له. قال ابن الجزري: فإذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمّه جُوزِيَ في النار بفرحه ليلة مولد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فما حال المسلم الموحّد من أُمّته عليه السلام يُسَرّ بمولده؟ ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبّته صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم؛ لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يُدخله بفضله العميم جنّات النّعيم. ورَوَى الحاكم[4] في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان بمكّة يهودي سكن يتّجر بها، فلمّا كانت اللّيلة التي وُلِد فيها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قال: يا معشر قريش، هل وُلِد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلمه، قال: انظروا، فإنه وُلِد في هذه اللّيلة نبيّ هذه الأمّة الأخيرة بين كتفَيْه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن

---

(١) شخب اللبن وكل مائع شخبًا درّ وسال. ١٢ مصباح.

(٢) من الرجز، وأجزاؤه: مستفعلن ستّ مرات. ١٢. مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن (مقطوع).

(٣) والرائي له أخوه العباس بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر، ذكره السهيلي وغيره. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٤) أي الحافظ أبو الخير شمس الدّين. ١٢.

....

عُرُفُ فرس ـ بضم العين، وقد تضمّ راؤه ـ أي شعر عنقه لا يرضع ليلتين، إنّ عفريتًا من الجنّ وضع يده على فمه، فانظروا؛ فسألوا فقيل لهم: قد وُلِد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أُمّه، فقالوا لها: أخرجي إلينا ابْنَكِ، فأخرَجَتْهُ وكشفوا عن ظهره، فرأى تلك الشامة، فوقع اليهودي مغشيًّا عليه، فلما أفاق قيل له: وَيْلك ما لك؟ قال: ذهبت والله النبوّة من بني إسرائيل، يا معشر قريش أما والله ليسطونَ بكم سطوة يخرج خبرها بين المشرق والمغرب. قال السخاوي: وهو دليل على أنه وُلِد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بخاتم النبوّة بين كتفيه، وهو من العلامات التي كان يعرفه بها أهل الكتاب، ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها، حتى أنه رُوِيَ أن هِرَقْل بعث إلى النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم مَنْ ينظر له خاتَم النبوّة، ثم يخبره عنه، ولكن سيأتي أن الملكين اللذين شقّا صدره ومَلآهُ حكمةً هما اللذان خَتَماه بخاتَم النبوّة، وهو أصحّ ممّا قبله. قلت: الجمع بينهما ممكن، قال: وأمّا ما رُوِي من رفعه بعد موته من بين كتفيه، فسنده ضعيف. ورَوَى الخطيب من حديث محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أُمّه فاطمة ابنة الحسين بن علي عن أبيها، قال: لمّا كانت اللّيلة التي وُلِد فيها النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قال حبرٌ كان بمكّة: يُولد اللّيلة في بلدكم هذا النبيُّ الذي وُصِف بأنه يعظّم موسى وهارون ويقتل أُمّتهما، فإن أخطأكم فبشّروا به أهل الطائف أو أهل أَيْلَةَ[١]، قال: فوُلِد في تلك الليلة، فخرج الحِبْر[٢] حتى دخل الحِجْر، ثم قال: أشهد أنّ لا إلـٰه إلّا الله وأنّ موسى حقّ، وأنّ محمّدًا حقّ، قال: ثم فُقِد الحِبْر فلم يُقْدَرْ عليه. وروى أبو نعيم في الدّلائل من طريق شُعيب بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبيه عن جدّه، قال: كان بِمَرِّ الظهران راهب يُدْعى عِيْصًا، فذكر حديثًا وفيه: أنه أعلم عبد المطلب ليلة وُلِد له النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بأنه نبيُّ هذه الأمّة، وذكر له أشياء من صفته. قال السخاوي: والعلامات التي ظرت عند مولده وبعده جمّة فضلًا عمّا وقع في الإسلام من حين المبعث وهلمّ جرًا ممّا هو مشهور بين الأئمّة من الأُمّة، وقد اعتنى بجمعها جماعة؛

---

(١) بلد بين يَنْبُعَ ومصر. ١٢ قاموس.

(٢) العالم والجمع أحبار، مثل حِمْل وأحمال، والحَبْر ـ بالفتح ـ لغة فيه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

كأبي نعيم والسهيلي، وجمع ما وقع من ذلك قبل المبعث، بل قبل المولد الحاكم في الإكليل وأبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى، وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوّة وصاحب الشفا. وقد أخرج ابن السُّبكي وغيره في معرفة الصحابة من حديث مخزوم بن هانىء عن أبيه، وكان قد أتَتْ عليه مائة وخمسون سنة أنه ارتجس إيوان كسرى، أي اضطرّب وتحرّك حركة سُمِع لها صوت مَهُول[١] بحيث انْصدع وانشقّ مِنْ أعلاه. قال شيخ مشايخنا ابن الجزريّ: وهذا الشقّ إلى الآن بادٍ أخبرنا بذلك جماعة ممّن رآه بالمدائن، وأنه سقط عن أعلى الإيوان أربع عشرة شُرفة، وهي واحدة الشُّرَف[٢] التي تكون على حيطان السور وغيرها ليحسن منظرها، وخَمِدت نار فارسٍ التي كانوا يعبدونها، ولم تُخْمَد قبل ذلك بألفَيْ عام يعدّونها، بل كانت تُوقَد وتُضْرَم ليلًا ونهارًا، فلم يستطع أحد تلك الليلة إضرامها عجزًا لا اختيارًا، وغاضت بحيرة ساوة، المُظْهر أهلها الشِّرك والعداوة، وكانت بحيرة كبيرة أكبر من فرسخ بمملكة عراق العجم، بين هَمَذان وقُمّ، يُركب فيها السُّفُن ويُسافَر بها إلى ما حَوْلها من البلاد والمُدُن، مثل فرغانة والريّ، فأصبحت من ليلة مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ناشفة يابسة الأرض، كأن لم يكن بها شيء من الماء في الطول والعرض بل غار ماؤُها وذهب حتى بُنِيَ موضعها مدينة، تُسمّى ساوة باقية إلى اليوم حصينة، ورأى الموبذان، وهو قاضيهم الأعلى بترك بتلك الجهات والبلدان، إبلًا صعابًا، تقود خيلًا عِرابًا، وقد قطعت دِجْلة، وانتشرت في بلادها ووهادها[٣]، ووقع من تلك الليلة رمي الشياطين بالشُّهُب الثواقب، وكان قبل ذلك تسترقّ السَّمع من كلّ جانب، وحُجِب إبليس عن السماء، كما يُروى ولعلّه كان يقعد فيسترق السمع ويشير إليه بالإيماء، وذكر بقيّ[٤] بن مُخْلَدٍ صاحب السند، في تفسيره: وممّا رويناه عن مجاهد أنه رنّ ـ أي نخر ـ أربع رنّات: حين لُعِن وحين أُهبط وحين وُلِدَ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم. وفي لفظ: حين بُعث وحين أُنزلت فاتحة الكتاب، واختلف في كونه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وُلد بخاتم النبوّة، كما تقدّم في حديث

---

(١) كمقول. ١٢ منه عمّ فيضهم. (٢) مثل غُرْفةٍ وغُرَف. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٣) جمع الوهدة وهي الأرض المنخفضة كالوهد. ١٢ منه عمّ فيضهم.
(٤) كرضي حافظ الأَنْدَلُس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

عائشة رضي الله تعالى عنها، أو حين وضعه، أو حين ختمه أحد الملكين حين شقّ صدره عِند مرضعته؟ وممّن حكى الأوّل ابن سيّد الناس، والثاني مغلطاي عن يحيىٰ بن عابد بصيغة التمريض، والثالث ثَبَت؛ ففي حديث عائشة عند الطيالسيّ والحارث في مسندَيْهما، وأبي نعيم في الدّلائل قوله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «وختم - يعني جبرئيلُ - في ظهري حتى وجدت مسَّ الخاتم في قلبي»، ومثله في حديث أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه عند أحمد والبيهقي في الدلائل. قلت: والجمع ممكن بظهور الزيادة في كل مرتبة وإفادة، وكذا اختلف أوُلِد وهو مختون، أو خُتِن بعد ذلك؟ فروى الطبراني وأبو نعيم وغيرهما من طريق الحسن عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «مِنْ كرامتي على الله أني وُلدت مختونًا ولم ير أحد سَوْأتِي»، وعند ابن سعد من حديث عطاء الخراسانيّ عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أبيه رضي الله تعالى عنه أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وُلِد مختونًا مسرورًا، أي مقطوع السُّرة، ففَرِح به جدّه، وقال: ليكوننّ لابني هذا شأن. وقال أبو جعفر الطبريّ في تاريخه: وُلِد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم معذورًا، أي مختونًا. وقال الحكيم أبو عبد الله الترمذيّ: أنه وُلِد مختونًا. ورَوى ابن عبد البرّ في التمهيد أن جدّه ختنه يوم السابع، وعمل له مأْدُبَة. قلت: لعلّه لما عُمِل المأدبة[1] وقت الختان، ظُنّ أنه خُتِن في ذلك الزمان، فمعنى قوله: خَتَنه أظهر الختان، وأنه عليُّ الشأن جليّ البرهان؛ إذ في رواية لابن عبد البرّ أنه لمّا كان يوم السابع ذبح كبشًا، ودعا إلى طعامه قريشًا، فلمّا أكلوا قالوا: يا عبد المطّلب أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وضعه، ما سمّيته؟ فقال: محمّدًا، فقالوا له: لِمَ رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله عزّ وجلّ في السماء، وخلقه في الأرض هذا وقد أغرب مَنْ قال: ختنه جبريل عليه السلام. وقال العراقي: لا يثبت في هذا كلّه شيء. وتوقف الإمام أحمد في كون جدّه ختنه، وكذا توقّف في مقابله، فقال المزّيّ[2]: إنه سُئِل: هل وُلِد النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله

---

(١) طعام صُنع لدعوة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) المِزّة - بالكسر - قرية بدمشق من ديار قضائه وإليها يُنسَب الإمام الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن الزكي المِزّي. ١٢ تاج العروس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وسلّم مختونًا؟ فقال: الله أعلم، ثم قال: لا أدري، قال: قال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أئمّة الحنابلة: قد رُوِي أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وُلِد مختونًا مسرورًا، ولم يختر أبو عبد الله ـ يعني الإمام أحمد بن حنبل ـ على تصحيح هذا الحديث. وقال بعض الأئمّة: إنّ ختان جدّه له ما روى المرويّ به أشبه، لكن قال الحاكم: إنّ الأوّل قد تواترت به الرواية. قال السخاوي: وهو الذي أميل إليه سيّما مع قول أُمّه: ولدته نظيفًا. قال بعض الأئمّة: ألهم الله عزّ وجلّ أهله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أن يسمّوه محمّدًا، لما فيه من الصفات المحمودة ليطابق الاسم المسمّى، وقد قيل: الأسماء تنزل من السماء، وما أحسن قولَ حسّان: شعر[(١)]

فضم الإلـه اسم النبيّ إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشـقّ لـه مـن اسـمـه لـيُـجـلّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمّد

قال السخاويّ: وتسمية جدّه له بذلك كانت بتوفيق من الله تعالى إمّا ابتداء أو بمنام رآه، فقد قال أبو الربيع بن سالم الكُلاعيّ: زعموا أنه رأى في منامه كأن سلسلة من فضّة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء، وطرفٌ في الأرض، وطرفٌ في المشرق، وطرفٌ في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كلّ ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلّقون بها فقصّها، فعُبّرت له بمولود ويكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سمّته به على ما حدّثت به آمنة من أمرها بتسميته بذلك، فمحمد وأحمد اسمان له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، كما نطق به القرآن، في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: الآية ٢٩]، وفي قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: الآية ٦]. وأخرج الحاكم في صحيحه: أن آدم عليه السلام رأى اسم محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم مكتوبًا على العرش، وأنّ الله تعالى قال لآدم: لولا محمّد ما خلقتك. وأمّا حديث: «لولاك لما خلقت الأفلاك»، فمعناه صحيح وإنْ قال الصغاني: إنه موضوع. قال القاضي عياض: فأمّا أحمد، فأفعل تفضيل مبالغة من صفة الحمد منه، ومحمّد مفعّل من كثرة الحمد فيه، فهو أجلّ من حمد وأكثر الناس حمدًا في الدنيا والآخرة، فهو أحمد

---

(١) من الطويل. ١٢.

....

المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد في المحشر يوم القيامة ليتمّ له كمال الحمد ويشتهر في العرصات بصفة الحمد، ويبعث المقام المحمود، ويحمده الأوّلون والآخرون، ويفتح عليه فيه من المحامد كما ثبت في الصحيحين ما لم يُعط غيره، وسمّيت أُمّته في كتب أنبيائه بالحمّادين، فحقيقٌ أنه يسمّى صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم محمّدًا وأحمد، وفي هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فنّ آخر، وهو أنّ الله عزّ وجلّ حمى أن يسمّى بهما أحدٌ قبل زمانه. أمّا أحمد الذي ذُكِر في الكتب وبشّرت به الأنبياء، فمنع الله بحكمته أن يسمّى به أحدٌ غيره، ولا يدعى به مدعوٌّ قبله، حتى لا يدخل اللَّبْس ولا الشكّ على ضعيف القلب، وكذلك محمّد أيضًا لم يُسَمّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أنْ شاع قبيل وجوده وميلاده، أن نبيًّا يبعث اسمه محمّد فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم حمى الله تعالى كل من يُسمّى به أن يدّعي النبوّة أو يدّعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكّك أحدًا في أمره، حتى تحقّقت السّمتان له صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ولم يُنازع له أحدٌ فيهما. قال السخاويّ: وأسماؤه كثيرة جدًّا، قيل: إنها بلغت ألفًا، لكن اشتقّ أكثرها من أفعال وصف صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بها، وقد اجتمع لي منها في القول البديع ممّا لم أُسبق إلى جمعه نحو النّصف، ولا شكّ أن كثرة الأسماء دليلٌ على جلالة المُسمّى، وناهيك بشرفه تشريف الله عزّ وجلّ له بما سمّاه به من أسمائه الحُسْنى، ووصفه به من صفاته العلى، كما بيّنه صاحب الشفاء وغيره. قلت: وقد جمعها شيخ مشايخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته له أيضًا بلغت خمسمائة، وأخذت منها عُمدتها وزبدتها العُلْيا، واقتصرت على تسعةٍ وتسعين وزان أسماء الحسنى: شعر

هذا الحبيب فمثله لا يولد	والنور من وجناته يتوقّد
جبريل نادى في منصّة حسنه	هذا مديحُ الكون هذا أحمد
هذا مليح الوجه هذا المصطفى	هذا جميل الوصف هذا المسند
هذا جليل النعت هذا المرتضى	هذا كحيل الطرف هذا الأمجد
هذا الذي خلعت عليه ملابسٌ	ونفائسٌ فنظيره لا يوجد

....

وكان مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم عام الفيل، كما رواه الترمذي في جامعه من حديث قيس بن مخرمة وابن أشْيَم، والبيهقي في الدلائل من حديث سُوَيْد[١] بن غَفَلة أحد المُخضرمين[٢]، والبيهقي أيضًا وشيخه الحاكم وصححه كلاهما من طريق حجاج بن محمد عن يونس بن أبي إسحٰق عن أبيه عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم، ورواه ابن سعد بلفظ: يوم الفيل، ورواه الحاكم أيضًا من طريق حميد بن الربيع عن حجاج كذلك، وقال: إن حميدًا تفرّد بقوله: يوم الفيل، وتعقّب برواية ابن معين، ولكن المحفوظ بلفظ عام الفيل، وقد لا ينافيه اللفظ الآخر لعدم صراحته في ذلك لِمَا فيه من الاحتمال. قال ابن عبد البرّ: إنه يحتمل أن يكون أراد باليوم الذي حبس الله الفيل عن وطء الحرم، وأهلك الذين جاؤوا به، ويحتمل أن يكون أراد باليوم العام. قال السخاويّ: ومال شيخنا إلى الأوّل حيث قال: قد يُطلق اليوم ويُراد به مطلق الوقت، كما يقال: يوم الفتح ويوم بدر، فإنّ المراد حقيقة اليوم، فيكون أخصّ من الأوّل، وبذلك صرّح ابن حبان في أول تاريخه، فإنه قال: وُلِد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله الطَّيْر الأبابيل على أصحاب الفيل. وأخرجه البيهقي أيضًا من مرسل محمد بن جبير بن مطعم بلفظ عام. وقد عاين ذلك حكيم بن حزام، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى، وحسان بن ثابت، وكلّ منهم عاش مائة وعشرين سنة. وقال إبراهيم بن المنذر: هو الذي لا شكّ فيه عند أحد من عظمائنا، وممّن حكى الإجماع ابن قتيبة ثم عياض. وقال ابن دحية: اتّفاق العلماءْ بالأثر والسنن عليه، انتهى. وكأنهم عمدة ابن القيم في الاتّفاق، ولكن الخلاف فيه ثابت، ويتحصّل منه أقوال أُخر بعد الفيل بأربعين سنة، قاله أبو زكريا العلائيّ حكاه ابن عساكر في الترجمة النبويّة من أوّل تاريخه أو بثلاثين سنة حكاه موسى بن عقبة عن الزهري، أو بثلاث وعشرين أورده ابن عساكر من رواية شعيب بن شعيب، أو بخمس عشرة، حكاه ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، لكن المُعتمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما تقدَّم،

(١) من كبار التابعين، قَدِم المدينة يوم دَفْن النبيّ ﷺ وكان مسلمًا في حياته، وثّقه يحيى بن معين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) المُخَضْرَم ـ بفتح الراء ـ: مَنْ أدرك الجاهلية والإسلام. ١٢.

....

أو شَهْر حكاه ابن عبد البرّ، وبعشرٍ أورده ابن عساكر من طريق عبد الرحمٰن[1] بن أَبْزى، أو بثلاثين يومًا أو بأربعين يومًا. قال السخاويّ: وأمّا ما يُذكر على الألسنة بلفظ: «ولدت في زمن الملك العادل» فشيء لا أصل له، على أن بعضهم اغترّ به، وقال مما جازف فيه أنه لا خلاف بين العلماء أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وُلِد بمكّة في أيام كسرى أنوشِرْوان العادل. قلت: وقد قال الزركشي: كذب باطل. وقال السيوطي: قال البيهقي في شعب الإيمان: تكلّم شيخنا أبو عبد الله الحافظ في بطلان ما يرويه بعض الجُهَلاء عن نبيِّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: وُلِدت في زمن الملك العادل، يعني أنوشِرْوان، ثم رأى بعض الصالحين رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم في المنام، فحكى له ما قال أبو عبد الله فصدّقه في تكذيب هذا الحديث وإبطاله، وقال: ما قلته قطّ. فإن قلت: تربة الشخص مدفنه، فكأن مقتضى هذا يكون مدفنه عليه السلام بمكّة حيث كان تربته منها. فقد أجاب عنه صاحب العوارف أفاض الله علينا من عوارفه، وتعطّف علينا بعواطفه، بأنه قيل: إنّ الماء لما تموّج رمى الزبد إلى النّواحي، فوقعت جوهرة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم إلى ما يُحاذي تربته في المدينة، فكان صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم مكّيًا مدنيًا حنينه إلى مكّة، وتربته بالمدينة. ثم اختلف في الشهر الذي وُلِد فيه، والمشهور أنه وُلِد في شهر ربيع الأوّل، وهو قول جمهور العلماء، ونقل ابن الجوزيّ الاتّفاق عليه، وفيه نظر، فقد قيل: في صفر، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في رجب ـ ولا يصحّ ـ وقيل: في شهر رمضان، ورُوِيَ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بإسناد لا يصح، وهو موافق لمن قال: إن أُمّه حملت به في أيام التشريق، وأغرب مَنْ قال: وُلِد في عاشوراء، وكذا اختلف أيضًا في أيّ يوم من الشهر؟ فقيل: إنه غير معيّن، إنما وُلِد يوم الاثنين[2] منه، فقيل: لليلتَيْن خَلَتا، وقيل: لثمانٍ خلت منه. قال الشيخ قطب الدين القسطلاني: وهو اختيار أكثر أهل الحديث، ونُقِل عن ابن عباس وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهم، وهو إطلاق أكثر مَنْ له معرفة بهذا الشأن، واختاره الحميديّ وشيخه ابن حزم، وحكى القضاعيّ في عيون المعارف، إجماع

(١) قال البخاري: له صحبة، وقال ابن أبي داود: تابعي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) من ربيع الأول من غير تعيين، والجمهور على أنه يوم معين.

....

أهل التاريخ عليه، وقيل: لاثني عشرة، وعليه أهل مكّة في زيارتهم موضع ولادته في هذا الوقت، وقيل: لسبع عشرة، وقيل: لثمان بقين منه، والمشهور أنه وُلِد في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأوّل، وهو قول ابن إسحٰق وغيره. واختلف أيضًا في الوقت الذي وُلِد فيه، والمشهور أنه يوم الاثنين؛ فعن أبي قتادة الأنصاري أنه سُئِل رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم عن صيام يوم الاثنين، قال: «ذاك يوم وُلدت فيه، وأُنزلت عليّ فيه النبوّة» رواه مسلم، وهذا يدلّ على أنه وُلد نهارًا. وفي المسند عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال؛ وُلِد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم يوم الاثنين، واسْتُنبِىء يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكّة إلى المدينة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، ووقع الحجر يوم الاثنين. قال القسطلاني: وكذا فتح مكّة، ونزول سورة المائدة يوم الاثنين، يعني المشتملة على آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣]، وهي آخر سورة نزلت، وقد روى ابن أبي شيبة وأبو نعيم في الدلائل أنه وُلِد عند طلوع الفجر، وقيل: وُلِد ليلًا. قال الزركشي: والصحيح أن ولادته عليه السلام كانت نهارًا. قلت: وأغرب القسطلاني وقال: ليلة مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة ذكرها حيث لا يفيد الإطلاق، مع أن الأفضليّة ليست إلّا لكون العبادة فيها أفضل بشهادة النصّ القرآني: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: الآية ٣]، ولا تُعرف هذه الفضيلة لليلة مولده صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لا من الكتاب ولا من السنّة ولا من أحد من علماء الأئمّة. وأما تضعيف ابن دحية رواية سقوط النّجم عند مولده بأنه وُلِد نهارًا، فغير صحيح؛ لأن سقوطها خارق للعادة، فلا فرق فيه بين الليل والنهار، على أنه بعد الفجر، وللنجوم حينئذ سلطان كما في اللّيل، أو يقال: سقوط النّجم كان في ليلة مولده إظهارًا لدنوّه وقربه، وما قارب الشيء يعطى حُكمه. ثمّ اخْتُلِف في مدّة الحمل، فقيل: تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل: سبعة، وقيل ستة. قال القسطلاني: ووُلِد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمّد بن يوسف أخي الحجّاج، ويقال: بالشّعب، ويقال: بالرّدم، ويقال: بعسفان. قال شيخنا ابن الحجر المكّي: الصحيح، بل الصواب، بمكّة بمولده المشهور الآن. قال العلماء: ولو لم يكن مولده صلّى الله تعالى عليه

....

وآله وسلّم في المحرم، ولا في رجب، ولا في رمضان، لئلا يتشرّف بالزمان، وإنما الزّمان يتشرّف به كالمكان. قال القسطلاني رَحِمَهُ الله: وقد ذكر أنه لـمّا وُلِد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، قيل: مَنْ يكفل هذه الدرة اليتيمة؟ التي لا يوجد لمثلها قيمة، فقالت الطيور: نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة، وقال الوحوش: نحن أوْلى بذلك ننال شرفه وتعظيمه، فنادى لسان القدرة أنْ يا جميع المخلوقات إنّ الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة، أنّ نبيّه الكريم يكون رضيعًا لحليمة السعديّة، قالت حليمة ـ فيما رواه ابن إسحٰق وابن راهويه وأبو يعلى والطبراني والبيهقي وأبو نعيم ـ: قَدِمت مكّة في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرُّضَعاء في سنة شَهباء[1]، فقَدِمْت على أتانٍ لي ومعي صبيّ لنا وشارف لنا ـ أي ناقة مُسِنّة هَرِمَة ـ والله ما تبضّ بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبيّنا ذلك لا يجد في ثدييّ ما يُغنيه، ولا في شارفنا ما يُغذّيه، فقدِمْنا مكّة، فوالله ما علِمَتْ منّا امرأة إلا وقد عُرِض عليها رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فتأباه إذا قيل يتيم، فوالله ما بَقِيَ من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعًا غيري، فلمّا لم أجد غيره قلت لزوجي: والله إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقنّ إلى ذلك اليتيم، فلآخذنّه، فذهبتُ فإذا هو مُدْرَج في ثوبِ صوف أبيض من اللّبن، ويفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقدٌ على قفاه يغطُّ، فأشفقت أن أُوقظه من نومه لحُسْنه وجماله، فدنَوْت منه رويدًا، فوضعت يدي على صدره فتبسَّم ضاحكًا، وفتح عينيه ينظر إليّ فخرج من عينيه نورٌ حتى دخل خلال السماء، وأنا أنظر، فقبَّلته بين عينيه وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء من لبن، فحوّلته إلى الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعد. قال أهل العلم: أعلمه الله أنّ له شريكًا، فألهمه العدل، فقالت: فرُوِيَ ورُوِيَ أخوه، ثم أخذته فما هو إلّا أن جئت به رَحْلي وقام صاحبي ـ تعني زوجها ـ إلى شارفنا تلك، فإذا أنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى رُوِينا، وبِتْنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذتِ نسمة مباركة، ألم تري ما بِتْنا به الليلة من الخير والبركة، حين أخذناه؛ فلم يزل الله يزيدنا خيرًا، قالت حليمة: فودّعت الناس بعضهم بعضًا،

(١) سنة شهباء: لا خضرة فيها ولا مطر. ١٢ قاموس.

....

ووَدّعت أنا أُمّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ثم ركبت أتاني، وأخذت محمّدًا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بين يديّ، قالت: فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات، ورفعت رأسها إلى السماء، ثمّ مشت حتى سبقت دوابّ الناس الذين كانوا معي، وصار الناس يتعجّبون مني ويقلن لي النساء وهنّ ورائي: يا بنت أبي ذُوَيْب هذه أتانك التي كنتِ عليها؟ وأنت جائية معنا تخفضك طورًا، وترفعك أخرى؟ فأقول: تالله إنها هي، فيتعجّبن منها. ويقلن: إن لها شأنًا عظيمًا، قال: فكنت أسمع أتاني تنطق، وتقول: إنّ لي شأنًا ثم شأنًا، بعثني الله بعد موتي وردّ لي سمني بعد هزلي، ويحكنّ يا نساء بني سعد، إنكن لفي غفلة، وهل تدرين مَنْ على ظهري خير النبيّين، وسيّد المرسلين، وأفضل الأوّلين والآخرين، وحبيب ربّ العالمين. قالت حليمة ـ فيما ذكره ابن إسحٰق وغيره ـ: ثم قَدِمْنا منازل بني سعد، ولا أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قَدِمْنا به شِباعًا لُبْنًا[1]، فنحلب ونشرب وما يَحْلُبُ إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر مِنْ قومنا يقولون لرُعَيَائهم: اسرحوا حيث يسرح غنم بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جوعًا ما تبضّ بقطرة لبن، وتروح أغنامي شباعًا لبنًا، فللّه درّها من بركة كَثُرت بها مواشي حليمة ونمَتْ وارتفع قدرُها وسَمُنَت، ولم تزل حليمة تتعرّف الخير والسعادة، وتفوز منه بالحسنى والزيادة: شعر

لقد بلغت بالهاشمي حليمةٌ	مقامًا علا في ذروة العزّ والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها	وقد عمّ هذا السعد كل بني سعد

وفي كتاب الترقيص لأبي عبد الله محمّد بن المعلّى الأزديّ أن من شعر حليمة مما كانت ترقّص به النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: شعر

يا ربّ إذ أعطيته فأبقه	وأعله إلى العلا وأرقه
وَادْحَضْ أباطيل العدى بحقّه	وزدت[2] أنا بحقّه بحقّه

---

(١) ذوات اللبن: غزيره. ١٢.

(٢) من كلام المؤلف رحمة الله تعالى عليه. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

وأخرج البيهقي والخطيب وابن عساكر في تاريخهما عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله دعاني للدخول في دينك أمارةٌ لنبوّتك، رأيتك في المهد تناغي القمر، وتُشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال، قال: «إني كنت أحدّثه ويحدّثني ويُلهيني عن البكاء، وأسمعُ جبته يسجد تحت العرش». في فتح الباري عن سيرة الواقدي: أنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم تكلّم في أوائل ما وُلد، وذكر ابن سبع في الخصائص: أنّ مهده كان يتحرّك بتحريك الملائكة. وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كانت حليمة تحدّث أنها أوّل ما فطمت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، فقال: «الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلًا»، فلمّا ترعرع[1] كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث، وقد رَوَى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانًا بعيدًا، فغفلت عنه فخرج معه أخته الشَّيْماء في الظهيرة إلى البُهُم، فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع أخته، فقالت: في هذا الحرّ، فقالت أُخته: يا أُمّه، ما وجد أخي حرًّا، رأيت غمامة تظلّ عليه إذا وقف وقفت، وإذا سار سارَتْ، حتى انتهى إلى هذا الموضع... الحديث. قالت حليمة: فلما فصلته ـ أي فطمته ـ قَدِمْنا به على أُمّه ونحن أحرص شيء على مَكْثه عندنا لما نرى من بركته، فكلّمنا أُمّه، وقلنا: لو تركته عندنا حتى يغلظ، فإنا نخشى عليه وباء مكّة، ولم نزل به حتى ردَّته معنا، فرجعنا به؛ فوالله إنه لبَعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرّضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتدّ، فقال: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقّا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتدّ نحوه فنجده قائمًا منتقعًا لونه فاعتنقه أبوه، وقال: يا بُنَيّ، ما شأنك؟ قال: «جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقّا بطني، ثم استخرجا مني شيئًا فطرحاه، ثم ردّاه كما كان» فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة، لقد خشيتُ أن يكون ابني أُصيب، فانطلقي فردّيه إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوّف، قالت حليمة: فاحتملناه حتى قَدِمْنا به إلى أُمّه، فقالت: ما ردَّكما به، فقد كنتما حريصَيْن عليه؟

---

(١) تحرّك ونشأ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

قلنا: نخشى الإتلاف والأحداث، قالت: ما ذاك بكما، فاصدقاني بشأنكما، فلم تدَعَنا حتى أخبرنا خبره، قالت: أخشيتما عليه الشيطان؟ فلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابْني هذا شأن، فدعا عنكما هذا وقد وقع شقّ صدره الشريف مرّة أخرى عند مجيء جبرائيل له بالوحي في غار حِرَاء، ومرّة أخرى ليلة الإسراء، ولمّا بلغ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أربع سنين، وقيل: خمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع، وقيل: تسع، وقيل: اثنتي عشرة سنة وشهرًا وعشرة أيّام ماتت أُمّه بالأبواء، وهو موضع بين مكّة والمدينة، وقيل: بشعب أبي ربّ بالحجون. وفي القاموس: ودار رائعة[1] بمكّة فيه مدفن آمنة أُمّ النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، وقد أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن الزهري وعن عاصم بن عمرو بن قتادة دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: لمّا بلغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ستّ سنين خرجت به أُمّه إلى أخواله بني عديّ بن النجّار بالمدينة تزورهم، ومعه أُمّ أيمن، فنزلت به دار النابغة، فأقامت به عندهم شهرًا، فكان صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم يذكر أُمورًا كانت في مقامه ذلك، ونظر إلى الدار، فقال: «هٰهنا نزلت بي أُمّي»، وأحسنت القوم في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليّ، قالت أمّ أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبيّ هذه الأُمّة، وهذه دار هجرته، فوعَيْت ذلك كلّه من كلامهم، ثم رجعت به أُمّه إلى مكّة، فلمّا كانت بالأبواء توفيت. وقد جزم الحافظ جلال الدين السيوطي بأن أبويه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ناجيان، والجمهور على خلافه، وقد بيَّنته في رسالة مستقلّة. وقد كانت أُمّ أيمن دايته وحاضنته بعد موت أُمّه، وكان عليه السلام يقول لها: «أنت أُمي بعد أُمّي».

ومات جدّه عبد المطلب كافله، وله ثمان سنين، وقيل: تسع، وقيل: عشر، وقيل: ستّ، ولجدّه عشر ومائة سنة، وقيل: مائة وأربعون سنة، وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف، وكان عبد المطّلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله. ولمّا

(١) ضبطه الصاغاني بالعين المهملة، وفي التبصير للحافظ: رائغة بالغين المعجمة امرأة تُنسب إليها دار بمكّة يقال لها: دار رائغة، قيّدها مؤتمن الساجي هكذا، فتنبّه لذلك. ١٢ تاج العروس.

....

بلغ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم اثني عشرة سنة خرج مع عمّه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى، فرآه بحيرا الراهب، واسمه جِرْجِيس، فعرفه بصفته، فقال وهو آخذٌ بيده: هذا سيّد العالمين، هذا يبعثه رحمةً للعالمين، فقيل له: وما علمك بذلك؟ فقال: إنّكم حين أشرفتم به من العقبة فلم يبقَ شجر ولا حجر إلّا خرَّ ساجدًا، ولا يسجد إلّا لنبيّ، وإني أعرفه بخاتَم النبوّة في أسفل من غُضْروف كتفه مثل التفّاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يردّه، خوفًا عليه من اليهود... الحديث. رواه ابن أبي شيبة، وفيه: أنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم، أقبل، وعليه غمامة تظلّه، ولله درّ القائل: شعر [من الكامل]

إن قـال يـومًـا ظـلّتـه غـمـامـةٌ هي في الحقيقة تحت ظلّ القائل

وأخرج ابن مندة بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ أبا بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه صحب النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وهو ابن ثمان عشرة، والنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزلا منزلًا فيه سدرة، فقعد في ظلّها، ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء، فقال له: مَنِ الرجل الذي في ظلّ الشجرة؟ فقال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: هذا والله نبيّ ما استظلّ تحتها بعد عيسى عليه السّلام إلّا محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، ووقع في قلب أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه، فلمّا بعث النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم اتّبعه.

قال الحافظ العسقلاني في الإصابة: إن صحّت هذه القصة، فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب، ثم خرج صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم ومعه ميسرة غلام خديجة ابنة خُويلد بن أسد في تجارةٍ لها حتى بلغ سوق بصرى، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، فنزل تحت شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت ظلّ هذه الشجرة إلا نبيّ، وفي رواية: بعد عيسى. وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلّانه من الشمس، ولمّا رجعوا إلى مكّة في ساعة الظهيرة، وخديجة في عِلّية لها، فرأت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وهو على بعيره، وملكان يظلّان عليه، رواه أبو نعيم.

....

وتزوّج صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يومًا، وقيل: كان سنّه إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين، وكانت تُدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكانت تحت أبي هالة بن زُرارة التميمي، فولدت له هندًا وهالة، وهما ذكران، ثم تزوّجها عتيق بن عائذ المخزوميّ، فولدت له هندًا، وكان لها حين تزويجها بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم من العمر أربعون سنة، وكانت عرضت نفسها عليه، فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها، فتزوّجها صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وأصدقها عشرين بَكْرة[1]، وحضر أبو بكر ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب، فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرّية إبراهيم وذرع إسمٰعيل، وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حَضَنة بيته، وسُوّاس حرمه، وجعل لنا محجوجًا وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحُكّام على الناس، ثم إنّ ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلّا رجح به، فإن كان في المال قلّ، فإن المال ظلّ زائل، وأمرٌ حائل، ومحمّد قد عرفتم مراتبه. وقد خطب خديجة، وبذل لها من الصّداق[2] ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جزيل، فزوّجها.

ولما بلغ صلّى الله تعالى عليه وسلّم خمسًا وثلاثين سنة، خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول، فأمروا باقُوهِ[3] مولى سعيد بن العاص، بأن يبني الكعبة المعظّمة، وحضر ﷺ، وكان ينقل معهم الحجارة، وكانوا يضعون أُزرهم على عَواتقهم، ويحملون الحجارة، ففعل ذلك ﷺ، فلبط به ـ أي سقط ـ من قيام ـ كما في القاموس ـ ونُودي: عورتك، فكان ذلك أوّل ما نُودِي، فقال له أبو طالب أو العباس: يا ابن أخي، اجعل إزارك على رأسك، فقال: «ما أصابني ما أصابني إلا من التعرّي».

ولما بلغ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أربعين سنة، قيل: وأربعين يومًا، وقيل: عشرة أيام، وقيل: وشهرين، يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان،

---

(١) فتية من الإبل. ١٢.
(٢) ككتاب وسحاب مهر المرأة. ١٢ قاموس.
(٣) الرومي النجار صانع منبره الشريف. ١٢ قاموس.

....

وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة، وقال ابن عبد البرّ: يوم الاثنين لثمان من ربيع الأوّل، سنة إحدى وأربعين من الفيل بعثه الله رحمةً للعالمين ورسولًا إلى كافّة الثّقلين أجمعين. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨] قال: جعله الله من أنفسكم فلا تحسدوه على ما أعطاه الله من النبوّة والكرامة، عزيز عليه ما عنَتَ مؤمنهم حريصٌ عليكم حريص على ضالّكم أن يهديه الله. وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨]، قال: شديدٌ عليه ما شقّ عليكم، حريص عليكم أن يؤمن كفّاركم.

والحاصل أنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨] أي شاقٌّ عليه وصعب لديه عنتكم وتعبكم، ولذا رفع ببركته الخطأ والنسيان والإكراه عنكم، ووضع عنكم الآصار والأغلال التي كانت على الأُمم الماضية، حيث أتى صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بالمِلّة الحنيفية السّمحاء، والطريقة المرضية النوراء، ويحتمل أن يكون قوله: عزيز، منفصل عمّا قبله متّصل بما سبق له، فهو صفة لرسول، أي هو عزيز الوجود، وكامل الجود، وبديع الجمال، وعديم المثال، أو عزيز مكرَّم لدينا فأعزّوه وأكرموه وانصروه وعظّموه ويؤيّده القراءة الشاذّة بالزائين في قوله تعالى: «لتؤمنوا بالله ورسوله وتعززوه»، أو معناه غالب على جميع المرسلين، لكونه خاتَم النبيّين أو لكون دينه غالبًا على جميع الأديان، شاملًا لكلّ زمان ومكان، أو هو منتقم بأعدائه، كما هو رحيم بأحبّائه، عزيز عليه ما عنتّم أي ضرر عليه ضرركم، وشاقّ عليه مِحَنكم، لكونه رحمةً للعالمين، ورأفةً للمؤمنين، حريصٌ عليكم أي على الخصوص رؤوف رحيم، في غاية من الرأفة والشفقة، ونهاية من اللُّطف والمرحمة، وقد أخرج ابن حاتم عن عكرمة قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «جاء جبريل فقال لي: يا محمّد، إن ربّك يُقرئك السلام، وهذا ملك الجبال، قد أرسله إليك، وأمره أن لا يفعل شيئًا إلا بأمرك، إن شئت هدمت عليهم الجبال، وإن شئت رمَيْتهم بالحَصْباء، وإن شئت خسفت بهم الأرض؟ قال: يا ملك الجبال، فإني آنِ بهم لعلّه أن يخرج منهم ذرّية يقولون: لا إله إلّا الله، فقال ملك الجبال: أنت كما سمّاك ربّك رؤوف رحيم».

....

وأخرج ابن مردويه عن أبي صالح الحنفيّ قال: قال عبد الله: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إنّ الله رحيم، ولا يضع رحمته إلا على رحيم»، قلنا: يا رسول الله، كلّنا نرحم أموالنا وأولادنا، قال: «ليس بذلك، ولكن كما قال الله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]»؛ ففي الحديث إشارة إلى أن الرَّحمة ينبغي أن تكون عامّة وخاصّة، كما قال في الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه». وفي الصحيح أيضًا: «الرَّاحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء». ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي أعرضوا، يعني الكفار عن الإيمان بك أو جميع الخلق عنك وعن متابعتك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي كافيّ في جميع أُموري. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [التوبة: الآية ٣١] أي ليس ربّ سواه، فلا أعبد إلا إيّاه، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] أي اعتمدت وإليه استندت، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] بالجرّ على أنه صفة العرش، وقرىء بالرفع على صفة أنه الربّ، أي الهيكل الجسيم المحيط بجميع المخلوقات.

وقد ورد أن الأرضين السبع في جنب السماء الدنيا كحلقة في فلاة، وكذا كل سماء بالنسبة إلى أخرى، ثم جميع الأرَضين والسمٰوات العُلى بجنب الكرسي كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة، ومع هذا رُوِي في الحديث القدسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». وأخرج أبو داود عن أبي الدرداء موقوفًا وابن السنيّ عنه مرفوعًا: «مَنْ قال حين يصبح وحين يُمسي: حسبي الله لا إلٰه إلّا هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم سبع مرّات كفاه الله ما أهمّه من أمر الدنيا والآخِرة». وأخرج ابن أبي شيبة وغير واحد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أُبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال: آخر آية نزلت على النبيّ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة: الآيتان ١٢٨، ١٢٩]. وفي رواية قال أُبيّ: هذا آخر ما نزل من القرآن، فختم الأمر بما فتح به،

....

وهو لا إلـه إلّا هو، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥].

فلنختم بما ختم الله تعالى به نزول كلامه المبين على خاتَم النبيّين، رجاء أن يختم لنا بالخاتمة الحُسنى، وأن يبلّغنا المقام الأسْنى، فضلًا من الله وتوفيقًا، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصَّالحين وحَسُن أُولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا، والحمد لله أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وحديثًا وقديمًا، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا، وزاده تكريمًا وتشريفًا ومَهابةً وتعظيمًا، آمين، يا أرحم الراحمين، انتهت عبارة رسالة العلّامة علي القاري عليه رحمة الله الباري بحروفها.

قوله: (شديد عليه شاق) من عزّ عليه بمعنى صَعْب. قوله: (﴿عَنِتُّمْ﴾) إشارة إلى أن ما مصدرية، والمصدر فاعل عزيز، والعَنَت ـ بالتحريك ـ ما يكره ويشقّ. وقيل: عزيز صفة رسول، وعليه ما عنتم ابتداء كلام، أي يهمّه ويشقّ عليه عنتكم.اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (على إيمانكم) قدّر المضاف لأن الحرص لا يتعلّق بذواتهم. قوله: (ناصَبوك) ناصبه مناصبةً قاوَمه وعاداه. قوله: (معرّتهم) المعرّة الأمر المكروه والأذى مفعلة من العرّ، أي الحرب. قوله: (وقُرِىء بالرفع) قارئه ابن محيصن صفة لربّ، وقد رُوِيت هذه القراءة عن ابن كثير رحمه الله. قوله: (أُبي) بن كعب السيّد القارىء الأنصاري الخزرجي النجاري ـ بالنون ـ شهد أُبيّ رضي الله تعالى عنه العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، رُوِي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة. توفي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة، ودُفِن بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان. قال أبو نعيم الأصبهاني: وهذا هو الصحيح. قوله: (آخر آية نزلت) مراده بالآية الجنس، وإلا فالمذكور آيتان، وهذا القول مرجوح، والراجح أن آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨١] كما تقدّم هناك. وعبارة الخازن وأبي السعود: رُوِي عن أُبيّ بن كعب أنّه قال: هاتان الآيتان: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨]

....

إلى آخر السورة آخر القرآن نزولًا، انتهت.اهـ الفتوحات الإلـهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحقّية. وأيضًا فيها في تفسير سورة البقرة، قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ [الآية ٤٨] في الآية وعيد شديد. قال ابن عباس ﵄: وهذه آخر آية نزل بها جبريل، وقال للنبيّ ﷺ: «ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة»، وعاش رسول الله ﷺ بعدها إحدى وعشرين يومًا، وقيل: إحدى وثمانين، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاث ساعات.اهـ بيضاوي. وقوله: في رأس المائتين والثمانين، تقدّم أن السورة مائتان وستّ وثمانون آية، فتكون هذه الحادية والثمانين وآية الدّين الثانية والثمانين. وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمٞ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٣] الثالثة والثمانين. وقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ إلى ﴿قَدِيرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] الرابعة والثمانين. وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٥] الخامسة والثمانين. وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] إلى آخر السورة السادسة والثمانين، انتهت. وأيضًا فيها في آخر سورة النساء، قوله عن البراء ـ أي ابن عازب رضي الله تعالى عنهما ـ: أنها ـ أي آية ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء: الآية ١٧٦] . . . الخ ـ آخر آية نزلت من الفرائض[1]، أي من آيات الفرائض. وفي البخاري مع القسطلاني عليه ما نصّه: رُوِي عن البراء بن عازب أنّه قال: آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء: الآية ١٧٦]. ورُوِيَ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: آخر آية نزلت الرّبا، وآخر سورة نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: الآية ١]. ورُوي أنه ﷺ بعدما نزلت سورة النصر عاش عامًا، ونزلت بعدها براءة، وهي آخر سورة نزلت كاملة، فعاش ﷺ بعدها ستّة أشهر، ثم نزلت في طريق حجّة الوداع: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النّساء: الآية ١٧٦] فسمّيت آية الصيف؛ لأنها نزلت في الصيف، ثم نزلت وهو واقف بعرفة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: الآية ٣]، فعاش بعدها إحدى وثمانين يومًا، ثم نزلت آية الرّبا، ثم نزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾

---

(١) فلا يعارض ما رواه البخاري عن ابن عباس: آخر آية أُنزلت آية الرّبا.اهـ كمالين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

....

[البَقَرَة: الآية ٢٨١]، فعاش بعدها إحدى وعشرين يومًا، انتهت والله سبحانه وتعالى أعلم وعِلْمه أتمّ.

تمّ ما علقناه على سورة التوبة بالمسجد الحرام تحت ميزاب الرحمةِ على يد المؤلّف الفقير إلى الباري سبحانه، المرتجي كرمه وإحسانه وامتنانه، محمّد عبد الحقّ ابن الشيخ شاه محمد بن يار محمد عاملهم الله بفضله العميم ربّنا تقبّل منّا إنك أنت السميع العليم، ولا تضرب به وجوهنا يا إلـه العالمين، ويا خير الناصرين، اللّهمّ يسِّر لنا الإتمام، ببركة سيّدنا محمّد عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام، والحمد لله وحده، وصلّى الله على مَنْ لا نبيّ بعده، سيّدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيته وأهل بيته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

تمّ الجزء الأول من الحاشية المسماة بالإكليل،
على مدارك التنزيل، وحقائق التأويل،
للعلّامة مولانا عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين
أبي البركات النسفي الحنفي تغمّده الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى جنانه،
ويليه الجزء الثاني أوّله سورة يونس

(سورة يونس) عليه السلام

(مائة وتسع آيات مكية وكذا ما بعدها إلى سورة النور)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾

(﴿الٓر﴾ **ونحوه أمال: حمزة وعلي وأبو عمرو**)، وهو تعديد للحروف على

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة يونس**) مكِّية (**وكذا ما بعدها إلى سورة النور**)، وهي (**مائة وتسع آيات**) وألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة، وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفًا. اهـ خازن. وفي تفسير الخطيب: وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفًا، وهي أوّل المثين إنْ جعلنا براءة مع الأنفال من الطّوال، وإلّا فبراءة أُولاهنّ. اهـ.

قوله: (﴿الٓر﴾ **ونحوه أمال حمزة وعلي وأبو عمرو**) أي قرأ بكسر الراء على الإمالة المحضة حمزة وعلي الكسائي وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر. وقرأ بفتح الراء والألف بعدها ابن كثير وقالون وحفص. وقرأ ورش بين الفتح والكسر، واختلف القرّاء في الحروف المقطّعة التي في أوائل السور إذا كان آخرها ألفًا مقصورة، وهي را وطا وها ويا وحا، هل تُقرأ بالإمالة أو بالتفخيم؟ فأمال را من جميع سورها إمالة محضة الكوفيون، إلّا حفصًا وأبو عمرو وابن عامر. وأمال الإخوان وأبو بكر طا من جميع سورها نحو ﴿طسٓ﴾ [النمل: الآية ١]، و﴿طسٓمٓ ①﴾ [الشعراء: الآية ١]، و﴿طه ①﴾ [طه: الآية ١]. وأمال أبو بكر وحمزة والكسائي يا من ﴿يسٓ ①﴾ [يس: الآية ١] و﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [مريم: الآية ١]،

(طريق التحدي) ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ **ذي الحكمة)** لاشتماله عليها، **(أو المحكم)** عن الكذب **(والاقتراف)**.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

والهمزة في ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ **(لإنكار التعجب والتعجيب منه)** ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ اسم «كان» و﴿عَجَبًا﴾ خبره، واللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ متعلّق بمحذوف هو صفة لـ ﴿عَجَبًا﴾ فلما تقدم صار حالًا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ (أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ)﴾ بأن أنذر أو هي مفسّرة إذ الإيحاء فيه معنى القول ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ﴾

ووافقهم ابن عامر في إمالة ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريَم: الآية ١] دون ﴿يسٓ ﴿١﴾﴾ [يٰس: الآية ١]، وأمال حمزة والكسائي وأبو عمرو وورش وأبو بكر «ها» من ﴿طه ﴿١﴾﴾ [طٰه: الآية ١]، وكذلك أمالها من ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ [مريَم: الآية ١] أبو عمرو والكسائي، وأبو بكر وابن ذكوان، وأمال أبو عمرو وورش وحمزة والكسائي وأبو بكر وابن ذكوان «حا» من جميع آل «حم» السبع، إلّا أن أبا عمرو وورشًا يُميلان بين بين، والباقين يميلون إمالة محضة، وقرأ ابن كثير وقالون وحفص وهشام ﴿حم﴾ بفتح الحاء في جميع سورها، وكلها ألفات صحيحة على أن الأصل في هذه الكلمات ترك الإمالة؛ لأن ألفاتها ليست منقلبة عن الياء، ومَنْ أمالها فقد قصد بإمالتها على أنها أسماء لا حروف؛ لأنها أسماء للحروف المخصوصة وليست بحروف. **قوله**: على **(طريق التحدّي)** أي طلب المعارضة. **قوله**: (﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ **ذي الحكمة)** على أنه للنسبة كلابن وتامر. **قوله**: **(أو المحكم)** على أن يكون الحكيم فعيل بمعنى مفعول. **قوله**: **(والاقتراف)** وفي نسخة صحيحة: والاختلاف.

قوله: **(لإنكار التعجّب)** أي لإنكار تعجب الكفار، أي من الإيحاء، كما سيذكره. قوله: **(والتعجيب منه)** أي لتعجيب السّامعين من تعجيبهم لوقوعه في غير محلّه. **قوله**: (﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾) فـ أن مصدرية أو مفسّرة، وقد جوّز كونها مخفّفة من المثقلة على حذف ضمير الشأن، والقول من الخبر والمعنى أنّ الشأن قولنا:

بأن لهم. (**ومعنى اللام في** ﴿لِلنَّاسِ﴾ **أنهم جعلوه لهم أُعجوبة**) يتعجبون منه، والذي تعجبوا منه أن يوحي إلى بشر وأن يكون رجلًا (**من أفناء رجالهم**) دون عظيم من عظمائهم، فقد كانوا يقولون: العجب أن الله لم يجد رسولًا يرسله إلى الناس إلا (**يتيم أبي طالب**)، وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان، وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرًا مثلهم، وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضًا، لأن الله تعالى إنما يختار للنبوّة من جمع أسبابها، والغنى والتقدم في الدنيا ليس من أسبابها. والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبًا، إنما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (**أي سابقة**) وفضلًا ومنزلة رفيعة. ولما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدمًا كما سميت النعمة يدًا لأنها تعطى باليد، (**وباعًا**) لأن صاحبها يبوع بها، فقيل: «لفلان قدم في الخير» (**وإضافتها إلى** ﴿صِدْقٍ﴾ **دلالة على زيادة فضل**) وأنه من السوابق العظيمة، (**أو مقام صدق**) أو سبق السعادة ﴿قَالَ

أنذر الناس. **قوله**: (**ومعنى اللام في** ﴿لِلنَّاسِ﴾ **أنهم جعلوه لهم أُعجوبة**) بضم الهمزة وسكون العين مثل أُحدوثة: ما يتعجّب منه، يعني أن اللام في ﴿لِلنَّاسِ﴾ للبيان كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٣]، أي هذا الخطاب لك وليس متعلّقًا بقوله: عجبًا على طريق المفعولية، كما في قولك: عجبت لسعي زيد في حاجتي؛ لأن معمول المصدر لا يتقدّم عليه. **قوله**: (**من أفناء رجالهم**) أي ممّن لا يُعرف بجاه ومال ورياسة ونحو ذلك ممّا يعدّونه من أسباب العزّ والجلال، وليس المراد أنه ﷺ ليس من مشاهيرهم نسبًا؛ لأن شرف نسبه عندهم أظهر من الشمس، وأفناء ـ بفتح الهمزة وسكون الفاء والنون والمدّ ـ جمع فنى بوزن فتى، أو جمع فناء بوزن قباء، وهو ناحية من الناس. الجوهري: فناء الدار ما امتدّ من جوانبها، ويقال: هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممّن هو. **قوله**: (**يتيم أبي طالب**) لأنه كان معه في صغره. **قوله**: (**أي سابقة**)... الخ. والسابقة هنا مصدر بوزن فاعلة بمعنى السّبق والسبق كالتقدم بمعنى فضلهم على غيرهم لما خصّوا به من سائر الأُمم. **قوله**: (**وباعًا**) في المصباح: الباع، قال أبو حاتم: هو مذكّر، يقال: هذا باع وهو مسافة ما بين الكفّين إذا بسطتهما يمينًا وشمالًا، وباع الرجل الحبل يبوعه بوعًا إذا قاسه بالباع، والجمع أبواع.اهـ. **قوله**: (**وإضافتها إلى** ﴿صِدْقٍ﴾ **دلالة على**

ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ (مُّبِينٌ)﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الكتاب (﴿لَسِحْرٌ﴾ **مدني وبصري وشامي. ومَن قرأ** ﴿لَسَٰحِرٌ﴾) فهذه إشارة إلى رسول الله ﷺ وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرًا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ) عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (**أي استولى، فقد يقدس الديان عن المكان**) والمعبود عن المحدود ﴿يُدَبِّرُ﴾ يقضي ويقدر على مقتضى الحكمة ﴿ٱلْأَمْرَ﴾ أي أمر الخلق كله وأمر ملكوت السمٰوات

زيادة فضل)، فوجهه أن الإضافة لدلالتها على الاختصاص الكامل أفادت أن الصدق كأنه مالك تلك السابقة التي القدم عبارة عنها؛ فدلّت الإضافة على زيادة تعلّق السابقة بالصدق وزيادة التعلق بالصدق زيادة فضل السابقة. **قوله: (أو مقام صدق)** كمقعد صدق بإطلاق الحال وإرادة المحل. **قوله: (﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مدني وبصري وشامي، ومَنْ قرأ** ﴿لَسَٰحِرٌ﴾). . . الخ. في الإتحاف: قرأ (﴿لَسَٰحِرٌ﴾) بالألف وكسر الحاء ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، والباقون بغير ألف مع سكون الحاء. اهـ. وفي تفسير الخطيب قرأ نافع[1] وأبو عمرو[2]، وابن عامر بكسر السين (**شامي**) وسكون الحاء على أنّ الإشارة للقرآن المشتمل على ذلك. والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على أن الإشارة للنبيّ ﷺ. اهـ. وقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: الآية ٧٦] المراد به الحاصل بالمصدر، وهم كاذبون في ذلك عند أنفسهم أيضًا، وبهذا الاعتبار يكون دليل عجزهم؛ لأن التعجّب أولًا ثم التكلّم بما هو معلوم الانتفاء قطعًا حتى عند نفس المُعارِضِ من دأب العاجز المفحم.

قوله: (أي استولى فقد تقدّس الديّان عن المكان). في لسان العرب: الديّان الله عزّ وجلّ والقهار، وقيل: الحاكم والقاضي وهو فعّال من دانَ الناس، أي قهرهم على الطاعة دنتُهم فدانُوا، أي قهرتهم فأطاعوا. اهـ.

---

(١) صوفي.　　(٢) بصري.

والأرض والعرش. ولما ذكر ما يدل على عظمته وملكه من خلق السمٰوات والأرض والاستواء على العرش، أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور عن قضائه وتقديره، وكذلك قوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ دليل على عزّته وكبريائه ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ العظيم الموصوف بما وصف به ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ وهو الذي يستحق العبادة ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحّدوه ولا تُشركوا به بعض خلقه من إنسان أو ملك فضلاً عن جماد لا يضرّ ولا ينفع ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تتدبرون فتستدلون بوجوب المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ حال أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه. والمرجع الرجوع أو مكان الرجوع ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه (﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) أي

في حاشية العلامة شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي رحمه الله (قالوا: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ) عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ لا يمكن أن يكون معناه أنه تعالى خلق العرش بعد خلق السمٰوات والأرضين، بدليل أنه تعالى قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هُود: الآية ٧] يدلّ على أنّ وجود العرش سابق على تخليق السمٰوات والأرض، ولا يتوهّم أيضًا من استوائه على العرش كونه معتمدًا عليه مستقرًّا فوقه، بحيث لولا العرش لسقط ولنزل؛ لأن ذلك مستحيل في حقّه تعالى لاتّفاق المسلمين على أنه تعالى هو المُمسك للعرش والحافظ، وأنه لا يحتاج إلى شيءٍ ممّا سواه، بل المراد من الاستواء على العرش ـ والله أعلم ـ الاستيلاء عليه ونفاذ التصرّف، وخصّ العرش بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودمٍ مهراق

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ من استوى أو مستأنف لا محلّ له. اهـ بحروفه.

الحكمة بإبداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم (﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾) بالعدل وهو متعلّق بـ «يجزي» أي ليجزيهم (بقسطه ويوفيهم أجورهم، أو بقسطهم) أي بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا إذ الشرك ظلم ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، وهذا أوجه لمقابلة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ (مِّنۡ حَمِيمٖ) وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥﴾

(ولوجه كلامي) ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ﴾ الياء فيه منقلبة عن واو «ضواء» لكسرة ما قبلها، وقلبها (قُنبُلٌ) همزة لأنها للحركة أجمل ﴿وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ وقدر القمر (أي وقدر مسيره) ﴿مَنَازِلَ﴾ (أو وقدره ذا منازل) كقوله: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: الآية ٩٣] ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ أي عدد السنين والشهور فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور

قوله: (بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم)... الخ. يعني أن الألف واللام عوض عن الضمير المضاف إليه، وهو إما ضمير الله أو ضمير المؤمنين.
قوله: (﴿مِّنۡ حَمِيمٖ﴾) وهو ماء حار قد انتهى حرّه.

قوله: (ولوجه كلامي) في تأويلات الإمام أبي منصور رحمة الله عليه قوله تعالى: (﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾) قيل: بالعدل، ولكن في هذا التأويل نظر؛ لأن جزاء العبادة يكون إفضالًا وإحسانًا لا استحقاقًا واستيجابًا، وما كان بطريق العدل فهو مستحقّ لا محالة. وأمّا جزاء الكفر بطريق العدل، وكذا جزاء العصيان، لكن جزاء المعصية يحتمل العفو والمغفرة بلا توبة، بخلاف جزاء الكفر على ما يُعرف، والله الموفق. انتهى. **قوله**: (قُنبُلٌ) هو يروي عن ابن كثير المكّي، وهو محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المكّي المخزومي، ويكنى أبا عمرو، يلقّب قنبلًا، ويقال: هم أهل بيت بمكّة يُعرفون بالقنابلة، وتوفي بمكّة بعد سنة ثمانين ومائتين رحمه الله. **قوله**: (أي وقدر مسيره) يشير إلى أن هنا مضافًا مضمرًا، وهو اسم مكان ومنازل مفعول ثان على تضمين التقدير معنى التصيير. **قوله**: (أو وقدره ذا منازل) فيكون منازل أيضًا

﴿وَٱلْحِسَابَ﴾ وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المذكور (﴿إِلَّا﴾ ملتبسًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾) الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثًا (﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ مكيّ وبصريّ وحفص، وبالنون غيرهم) ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فينتفعون بالتأمل فيها.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في مجيء كل واحد منهما خلف الآخر، أو في اختلاف لونيهما ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلائق ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ خصّهم بالذكر لأنهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ (لا يتوقعونه) أصلًا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق، أو لا يؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء، أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يُخاف ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ وسكنوا فيها سكون مَن (لا يزعج) عنها فبنوا شديدًا وأملوا بعيدًا ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ لا يتفكرون فيها، ولا وقف عليه لأن خبر «إن» ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ فـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ و﴿مَأْوَىٰهُمُ﴾ مبتدأ

مفعولًا ثانيًا، لكن بتقدير مضاف في المنازل، فلا يقدر مضاف حينئذ في المفعول الأول، أعني مسيرًا، وقيل: أصله قدر له منازل، فهو مفعول به. **قوله**: (﴿إِلَّا﴾ ملتبسًا ﴿بِٱلْحَقِّ﴾) يعني أن الباء للملابسة وهو حال. **قوله**: (﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ مكّي) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، ويعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليس من السبعة. (وحفص) بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزاز الكوفي بياء الغيب جريًا على اسم الله تعالى، (وبالنون غيرهم) التفاتًا من الغيبة إلى التكلّم للتعظيم.

قوله: (لا يتوقعونه).. الخ. قالوا: الرجاء يُطلق بمعنى توقّع الخير، وهو الأصل كالأمل. ويُطلق على الخوف وتوقّع الشر، ويُطلق على مطلق التوقّع، وهو في الأول حقيقة وفي الآخرين مجاز. **قوله**: (لا يزعج) أي يحرك.

ثانٍ و﴿ٱلنَّارُ﴾ خبره والجملة خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والباء في ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ يتعلق بمحذوف دلّ عليه الكلام وهو جوزوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدّي إلى الثواب ولذا جعل ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ بيانًا له وتفسيرًا، إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها، أو يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة، **(ومنه الحديث «إن المؤمنَ إذا خرج من قبره)** صوّر له عمله في صورة حسنة فيقول له: أنا عملك فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة، والكافر إذا خرج من قبره صوّر له عمله في صورة سيئة فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» وهذا دليل على أن الإيمان المجرد منج حيث قال: ﴿بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ ولم يضم إليه العمل الصالح ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ متعلق بـ ﴿تَجۡرِي﴾ أو حال من ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

قوله: (ومنه الحديث إن المؤمن إذا خرج من قبره)... الخ. كذا في تفسير الخطيب. وفي الدرّ المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ قال: حدّثنا الحسن، قال: بلغنا أن النبيّ ﷺ قال: «المؤمن إذا خرج من قبره صوّر له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك خير امرء صدق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنّة. وأمّا الكافر، فإذا خرج من قبره صُوِّر له عمله في صورةٍ سيّئة وريح مُنتنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك عين امرىء سوء، فيقول: أنا عملك، فينطلق به حتى يُدخله النار». أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾، قال: يمثل لهم في صورة حسنة وريح طيّبة يعارِضُ صاحبه ويبشّره بكل خير، فيقول: مَنْ أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيجعل له نورًا من بين يديه حتى يُدخله الجنّة، والكافر يمثل له عمله في صورة سيّئة وريح مُنتنة، فيلازم صاحبه حتى يقذفه في النار، انتهى بحروفه.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ (أي دعاؤهم) لأن ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ نداء لله ومعناه (اللهم إنا نسبحك) أي يدعون الله بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ تلذذًا بذكره لا عبادة ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾ أي يحييّ بعضهم بعضًا بالسلام، أو هي تحية الملائكة إياهم، وأضيف المصدر إلى المفعول، أو تحية الله لهم ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ﴿أَنِ﴾ مخففة من الثقيلة، وأصله أنه الحمد لله رب العالمين، (والضمير للشأن). قيل: أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير، فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارًا بسرعة إجابته لهم، والمراد أهل مكة وقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢] أي ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ﴾ لأميتوا وأهلكوا

قوله: (أي دعاؤهم) يعني أنّ الدعوى بمعنى الدعاء، ويدلّ عليه: اللّهمّ، فإنه نداء في معنى: يا الله، دعا يدعو دعاء ودعوى، كما يقال: شكا يشكو شكاية وشكوى، و﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ هو المنادى له، وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل لا يجوز إظهاره، وأشار إليه المصنّف بقوله: (اللّهمّ إنّا نسبّحك)، فلما حذف الفعل أُضيف المصدر إلى مفعوله.

قوله: (والضمير للشأن) والجملة بعدها في محل الرفع على أنها خبر لها، وأن مع اسمها وخبرها في محل الرفع خبر للمبتدأ الأوّل، وهو قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾.

(﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ شامي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل) ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ شركهم وضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون، ووجه اتصاله بما قبله أن قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ﴾ متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل: ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزامًا للحجة عليهم.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أصابه والمراد به الكافر ﴿ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ أي دعا الله لإزالته ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ في موضع الحال بدليل عطف الحالين أي ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ عليه أي دعانا مضطجعًا. وفائدة ذكر هذه الأحوال أن معناه أن المضرور لا يزال داعيًا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضرّ، فهو يدعونا في حالاته كلها سواء كان مضطجعًا عاجزًا عن (**النهوض**)، أو قاعدًا لا يقدر على القيام، أو قائمًا لا يطيق المشي ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾ أزلنا ما به ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ أي مضى على طريقته الأولى قبل مسّ الضرّ ونسي حال الجهد، أو مرّ عن موقف الابتهال والتضرّع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به، والأصل «كأنه لم يدعنا» فخفّف وحذف ضمير الشأن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ للمجاوزين الحد في الكفر زيّن الشيطان بوسوسته ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الإعراض عن الذكر واتباع الكفر.

قوله: (﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ **شامي**) أي ابن عامر الشامي (**على البناء للفاعل، وهو الله عزّ وجلّ**) في تفسير النيسابوريّ ﴿لقضي إليهم﴾ مبنيًا للفاعل ﴿أجلهم﴾ بالنصب ابن عامر ويعقوب. الآخرون مبنيًّا للمفعول ورفعِ ﴿أجلهم﴾. اهـ.

قوله: (**النُهوض**) القيام.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ أشركوا وهو ظرف لـ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ والواو في ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرّون على كفرهم، وهو عطف على ﴿ظَلَمُوا۟﴾ أو اعتراض، واللام لتأكيد النفي يعني أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم للرسل، وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الخطاب للذين بعث إليهم محمد أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكناها ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي لننظر أتعملون خيرًا أو شرًّا فنعاملكم على حسب عملكم. و﴿كَيْفَ﴾ في محل النصب بـ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لا بـ «ننظر»، لأن معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله، والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون، أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم؟ قال عليه السلام: («الدنيا حلوة خضرة) وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون».

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لما غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد لأهل الطغيان ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذمّ عبادتها، فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله:

قوله: (الدنيا حلوة خُضْرَة) أي روضة خضراء مستحلاة الطعم.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ ما يحل لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾ من قبل نفسي ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ لا أتبع إلا وحْيَ الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل، لأن الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فأبدله ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتبديل من عند نفسي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي يوم القيامة. وأما الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان، وقد ظهر لهم العجز عنه إلا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا. ولا يحتمل أن يريدوا بقوله: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ﴾ من جهة الوحي لقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وغرضهم **(في هذا الاقتراح)** الكيد، أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر، وأما اقتراح التبديل **(فلاختبار الحال)**، وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه، أو لا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحًا لافترائه على الله.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإظهاره أمرًا عجيبًا خارجًا عن العادات، وهو أن يخرج رجل أُمي لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتابًا فصيحًا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم، **(مشحونًا)** بعلوم الأصول والفروع والإخبار عن الغيوب التي لا يعلمها إلا الله ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ ولا أعلمكم الله بالقرآن على لساني ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ﴾ من قبل نزول القرآن أي فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفوني متعاطيًا شيئًا من نحوه ولا قدرت عليه، ولا كنت موصوفًا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله لا من مثلي، وهذا جواب عما دسّوه تحت قولهم: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ من إضافة الافتراء إليه.

قوله: (في هذا الاقتراح) في مختار الصحاح: اقترح عليه شيئًا سأله إيَّاه من غير رَوِيَّةٍ. اهـ. **قوله: (فلاختبار الحال)** يقال: خبره واختبره إذا بلاه، أي امتحنه. اهـ اختري.

قوله: (مشحونًا) أي مملوءًا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في أنه ذو شريك وذو ولد، وأن يكون **(تفاديًا)** مما **(أضافوه)** إليه من الافتراء ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ بالقرآن، فيه بيان أن الكاذب على الله والمكذب بآياته في الكفر سواء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوا عبادتها ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوها ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي الأصنام ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أي في أمر الدنيا ومعيشتها لأنهم كانوا لا يقرّون بالبعث ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل: الآية ٣٨] أو يوم القيامة إن يكن بعث ونشور ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله، وإذا لم يكن معلومًا له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئًا. وقوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو معدوم ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه ذاته عن أن يكون له شريك. **(وبالتاء: حمزة وعليّ)**، وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به، أو عن إشراكهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حنفاء متفقين على ملّة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم، وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل، أو بعد الطوفان

قوله: **(تفاديًا)** تفاعل من الفداء وأُريد به تخلّصا مجازًا؛ إذ التفادي إعطاء الفداء مستلزم للتخلّص. **قوله**: **(أضافوه)** أي نسبوه. **قوله**: **(وبالتاء)** على الخطاب؛ لقوله تعالى: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ **(حمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بالياء على الغيبة، فكأنه قيل للنبيّ ﷺ: قل أنت: سبحانه وتعالى عمّا يشركون، ويجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي نزّه نفسه عمّا قالوه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. اهـ خطيب.

حين (لم يذر) الله من الكافرين (ديارًا) ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فصاروا (مللًا) ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلًا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيما اختلفوا فيه وليَميزَ المحق من المبطل وسَبْقُ كلمته لحكمة، وهي أن هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي آية من الآيات التي اقترحوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي هو المختصّ بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن إنزال الآيات المقترحة لا غير ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ نزول ما اقترحتموه ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ أهل مكة ﴿رَحْمَةً﴾ (خصبًا) وسعة ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ يعني القحط والجوع ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ أي مكروا بآياتنا بدفعها وإنكارها. رُوِيَ أنه تعالى سلّط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم (بالحيا)، فلما رحمهم

قوله: (لم يذر) أي لم يدع. **قوله**: (ديارًا) أي نازل دار، والمعنى أحدًا. **قوله**: (مللًا) في المصباح: المِلّة - بالكسر - الدِّين، والجمع ملل مثل سدرة وسدر. اهـ.

قوله: (خِصْبًا) في المصباح: الخصب وزان حِمْل النّماء والبركة، وهو خلاف الجَدْب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الخصب - بالكسر - ضد الجَدْب، ويقال: بلد خِصْب وأخْصابٌ أيضًا، وصفوه بالجمع كأنهم جعلوا الواحد أجزاءً وله نظاير. اهـ.

قوله: (بالحَيا) في مختار الصحاح: الحَيَى - مقصور - المطر والخِصْب. اهـ. وفي لسان العرب: وقد جاء الحيا الذي هو المطر والخصب ممدودًا. انتهى. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: الحيا بالمدّ والقصر المطر، والمراد به هنا الخصب. انتهت. **قوله**:

(طفقوا) يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ﷺ ويكيدونه فـ ﴿إِذَا﴾ الأولى للشرط، والثانية جوابها وهي للمفاجأة وهو كقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: الآية ٣٦] أي وإن تصبهم سيئة قنطوا، وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا. والمكر إخفاء الكيد وطيّه (من الجارية الممكورة المطوية الخَلْق)، ومعنى مستهم خالطتهم حتى (أحسّوا) بسوء أثرها فيهم. وإنما قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾ ولم يصفهم بسرعة المكر لأن كلمة المفاجأة دلّت على ذلك كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مسّ الضراء ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ (يعني الحَفَظة) ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ إعلام بأن ما تظنونه خافيًا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم. (وبالياء: سهل).

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ﴾ يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالأرجل والدواب والفلك الجارية في البحار، أو يخلق فيكم السير (﴿ينشركم﴾ شاميّ)

(طفقوا) في مختار الصحاح: طَفِقَ يفعل كذا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب.اهـ. قوله: (من الجارية الممكورة المطوية الخَلْق) الممكورة المفتولة الخلق غير مسترخية الأعضاء. قوله: (أحسّوا) أي أدركوا. قوله: (يعني الحَفَظة) الكرام الكاتبين، والحَفَظة جمع حافظ. قوله: (وبالياء: سهل) هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري، وليس من السبعة. وعبارة تفسير النيسابوري: يمكرون بياء الغيبة سهل ورَوْح. والباقون بالتاء الفوقية، انتهت. وروح يروي عن يعقوب إسحٰق الحضرمي البصري، كما يروي عنه زيد ورُوَيْس ويعقوب ليس من السبعة.

قوله: (﴿ينشركم﴾) بفتح الياء وسكون النون وضمّ الشين المعجمة من النشر، وهو التفريق والبسط الذي هو ضدّ الطيّ، (شامي) أي ابن عامر الشامي. وقرأ الباقون: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ [يونس: الآية ٢٢] بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشدّدة من التسيير، والتضعيف للتعدية، يقال: سار الرجل وسيّرته أنا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ (أي السفن) ﴿وَجَرَيۡنَ﴾ أي السفن ﴿بِهِم﴾ بمن فيها رجوع من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ بتلك الريح للينها واستقامتها ﴿جَآءَتۡهَا﴾ أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقتها ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ (ذات عصف أي شديدة الهبوب) ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ﴾ هو ما علا على الماء (﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ من البحر أو من جميع أمكنة الموج) ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحي مثلًا في الإهلاك ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذٍ معه غيره يقولون ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال أو من هذه الريح ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك، (ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر) ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بما في حيّزها كأنه

قوله: (أي السفن) نبّه به على أن الفلك جَمْع[1] هناك، كما يدلّ عليه: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: الآية ٢٢]، وأمّا في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الشُّعَراء: الآية ١١٩]، فمفرد والفرق بين مفرده وجمعه اعتباري، فحركته إذا كان جمعًا كحركة بدن جمع بدنة، وإذا كان مفرد كحركة قفل. **قوله**: (ذات عصف) أي العاصف صيغة نسبة ليس بجارٍ على الفعل، بل هو اسم صيغ لذي الشيء. ألا يرى أنه لا يقال: عصف، كما لا يقال: تمر ولبن في تامر ولابن، ولذلك قيل: الفرق بينه وبين اسم الفاعل أنه لا يؤنّث إذا كان بمعنى ذي كذا، ومِنْ هذا لا يجيء عاصفة بالتأنيث، مع أن الريح مؤنّثة لا تذكّر بدون تأويل. **قوله**: (أي شديدة الهبوب) لازم معناه: إذ العصف، وهو الكسر أو النبات المتكسّر؛ لأن الرِّيح الشديدة تفعل به. **قوله**: (﴿مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ من البحر أو من جميع أمكنة الموج) تخصيص له؛ لأنه ليس على ظاهره. **قوله**: (ولم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر)... الخ. فإن قيل: كيف جعل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ غاية لقوله: ﴿يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾، وغاية الشيء تكون بعده، والحال أن السير في البحر بعد الكون في الفلك؟ قلنا: أجاب المصنّف رحمه الله بأنّ الغاية ليس مجرّد الكون في الفلك، بل الغاية هي الكون في

---

(١) أي جمع مكسر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان (كَيت وكَيتَ) من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء بالإنجاء، (وجواب: ﴿إِذَا﴾ ﴿جَآءَتۡهَا﴾ و﴿دَعَوُاْ﴾ بدل من ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾) لأن دعاءهم من لوازم ظنّهم للهلاك فهو ملتبس به.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يفسدون فيها ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾ باطلًا (أي مبطلين) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ أي ظلمكم يرجع إليكم كقوله: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت: الآية ٤٦] (﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ حفص) أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا «وعلى أنفسكم» خبر لـ «بغيكم». غيره بالرفع على أنه خبر ﴿بَغۡيُكُمۡ﴾ و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ صلته كقوله: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القصص: الآية ٧٦] ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم، أو هو خبر و﴿مَّتَٰعَ﴾ خبر بعد خبر، أو ﴿مَّتَٰعَ﴾ خبر مبتدأ مضمر أي هو متاع الحياة الدنيا، وفي الحديث («**أسرع الخير ثوابًا صلة الرحم، وأعجل الشر عقابًا البغي واليمين الفاجرة**») ورُوِيَ «ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي (**وعقوق الوالدين**»).

الفلك مع ما عطف عليه من قوله: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾، فإنّ هذا المجموع بعد السير في البحر. **قوله**: (كَيت وكَيتَ) وإن شئت كسرتَ التاء، وهي كناية عن الأمر، نحو كذا وكذا. اهـ لسان العرب باختصار. **قوله**: (وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿جَآءَتۡهَا﴾) عبارة تفسير الكشاف: فإن قلت: ما جواب إذا؟ قلت: ﴿جَآءَتۡهَا﴾، انتهت. **قوله**: (و﴿دَعَوُاْ﴾ بدل من ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾) بدل اشتمال.

قوله: (أي مبطلين) إشارة إلى أن بغير الحقّ حال من ضمير يبغون. **قوله**: (﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ حفص) بنصب العين على أنه مصدر مؤكّد. **قوله**: («**أسرع الخير ثوابًا**) أي أعجل أنواع الطاعة جزاءً من الله سبحانه وتعالى، (**صلة الرحم**) أي الأقارب، (**وأعجل الشرّ**) أي الفساد والظلم (**عقابًا البغي واليمين الفاجرة**) أي الكاذبة. **قوله**: (**وعقوق الوالدين**») يقال: عقّ الولد أباه عقوقًا من باب قعد إذا عصاه وترك الإحسان إليه، فهو عاقّ، والجمع عققة. اهـ مصباح.

(**وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «لو بغى جبل على جبل لدكّ الباغي منهما». وعن محمد بن كعب: ثلاث مَن كنّ فيه كنّ عليه: البغي والنكث والمكر**).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: الآية ٢٣]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: الآية ٤٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنخبركم به ونجازيكم عليه.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: (**وعن ابن عباس**) هو عبد الله بن عبد الله بن **عباس** بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ النبيّ ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمّى البحر والحبر لسِعَة عِلْمه، مات سنة ثمانٍ وستّين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة (**رضي الله تعالى عنهما: «لو بغى جبل على جبل»**) أي تعدّى عليه (**«لدكّ الباغي منهما»**) أي انهدم واضمحلّ، رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس، ورواه ابن لال عن أبي هريرة. وفي الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن **عباس** رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو بغى جبل على جبل لدكّ الباغي **منهما**». أخرج ابن مردويه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مثله، انتهى بحروفه.

قوله: (**وعن محمد بن كعب**) القرظي المدني ثم الكوفي، قال ابن عون: ما رأيت أحدًا أعلم بتأويل القرآن من القرظي. وقال ابن سعد: كان ثقة ورعًا كثير الحديث، وكذا وثّقه أبو زرعة والعجلي، مات سنة تسع عشرة ومائة، وقيل: سنة عشرين. **قوله**: (**ثلاث مَنْ كُنّ فيه كنّ عليه: البغي**) أي مجاوزة الحدّ في الاعتداء، (**والنَّكْث**) بمثلثةٍ: نقض العهد (**والمكر**) أي الخداع. **قوله**: (﴿وَلَا يَحِيقُ﴾) يحيط، (﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾) وهو الماكر. **قوله**: (﴿فَمَن نَّكَثَ﴾) نقض البيعة، (﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾) يرجع وبال نقضه (﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾).

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من السحاب ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ (أي فاشتبك بسببه) حتى خالط بعضه بعضًا ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ يعني الحبوب والثمار والبقول ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يعني الحشيش ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ زينتها بالنبات واختلاف ألوانه ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ وتزينت به وهو أصله (وأُدغمت التاء في الزاي) وهو كلام فصيح، جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ أهل الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ عذابُنا وهو ضرب زرعها ببعض (العاهات) بعد أمنهم واستيفائهم أنه قد سلم ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا﴾ فجعلناها زرعًا ﴿حَصِيدًا﴾ (شبيهًا) بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم يغن زرعها أي (لم يلبث)، حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه ليستقيم المعنى ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾ هو مثل في الوقت القريب كأنه قيل: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ (آنفًا) ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فينتفعون بضرب الأمثال، (وهذا من التشبيه المركب) شبهت حال الدنيا في سرعة (تقضيها) وانقراض نعيمها

قوله: (أي فاشتبك بسببه). . . الخ. أي بسبب الماء كثر النبات حتى التفّ بعضه بعضًا. **قوله**: (وأُدغمت التاء في الزاي) أي بعد تسكينها وبعد الإدغام اجتلبت همزة الوصل توصّلًا للنطق بالساكن ثم حُذِفت همزة الوصل لمّا دخل العاطف. **قوله**: (العاهات) في المصباح: العاهة الآفة، وهي في تقدير فعلة بفتح العين، والجمع عاهات. اهـ. **قوله**: (شبيهًا) أي الكلام على التشبيه البليغ. **قوله**: (لم يلبث) باللام والباء الموحدة والثاء المثلّثة، أي لم يمكث ويقم وهو تفسير له؛ لأن غنى بالمكان معناه أقام وسكن وعاش، ومنه المغني للمنزل. في مختار الصحاح: لَبِث أي مَكَث وبابه فهم ولَباثًا أيضًا ـ بالفتح ـ فهو لابث، ولَبِث أيضًا ـ بكسر الباء ـ. اهـ. **قوله**: (آنفًا) يقال: مرّ آنفًا أي قريبًا أو هذه الساعة. **قوله**: (وهذا من التشبيه المركّب) حيث شبّهت الهيئة المُنتزعة من إجماع الحياة ونهايتها وسرعة انقضائها بالهيئة المُنتزعة من اجتماع خضرة الأرض ونضارتها وانعدامها عقيبها دفعة بآفة سماوية ومشيئة إلـهيّة. **قوله**: (تقضيها) في مختار الصحاح: انقضى الشيء وتقضّى بمعنى انتهى.

بعد الإقبال، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه **(حطامًا)** بعدما التفّ وتكاثف وزيّن الأرض بخضرته **(ورفيفه)** وحكمة التشبيه، التنبيه على أن الحياة **(صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها)** كما أن صفو الماء في أعلى الإناء قال:

ألم تر أن العمر كأس **(سلافة)** فأوله صفو وآخرهُ كدْر

وحقيقته تزيين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين، فالطينة الطيبة تنبت بساتين الأنس، ورياحين الروح، وزهرة الزهد، و**(كروم)** الكرم، وحبوب الحب، و**(حدائق الحقيقة، وشقائق الطريقة)**، والخبيثة

قوله: **(حطامًا)** فتاتًا[1]، **قوله**: **(ورفيفه)** في لسان العرب: الرفيف والوريف لغتان، يقال للنبات الذي يهتزّ خُضْرةً وتلألؤًا قد رفّ يَرِفّ رفيفًا. اهـ. **قوله**: **(صفوها)** في المصباح: صفو الشيء بالفتح خالصه، والصفوة بالهاء والكسر مثله، وحُكِي التثليث. اهـ. **قوله**: **(شبيبتها)** في لسان العرب: الشباب الفَتاء والحِداثة شبّ يَشِبُّ شَبابًا وشَبِيبَة. اهـ.

قوله: **(وكدرها)** في مختار الصحاح: الكَدَر ضدّ الصفو. اهـ. **قوله**: **(شَيْبَتُها)** في لسان العرب: الشَّيْب معروف قليله وكثيره بياض الشعر والمشيب مثله، وربما سُمّي الشعر نفسه شَيْبًا شاب يشيب شيبًا ومَشيبًا وشَيْبة. اهـ. **قوله**: **(سُلافة)** في لسان العرب: السُّلافة من الخمر أطيبها وأفضلها. اهـ. وأيضًا فيه سلاف الخمر وسلافتها أوّل ما يُعْصَر منها، وقيل: هو ما سال من غير عَصْر، وقيل: هو أوّل ما ينزل منها، وقيل: السلافة أوّل كل شيء عصر. اهـ. **قوله**: **(كُرُوم)** الكَرْم وزان فلس العنب. اهـ مصباح. وفي لسان العرب: الكَرْم شجرة العنب واحدتها كَرْمة، وقيل: الكَرْمة الطاقة الواحدة من الكَرْم وجمعها كُرُوم. اهـ باختصار.

قوله: **(حدائق الحقيقة)** الحدائق البساتين والشجر الملتفّ، والحقيقة مشاهدة الربوبيّة، أي رؤيته إيَّاها بقلبه، أي دوام النظر إلى الله سبحانه وتعالى. **قوله**: **(وشقائق الطريقة)** الشقائق الزهر الأحمر المعروف، والطريقة سلوك طريق الشريعة،

---

(١) الفتات التفتت أي التكسّر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

تخرج (**خلاف الخلف، وثمام الإثم**)، وشوك الشرك، (**وشيح الشح، وحطب العطب، ولعاع اللعب**)، ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فتزايله الحياة مغترًّا كما (**يهيج**) النبات مصفرًّا فتغيب جثة في (**الرَّمس**) كأن لم تغن بالأمس إلى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث، وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره، ولا بد من ترك ما زاد كما لا بد من أخذ الزاد، وآخذ المال لا يخلو من زلّة، كما أن خائض الماء لا ينجو من (**بلّة**)، وجمعه وإمساكه تلف صاحبه، وإهلاكه فما دون النصاب (**كضحضاح**) ماء يجاوز بلا احتماء، والنصاب كنهر حائل بين المجتاز. والجواز إلى المفاز لا يمكن إلا بقنطرة وهي الزكاة، وعمارتها بذل (**الصلات**)، فمتى اختلّت القنطرة غرّقته أمواج (**القناطير المقنطرة**)، وعن هذا قال عليه السلام: («**الزكاة قنطرة الإسلام**») وكذا المال يساعد (**الأوغاد**) دون

أي العمل بمقتضاها. **قوله**: (**خِلاف الخُلْف**) الخلاف وزان كتاب شجر الصفصاف الواحدة خلافة، ونصوا على تخفيف اللام، وزاد الصغاني وتشديدها من لحن العوام. اهـ مصباح. وأيضًا فيه: الصفصاف بالفتح الخلاف بلغة الشام، قاله الأزهري. اهـ. **قوله**: (**وثمام الإثم**) الثُّمام وزان غراب نبت يسدّ به خصاص البيوت، الواحدة ثمامة. اهـ مصباح. **قوله**: (**وشيح الشُّح**) في مختار الصِّحاح: الشّح نَبْتٌ. اهـ. وأيضًا فيه: الشُّحُ البخل مع حرص. اهـ.

قوله: (**وحطب العطب**) العَطَب الهلاك. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**لُعاع اللعب**) في لسان العرب: اللُّعاع أوّل النَّبْت، وقيل: هو بقل ناعم في أوّل ما يبدو ورقيق ثم يغلظ، واحدته لعاعة. اهـ باختصار. **قوله**: (**يهيج**) ييبس. **قوله**: (الرَّمس) التراب. **قوله**: (بلّة) في مختار الصحاح: البِلّة - بالكسر - النّداوة. اهـ. **قوله**: (**كضَحْضَاح**) ماء في لسان العرب: ماءٌ ضحضاحٌ أي قريب القَعْر. اهـ.

قوله: (**الصِّلات**) الصدقات. **قوله**: (**القناطير**) الأموال الكثيرة (**المقنطَرة**) المجتمعة. **قوله**: (**الزكاة قنطرة الإسلام**) أي جسره الذي يُعبر منه إليه، فإيتاؤها طريق إلى التمكّن في الدِّين لِمَا فيها من إظهار عزّ الإسلام بكسر أنفة من أبى واستكبر عن المواساة، رواه الطبراني والبيهقي في الشعب، وابن عدي عن أبي الدرداء. قال ابن حجر بإسناد ضعيف لضعف الضحاك بن حمزة. **قوله**: (**الأوغاد**)

(الأمجاد) كما أن الماء يجتمع في (الوهاد) دون (النجاد)، وكذلك المال لا يجتمع إلا بكد البخيل كما أن الماء لا يجتمع إلا بسد المسيل، ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء في الكفّ.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ هي الجنة أضافها إلى اسمه تعظيمًا لها، أو السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه. وقيل: لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾) [الواقعة: الآية ٢٦] ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (ويوفق من يشاء) ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى الإسلام أو طريق السنّة، فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة، والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية، والمعنى يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون.

في لسان العرب: الوَغْد الخفيف الخفيف الأحمق الضعيف العقل الرَّذل الدَّنِيّ، وقيل: الضعيف في بدنه، وقد وَغد وغادة، ويقال: فلان من أوغاد القوم ومن وُغدان القوم ووِغدان القوم، أي من أذلّائهم وضعفائهم. اهـ. **قوله**: (الأمجاد) أي الأشراف الكِرام. **قوله**: (الوهاد) في لسان العرب: الوَهْد والوَهْدة المطمئنّ من الأرض والمكان المنخفض كأنه حُفْرة، والوَهْد يكون اسمًا للحُفْرة، والجمع أَوْهُد ووَهْد ووِهادٌ. **قوله**: (النِّجاد) جمع نَجْد والنَّجْد من الأرض قفافها وصلابتها وما غَلُظ منها وأشرف وارتفع واستوى.

قوله: (﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾) في تفسير الجلالين: (﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾) في الجنّة (﴿لَغْوًا﴾) فاحشًا من الكلام (﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾) ما يُؤثم (﴿إِلَّا﴾) لكن (﴿قِيلًا﴾) قولًا (﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾) بدل من قيلًا، فإنهم يسمعونه. اهـ. **قوله**: (ويوفّق من يشاء) أشار إلى أن المراد بالهداية خلق الاهتداء، فيقتضي الوصول إلى المطلوب. وأمّا الهداية بمعنى الدلالة على ما يُوصل إلى البغية، أو بمعنى تركيب العقل وإفاضة القوى، وبمعنى نصب الدّلائل، وبمعنى إرسال الرُّسل وإنزال الكتب، فلا يناسب هنا لعدم مقابلته بالدعوة.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ آمنوا بالله ورسوله ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ (المثوبة الحسنى) وهي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ رؤية الرب ﷻ كذا (عن أبي بكر وحذيفة وابن عباس وأبي موسى الأشعري وعبادة بن الصامت) ﷺ، وفي بعض التفاسير أجمع المفسرون على أن الزيادة النظر إلى الله تعالى. (وعن صهيب) أن النبيّ ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ ـ قال: ـ فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ والعجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال: إنه (حديث) مدفوع مع أنه (مرفوع) قد أورده صاحب المصابيح في الصحاح.

قوله: (المثوبة الحسنى) توجيه لتأنيث الحسنى. **قوله**: (عن أبي بكر) بن أبي قحافة الصدّيق أوّل الرجال إسلامًا ورفيق سيّد المرسلين في هجرته، شهد المشاهد وكان من أفضل الصحابة، توفي سنة ثلاث عشرة من ثلاث وستين سنة. **قوله**: (وحُذَيفة) بن اليمان، صحابي جليل من السابقين، أعلمه رسول الله ﷺ بما كان وما يكون إلى يوم القيامة من الفتن والحوادث، مات سنة ستّ وثلاثين.

قوله: (وابن عباس) هو عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (وأبي موسى الأشعري) صحابي مشهور. **قوله**: (عبادة بن الصامت) الأنصاري الخزرجي أحد النُّقباء بدري مشهور، وكان ممّن جمع القرآن على عهد النبيّ ﷺ. **قوله**: (وعن صهيب) بن سنان الرومي صحابي مشهور، شهد بدرًا. **قوله**: (حديث مرفوع) كذا في بعض النسخ، وفي بعض النسخ: حديث مدفوع، والصحيح (حديث مرقوع) بالقاف، أي مفترى. قال العلامة التفتازاني رحمه الله: مرقوع بالقاف مِنْ رَقع الثوب أي مخترع من هٰهنا وهٰهنا، وهذا لقصوره في باب الحديث، وإلّا فهو حديث مرفوع إلى حضرة الرسالة بإسناد مسلم وأحمد بن حنبل والترمذي وغيرهم من أئمّة الحديث. وفي حاشية البيضاوي

وقيل: الزيادة المحبة في قلوب العباد. وقيل: الزيادة مغفرة من الله ورضوان ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ ولا يغشى وجوههم ﴿قَتَرٌ﴾ غبرة فيها سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ ولا أثر (هوان)، والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

عطف على ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أي وللذين كسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ فنون الشرك ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ الباء زائدة كقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠] أو التقدير جزاء سيئة مقدر بمثلها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ ذلّ وهوان ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عقابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ أي جعل عليها غطاء من سواد الليل أي هم سود الوجوه. و﴿قِطَعًا﴾ جمع قطعة وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿أُغْشِيَتْ﴾ (﴿قِطْعًا﴾ **مكي وعلي**) من قوله: ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: الآية ٨١] وعلى هذه القراء ﴿مُظْلِمًا﴾ صفة لقطع، وعلى الأول حال من ﴿اللَّيْلِ﴾ والعامل فيه ﴿أُغْشِيَتْ﴾ لأن ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ صفة لـ ﴿قِطَعًا﴾ فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة، (**أو معنى الفعل في** ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾) ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب وقوله: إنه حديث مرقوع بالقاف، أي مفترى، ولا ينبغي أن يصدر من مثله، فإنه حديث متفق **على** صحته، فحرّف وأساء الأدب. اهـ بحروفها. **قوله**: (**هوان**) في لسان العرب: الهَوَان نقيض العِزّ. اهـ.

قوله: (﴿قِطْعًا﴾) بإسكان الطاء (**مكي**) أي ابن كثير المكّي، (**وعليّ**) الكسائي، والباقون بفتحها جمع قطعة. **قوله**: (**أو معنى الفعل في** ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾) أي متعلّقه المقدّر، مثل كائنة، أي قطعًا كائنة من اللّيل في حال كونه مظلمًا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي الكفار وغيرهم ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾ (أي الزموا مكانكم) لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم ﴿أَنتُمْ﴾ أكد به الضمير في ﴿مَكَانَكُمْ﴾ لسده مسد قوله الزموا ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطف عليه ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ ففرّقنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ من عبدوه من دون الله من أولي العقل أو الأصنام ينطقها الله ﷻ ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله (أندادًا) فأطعتموهم وهو قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ (كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ)﴾ [سبأ: الآيتان ٤٠، ٤١].

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي كفى الله شهيدًا وهو تمييز ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ (﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة) واللام فارقة بينها وبين النافية

قوله: (أي الزموا مكانكم) أي مكانكم منصوب بإضمار الزموا. **قوله**: (أندادًا) شركاء في العبادة. **قوله**: (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾)... الخ. في تفسير الجلالين: واذكر (﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾) المشركين (﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾) بتحقيق الهمزتين وإبدال الأُولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سَبَأ: الآية ٤١]، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ [سَبَأ: الآية ٤١] تنزيهًا لك عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سَبَأ: الآية ٤١] أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا، ﴿بَلْ﴾ [سَبَأ: الآية ٨] للانتقال (﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سَبَأ: الآية ٤١]) الشياطين، أي يُطيعونهم في عبادتهم إيّانا، وقوله: وإبدال الأُولى ياء هذا سبق قلم من الشارح؛ إذ لم يقرأ بهذه القراءة أحد، فالذي في كلامه قراءتان تحقيقهما، وإسقاط الأُولى وبقي ثالثة، وهي تسهيل الأُولى مع تحقيق الثانية وعكسه، وإبدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأُولى؛ فالقراءات خمسة وكلّها سبعية. اهـ شيخنا. اهـ جمل.

قوله: (﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة) أي أنا.

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المكان أو في ذلك الوقت (على استعارة اسم المكان للزمان) ﴿تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ﴾ تختبر وتذوق ﴿مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن، أنافع أم ضارّ، أمقبول أم مردود، وقال (الزجاج): تعلم كل نفس ما قدمت. («تتلوا» حمزة وعلي)، أي تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو النار، أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر، كذا عن (الأخفش) ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ ربهم الصادق في ربوبيته لأنهم كانوا يتولّون ما ليس لربوبيته حقيقة، أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحدًا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ (وضاع عنهم) ما كانوا يدّعون أنهم شركاء لله، أو بطل عنهم ما كانوا (يختلقون) من الكذب وشفاعة الآلهة.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ مَن يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سُوِّيا عليه من الفطرة

قوله: (على استعارة اسم المكان للزمان)، كما في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: الآية ١١]، أي في ذلك الوقت. **قوله**: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد، توفي سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى. **قوله**: (﴿تتلوا﴾) بتاءين منقوطتين من فوق، (حمزة وعليّ) الكسائي. وقرأ الباقون: ﴿تبلوا﴾ من البلاء، وهو الاختبار.

قوله: (الأخفش) الأخافش ثلاثة: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، وهو الأخفش الأكبر. والثاني أبو الحسن سعيد بن مَسْعدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط. والثالث أبو الحسن عليّ بن سليمان تلميذ المُبرّد، وهو الأخفش الأصغر؛ وحيث يُطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور، فإن أُريد الأكبر أو الأصغر قيّدوه. مات ـ أي المشهور ـ في السنة العاشرة بعد المائتين، وقيل بعدها. **قوله**: (وضاع عنهم) وضاع ضمن معنى غاب، ولذا عدّى بعن. **قوله**: (يختلقون) يفترون.

العجيبة، أو مَن يحميهما من الآفات مع كثرتها في **(المدد الطوال)** وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ أي الحيوان **(والفرخ)** والزرع، والمؤمن والعالم من النطفة، والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ ومَن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ فسيجيبونك عند سؤالك إن القادر على هذه هو الله ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الشرك في العبودية إذا اعترفتم بالربوبية.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي من هذه قدرته هو الله ﴿رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ربوبيته ثابتًا لا ريب فيه لمن حقق النظر ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ أي لا واسطة بين الحق والضلال، فمن تخطّى الحق وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الحق ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ (﴿كلمات﴾ **شاميّ ومدنيّ**)، أي كما حقّ وثبت أن الحق بعده الضلال، أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقّت كلمة ربك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾ تمرّدوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدل من «الكلمة» أي حقّ عليهم انتفاء الإيمان، أو حقّ عليهم كلمة الله أن إيمانهم غير كائن، أو أراد بالكلمة العدَة بالعذاب أنهم لا يؤمنون تعليل أي لأنهم لا يؤمنون.

قوله: **(المدد)** في المصباح: المدة البرهة من الزمان تقع على القليل والكثير، والجمع مُدد مثل غرفة وغُرف.اهـ. **قوله**: **(الطِّوال)** بكسر الطاء جمع طويل ككريم وكرام. وأمّا بالضمّ، فالرجل الطويل. **قوله**: **(والفرخ)** في المصباح: الفرخ من كل بائض كالولد من الإنسان.اهـ.

قوله: (**﴿كلمات﴾**) بالألف بعد الميم على الجمع، **(شامي)** أي ابن عامر الشامي. **(ومدني)** أي نافع وأبو جعفر، وليس من السبعة. وقرأ الباقون بغير الألف بعد الميم على الإفراد.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ إنما ذكر ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم غير مقرّين بالإعادة لأنه لظهور برهانها جعل أمرًا مسلمًا على أن فيهم مَن يقرّ بالإعادة، أو يحتمل إعادة غير البشر كإعادة الليل والنهار وإعادة الإنزال والنبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أمر نبيّه بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلّم عنهم ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن قصد السبيل.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ يرشد إليه ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ يقال: هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال: هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال: شرى بمعنى اشترى، **(ومنه قراءة حمزة وعلي** ﴿أَمَّن لَّا يَهْدِيٓ﴾**)** بمعنى يهتدي (﴿**لا يَهَدّي**﴾) بفتح الياء والهاء (**وتشديد الدال**: مكيّ وشاميّ وورش، **وبإشمام الهاء فتحة**): أبو

قوله: (ومنه قراءة حمزة وعلي: ﴿أَمَّن لَّا يَهْدِيٓ﴾) بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال. **قوله**: **(لا يَهَدّي)** بفتح الياء والهاء، أي بفتحتين **(وتشديد الدال: مكّي)** أي ابن كثير المكّي، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي، **(وورش)** عن نافع المدني، وهو عثمان بن سعيد المصري، ويُكنى أبا سعيد، وورش لقب لُقِّب به فيما يقال لشدّة بياضه، وتوفي بمصر سبع وتسعين ومائة.

قوله: **(وبإشمام الهاء فتحة)** أبو عمرو، وروى المغاربة قاطبةً وكثير من العراقيين عنه اختلاس فتحة الهاء، وعبّر عنه بالإخفاء وبالإشمام وبالإشارة وبتضعيف الصوت، وهو عسير في النُّطق جدًّا، وهو الذي لم يقرأ الداني على شيوخه بسواه، ولم يأخذ إلّا به. وروى أكثر العراقيين إتمام فتحة الهاء، كابن كثير ومَنْ معه.

عمرو، (**وبكسر الهاء وفتح الياء: عاصم غير يحيىٰ**)، والأصل ﴿يَهْتَدِي﴾ وهي قراءة عبد الله فأدغمت التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين، وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال: يحيىٰ لاتباع ما بعدها، (**وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنيّ غير ورش**)، والمعنى أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم، وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بإرسال الرسل، فهل من شركائكم ـ الذين جعلتم أندادًا لله ـ أحد يهدي إلى الحق مثل هداية الله؟ ثم قال: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ﴾ بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله. وقيل: معناه أم مَن لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا أن ينقل، أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيًا ناطقًا فيهديه ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها شفعاء عند الله (**والمراد بالأكثر الجميع**) ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ بغير دليل وهو اقتداؤهم بإسلافهم ظنًا منهم إنهم

فـائدة:

الثابت من الحركة أكثر من الذاهب في الاختلاس، وذلك أن يأتي بثلثي الحركة وهذا لا يضبط إلّا بالمشافهة بالسماع من أفواه أرباب أداء القراءة.

قوله: (**وبكسر الهاء وفتح الياء**) وتشديد الدال (**عاصم غير يحيىٰ**) بن آدم القرشي عن أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم. **قوله:** (**وبسكون الهاء وتشديد الدال مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. (**غير ورش**) واستشكلت قراءة سكون الهاء مع تشديد الدال من حيث الجمع بين الساكنين. قال النحاس: لا يقدر أحد أن ينطق به، وقال المُبرِّد: مَنْ رام هذا لا بدّ أن يُحرِّك حركة خفيفة. وأجاب عنه القاضي بأن المدغم في حكم المتحرِّك. وقال السمين: لا بعد فيه، فقد قرىء به في نعمّا وتعدوا.

قوله: (**والمراد بالأكثر الجميع**) لأن إبقاءه على أصل معناه يدلّ على أن اعتقاد بعضهم فيما ذهب إليه من قاعدة الشرك، وأنّ شركاؤهم شفعاؤهم عند

مصيبون ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وهو العلم ﴿شَيْـًٔا﴾ في موضع المصدر أي إغناء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ من اتباع الظن وترك الحق.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي افتراء من دون الله، والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله في علوّ أمره وإعجازُه مفترى ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هو ما تقدمه من الكتب المنزلة ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (وتبيين ما كتب وفرض) من الأحكام والشرائع من قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: الآية ٢٤] ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ داخل في حيّز الاستدراك كأنه قال: ولكن كان تصديقًا وتفصيلًا منتفيًا عنه الريب كائنًا من رب العالمين، ويجوز أن يُراد: ولكن كان تصديقًا من رب العالمين وتفصيلًا منه لا ريب في ذلك، فيكون ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلقًا بـ ﴿تَصْدِيقَ﴾ ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ ويكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراضًا كما تقول: «زيد لا شك فيه كريم».

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ (بل أيقولون) اختلقه ﴿قُلْ﴾ إن كان الأمر كما تزعمون ﴿فَأْتُوا۟﴾ أنتم على وجه الافتراء ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلي في العربية ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي وادعوا من دون

الله يستند على برهان، وليس كذلك؛ بل كلّهم متّفقون على اتّباع الظنّ والتقليد.

قوله: (وتبيين ما كتب وفرض). . . الخ. على أن الكتاب من كتب، بمعنى فَرَضَ وقدّر وحكم.

قوله: (بل أيقولون) إشارة إلى أن أم هذه منقطعة مقدّرة ببل والهمزة، أضرب عن الكلام الأوّل وأخذ في إنكار قولهم أنه ﷺ اختلق هذا القرآن من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى، ثم احتجّ عليهم بأنه يقول إن كان الأمر كما تزعمون

الله مَن استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنه افتراء.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن في (بديهة السماع) قبل أن يفقهوه ويعلموا (كنه أمره)، وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه، وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم و(شرادهم) عن مفارقة دين آبائهم. (ومعنى التوقع في ﴿وَلَمَّا﴾) ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدًا للآباء، وكذبوه بعد التدبر تمردًا وعنادًا، فذمّهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به، وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علوّ شأنه وإعجازه لما كرّر عليهم التحدي وجربوا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيًا وحسدًا. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ﴾ يعني كفار الأُمم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر في معجزاتهم

﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٣٨]، فإن لم يَفِ عقل الواحد والاثنين منكم في استخراج ما يُعارِضُ القرآن فاجتمعوا ولْيَفِ بعضكم بعضًا في هذه المعارضة، مع أنه لم يَفِ، ولو اجتمع الإنس والجنّ بعضهم ظهيرًا لبعض؛ لأن قدرة البشر عاجزة عنها، فعُلِم أن نظمه وتنزيله ليس إلّا من قِبَل الله تعالى.

قوله: (بديهة السّماع) في مختار الصحاح: بدهه أمر فجأه وبابه قطع وبدهه بأمر إذا استقبله به، وبادهه فاجأه، والاسم البَدَاهة والبديهة. اهـ. **قوله**: (كنه أمره) في مختار الصّحاح: كُنْه الشيء نهايته. **قوله**: (شِرادهم) بالكسر أي نفورهم. **قوله**: (ومعنى التوقع في ﴿وَلَمَّا﴾)، فإنّه يدلّ على أن الفعل المنفي به أمر متوقع لما قيل: إنه لنفي ما قد يفعل، وكلمة لم لنفي ما فعل، يعني أنه أتى بكلمة التوقّع في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ للدلالة على إتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة الحال كان أمرًا متوقّعًا منتظرًا، ومع ذلك سارعوا إلى التكذيب لقلّة ثباتهم وغلبة اتّباع الآباء على طباعهم.

وقبل تدبرها عنادًا وتقليدًا للآباء، ويجوز أن يكون معنى ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الأخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق، يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز، وقبل أن يجربوا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ بالنبيّ أو بالقرآن أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند بالتكذيب ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لا يصدق به ويشك فيه، أو يكون للاستقبال أي ومنهم مَن سيؤمن به ومنهم مَن سيصرّ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالمعاندين أو المصرّين.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ وإن تمّوا على تكذيبك ويئست من إجابتهم ﴿فَقُل لِّى عَمَلِى﴾ جزاء عملي ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فكل مؤاخذ بعمله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلّمت الشرائع ولكنهم (لا يعون) ولا يقبلون فهم كالصمّ ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أتطمع أنك تقدر على إسماع الصمّ ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم، لأن الأصمّ العاقل ربما (تفرّس) واستدلّ إذا وقع في (صماخه دوِيّ الصوت)، فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تمّ الأمر.

قوله: (لا يعون) في المصباح: وعَيْت الحديث وَعْيًا من باب وعد: حفظته وتدبّرته. اهـ. **قوله**: (تفرّس) في المصباح: تفرّست فيه الخير تعرّفته بالظنّ الصائب. اهـ.

قوله: (صماخه) في مختار الصحاح: الصِّماخ ـ بالكسر ـ خَرْق الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها، والسين لغة فيه. اهـ. **قوله**: (دوِي الصوت) الدَّوِيّ صوت ليس بالعالي.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ ومنهم ناس ينظرون إليك ويعاينون أدلّة الصدق وأعلام النبوّة ولكنهم لا يصدقون ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أتحسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة، لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد (**يحدس**)، وأما العمى مع (**الحمق**) فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصمّ والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (﴿وَلَٰكِنِ ٱلنَّاسُ﴾ **حمزة وعليّ**). أي لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادًا وهم أحياء.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ (**وبالياء: حفص**) ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ استقصروا مدة لبثهم في الدنيا أو في قبورهم لهول ما يرون ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضًا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلًا وذلك عند خروجهم من القبور، ثم ينقطع التعارف بينهم لشدّة الأمر عليهم ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ حال من «هم» أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة. و«كأن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنهم. و﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ حال بعد حال، أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك، أو هي شهادة من الله على خسرانهم، والمعنى أنهم (**وضعوا**) في تجارتهم وبيعهم

قوله: (**يحدس**) في المصباح: حدس حدسًا من باب ضرب، إذا ظنّ ظنًّا مؤكّدًا. اهـ. **قوله**: (**الحُمق**) فساد في العقل، قاله الأزهري. اهـ مصباح. **قوله**: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾) بكسر النون مخفّفة ورفع السين (**حمزة وعليّ**) الكسائي، وقرأ الباقون بنصب النون مشدّدة ونصب السين.

قوله: (**وبالياء حفص**) والباقون بالنون. **قوله**: (**وُضعوا**) أي خسروا.

الإيمان بالكفر ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ للتجارة عارفين بها وهو استئناف **(فيه معنى التعجب)** كأنه قيل ما أخسرهم.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل عذابهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ جواب «نتوفيك» وجواب ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ محذوف أي وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا **(فذاك)**، أو نتوفينَّك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل: ثم الله معاقب على ما يفعلون. وقيل: «ثم» هنا بمعنى «الواو».

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين النبيِّ ومكذبيه ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل فأنجى الرسول وعذّب المكذبين، أو ولكل أُمة من الأُمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به، فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قُضي بينهم بالقسط ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يعذب أحد بغير ذنبه. ولما قال: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ أي من العذاب استعجلوا لما وُعِدوا من العذاب نزل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي وعد العذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبيّ والمؤمنين ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا﴾ من مرض أو فقر ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ من صحة أو غنى ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ استثناء

قوله: **(فيه معنى التعجّب)** والمراد التعجّب بالنسبة إلى العباد.

قوله: **(فذاك)** أي فذاك حقٌّ وصواب، أو فذاك ثابت وواقع في الدنيا. أو فذاك يسرّك ويكون باعثًا لتشفّيك، أو فذاك منحة لك؛ إذ به يزداد شوكة الإسلام ويظهر بطلان الشرك والكفر بين الأنام، فيكون الجواب جملة حذف المسند ليذهب السامع إلى كل ما يمكن اعتباره.

منقطع أي (ولكن ما شاء الله من ذلك كائن) فكيف أملك لكم الضرّ وجلب العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ لكل أُمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ الذي تستعجلونه ﴿بَيَـٰتًا﴾ نصب على الظرف أي وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي من العذاب، والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور فأي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال؟ والاستفهام في ﴿مَّاذَا﴾ يتعلق بـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون. وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال، أو تعرفوا الخطأ فيه. ولم يقل: «ماذا يستعجلون منه» لأنه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام، أو ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ جواب الشرط نحو «إن أتيتك ماذا تطعمني» ثم تتعلق الجملة بـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أو ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ العذاب ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ جواب الشرط و﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ اعتراض. والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان. ودخول حرف الاستفهام على «ثم» كدخوله على «الواو» و«الفاء» في ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾ على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ

قوله: (ولكن ما شاء الله من ذلك) النفع والضرّ (كائن) بمشيئة الله تعالى، لا بأن أملكه وأقدر عليه مستقلاً بدون حصوله بمشيئة الله حتى يكون الاستثناء متصلاً، فيكون الاستثناء من فاعل ﴿لَّآ أَمْلِكُ﴾ [يونس: الآية ٤٩] على تقدير أن يكون منقطعًا، وتقديره: لا أملك أنا ولكن الله تعالى هو المالك لكل ما يشاء يفعنه بمشيئته.

﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي بالعذاب تكذيبًا واستهزاء (﴿الآن﴾ بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام: نافع) ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عطف على «قيل» المضمر قبل ﴿ءَآلْئَنَ﴾ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والتكذيب.

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾ ويستخبرونك فيقولون ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود ﴿قُلْ﴾ يا محمد (﴿إِي وَرَبِّي﴾) نعم والله ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ إن العذاب كائن (لا محالة) ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كفرت وأشركت وهو صفة لـ ﴿نَفْسٍ﴾ أي ولو أن لكل نفس ظالمة ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لجعلته فدية لها. (يقال: فداه فافتدى)، ويقال: افتداه أيضًا بمعنى فداه ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ وأظهروها من قولهم: «أسرَّ الشيء» إذا أظهره، أو أخفوها عجزًا عن النطق لشدّة الأمر فأسرَّ من الأضداد ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بين الظالمين والمظلومين دلّ على ذلك ذكر الظلم ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله: (﴿الآن﴾ بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام، نافع) في تفسير النيسابوري: ﴿الآن﴾ بوزن عالان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام حيث كان، أبو جعفر ونافع. اهـ بحروفه.

قوله: (﴿إِي وَرَبِّي﴾) إي حرف جواب مثل نعم، إلا أنه لا يجاب به إلّا مقرونًا بالقسم. **قوله**: (لا محالة) في لسان العرب: يقولون في موضع: لا بُدَّ لا مَحَالَة. اهـ. **قوله**: (يقال: فداه فافتدى)... الخ. الافتداء يجيء بمعنيين مطاوع فداه، فيكون لازمًا، يقال: فديته فافتدى، ويكون بمعنى فداه، فيتعدّى إلى واحد، يقال: فداه وافتداه إذا أعطاه فداءه، وهو في الآية بالمعنى الثاني؛ لأن النفس الظالمة هي المُعطية لفدائها.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٥ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٥٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾

ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ فكيف يقبل الفداء، وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب أو العقاب فهو حق لقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالثواب أو بالعذاب ﴿حَقٌّ﴾ كائن ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٥ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ هو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وإلى حسابه وجزائه المرجع فيُخاف ويُرجى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد، والموعظة التي تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل موهوب فما في القرآن من الأوامر والنواهي داعٍ إلى كل مرغوب وزاجر كل موهوب، إذ الأمر يقتضي حسن المأمور به فيكون مرغوبًا وهو يقتضي النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي صدوركم من العقائد الفاسدة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لمَن آمن به منكم.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا، والتكرير للتأكيد، والتقدير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه، والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصُّوهما بالفرح، أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والإسلام. (في الحديث «من هداه) الله (للإسلام) وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر

قوله: (في الحديث: «مَنْ هداه للإسلام»)... الخ. في الدرّ المنثور: أخرج أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ هداه للإسلام وعلّمه القرآن ثم شكى الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه»، ثم تلى النبيّ ﷺ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾، أي من عَرَضِ الدنيا من الأموال. اهـ بحروفه. قوله:

بين عينيه إلى يوم يلقاه» وقرأ الآية (﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وبالتاء شامي، فلتفرحوا يعقوب).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ (﴿مَّآ﴾ منصوب بـ ﴿أَنزَلَ﴾ أو بـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾) أي أخبرونيه ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ فبغضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله: ﴿مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٩] نِعَمِ الأرزاق تخرج من الأرض ولكن لما (نيطت) أسبابها بالسماء نحو المطر الذي به تُنبت الأرض النبات، والشمس التي بها (النضج

(﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وبالتاء) على الخطاب (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالياء على الغيبة. **قوله**: (﴿فلتفرحوا﴾) بتاء الخطاب (يعقوب) بن إسحٰق الحضرمي، وليس من السبعة. والباقون بالغيب.

قوله: (﴿مَآ﴾ منصوب بـ ﴿أَنزَلَ﴾ أو بـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾) يريد أن كلمة ﴿مَآ﴾ يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي منصوبة على أنها مفعول أوّل لـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾، والعائد محذوف، والتقدير: أخبروني ما أنزل الله، ومفعوله الثاني هو قوله: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾، والعائد من هذه الجملة إلى المفعول الأول محذوف، تقديره: آلله أذن لكم فيه، فإن قيل: قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ [يونس: الآية ١٥] يمنع من كون الجملة بعده مفعولًا ثانيًا، والجواب أن كلمة قل في قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ هي قل المذكورة أوّلًا كرّرت للتأكيد؛ لأنه لو حذف من الكلام. وقيل: قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالًا آلله أذن لكم فيه يتم الكلام بدونه؛ فعُلِم بذلك أنها إنما ذُكِرت للتأكيد، فلا تمنع كون ما بعدها معمولًا لما قبلها، ويجوز أن تكون ﴿مَآ﴾ [يونس: الآية ٥] استفهامية منصوبة المحل بـ ﴿أَنزَلَ﴾، وهي حينئذ تكون متعلّقة لـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾ [يونس: الآية ٥٠]، وتكون سادّة مسدّ المفعولين، والمعنى: أخبروني أي شيء أنزل الله من رزق فبعّضتموه، والمقصود الإنكار لتجزئتهم الرزق. **قوله**: (نيطت) في المصباح: ناطه نوطًا من باب قال علقه واسم موضع التعليق مناط بفتح الميم. اهـ. **قوله**: (النضج) في المصباح:

وينع الثمار)، أُضيف إنزالها إلى السماء ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَرَءَيْتُم﴾ و﴿قُلْ﴾ تكرير للتوكيد، والمعنى أخبروني آلله أذِن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ أم أنتم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه، أو الهمزة للإنكار و«أم» منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرًا للافتراء. والآية زاجرة عن التجوّز فيما يُسأل من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان وإلا فهو مُفْتَرٍ على الديان.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ ينسبون ذلك إليه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أي أيّ شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ حيث أنعم عليهم بالعمل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾ «ما» نافية والخطاب للنبي ﷺ والشأن الأمر ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾ من التنزيل كأنه قيل: وما تتلو من التنزيل ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ لأن كل جزء منه قرآن، والإضمار قبل الذِّكر تفخيم له أو من الله عزَّ وجلّ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ أنتم جميعًا ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ أي عمل ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ شاهدين رقباء نحصي عليكم ﴿إِذْ

نضج اللحم والفاكهة نضجًا من باب تعب: طاب أكله، والاسم النضج بضمّ النون وفتحها لغة. اهـ. **قوله: (وينع الثمار)** في المصباح: ينعت الثمار يَنَعًا من باب نفع وضرب: أدركت، والاسم الينع بضم الياء وفتحها وبالفتح، قرأ السبعة. اهـ.

﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ وما يبعد وما يغيب، و(بكسر الزاي: علي حيث كان) ﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن نملة صغيرة ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ رفعهما حمزة على الابتداء والخبر ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ، ونصبهما غيره على نفي الجنس، وقدِّمت الأرض على السماء هنا وفي «سبأ» قدِّمت السمٰوات، لأن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ (هم الذين يتولَّونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة)، أو هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي أتاهم فتولَّوا القيام بحقه والرحمة لخلقه، أو هم المُتحابون في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، أو هم المؤمنون المتّقون بدليل الآية الثانية ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ إذا خاف الناس ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ إذا حزن الناس. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ منصوب بإضمار أعني، أو لأنه صفة لأولياء، أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين آمنوا ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشِّرك والمعاصي.

قوله: (بكسر الزاي علي) الكسائي (حيث كان)، والباقون بضمّها لغتان في مضارع عَزَب. في مختار الصحاح: عَزَب بَعُد وغاب وبابه دخل وجلس. اهـ.

قوله: (هم الذين يتولّونه بالطاعة ويتولّاهم بالكرامة)، أي يتقرّبون إليه ويتقرّب هو تعالى إليهم، فإنّ الولى القرب ووَلي كل شيء هو الذي يكون قريبًا منه، والقرب من الله تعالى بحسب المكان والجهة محال، بل القرب منه إنما يكون بطاعته والاستغراق في معرفته؛ بحيث إذا رأى رأى دلائل قدرته، وإذا سمع سمع آياته، وإذا نطق نطق بالثناء عليه، وإذا تحرّك تحرّك في خدمته، وإذا اجتهد اجتهد في طاعته؛ فبهذه الحيثيّة يكون في غاية القرب منه تعالى، ويكون وليًّا له عزّ وجلّ، فيكون الله تعالى وليًّا له أيضًا؛ كما قال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٧]، لأن القرب لا يكون إلّا من الجانبين، وإليه أشار المصنّف رحمة الله تعالى عليه بقوله: يتولونه ويتولاهم.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ما بشَّر الله به المؤمنين المتقين في غير موضع من كتابه، وعن النبي ﷺ («**هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له**»). وعنه عليه السلام («**ذهبت النبوَّة وبقيت المُبَشِّرات**) والرؤيا الصالحة (**جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة**»). وهذا لأن مدة الوحي ثلاث وعشرون سنة، وكان في ستة أشهر منها يؤمر في النوم بالإنذار، وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءًا، أو هي محبة الناس له والذِّكر الحَسَن، أو لهم البشرى عند النزع بأن يرى مكانه في الجنة ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ هي الجنة ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كونهم مُبشّرين في الدارين ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وكِلتا الجملتين اعتراض، (**ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام**) كما تقول: «فلان ينطق بالحق والحق (**أبلج**») وتسكت.

قوله: («**هي الرؤيا الصالحة**) أي الحسنة أو الصادقة، وهي ما فيه بشارة أو تنبيه عن غفلة وأمثال ذلك. **قوله**: (**يراها المسلم**) لنفسه (**أو تُرى**) بصيغة المجهول، أي يراها مسلم آخر (**له**»)، أي لأجله أو لأجل مسلم آخر. **قوله**: («**ذهبت النبوّة**) اللام للعهد والمعهود نبوّته (**وبقيت المبشرات**) بكسر الشين المعجمة جمع مبشّرة، وهي البشرى وفسّرها بأنها الرؤيا الصالحة، والمراد أنها أشرفت على الذهاب لقرب موته، أي قرب ذهابها. **قوله**: (جزء من ستّة وأربعين جزء من النبوّة») هو ما في أكثر الأحاديث.

قوله: (**ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام**) جواب عمّا يقال: كل واحدة من الجملتين كيف تكون اعتراضًا والاعتراض إنما يكون في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين لا في آخرهما، وقد انقطع الكلام عندهما، وتقرير الجواب أنّ ما ذكر كلام أكثري لا كلّي، فإنه لا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام، كما تقول: فلان ينطق بالحقّ والحقّ أبلج وتسكت وحَدَثَ لي حادث والحوادث جمّة وتسكت، ومن شرط ذلك فهو تذنيب لا اعتراض. **قوله**: (**أبلج**) أظهر.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ تكذيبهم (**وتهديدهم**) وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ﴾ (**استئناف**) بمعنى التعليل كأنه قيل: ما لي لا أحزن؟ فقيل: إن العزة ﴿لِلَّهِ﴾ إن الغلبة والقهر في ملكه لا يملك أحد شيئًا منهما، لا هم ولا غيرهم، فهو يغلبهم وينصرك عليهم (﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾) [المجادلة: الآية ٢١]، (﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾) [غافر: الآية ٥١]، أو به يتعزّز كل عزيز فهو يعزّك ودينك وأهلك، والوقف لازم على ﴿قَوْلُهُمْ﴾ لئلا يصير ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ﴾ مقول الكُفّار ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقولون ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يدبرون ويعزمون عليه وهو مُكافئهم بذلك.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ يعني العقلاء وهم الملائكة (**والثقلان**)، وخصّهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي مَملَكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكًا له فيها، فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له (**ندًا**) وشريكًا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ «ما» نافية أي

قوله: (**وتهديدهم**)، فإنه تعالى لمّا أبطل جميع شهادتهم المتعلّقة بالبطلان في النبوّة وعدلوا إلى طريقٍ آخر في القَدْح في أمره ﷺ، وهو أنّهم هدّدوه وخوّفوه بأنهم أصحاب أموال وأتباع، فنسعى في قهرك وفي إبطال أمرك، أجاب تعالى عن طريقتهم بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾. **قوله**: (**استئناف**) أي جواب سؤال مقدّر. **قوله**: (﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾) في اللوح المحفوظ أو قضى (﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾) بالحجّة أو السيف. **قوله**: (﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾) أي بالحجّة والانتقام لهم من الكَفَرة ولو بعد تمامهم، كما نصر يحيىٰ بن زكريا لما قُتِل قَتَل به سبعون ألفًا، وقيل: الحكم أكثري أو خاص بالرّسل المأذون لهم في القتال.

قوله: (**والثقلان**) الإنس والجنّ. اهـ مختار الصّحاح. **قوله**: (**ندًا**) في مختار الصحاح: النِّد ـ بالكسر ـ المِثل والنظير. اهـ.

وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمّونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية مُحال ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا ظنهم أنهم شركاء الله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يحزرون (ويقدرون) أن تكون شركاء تقديرًا باطلًا، أو استفهامية أي وأيّ شيء يتبعون و﴿شُرَكَآءَ﴾ على هذا نصب بـ ﴿يَدْعُونَ﴾ وعلى الأول بـ ﴿يَتَّبِعُ﴾ وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاءَ شركاءَ، فاقتصر على أحدهما للدلالة والمحذوف مفعول ﴿يَدْعُونَ﴾ أو موصولة معطوفة على ﴿مَن﴾ كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

ثم نبّه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ أي جعل لكم الليل مظلمًا لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ مضيئًا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع مذكر معتبر ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ﴾ تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب (من كلمتهم الحمقاء) ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّۖ﴾ علّة لنفي الولد لأنه إنما يطلب الولد ضعيفٌ ليتقوّى به، أو فقير ليستعين به، أو ذليل ليتشرّف به، والكل أمارة الحاجة فمن كان غنيًا غير محتاج كان الولد عنه منفيًا، ولأن الولد بعض الوالد فيستدعي أن يكون مركبًا، وكل مركّب ممكن، وكل ممكن يحتاج إلى الغير فكان حادثًا فاستحال القديم أن يكون له ولد ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

قوله: (ويقدرون) تفسير ليحزرون، فإن الحزر التقدير.

قوله: (من كلمتهم[1] الحمقاء) المراد من الكلمة الجملة كما في كلمة التوحيد، ووُصِفت بالحمقاء مجازًا بوصف قائلها مبالغةً في وصف القائل بالحمق. في المصباح: الحمق فساد العقل، قاله الأزهري. وحمق يحمق فهو حمق من باب تعب، وحمق ـ بالضم ـ فهو أحمق، والأنثى حمقاء، والحماقة اسم منه، والجمع

(١) قوله: من كلمتهم الحمقاء مجاز كذكر حكيم، أي الأحمق قائلها. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا ولا تجتمع النبوة معه ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾ ماعندكم من حجة بهذا القول، (**والباء حقها أن تتعلق بقوله**: ﴿إِنْ عِندَكُم﴾) على أن يجعل القول مكانًا لـ ﴿سُلْطَٰنِۭ﴾ كقولك: «ما عندكم بأرضكم (موز)» كأنه قيل: إن عندكم فيما تقولون سلطان، ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بإضافة الولد إليه ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا حيث يقيمون به رياستهم في الكفر (**ومناصبة النبي ﷺ بالتظاهر**) به ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ المخلد (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾) بكفرهم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ واقرأ عليهم ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبره مع قومه والوقف عليه لازم إذ لو وصل لصار «إذ» ظرفًا لقوله: ﴿وَٱتْلُ﴾ بل التقدير واذكر ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ عظم وثقل كقوله ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: الآية ٤٥] ﴿مَّقَامِي﴾ مكاني يعني نفسه كقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: الآية

حمقى وحُمُق مثل أحمر وحمراء وحمر. اهـ. **قوله**: (**والباء حقها أن تتعلق بقوله**: ﴿إِنْ عِندَكُم﴾)؛ لأنه يظهر منه الاستقرار والتمكن. **قوله**: (مَوْز) في المصباح: الموز فاكهة معروفة الواحدة موزة مثل تَمْر وتَمْرة، وهو الطَّلح. اهـ.

قوله: (**ومناصبة النبيّ ﷺ**) أي معاداته ﷺ معاذ الله. **قوله**: (**بالتظاهر**) في مختار الصِّحاح: التظاهر التعاون. **قوله**: (﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾) الباء سببية وما مصدرية، أي بسبب كونهم كافرين. اهـ سمين.

٤٦] أي خاف ربه، أو قيامي ومكثي بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عامًا، أو مقامي ﴿وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيِّنًا وكلامهم مسموعًا ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوَّضت أمري إليه ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ﴾ من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ الواو بمعنى «مع» أي فأجمعوا أمركم مع شركائكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي غمًّا عليكم وهمًّا والغمّ والغمّة كالكرب والكربة، أو ملتبسًا في **(خفية)**. والغمّة السترة من غمّه إذا ستره ومنه الحديث «لا غُمَّة في فرائض الله» أي لا تستر ولكن يجاهر بها، والمعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستورًا عليكم ولكن مكشوفًا مشهورًا تُجاهرونني به ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ذلك الأمر الذي تريدون بي أي أدّوا إليّ ما هو حق عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل **(غريمه)**، أو اصنعوا ما أمكنكم ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ولا تمهلوني.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ فإن أعرضتم عن تذكيري ونصحي ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ فأوجب التولّي، أو فما سألتكم من أجْر ففاتني ذلك بتوليكم ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ وهو الثواب الذي يُثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لله لا لغرض من أغراض الدنيا، **(وفيه دلالة منع أخذ الأجْر على تعليم القرآن والعلم الديني)**.

قوله: (خفية) بضم الخاء وكسرها. **قوله**: (غريمه) في مختار الصحاح: الغريم الذي عليه الدَّيْن، يقال: خذ من غريم السوء ما سنح، وقد يكون الغريم أيضًا الذي له الدَّيْن. اهـ.

قوله: **(وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الدّيني)** في تأويلات الإمام أبي منصور رحمة الله عليه في هذه الآية وأمثالها دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم؛ لأنه لو جاز أخذ الأجر على ذلك لكان لهم عذرًا أن لا يبذلوا ذلك ولا يتعلّموا شيئًا من ذلك، وفي هذا هدم شرائع الله وإسقاطها. اهـ بحروفها.

....

فائـــدة:

في الدرّ المختار: لا تصح الإجارة لأجل الطاعات، مثل الأذان والحجّ والإمامة وتعليم القرآن والفقه ويفتى اليوم بصحتها لتعليم القرآن والفقه والإمامة والأذان، ويُجير المستأجر على دفع ما قبل، فيجب المسمّى بعقد وأجر المثل؛ إذ لم تذكر مدة شرح وهبانية من الشركة، (ويُحبس به) به يُفتى (ويُجبر على دفع الحلوة المرسومة) هي ما يهدى للمعلّم على رؤوس بعض سور القرآن سُمِّيت بها لأن العادة إهداء الحلاوى، انتهى بحروفه. وفي ردّ المحتار: قوله: لا لأجل الطاعات، الأصل أنّ كل طاعة يختصّ بها المسلم لا يجوز الاستئجار عليها عندنا؛ لقوله عليه السلام: «اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به»، وفي آخر ما عهد رسول الله ﷺ إلى عمرو بن العاص: «وإن اتّخذت مؤذنًا فلا تأخذ على الأذان أجرًا»، ولأن القربة متى حصلت وقعت عن العامل، ولهذا تتعيّن أهليّته، فلا يجوز له أخذ الأجرة من غيره، كما في الصوم والصلاة هداية. قوله: ويفتى اليوم بصحّتها لتعليم القرآن... الخ. قال في الهداية: وبعض مشائخنا رحمهم الله استحسنوا الاستئجار على تعليم القرآن اليوم لظهور التواني في الأُمور الدينيّة؛ ففي الامتناع تضييع حفظ القرآن، وعليه الفتوى.اهـ. وقد اقتصر على استثناء تعليم القرآن أيضًا في متن الكنز، ومتن مواهب الرحمٰن وكثير من الكتب، وزاد في مختصر الوقاية ومتن الإصلاح: تعليم الفقه، وزاد في متن المجمع: الإمامة، ومثله في متن الملتقى ودُرر البحار، وزاد بعضهم: الأذان والإقامة والوعظ، وذكر المصنّف معظمها، ولكن الذي في أكثر الكتب الاقتصار على ما في الهداية؛ فهذا مجموع ما أفتى به المتأخّرون من مشائخنا وهم البلخيّون على خلاف في بعضه مخالفين ما ذهب إليه الإمام وصاحباه، وقد اتّفقت كلمتهم جميعًا في الشروح والفتاوى على التعليل بالضرورة، وهي خشية ضياع القرآن كما في الهداية، وقد نقلت لك ما في مشاهير متون المذهب الموضوعة للفتوى، فلا حاجة إلى نقل ما في الشروح والفتاوى، وقد اتّفقت كلمتهم جميعًا على التصريح بأصل المذهب من عدم الجواز، ثم استثنوا بعده ما علمته؛ فهذا دليلٌ قاطع وبرهانٌ ساطع على أن المفتى به ليس هو جواز الاستئجار على كل طاعة، بل

....

على ما ذكروه فقط مما فيه ضرورة ظاهرة تبيح الخروج عن أصل المذهب من طروّ المنع، فإنّ مفاهيم الكتب حجّة، ولو مفهوم لقب على ما صرّح به الأُصوليّون، بل هو منطوق، فإنّ الاستثناء من أدوات العموم كما صرّحوا به أيضًا وأجمعوا على أنّ الحجّ عن الغير بطريق النيابة لا الاستئجار، ولهذا لو فضل مع النائب شيء من النَّفقة يجب عليه ردّه للأصيل أو ورثته، ولو كان أجرة لما وجب ردّه، فظهر لك بهذا عدم صحة ما في الجوهرة من قوله: واختلفوا في الاستئجار على قراءة القرآن مدة معلومة، قال بعضهم: لا يجوز، وقال بعضهم: يجوز، وهو المختار. اهـ. والصواب أن يقال على تعليم القرآن، فإنّ الخلاف فيه كما علمت لا في القراءة المجرّدة، فإنّه لا ضرورة فيها، فإنْ كان ما في الجوهرة سَبْق قلم، فلا كلام. وإنْ كان عن عمد، فهو مخالف لكلامهم قاطبةً، فلا يُقبل وقد أطنب في ردّه صاحب تبيين المحارم مستندًا إلى النقول الصريحة؛ فمن جملة كلامه: قال تاج الشريعة في شرح الهداية: إنّ القرآن بالأجرة لا يستحقّ الثواب لا للميّت ولا للقارىء. وقال العيني في شرح الهداية: ويمنع القارىء للدنيا والآخذ والمعطي آثمان؛ فالحاصل أنّ ما شاع في زماننا من قراءة الأجزاء بالأُجرة لا يجوز؛ لأن فيه الأمر بالقراءة وإعطاء الثواب للآمر والقراءة لأجل المال، فإذا لم يكن للقارىء ثواب لعدم النيّة الصحيحة، فأين يصل الثواب إلى المستأجر؟ ولولا الأجرة ما قرأ أحد لأحد في هذا الزمان؛ بل جعلوا القرآن العظيم مكْسبًا ووسيلة إلى جمع الدنيا إنّا لله وإنّا إليه راجعون. اهـ.

وقد اغترّ بما في الجوهرة صاحب البحر في كتاب الوقف، وتبعه الشارح في كتاب الوصايا حيث يشعر كلامهما بجواز الاستئجار على كل الطاعات ومنها القراءة، وقد ردّه الشيخ خير الدين الرَّملي في حاشية البحر في كتاب الوقف، حيث قال: أقول المفتى به جواز الأخذ استحسانًا على تعليم القرآن لا على القراءة المجرّدة، كما صرَّح به في التاترخانية، حيث قال: لا معنى لهذه الوصية ولصلة القارىء بقراءته؛ لأن هذا بمنزلة الأجرة والإجارة في ذلك باطلة وهي بدعة ولم يفعلها أحد من الخلفاء، وقد ذكرنا مسألة تعليم القرآن على استحسان. اهـ. يعني للضرورة ولا ضرورة في الاستئجار على القراءة على القبر. وفي الزّيلعي وكثير من

....

الكتب: لو لم يفتح لهم باب التعليم بالأجر لذهب القرآن فأفتوا بجوازه ورأوه حسنًا، فتنبّه. اهـ كلام الرملي. وما في التاترخانية فيه ردّ على مَنْ قال: لو أوصى لقارئ يقرأ على قبره بكذا ينبغي أن يجوز على وجه الصّلة دون الأجر، وممّن صرَّح ببطلان هذه الوصيّة صاحب الولوالجية والمحيط والبزازيّة، وفيه ردّ أيضًا على صاحب البحر حيث علّل البطلان بأنه مبنيّ على القول بكرامة القرآن على القبر، وليس كذلك؛ بل لما فيه من شبه الاستئجار على القراءة كما علمت، وصرّح به في الاختيار وغيره، ولذا قال في الولوالجية ما نصّه: ولو زار قبر صديق أو قريب له وقرأ عنده شيئًا من القرآن فهو حسن. أمّا الوصية بذلك، فلا معنى لها ولا معنى أيضًا لصلة القارئ؛ لأن ذلك يشبه استئجاره على قراءة القرآن وذلك باطل، ولم يفعل ذلك أحد من الخلفاء. اهـ. إذ لو كانت العلّة ما قاله لم يصح قوله هنا، فهو حسن. وممّن أفتى ببطلان هذه الوصية الخير الرملي كما هو مبسوط في وصايا فتاواه، فراجعها.

ونقل العلامة الخلوتي في حاشية المنتهى الحنبلي عن شيخ الإسلام تقي الدِّين ما نصّه: ولا يصح الاستئجار على القراءة وإهدائها إلى الميت؛ لأنه لم يُنقل عن أحدٍ من الأئمّة الإذن في ذلك، وقد قال العلماء: إنّ القارئ إذا قرأ لأجل المال فلا ثواب له، فأيّ شيء يهديه إلى الميت، وإنما يصل إلى الميت العمل الصالح والاستئجار على مجرّد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة، وإنما تنازعوا في الاستئجار على التعليم. اهـ بحروفه. وممّن صرّح بذلك أيضًا الإمام المبركوي قدّس سرّه في آخر الطريقة المحمّدية، فقال: الفصل الثالث في أُمور مبتدعة باطلة أكبّ الناس عليها على ظنّ أنها قُرَبٌ مقصودة، إلى أن قال: ومنها الوصية من الميت باتّخاذ الطعام والضيافة يوم موته أو بعده وبإعطاء دراهم لمن يتلو القرآن لروحه أو يسبّح أو يهلّل له، وكلّها بِدَع منكرات باطلة، والمأخوذ منها حرامٌ للآخذ وهو عاصٍ بالتلاوة والذكر لأجل الدنيا. اهـ ملخصًا. وذكر أنّ له فيها أربع رسائل، فإذا عَلِمْتَ ذلك ظهر لك حقّية ما قلناه، وأنّ خلافه خارج عن المذهب وعمّا أفتى به البلخيّون وما أطبق عليه أئمّتنا متونًا وشروحًا وفتاوى، ولا ينكر ذلك إلا غمر مكابر أو جاهل لا يفهم كلام الأكابر، وما استدلّ به بعض المحشين على الجواز

....

بحديث البخاري في اللديغ، فهو خطأ؛ لأن المتقدمين المانعين الاستئجار مطلقًا جوّزوا الرقية بالأُجرة ولو بالقرآن، كما ذكره الطحاوي لأنها ليست عبادة محضة، بل من التداوي، وما نُقِل عن بعض الهوامش وعزي الحاوي الزاهديّ من أنه لا يجوز الاستئجار على الختم بأقل من خمسة وأربعين درهمًا، فخارجٌ عمّا اتّفق عليه أهل المذاهب قاطبةً، وحينئذ فقد ظهر لك بطلان ما أكبّ عليه أهل العصر من الوصية بالختمات والتهاليل مع قطع النظر عمّا يحصل فيها من المنكرات التي لا ينكرها إلّا مَنْ طُمِست بصيرته، وقد جمعتُ فيها رسالة سمّيتها شفاء العليل وبلّ الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل، وأتيت بها بالعجب العجاب لذوي الألباب وما ذكرته هنا بالنسبة إليها كقطرة من بحر وشذرة من عقد نحر وأطلعت عليها محشي هذا الكتاب فقيه عصره ووحيد دهره السيد أحمد الطحطاوي مفتي مصر سابقًا، فكتب عليها وأثنى الثناء الجميل، فالله يجزيه الخير الجزيل وكتب عليها غيره من فقهاء العصر، انتهى كلام صاحب ردّ المحتار عليه رحمة الله العزيز الغفّار.

وفي رسالة رفع الغشاوة عن جواز أخذ الأجرة على التلاوة، لحضرة مولانا السعيد السند محمود أفندي الخمراوي مفتي دمشق الشام، فقد سُئِلت عمّا حرَّره العالم الفاضل السيد محمد عابدين في ردّ المحتار والتنقيح ورسالة شفاء العليل من عدم جواز الاستئجار على تلاوة القرآن العظيم، هل هو المفتى به في المذهب أو لا؟ فأجبت بأنّ ما ذكره المنقح في هذه المحلات الثلاث مبنيّ على مذهب المتقدّمين من عدم جواز الإجارة على الطاعات، إلّا أن المشائخ نصّوا على أنّ المفتى به جواز الاستئجار على التلاوة، وهو مذهب عامّة المتأخرين والنقول في ذلك كادت تبلغ التواتر كلّها موشحة بعلامة الفتوى أو أفتى به مشاهير العلماء الأعلام في سائر بلاد الإسلام، وها أنا أسرد نقولهم، فسَرَدها من أربعين كتابًا مَنْ شاء فلينظر ثمة:

منها أنه نُقِل عن تكملة البحر ونصّه: وفي الحاوي للكواشي: إذا استأجره ليختم عنده القرآن ولم يسمّ له أجرًا ليس له أن يأخذ أقلّ من خمسة وأربعين درهمًا

....

شرعيًا. أمّا إذا سمّى له أجر ألزم ما سمّى ويأثم المستأجر إذا عقد على أقلّ منها، إلا أن يَهِب المستأجر ما بَقِيَ من تمام العقد أو يشترط أن يكون ثواب ما فوقه لنفسه، وهذا يجب حفظه كما في المبسوط.

ومنها أنه نقل عن فتاوى المحقّق ابن كمال باشا أجرة القرآن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم على ما رَوَى عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما أربعة دنانير ونصف دينار، واتّفق المتقدّمون والمتأخّرون على ذلك؛ كذا في الكواشي.

ومنها أنه نقل عن نهج النجاة لكمال الدِّين بن حمزة من الوقف، ونصّه في الأشباه: لو شرط أن يقرأ على قبره، فالتعيين باطل، انتهى هذه المسألة في القنية. والظاهر أنه مبنيّ على قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في كراهة القراءة على القبور، والصحيح المختار للفتوى قول محمد رحمه الله تعالى من عدم كراهة القراءة على القبور، كما في كثير من كتب المذهب المُعتمدة.

ومنها أنه نقل عن تنوير البصائر، ونصّه قوله: ولو شرط أن يقرأ على قبره إلى آخره، أقول: هكذا وقع في القنية وفهم بعضهم من هذه المسألة أنه لا يتعيّن المكان الذي عيّنه الواقف لقراءة القرآن أو التدريس، وليس الأمر كذلك؛ بل يتعيّن المكان الذي عيّنه الواقف، فلو لم يباشر فيه لا يستحقّ المشروط لما في شرح المنظومة. أمّا لو شرط الواقف يجب اتّباعه وبالمباشرة في غير المكان الذي عيّنه الواقف يفوت غرضه من إحياء تلك البقعة، والظاهر أن الذي ذكره في القنية مبنيّ على قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى من كراهة القرآن على القبور، والله سبحانه أعلم بطل التعيين والصحيح المختار للفتوى قول محمد رحمه الله تعالى من عدم كراهة قراءة القرآن على القبور كما في كثير من كتب المذاهب المعتمدة، وعليه فلا يبطل التعيين، كما هو الظاهر.

ومنها أنه نقل عن شرح الملتقى للملائي، ونصه: (ولا تجوز) وتبطل (الإجارة) عند المتقدمين (على الطاعات) أي كل عبادة غير واجبة، فلو على مُباح؛

....

كتعليم كتابة جازت اتّفاقًا، ولو على واجب كما إذ كان المعلم أو الإمام أو المفتي واحد لم تصح اتّفاقًا ذكره الكرماني وغيره؛ كالأذان والحجّ والإمامة وتعليم القرآن والفقه وقراءتهما، إلى أن قال: (ويفتى اليوم) أي يفتي المتأخرون (بالجواز) للإجارة على هذه العبادة لفتور الرغبات ومنع العطيات، انتهى. فعطف القراءة على التعليم.

ومنها أنه نقل عن رسالة السيد محمد الخلوتي التي ألّفها رادًا على التنقيح: ومن جملة ما نقوله حاشية مسكين للشيخ الإسقاطي عند قول صاحب الكنز: والفتوى اليوم على جواز الاستئجار لتعليم القرآن، ونصّه قوله: لتعليم القرآن وكذا لقراءته والمستأجر للختم ليس له أن يأخذ أقلّ من خمسة وأربعين درهمًا إذا لم يسمّ له شيءٌ من الأجر، ذكره في المبسوط. انتهى. كذلك ألّف رسالة الشيخ صالح الدسوقي سماها كشف الغمّة رادًا فيها على البركوي، ورسالة المنقح وأتى بنقول من المذاهب الأربعة في صحة الاستئجار على التلاوة.

ومنها أنه نقل عن مهمات المفتي لابن الكمال، ونصّه: أجرة القرآن على عهد رسول الله ﷺ كما روى عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما أربعة دنانير، وكل دينار عشرة دراهم. وأمّا من قرأ بأقل مِنْ هذا لا يكون ثوابه ولا للمقري له؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٤١]. واتّفق المتقدّمون والمتأخّرون على ذلك من تفسير الكواشي. ثم قال في آخرها: ويحتمل أن ما لم أره أكثر أتقول إنّ علماء هذه الأُمّة من بخاريّين وهنديّين وروميين ومصريّين وشاميين شروحًا وحواشي وفتاوى لم يعلموا المفتى به في المذهب، حاشا؛ بل كل نقل على خلاف هذا فهو مبنيّ على غير المُفتى به من مذهب المتقدّمين والحمد لله ربّ العالمين. فرغ من تحريرها في رمضان سنة اثنتين وثلاثمائة وألف على يد جامعها الفقير محمود الخمراوي مفتي دمشق الشام غفر الله تعالى له ولوالديه ومشائخه الذنوب والآثام، آمين. وهكذا أفتى بالجواز مفتي مكّة المكرمة مولانا عبد الرحمٰن سراج، ومفتي المدينة المنورة مولانا محمد تاج الدين إلياس رحمة الله عليهما.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من المستسلمين لأوامره ونواهيه (﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ بالفتح: مدني وشامي وأبو عمرو وحفص).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فداوموا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ من الغرق ﴿وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ في السفينة ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ يخلفون الهالكين بالغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله ﷺ عن مثله وتسلية له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد نوح عليه السلام ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ أي هودًا وصالحًا وإبراهيم ولوطًا وشعيبًا ﴿فَجَآءُوهُم (بِٱلْبَيِّنَٰتِ)﴾ بالحجج (الواضحة المثبتة لدعواهم) ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ فأصرّوا على الكفر بعد المجيء ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ من قبل مجيئهم، يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرُّسُل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرُّسُل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾ من ذلك الطبع نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المُجاوِزين الحدّ في التكذيب

قوله: (﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ **بالفتح**) أي بفتح ياء الإضافة (**مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر، وليس من السبعة. (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**وأبو عمرو وحفص**) وقرأ الباقون بالسكون.

قوله: (﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾) الباء للتعدية، ويحتمل أن يكون للملابسة(١)، أي جاء كل رسول بالبيِّنة التي اخْتُصَّت به. **قوله**: (**الواضحة**) أي في نفسها حيث لا تخفى على أحد. **قوله**: (**المثبتة**) أي المُوضحة (**لدعواهم**) النبوّة والرسالة. **قوله**:

---

(١) أي ملتبسين بالبينات. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ من بعد الرسل ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ (بالآيات التسع) ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن قبولها، وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبيّنها ويتعظموا عن قبولها ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كُفَّارًا ذوي آثام عِظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردّها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله ﴿قَالُوٓاْ﴾ لحبهم الشهوات ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ هو إنكار ومقولهم محذوف أي هذا سحر، ثم استأنف إنكارًا آخر فقال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ خبر ومبتدأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ (أي لا يظفر).

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدّقين فيما جئتما به (﴿وَيَكُونَ﴾ حماد ويحيىٰ) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ («سحّار»: حمزة وعلي).

(بالآيات التّسع) وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر.

قوله: (أي لا يظفر) من باب طَرِب.

قوله: (﴿وَيَكُونَ﴾) بياء الغيبة (حماد) بن أحمد عن حمزة بن حبيب الزيّات، (ويحيىٰ) بن آدم القرشي عن أبي بكر بن عياش عن عاصم؛ لأنه تأنيث مجازي. والباقون بتاء التأنيث نظرًا للفظ. **قوله:** (سحّار) بتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها على وزن فَعَّال دال على زيادة قلق فرعون (حمزة وعليّ) الكسائي،

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ «ما» موصولة واقعة مبتدأ، أو ﴿جِئْتُم بِهِ﴾ صلتها و﴿ٱلسِّحْرُ﴾ خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرًا من آيات الله. (﴿آلسحر﴾ بعد وقف: أبو عمرو على الاستفهام)، فعلى هذه القراءة «ما» استفهامية أيْ أيّ شيء جئتم به؟ أهو السحر؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ يُظهر بُطلانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ لا يثبته بل (يدمره) ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ﴾ ويثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بأوامره وقضاياه أو يُظهِر الإسلام بعِداته بالنصرة ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ذلك.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ في أول أوامره ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ﴾ إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه، وذلك أنه دعا الآباء فلم يُجيبوه خوفًا من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع

والباقون بألف بعد السين وتخفيف الحاء مكسورة، ولا ألف بعدها بوزن فاعل. **قوله**: (آلسحر)[1] بهمزتين الأُولى همزة الاستفهام، **فهي** مفتوحة والثانية همزة وصل (**بعد وقف**: **أبو عمرو على الاستفهام**) أي على أن الهمزة للاستفهام؛ فعلى هذه القراءة إمّا أن تُبدل الثانية ألفًا وتمدّ مدًّا لازمًا أو تسهل من غير قلب؛ ففي هذه القراءة وجهان، وعلى كليهما تجب الإمالة في موسى بخلاف قراءة الهمزة الواحدة، فيجوز فيها الإمالة وتركها. وقرأ الباقون بهمزة وصل، فتسقط في الوصل. **قوله**: (**يدمره**) في المصباح: دمّر الشيء يدمّر من باب قتل، والاسم الدَّمار مثل الهلاك وزنًا ومعنى، ويعدّى بالتضعيف فيقال: دمّره الله ودمّر عليه. اهـ.

(١) على هذه القراءة يوقف علي به. ١٢ منه عمّ فيضهم.

الخوف، أو الضمير في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ لفرعون والذرِّيَّة مؤمن آل فرعون وآسية امرأته (وخازنه) وامرأة خازنه (وماشطته). والضمير في ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ يرجع إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له، أو إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفًا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يريد أن يعذبهم فرعون ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لغالب فيها ظاهر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادّعائه الربوبية.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ صدقتم به وبآياته ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾ فإليه أسنِدوا أمركم في العصمة من فرعون ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (شرط في التوكّل الإسلام) وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة لا حظّ للشيطان فيها، لأن التوكّل لا يكون مع التخليط ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين، لا جرم أن الله قبِل توكلهم وأجاب دعاءهم

قوله: (وخازنه) أي خازن فرعون. **قوله**: (وماشطته) أي ماشطة فرعون؛ لأنه كان لفرعون ضفائر وشعائر عيّن امرأة لتسريحها. في مختار الصحاح: امْتَشطت المرأة ومَشَطَتْها الماشطة من باب نصر.اهـ. وفي المصباح: مشطت الشعر مشطًا من بابي قتل وضرب سرحته، والتثقيل مبالغة، وامتشطت المرأة مشطت شعرها.اهـ.

قوله: (شرط في التوكّل الإسلام)... الخ. وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين، فإنّ الآية وإن اعتبر فيها شرطان مختلفان، وهما الإيمان بالله والإسلام، فإنّ الإيمان بالله عبارة عن التصديق بأنه واجب الوجود لذاته واحد، وأن جميع ما سواه محدث مخلوق مقهور تحت مشيئته وتصرّفه، والإسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد للتكاليف الصادرة من الله تعالى وإظهار الخضوع وترك التمرّد، ولا شكّ أنهما أمران مختلفان، إلا أن المعلّق على هذين الشرطين حكمٌ واحد من وجهٍ واحد، وهو وجوب التوكّل، وإلّا لزم أن لا يجب التوكّل بمجرّد الإيمان بالله

ونجاهم، وأهلك مَن كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه، فمَن أراد أن يصلح للتوكل على ربّه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أي يضلوننا والفاتِن المُضِلّ عن الحق ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي من تعذيبهم وتسخيرهم.

تعالى؛ لأن المشروط لا يَحْصل إلا عند تحقّق شرطه، والشرط إذا كان أُمورًا متعدّدة لا يحكم بتحقّقه إلّا إذا تحقّق جميع أجزائه، فإنْ قال الشارع: إنْ كان المكلّف زانيًا محصنًا فارجموه لا يجب الرجم إلّا عند تحقّق مجموع الأمرين، فكذا في هذه الآية لو علّق وجوب التوكّل على مجموع الإيمان بالله تعالى والإسلام للزم أن لا يجب التوكّل إلّا عند تكامل الشرط بجميع أجزائه، وليس كذلك؛ بل هناك حُكمان علّق كل واحد منهما بشرط على حِدَة: علّق وجوب التوكّل على الإيمان بالله وحصول التوكّل على الإسلام، وهو أن يُسَلّموا نفوسهم لله تعالى، أي يجعلوها سالمة خالصة لا حظّ للشيطان فيها، فإنْ مَنْ لم يسلّم وجهه لله تعالى بأن جعل للشيطان مدخلًا فيها لا يحصل له التوكّل، وهو تفويض الأمر بالكلّية إلى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى، وإنما قال: ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾، ولم يقل: توكلوا عليه؛ لأن الأول يفيد الحصر حيث يدلّ عليه أنّ موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام أمر قومه بالتوكّل عليه ونهاهم عن التوكّل على غيره تعالى، والمراد في هذا المقام هو التوكّل على هذا الوجه؛ لأنه الذي يقتضيه الإيمان بالله، فإنّ مَنِ اعتقد أنّ كل ما سوى الله تعالى ملكه ومقهور تحت تصرفه وتسخيره امتنع أن يتوكّل على غيره، وقد مرّ أن نوحًا عليه الصلاة والسلام وصف نفسه بالتوكّل على هذه الوجه حيث قال: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس: الآية ٧١]، وكذلك موسى عليه الصّلاة والسلام. ثم إنه تعالى بيّن أنّ موسى عليه الصلاة والسلام لمّا أمَر بذلك قومه قبلوه، ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾، لتحقق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله تعالى مخلصين أنفسهم له تعالى. اهـ شيخ زاده رحمه الله تعالى.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ (أَن تَبَوَّءَا) لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ تبوّأ المكان (اتخذه مباءة) كقوله: «توطنه» إذا اتخذه وطنًا، والمعنى اجعلا بمصر بيوتًا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعًا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى ومَن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول الإسلام بمكة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في بيوتكم حتى تأمنوا ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا موسى، ثنى الخطاب أولًا ثم جمع ثم وحّد آخرًا لأن اختيار مواضع العبادة مما يفوّض إلى الأنبياء، ثم جمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على (**الجمهور**)، وخصّ موسى عليه السلام بالبشارة تعظيمًا لها وللمبشر بها.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ هو ما يتزين به من لباس أو (**حلي**) أو فرش أو (**أثاث**) أو غير ذلك ﴿أَمْوَالًا﴾ أي نقدًا

قوله: (﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ **اتخذه مباءة**) أي منزلًا. في الصحاح: المباءة منزل القوم في كل موضع، يقال: تبوّأت منزلًا، أي نزلته وبوّأت للرجل منزلًا وبوّأته منزلًا، يعني هيّأته ومكّنت له فيه، وكلمة ﴿أَنْ﴾ فيه يجوز أن تكون مفسّرة؛ لأنه قد تقدَّمها ما هو بمعنى القول والإيحاء، ويجوز أن تكون مصدرية، فيكون ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ [يونس: الآية ٨٧] في موضع النصب بـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾ مفعولًا به، أي أوحينا إليهما التبوّؤ وهو النزول والرجوع، يقال: تبوّأ المكان إذا اتّخذه مباءة ومنزلًا. **قوله**: (**الجمهور**) في لسان العرب: جُمْهور كل شيء مُعْظَمه. اهـ.

قوله: (**حلي**) في مختار الصحاح: الحَلي حَلي المرأة والجمع حُليّ مثل ثَدْي وثُديّ، وقد تُكسر الحاء وقرىء ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٨] بضمّ الحاء وكسرها. اهـ. **قوله**: (**أثاث**) في المصباح: الأثاث متاع البيت الواحد أثاثة، وقيل:

و(**نعمًا**) و(**ضيعة**) ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ (﴿لِيُضِلُّواْ﴾ **الناس عن طاعتك، كوفي**) ولا وقف على ﴿ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ لأن قوله: ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ متعلق بـ ﴿ءَاتَيۡتَ﴾ و﴿رَبَّنَا﴾ تكرار. الأول للإلحاح في التضرّع. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: إذا علم منهم أنهم يضلّون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلّوا عن سبيله وهو كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٨]. فتكون الآية حجة على المعتزلة ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أي أهلِكها وأذهِب آثارها لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك، والطمس المحو والهلاك. قيل: صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئاتها منقوشة. وقيل: وسائر أموالهم كذلك ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾ جواب الدعاء الذي هو اشدد ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ إلى أن يروا العذاب الأليم وكان كذلك، فإنهم لم يؤمنوا إلى الغرق وكان ذلك إيمان يأس فلم يقبل. وإنما دعا عليهم بهذا لما أَيِس

لا واحد له من لفظه.اهـ. **قوله**: (**نعمًا**) في مختار الصحاح: النَّعَم واحد الأنعام وهي المال الراعية، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. قال الفراء هو ذكر لا يؤنث، يقولون: هذا نَعَم وارد، وجمعه نُعْمان مَحَمَل وحُمْلان، والأنعام يذكر ويؤنث، قال الله تعالى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ [النحل: الآية ٦٦]، وقال: ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ [المؤمنون: الآية ٢١]، وجمع الجمع أناعيم.اهـ. وفي المصباح: النعم المال الراعي، وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. قال أبو عبيد: النعم الجمال[1] فقط، ويؤنّث ويذكر وجمعه **نعمان** مثل حمل وحملان وأنعام أيضًا. وقيل: النعم الإبل خاصّة، والأنعام ذوات الخفّ والظلف، وهي الإبل والبقر والغنم. وقيل: تُطلق الأنعام على هذه الثلاثة فإذا انفردت الإبل فهي نعم، وإن انفردت البقر والغنم لم تُسمّ نعمًا.اهـ. **قوله**: (**ضيعة**) في المصباح: الضيعة العقار والجمع ضياع، مثل كلبة وكلاب.اهـ. وأيضًا فيه: العقار مثل سلام كل مُلك ثابت له أصل، كالدار والنخل. قال بعضهم: وربما أطلق على المتاع والجمع عقارات. **قوله**: (﴿لِيُضِلُّواْ﴾) بضمّ حرف المضارع (**الناس عن طاعتك، كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي. وقرأ الباقون بالفتح أي يضلون في أنفسهم.

---

(١) جمع الجَمَل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

من إيمانهم وعلم بالوحي أنهم لا يؤمنون، فأما قبل أن يعلم بأنهم لا يؤمنون فلا يسع له أن يدعو بهذا الدعاء لأنه أرسل إليهم ليدعوهم إلى الإيمان، وهو يدل على أن الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرًا.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ قيل: كان موسى عليه السلام يدعو وهارون (يؤمِّن) فثبت أن التأمين دعاء فكان إخفاؤه أولى، والمعنى أن دعاءكما مُستَجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق الإجابة وحكمة الإمهال فقد كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة. (﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِ﴾) بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهًا بنون التثنية: شامي،

قوله: (**يؤمن**) بالتشديد أي يقول: آمين وآمين، بمعنى استجب.

قوله: (﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِ﴾) بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهًا بنون التثنية شامي أي ابن عامر الشامي برواية ابن ذكوان. وقرأ الباقون بتشديدها؛ لأن نون التوكيد تثقل وتخفّف. وفي فتح القدير للشوكاني رحمه الله: قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتشديد النون للتأكيد وحرّكت بالكسر لكونه الأصل ولكونها شبهت نون التثنية، وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي لا على النهي. اهـ. وفي كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة، وهي قراءة العشرة المشهورة وقراءة الأعمش.

مسألة:

وروى ابن ذكوان في غير رواية هبة الله: ﴿ولا تتبعان﴾ بتخفيف النون وجهًا واحدًا، وروى هبة الله عن ابن ذكوان وهشام عن ابن عامر الوجهين التخفيف والتشديد. الباقون بتشديد النون وجهًا واحدًا. اهـ بحروفه. وفي كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: واختلف عن ابن عامر في (﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِ﴾)؛ فروى ابن ذكوان والداجوني عن أصحابه عن هشام بفتح التاء وتشديدها وكسر الباء وتخفيف النون على أنّ لا نافية ومعناه النهي، نحو: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾

وخطأه بعضهم لأن النون الخفيفة واجبة السكون. وقيل: هو إخبار عمّا يكونان عليه وليس بنهي، أو هو حال وتقديره فاستقيما غير مُتَّبِعين.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠﴾

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ هو دليل لنا على خلق الأفعال ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ فلحقهم. (يقال: تبعته حتى أتبعته) ﴿بَغْيًا﴾ (تطاولا) ﴿وَعَدْوًا﴾ ظلمًا وانتصبا على الحال أو على المفعول له ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ ولا وقف عليه لأن ﴿قَالَ ءَامَنتُ﴾ جواب ﴿إِذَآ﴾ ﴿أَنَّهُۥ﴾ - (﴿إِنَّهُۥ﴾) - (حمزة وعلي) على الاستئناف بدل من ﴿ءَامَنتُ﴾ وبالفتح غيرهما على حذف الباء التي هي صلة الإيمان ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد حيث قال: ﴿ءَامَنتُ﴾ ثم قال: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، كرر

[البَقَرَة: الآية ٢٣٣] أو يجعل حالًا من فاستقيما، أي ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ غير متبعين، وقيل: نون التوكيد الثقيلة خففت، وقيل: أكّد بالخفيفة على مذهب يونس والفراء، وانفرد ابن مجاهد عن ابن ذكوان بتخفيف التاء الثانية وإسكانها وفتح الباء مع تشديد النون، ورواه سلامة بن هارون أداءً عن الأخفش عن ابن ذكوان، والوجهان في الشاطبية. لكن في النشر نقلًا عن الداني أنه غلط من أصحاب ابن مجاهد ومن سلامة؛ لأن جميع الشاميين رووا عن ابن ذكوان بتخفيف النون وتشديد التاء، ثم ذكر أنها صحت من طرق أخرى وبيّنها، ثم قال: وذلك كلّه ليس من طرقنا، ولذا لم يعرج عليها في الطيبة على عادته في الانفرادات. وروى الحلواني عن هشام بتشديد التاء الثانية وفتحها وكسر الباء وتشديد النون، وبه قرأ الباقون؛ فتكون لا للنهي، ولذا أكد بالنون لأن تأكيد النفي ضعيف. اهـ بحروفه.

قوله: (**يقال: تبعته حتى اتبعته**) أي مشيت من بعده حتى لحقته. **قوله**: (**تطاولًا**) في لسان العرب في معنى هو الاستطالة على الناس إذا هو رفع رأسه، ورأى أنّ له عليهم فضلًا في القَدْر. اهـ. **قوله**: (﴿إِنَّهُۥ﴾) كسر همزة إنه (**حمزة وعلي**) الكسائي.

فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصًا على القبول ثم لم يُقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار.

﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيِسْت من نفسك. قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه أتؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ من الضالين المُضِلِّين عن الإيمان. رُوِيَ أن جبريل عليه السلام أتاه بفُتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادّعى السيادة دونه؟ فكتب فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيد الكافر (نعماءه) أن يغرق في البحر، فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه (فعرفه).

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نلقيك (بنجوة) من الأرض فرماه الماء إلى الساحل كأنه ثور ﴿بِبَدَنِكَ﴾ في موضع الحال أي الحال التي لا روح فيك، وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملًا سويًا لم ينقص منه شيء ولم يتغير، أو عريانًا لست إلا بدنًا من غير لباس، أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يُعرَف بها. (وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ﴿بأبدانك﴾) وهو (مثل قولهم: هو «بأجرامه») أي ببدنك كله وافيًا بأجزائه، أو

قوله: (نعماءه) النعماء وزان الحمراء، مثل النعمة وجمع النعمة نِعَم مثل سدرة وسدر وأنعم أيضًا مثل أفلس، وجمع النعماء أنعم مثل البأساء يجمع على أبؤس. اهـ مصباح. **قوله**: (فعرفه) فقال جبريل على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام: هذا ما حكمت به على نفسك.

قوله: (بنجوة) النجوة المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك من السيل. **قوله**: (وقرأ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ﴿بأبدانك﴾) بالجمع بجعل كل عضو بمنزلة البدن، فأطلق الكلّ على الجزء مجازًا، (مثل قولهم: هو[1] بأجرامه) فإنه

(١) أي سقط.

بدروعك (لأنه ظاهر بينها) ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأنًا من أن يغرق. وقيل: أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه. وقيل: ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ لمن يأتي بعدك من القرون. ومعنى كونه آية أن يُظهِر للناس عبوديته وأن ما كان يدّعيه من الربوبية مُحال، وأنه مع ما كان عليه من عظم الملك (آل) أمره إلى ما ترون لعصيانه ربّه فما الظن بغيره ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (منزلًا صالحًا مرضيًا) وهو مصر والشام ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في دينهم ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي التوراة وهم اختلفوا في تأويلها كما اختلفت أمة محمد ﷺ في تأويل الآيات من القرآن، أو المراد العلم بمحمد ﷺ واختلاف بني إسرائيل - وهم أهل الكتاب - اختلافهم في صفته أنه هو أم ليس هو بعد ما جاءهم العلم أنه هو ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يميز المحق من المبطل ويجزي كلًّا جزاءه.

بمعنى جرمه وجسمه، فأطلق الجمع لما ذكر وليس بمعنى ذنوبه كما توهّم. **قوله:** **(لأنه ظاهر بينها)** أي بين الدروع، أي لبس بعضها فوق بعض، يقال: ظاهر وطابق وطارق؛ إذا لبس ثوبًا على ثوب أو درعًا على درع. **قوله:** (آل) في مختار الصحاح: آلَ رجع وبابه قال، يقال: طبخ الشراب فآل إلى قدر كذا وكذا، أي رجع. اهـ.

قوله: (منزلًا صالحًا مرضيًا) إشارة إلى أن ﴿مُبَوَّأَ﴾ اسم مكان ووصف بالصدق مدحًا لهم، أي أسكنّاهم مكانًا محمودًا، فإنّ عادة العرب إذا مدحت شيئًا أضافته إلى الصدق، تقول: رجل صدق، قال تعالى: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٨٠].

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ لمَّا قدَّم ذِكر بني إسرائيل ـ (وهم قرّاء الكتاب) ـ ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوّته ﷺ ويُبالغ في ذلك فقال: فإن وقع لك شك ـ فرضًا وتقديرًا، وسبيل مَن خالجَته شُبهة أن يُسارع إلى حلّها بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته أو بمُباحثة العلماء ـ فَسَل علماء أهل الكتاب فإنهم من الإحاطة بصحة ما أُنزِل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلًا عن غيرك. فالمراد وصف الأحْبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أُنزل إلى رسول الله ﷺ لا وصف رسول الله ﷺ بالشك فيه. ثم قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مجال فيه للشك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشَّاكِّين ولا وقف عليه للعطف.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أي فاثبت ودُم على ما أنت عليه من انتفاء المِريَة عنك والتكذيب بآيات الله، أو هو على طريقة (التهييج) والإلهاب كقوله: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾) [القصص: الآية ٨٦]. (﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾) [القصص: الآية ٨٧]. ولزيادة التثبيت والعِصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله: «لا شك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق»، أو خُوطِب رسول الله ﷺ والمراد أُمته، أي وإن كنتم في شكٍّ

قوله: (وهم قرّاء الكتاب) وفي نسخة: قَرَأَة الكتاب جمع قارىء. في المصباح: الفاعل قارىء وقرأة وقرّاء وقارئون، مثل كافر وكفرة وكفار وكافرون.

قوله: (التهييج) التحريض. **قوله**: (﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾) معينًا (﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾) على دينهم الذي دعوك إليه، (﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾) أصله يصدوننك حُذِفت نون الرفع للجازم والواو والفاعل لالتقائها مع النون الساكنة (﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾)، أي لا ترجع إليهم في ذلك. اهـ جلالين.

مما أنزلنا إليكم كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: الآية ١٧٤]، أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب: («إذا عزَّ أخوك فهن») أو «إن» للنفي أي فما كنت في شكٍّ فاسأل، أي لا نأمرك بالسؤال لأنك شاكٌّ ولكن لتزداد يقينًا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمُعاينة إحياء الموتى. فإن قلت: إنما يجيء «إن» للنفي إذا كان بعده «إلا» كقوله: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: الآية ٢٠]. قلت: ذاك غير لازم ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: الآية ٤١]، فـ «إن» للنفي وليس بعده «إلا».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفَّارًا، أو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية ولا وقف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ تتعلق بما قبلها ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم، أو عند القيامة ولا يقبل منهم ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ فهلَّا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها ثابتٌ عن الكفر وأخلَصَت الإيمان قبل المُعاينة ولم تُؤخِّر كما أَخَّر فرعون إلى أن (أُخِذ بمِخنقهِ)

قوله: (إذا عزَّ أخوك فَهُنْ) قال أبو عبيد: معناه مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك منه، فتدخلك الحمية به، إنما هو حُسن خلق وتفضّل، فإذا عاسرك فياسره. وكان المفضل يقول: إن المثل لهذيل بن هبيرة التغلبيّ وكان أغار على بني ضبّة فغنم، فأقبل بالغنائم فقال له أصحابه: اقسمها بيننا، فقال: إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يُدرككم الطلب، فأبَوْا فعندها قال: إذا عزّ أخوك فَهُنْ، ثم نزل فقسم بينهم الغنائم. وينشد لابن أحمر:

دببت له الضراء وقلت أبقى ... إذا عزّ ابن عمّك أن تهونا

اهـ مجمع الأمثال.

قوله: (أُخِذَ بمُخْنَقِه) في لسان العرب: أَخذْتُ بمُخْنَقِهِ أي موضع الخِناق. اهـ.

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ بأن تقبَّل الله إيمانها منها بوقوعه في وقت الاختيار ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾ استثناء منقطع أي ولكن قوم يونس، أو متصل والجملة في معنى النفي كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس، وانتصابه على أصل الاستثناء ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ إلى آجالهم. رُوِيَ أن يونس عليه السلام بعث إلى (نينوى) من أرض (**الموصل**) فكذبوه فذهب عنهم مُغاضِبًا، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا (**المسوح**) كلهم و(**عجّوا**) أربعين ليلة وبرزوا إلى (**الصعيد**) بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابّهم، وفرَّقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها، (**فحنَّ بعضهم إلى بعض**) وأظهروا الإيمان والتوبة، فرحمهم وكشف عنهم ـ وكان (**يوم عاشوراء**) يوم الجمعة ـ وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه (**أساس**) بُنيانه فيردّه. وقيل: خرجوا لمّا نزل بهم العذاب إلى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم: قولوا يا حيّ حين لا حيّ، ويا حَيُّ مُحيي الموتى، ويا حيُّ لا إله إلا أنت. فقالوها فكشف الله عنهم. وعن (**الفُضَيل**) قدّس الله روحه قالوا: اللّهمَّ إن ذنوبنا قد عَظُمَت وجَلَّت وأنت أعظم منها وأجلّ، افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

قوله: (نِينَوى) بكسر النون الأُولى بعدها ياء ساكنة ثم نون مفتوحة ثم واو. **قوله**: (الموصل) بفتح الميم وكسر الصاد بلدة مشهورة. **قوله**: (المسوح) بضمّ الميم جمع مسح بكسر الميم صفة مشبَّهة بوزن ملح، أي لبسوا الألبسة البذلة والخلِقَة لغاية الابتهال والتضرّع لعلّ الله يرحمهم، فرحمهم. اهـ قنوي. وفي المصباح: المسح البلاس والجمع مسوح، مثل حمل وحمول. اهـ. **قوله**: (عجوا) أي رفعوا أصواتهم من باب ضرب. **قوله**: (الصعيد) وجه الأرض. **قوله**: (فحنّ) أي مال (بعضهم إلى بعض) ورقّ قلوبهن واحترق كبودهنّ من خوف هلاك أولادهنّ. **قوله**: (يوم عاشوراء) عاشر المحرّم. **قوله**: (أساس) بالفتح أصل.

قوله: (وعن الفضيل) بن عياض، توفي بمكّة أوّل سنة سبع وثمانين ومائة أجمعوا على توثيقه والاحتجاج به وصلاحِه وزهده وورعه ونحوها من طريق الآخرة، ومناقبه كثيرة مشهورة.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ على وجه الإحاطة والشمول ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه، أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنه لو شاء لآمن مَن في الأرض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به مَن علم منه اختيار الإيمان به، وشاء الكفر ممَّن علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به. وقول المعتزلة: المراد بالمشيئة مشيئة **(القسر)** و**(الإلجاء)** أي لو خلق فيهم الإيمان جبرًا لآمنوا لكن قد شاء أن يؤمنوا اختيارًا فلم يؤمنوا دليله ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ـ أي ليس إليك مشيئة الإكراه والجبر في الإيمان إنما ذلك إليَّ ـ فاسد لأن الإيمان فِعْل العبد وفِعْله ما يحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار. وتأويله عندنا أن الله تعالى لطفًا لو أعطاهم آمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق. والاستفهام في ﴿أَفَأَنتَ﴾ بمعنى النفي أي لا تملك أنت يا محمد أن تُكرههم على الإيمان لأنه يكون بالتصديق والإقرار ولا يمكن الإكراه على التصديق.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ بمشيئته أو بقضائه أو بتوفيقه وتسهيله أو بعلمه ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي العذاب أو **(السخط)** أو الشيطان أي ويسلط الشيطان ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لا ينتفعون بعقولهم، (﴿وَنَجْعَلُ﴾) حماد **(ويحيىٰ)** ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ﴾ نظر استدلال واعتبار ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيات

قوله: **(القسر)** في المصباح: قَسَره على الأمر قسْرًا من باب ضرب قهره واقتسره كذلك. اهـ. **قوله**: **(الإلجاء)** في المصباح: ألجأته إليه ولجأته بالهمزة والتضعيف اضطررته وأكرهته. اهـ.

قوله: **(السخط)** في المصباح: سخط سخطًا من باب تعب، والسخط بالضم اسم منه وهو الغضب. **قوله**: (﴿وَنَجْعَلُ﴾) حماد بن زيد عن عاصم **(ويحيىٰ)** بن

(والعِبَر) باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ﴾ «مَا» نافية (﴿وَٱلنُّذُرُ﴾) والرُّسُل المنذورون أو الإنذارات ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ **(يعني وقائع الله فيهم)** كما يقال أيام العرب لوقائعها ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾ معطوف على كلام محذوف يدل عليه ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رُسُلنا على حكاية الأحوال الماضية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ومَن آمن معهم ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين و﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ **(اعتراض)** أي حقّ ذلك علينا حقًّا. (﴿نُنَجِّى﴾ **بالتخفيف: علي وحفص)**.

آدم القرشي عن أبي بكر عاصم، والآخرون بالياء التحتانية. **قوله: (والعبر)** جمع العبرة مثل سدرة وسدر. **قوله**: (﴿وَٱلنُّذُرُ﴾) جمع نذير بمعنى إنذار أو منذر، وعلى المصدرية جمع لإرادة الأنواع، ويجوز في النذر أن يكون مصدرًا بمعنى الإنذار.

قوله: (يعني وقائع الله فيهم) أي الأيام مجاز عن الوقائع والحوادث لكونها واقعة فيها، فذكر المحل وأريد الحال. **قوله: (اعتراض)** أي بين العامل ومعموله اهتمامًا بالإنجاء وبيانًا لأنه كائن لا محالة؛ إذ جعله كالحق الواجب عليه. **قوله**: (﴿نُنجِ﴾ **بالتخفيف)** أي بسكون النون الثانية **(علي)** الكسائي **(وحفص)**. والباقون بفتحها. وأمّا الوقف عليها، فجميع القرّاء يقفون على الجيم لأنها مرسومة في المصحف بالجيم بلا ياء، فهي في القرآن وقفًا ووصلًا بلا ياء لجميع القرّاء.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ وصحته (وسداده) فهذا ديني فاستمعوا وصفه، ثم وصف دينه فقال: ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ يُميتكم، ووصفه بالتوفّي ليُريهم أنه (الحقيق) بأن يخاف ويتّقي ويعبد دون ما لا يقدر على شيء ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بأن أكون يعني أن الله أمرني بذلك بما رُكّب فيَّ من العقل وبما أوحى إليَّ في كتابه ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي وأوحى إليَّ أن أقم ليُشاكِل قوله أُمِرْتَ أي استقم مُقبِلًا بوجهك على ما أمرك الله، أو استقم إليه ولا تلتفت يمينًا ولا شمالًا ﴿حَنِيفًا﴾ حال من الدين أو الوجه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن (خذلته) ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنّى عنه بالفعل إيجازًا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ «إذًا» جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدّر كأن سائلًا سأل (عن تبعة عبادة الأوثان)، وجعل ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنه لا ظُلم أعظم من الشِّرك.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ﴾ يُصِبْك ﴿بِضُرٍّ﴾ مرض ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ لذلك الضُّرّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إلا الله ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ عافية ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ فلا رادَّ لمُراده (﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالخير) ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ قطع بهذه الآية على عباده طريق

قوله: (وسداده) السّداد ـ بالفتح ـ الصواب. **قوله**: (الحقيق) الجدير. **قوله**: (خذلته) تركته. **قوله**: (عن تبعة عبادة الأوثان) تبع بوزن صرد بضمّ الفاء وفتح العين، وتبعة كقربة بفتح الفاء وكسر العين ما يتبعه بعده من الإثم.

قوله: (﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالخير) أي أرجع الضمير للخير لقربه، ولو جعل لما ذكر صح، ولكن هذا أظهر وأنسب بما بعده.

الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ المُكَفِّر بالبلاء ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ المُعافي بالعطاء، اتبعَ النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضرّ. إن الله هو الضّارّ النافع الذي إن أصابك بضُرٍّ لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد، فكيف بالجماد الذي لا شعور به؟ وكذا إن أرادك بخير لم يردّ أحد ما يريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان؟ وهو الحقيق إذًا بأن تُوَجَّه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: الآية ٣٨] وإنما ذكر المسّ في أحدهما والإرادة في الآخر كأنه أراد أن يذكر الأمرين: الإرادة والإصابة في كل واحد من الضرّ والخير، وأنه لا رادّ لِما يريد منهما ولا مُزيل لِما يصيب به منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المسّ وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدلّ بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن أو الرسول ﴿مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ اختار الهدى واتّبع الحق ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ فما نفع باختياره إلا لنفسه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ومَن آثر الضلال فما ضرَّ إلا نفسه ودلَّ اللام و«على» على معنى النفع والضرر ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ موكول إلى أمركم إنما أنا بشير ونذير ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ﴾ على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ لك بالنصرة عليهم والغلبة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه المُطَّلِع على السرائر فلا يحتاج إلى بيِّنة وشهود.

تمّ تعليقنا على سورة يونس والحمد لله على إحسانه وأفضل صلاة وسلام على أفضل مخلوقاته وآله وصحبه.

(سورة هود) عليه السلام

(مكيّة وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ﴾ أي هذا كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ صفة له أي نظمت نظمًا (رصينًا) مُحكمًا لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المُحكَم (﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ كما تفصّل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد) والأحكام والمواعظ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة هود عليه السلام مكّية عند الجمهور) ولذا اختاره المصنّف رحمه الله تعالى. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مكّية كلّها، إلّا قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [هُود: الآية ١٢] الآية. وقال مقاتل: مكّية، إلا قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [هُود: الآية ١٢] الآية، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [هُود: الآية ١٧] الآية، نزلت في ابن سلام وأصحابه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هُود: الآية ١١٤] الآية. (وهي مائة وثلاث وعشرون آية)، وكلماتها ألف وسبعمائة وخمس عشر، وحروفها سبعة آلاف وستّمائة وخمسة أحرف. **قوله**: (رصينًا) الرصين المُحكم الثابت وقد رصُن من باب ظرف. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ **كما تفصل القلائد بالفرائد** من دلائل التوحيد). . . الخ. بالفرائد متعلق بفصلت، ومِنْ دلائل التوحيد بيان

والقصص، أو جعلت فصولًا سورة سورة وآية آية، أو فرّقت في التنزيل ولم تنزل جملة، أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بيّن ولخّص. (وليس معنى ﴿ثُمَّ﴾ التراخي في الوقت، ولكن في الحال) ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (صفة أخرى لـ ﴿كِتَٰبٌ﴾) أو خبر بعد خبر، أو صلة لـ ﴿أُحْكِمَتْ﴾ و﴿فُصِّلَتْ﴾ أي من عنده أحكامها وتفصيلها.

للفرائد، يقال: عقد مفصل إذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة؛ فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: الآية ١] أن آياته زيّنت بالفرائد كما زُيّنت القلائد بالفرائد. في مختار الصحاح: الفريد الدرّ إذا نظم وفصل بغيره. اهـ. **قوله**: (وليس معنى ﴿ثُمَّ﴾ التراخي في الوقت، ولكن في الحال[1]) أي ثم للتراخي في الرتبة لا للتراخي في الوقوع في الزمان، فإنّ تفصيل آياتها ليس متراخيًا عن إحكامها بحسب الزّمان، بل هو مُتراخٍ عنه بحسب الرتبة، فإنّ التفصيل بأيّ معنى كان أقوى وأدخل في المدح بالنسبة إلى الإحكام أو للتراخي في الإخبار، فإنّ الشائع في الجُمل أن يُراد بها نفس مفهومها، إلّا أنه قد يُراد بها الإخبار بمفهومها، والظاهر أن المراد من التراخي هو مجرّد الترتيب، فظهر أن حقيقة التراخي منتفية بين الإخبارين ضرورة أن الإخبار بالتفصيل وقع عقيب الإخبار بالإحكام. **قوله**: (صفة أخرى لـ ﴿كِتَٰبٌ﴾)، فإنّ ﴿أُحْكِمَتْ﴾ في محل الرفع على أنه صفة لكتاب، فيكون تقدير الكلام: الر كتاب من لدنْ حكيم خبير، وإنْ كان خبرًا بعد خبر يكون التقدير: الر من لدن حكيم خبير، وإنْ كان صلة أي معمولًا لأحد الفعلين من حيث صناعة الإعراب على سبيل التنازع يكون متعلّقًا بهما من حيث المعنى، ويكون المعنى: أحكمها حكيم وفصّلها، أي شرحها وبيّنها خبيرٌ عالم بكيفيّات الأُمور؛ وعلى كلّ تقدير يكون المقصود منه تقرير إحكامها وتفصيلها، فإنه لما وصف مَنْ أنزلها وأحكمها وفصّلها بأنه ربٌّ حكيم، أي مُحكم للأُمور واضع كل شيء موضعه، وبأنه خبير لا يعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري شيءٌ في الملك والملكوت إلّا ويكون عنده خبره، فإنّ الخبير بمعنى العليم، لكن العلم إذا

---

(١) قوله: ولكن في الحال، يحتمل أمرين أن يراد التراخي في الرتبة، فإن التفصيل أقوى من الإحكام، وأن يراد التراخي في الإخبار، فإن الجملة يراد بها مفهومها وقد يُراد بها الإخبار بمفهومها. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣﴾

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ (مفعول له) أي لئلا تعبدوا (أو ﴿وَأَنِ﴾ مفسّرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول) كأنه قيل: قال لا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ أي من الله ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ أي استغفروه من الشِّرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضيَّة من عيشة واسعة ونعمة متتابعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إلى أن يتوفاكم ﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ﴾ ويُعطِ في الآخرة كل مَن كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا (يبخس) منه شيئًا ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ وإن تتولوا ﴿فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤﴾

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ﴾ رجوعكم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ فكان قادرًا على إعادتكم.

أُضيف إلى الخفايا الباطنة يسمّى خبره ويسمّى صاحبه خبيرًا، ولكون الخبير أبلغ من العليم أورد ذكر الخبير بعد ذكر العليم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣].

قوله: (مفعول له) لقوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ﴾ أو ﴿فُصِّلَتۡ﴾ على طريق التنازع.
قوله: (أو ﴿أَنِ﴾ مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول) وأن المفسرة في تقدير القول؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤﴾ [الصَّافات: الآية ١٠٤]، تقدير ناديناه وقلنا يا إبراهيم، ولهذا لا تجيء بعد صريح القول؛ لأن تقدير القول بعد صريحه لا معنى له، وإنما تجيء بعد كلام فيه معنى القول ليدلّ على القول، فكأنه قيل هٰهنا: ثم فصلت من لدنّ حكيم خبير قال: لا تعبدوا إلا الله. **قوله:** (يبخس) يُنقص وبابه قطع.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ (يزورّون) عن الحق وينحرفون عنه لأن مَن أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومَن ازْوَرّ عنه وانحرف (ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه) ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ ليطلبوا الخفاء من الله فلا يطّلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ يتغطون بها أي يريدون الاستخفاء حين يستغشوا ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ [نوح: الآية ٧] ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ أي لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصّلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مُطّلع على ثَنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونِفاقهم غير نافق عنده. قيل: نزلت في المنافقين ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما فيها.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ تفضلًا لا وجوبًا ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾ مكانه من الأرض ومسكنه ﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ حيث كان مودعًا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بُيضة ﴿كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبيّن ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

قوله: (يزورّون) في مختار الصحاح: قد ازْوَرّ عن الشيء ازْوِرارًا أي عدل عنه وانحرف.اهـ. **قوله**: (ثنى عنه صدره) في مختار الصحاح: ثنى الشيء عطفه وبابه رمى وثناه أيضًا كفّه وثناه صرفه عن حاجته.اهـ. قوله: (**وطوى عنه كشحه**) في الصحاح: فلان طوى كشحه إذا أعلا بوده.اهـ. وفي مختار الصحاح: الكَشْح بوزن الفَلْس ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخَلْف وطوَى فلان عني كشحه أي قَطَعني، والكاشح الذي يضمر بك العداوة.اهـ. وفي المصباح: والكاشح الذي يطوي كشحه على العداوة، وقيل: الذي يتباعد عنك.اهـ.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ وما بينهما ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ من الأحد إلى الجمعة تعليمًا للتأني ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السمٰوات والأرض إلا الماء، وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السمٰوات والأرض. قيل: بدأه بخلق ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحًا فأقرّ الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء، وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لأهل الأفكار ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ أي خلق السمٰوات والأرض وما بينهما **(للمُمتَحن فيهما)** ولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ أكثر شكرًا. وعنه عليه السلام «أحسن عقلًا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فمَن شكر وأطاع أثابه ومَن كفر وعصى عاقبه»، ولمّا أشبه ذلك اختبار المختبر قال: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ أي ليفعل بكم ما يفعل المُبتلي لأحوالكم كيف تعملون ﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث، فإذا جعلوه سحرًا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره **(﴿ساحر﴾ حمزة وعلي)** يريدون الرسول والساحر كاذب مُبطِل.

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨﴾

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ﴾ عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ إلى جماعة من الأوقات ﴿مَّعۡدُودَةٖ﴾ معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين معلوم ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾ ما يمنعه من النّزول استعجالًا له على وجه التكذيب والاستهزاء ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ﴾ العذاب ﴿لَيۡسَ﴾ العذاب ﴿مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ﴾ و﴿يَوۡمَ﴾ منصوب بـ ﴿مَصۡرُوفًا﴾ أي ليس العذاب مصروفًا عنهم يوم يأتيهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ وأحاط بهم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ العذاب الذي كانوا به يستعجلون. وإنما وضع ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء.

قوله: **(للممتحن فيهما)**، وفي نسخة صحيحة: ليمتحن فيها. **قوله**: **(﴿ساحر﴾)** على وزن فاعل **(حمزة وعليّ)** الكسائي. والباقون: ﴿سِحۡرٞ﴾ [هود: الآية ٧] بكسر السين وسكون الحاء.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هو للجنس ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة من صحة وأمْن و(جِدَّة). واللام في ﴿لَئِنْ﴾ لتوطئة القَسَم ﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ﴾ ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القَسَم ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المَسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ﴿كَفُورٌ﴾ عظيم الكفران لما سلف له من التقلّب في نعمة الله (نسَّاء) له.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ وسَّعنا عليه النِّعمة بعد الفقر الذي ناله ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ أي المصائب التي ساءتني ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ (أشِر بطِر) ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أذاقه الله من نَعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ في المحنة والبلاء ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ وشكروا في النعمة و(الرخاء) ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ يعني الجنة. كانوا (يقترحون) عليه آيات (تعنّتًا) لا استرشادًا، لأنهم لو كانوا مُسترشِدين لكانت آية

قوله: (جدة) في لسان العرب نقلًا عن التهذيب: يقال: وجدت في الماء وُجْدًا ووَجْدًا ووِجْدًا ووِجْدانًا وجِدَة، أي صرت ذا مال. اهـ. وعبارة المحكم: وجد المال وغيره يجده وجدًا مثلّثة وجدة كعدة استغنى. اهـ. **قوله**: (نَسَّاءٌ) بفتح النون وتشديد السين. في مختار الصحاح: النسيان بكسر النون وسكون السين ضدّ الذّكر والحفظ. اهـ.

قوله: (أشِر) متكبّر بطر. **قوله**: (بطر) بكسر الطاء صفة مشبّهة بُنِيت للمبالغة، أي أشر ومتكبّر. **قوله**: (الرَّخاء) في المصباح: رخي ورخو من بابي تعب وقرب رخاوة ـ بالفتح ـ إذا لانَ، وكذلك العيش رخي ورخوًا إذا اتّسع، فهو رخي على فعيل، والاسم الرخاء. اهـ. **قوله**: (يقترحون) في مختار الصحاح: اقترح عليه شيئًا سأله إيّاه من غير رَويّة. اهـ. **قوله**: (تعنّتًا) في لسان العرب: تعَنَّته تَعَنُّتًا سأله عن شيءٍ أراد به اللَّبس عليه. اهـ.

واحدة مما جاء به كافية في (رشادهم). ومن اقتراحاتهم ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [الفرقان: الآية ٧].

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾

وكانوا لا يعتدّون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله ﷺ أن يُلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه، (فهيّجه) لأداء الرسالة و(طرح المُبالاة) بردِّهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردّهم له وتهاونهم به ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ بأن تتلوه عليهم. (ولم يقل «ضيق») ليدلّ على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام كان (أفسح) الناس صدرًا ولأنه أشكل بـ ﴿تَارِكُۢ﴾ ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾ (مخافة أن يقولوا) ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ هلّا أنزل عليه ما

قوله: (رشادهم) في المصباح: الرشد الصلاح وهو خلاف الغيّ والضّلال وهو إصابة الصواب، ورشد رشدًا من باب تعب ورشد يرشد من باب قتل، فهو راشد والاسم الرّشاد. اهـ.

قوله: (فهيّجه) في المصباح: هاج الشيء هَيَجانًا وهِياجًا بالكسر ثار وهيّجته يتعدّى ولا يتعدّى وهيَّجتُه بالتثقيل مبالغة. اهـ. **قوله:** (طرح) أي ترك. **قوله:** (المبالاة) بالاه وبالى به مبالاةً وبِلاءً وبالةً وبالًا على غير قياس، وأصلهما باليةً وباليًا اهتمّ به واكترث له. **قوله:** (ولم يقل ضيق) بصيغة الصفة المشبّهة... الخ. يعني أن قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقُۢ﴾ عطف على قوله: و﴿تَارِكُۢ﴾، وعدل عن ضيق إليه وإن كان ضيق أكثر منه استعمالًا؛ لأن المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار، بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والعروض؛ فلذلك عدل إلى ما يدلّ عليه، وهو صيغة الفاعل، فإنك إذا أردت السيادة والجواد الثابتين المستقرّين قلت: سيّد وجيد، وإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد، وكذا الفرق بين حاسن وثاقل وسامن، وبين حسن وثقيل وسمين. **قوله:** (أفسح) أشرح. **قوله:** (مخافة أن يقولوا) علّة لقوله: وضائق، حذف وأُقيم المضاف إليه مقامه وأعرب

اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لنصدقه ولِمَ أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه، ولا عليك أن ردّوا أو تهاونوا ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل، فتوكل عليه وكل أمرك إليك، وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير مُلتَفِت إلى استكبارهم ولا مُبالٍ بسفههم واستهزائهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ (﴿أم﴾ منقطعة) ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الضمير لما يُوحَى إليك ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ تحدّاهم أولًا بِعَشْرِ سور ثم بسورة واحدة كما يقول (**المخاير في الخط**) لصاحبه: اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب. فإذا تبيَّن له العجز عن ذلك قال: اقتصرت منك على سطر واحد ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ في الحسن و(**الجزالة**). ومعنى ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ أمثاله (ذهابًا) إلى مماثلة كل واحدة منها له ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ صفة لـ «عشر سور». لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله، أرخى معهم العنان وقال: (هبوا) أني (**اختلقته**) من عند نفسي فأتوا أنتم أيضًا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنه مُفترى.

إعرابه محلًا وضمير ﴿بِهِۦ﴾ يعود على ﴿بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ﴾. وقيل: مبهم تفسيره ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾.

قوله: (﴿أم﴾ منقطعة) فيقدّر ببل والهمزة، أي بل أيقولون. **قوله**: (**المخاير في الخطّ**) في تاج العروس من جواهر القاموس: خايره في الخط مخايرةً غلبه.اهـ. **قوله**: (**الجزالة**) أي الفصاحة. **قوله**: (ذهابًا)... الخ. مفعول له يعني وضع الله مثله موضع أمثاله ليدلّ على إفراد المعدود واحدًا واحدًا. **قوله**: (هَبُوا) في القاموس: هَبْني فعلت كذا، أي احسبني واعْدُدْني كلمة للأمر فقط.اهـ. لا يستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في هذا المعنى، تقول في تصريفه: هَبْ هَبَا هَبُوا هَبِي هَبَا هَبْنَ. **قوله**: (اختلقته) افتريته.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي أنزل ملتبسًا بما لا يعلمه إلا الله من نظم مُعجِز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليها، واعلموا عند ذلك أن لا إلٰه إلا الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم، وإنما جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله: ﴿لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ﴾ بعد قوله: ﴿قُلْ﴾ لأن الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ، أو لأن رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يحدّثونهم، أو لأن الخطاب للمشركين. والضمير في ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ لمَن استطعتم أي فإن لم يستجب لكم مَن تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي بإذنه أو بأمره ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مُتبِعون للإسلام بعد هذه الحجة القاطعة. ومَن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقينًا على أنه مُنزَّل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير (بخس) في الدنيا، وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق، وهم الكفَّار أو المنافقون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم أي لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي كان عملهم في نفسه باطلًا لأنه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لا ثواب له.

قوله: (بخس) أي نقص.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ **(أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بيّنة من ربّه)** أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يعني أن بين الفريقين تبيانًا بيّنًا وأراد بهم مَن آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، كان على بيّنة من ربه أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حقٌّ وهو دليل العقل ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ **(ويتبع ذلك البرهان)** ﴿شَاهِدٌ﴾ يشهد بصحته وهو القرآن ﴿مِّنْهُ﴾ من الله أو من القرآن فقد مرَّ ذكره آنفًا ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ ومن قبل القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان أيضًا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام ﴿إِمَامًا﴾ كتابًا مؤتمًّا به في الدين قدوة له ﴿وَرَحْمَةً﴾ ونعمة عظيمة على المنزل إليهم وهما حالان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي مَن كان على بيّنة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ يعني أهل مكة **(ومَن ضامَّهم)** من المتحزّبين على رسول الله ﷺ ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ مصيره ومورده ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّنْهُ﴾ من القرآن أو من الموعد ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: (أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بيّنة من ربّه)... الخ. في الكشاف: أفمن كان على بيّنة، معناه: أمّن كان يريد الحياة الدنيا، فمن كان على بيّنة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم، يريد أن بين الفريقين تفاوتًا بعيدًا وتباينًا بيّنًا، وأراد بهم مَنْ آمَنَ مِنَ اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره كان على بيّنة، إلى هنا كلامه. يعني أن الفاء يستدعي معطوفًا عليه وهو مقدّر هٰهنا، تقديره: أمّن كان فمن كان، ولا بدّ من تقدير فعل ليصح المعنى، أي أيذكر أُولئك فيذكر هؤلاء أو يقال فيقال، والهمزة لإنكار هذا التعقيب، وإليه الإشارة بقوله: أي لا يعقّبونهم ولا يُقاربونهم. **قوله**: (ويتبع ذلك البرهان) أي يتلو من التلو بمعنى التبع لا بمعنى التلاوة. في المصباح: تلوت الرجل أتلوه تلوًّا على فعول تبعته، فأنا له تالٍ وتلوًّا أيضًا وزان حمل وتلوت القرآن تلاوة. **قوله**: (ومن ضامّهم) في مختار الصحاح: ضمّ الشيء إلى الشيء فانضمّ إليه، وبابه ردّ وضامّه وتضامّ القوم انضمّ بعضهم إلى بعض. اهـ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ **(يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم)** ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدًا وشريكًا ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكاذبين على ربهم، والأشهاد جمع شاهد كأصحاب وصاحب أو شهيد كشريف وأشراف ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يصرفون الناس عن دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ **(يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد)** ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ **(﴿هُمْ﴾ الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به)**.

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟﴾ أي ما كانوا ﴿مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بمعجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ﴾ لأنهم أضلّوا الناس عن دين الله.

قوله: (يُحبسون في الموقف وتُعرض أعمالهم) إشارة إلى أنه تعالى ليس في مكان حتى يعرضون عليه، وأنّ المراد عرضهم على الموقف المقدّر للحساب والسؤال وحبسهم فيه إلى أن يقضي الله عزّ وجلّ بين العباد. **قوله**: **(يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهلها أن يَعوجّوا بالارتداد)** فسّر طلب العوج لسبيل الله أوّلًا بوصفهم إيّاها بالانحراف عن الحقّ بطريق إطلاق اسم السبب على المسبّب، وثانيًا بطلب العوج لأهلها على حذف المضاف. **قوله**: **(﴿هُمْ﴾ الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به)** أمّا التأكيد، فمن تكريرهم، فإنّ تكرير المسند إليه يفيد تأكيد شأنه في الاتّصاف بمضمون الخبر. وأمّا الاختصاص، فلتقديم ﴿هُمْ﴾ على الكافرين، كما لو قال: هم يكفرون.

(﴿يُضَعَّف﴾ مكي وشامي) ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ أي استماع الحق ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ الحق.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من الآلهة وشفاعتها ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (بالصَّدّ والصدود) وفي لا جرم أقوال أحدها أن لا ردّ لكلام سابق أي ليس الأمر كما زعموا، ومعنى ﴿جَرَمَ﴾ كسب وفاعله مُضمَر و﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في محل النصب والتقدير: كسب قولهم خسرانهم في الآخرة، وثانيها أن ﴿لَا جَرَمَ﴾ كلمتان ركبتا فصار معناهما حقًّا و«أن» في موضع رفع بأنه فاعل لحقَّ أي حق خسرانهم، وثالثها أن معناه (لا محالة).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع (من الخبت وهي الأرض المطمئنة) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ

قوله: (﴿يُضَعَّف﴾) بالتشديد والقصر (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي.

قوله: (بالصدّ والصدود) في مختار الصحاح: صدّ عنه يَصُدُّ بالضمّ صُدودًا أعرض وصدّه عن الأمر منعه وصرفه من باب ردّ. اهـ. **قوله**: (لا محالة) أي لا بدّ، أي لا فراق أنهم في الآخرة هم الأخسرون.

قوله: (من الخبت) يعني أن الإخبات أصله نزول الخبت، وهو المنخفض من الأرض، فأطلق على الخشوع واطمئنان النفس استعارة تشبيهًا للمعقول بالمحسوس، ثم صار حقيقةً شرعيّة فيه. **قوله**: (وهي الأرض المطمئنة) المنخفضة والمتسفلة.

﴿ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ يعني الفريقين ﴿مَثَلًا﴾ تشبيهًا وهو نصب على التمييز ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ فتنتفعون بضرب المثل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي بأني والمعنى أرسلناه (ملتبسًا بهذا الكلام) وهو قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بالكسر فلما اتصل به الجار فتح له كما فتح في «كأن»، (والمعنى على الكسر وبكسر الألف شامي ونافع وعاصم وحمزة على إرادة القول) ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ «أن» مفسّرة متعلقة بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ ﴿نَذِيرٌ﴾، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ يريد الأشراف لأنهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس (أبّهة)، أو لأنهم ملئوا (بالأحلام) والآراء الصائبة ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا

قوله: (ملتبسًا بهذا الكلام)... الخ. جعل الجار والمجرور حالًا من المفعول، وإنما قال: (والمعنى على الكسر)؛ لأن قوله: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ في الأصل مقول والكسر لازم بعد القول، فاتّصل به الجار فغيّر اللفظ دون المعنى؛ كما في قولك: كأن زيدًا أسد، والأصل إنَّ زيدًا كالأسد، فنقل الكاف ففتح الهمزة. **قوله**: (وبكسر الألف شامي) أي ابن عامر الشامي، (ونافع وعاصم وحمزة) الكسائي (على إرادة القول) أي على إضمار القول، والتقدير: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ فقال لهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، أي مخوّف مبين، أي مظهر ذلك الإنذار على أكمل طريقة. وقرأ الباقون بالفتح على إضمار حرف الجرّ.

قوله: (أبهة) في محيط المحيط: الأُبّهة والأُبَهَة العظمة والبهجة والكِبْر والنّخوة.اهـ. **قوله**: (بالأحلام) أي العقول.

﴿مِّثْلَنَا﴾ أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملِكًا أو ملَكًا ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ (أخسّاؤنا جمع الأرذل) ﴿بَادِيَ﴾ (وبالهمزة): أبو عمرو ﴿ٱلرَّأْيِ﴾ (وبغير همز: أبو عمرو) أي اتبعوك ظاهر الرأي، أو أول الرأي من بَدَا يبدو إذا أظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشيء أولًا، وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم، فحذف ذلك وأُقيم المضاف إليه مقامه، أرادوا أن اتباعهم لك شيء (عَنَّ لهم بديهة) من غير (رَوِيّة) ونظر ولو تفكّروا ما اتبعوك. وإنّما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخّرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهّالًا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا، فكان الأشرف عندهم مَن له جاه ومال كما ترى (أكثر المُتَسمين بالإسلام) يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم، ولقد (زلّ) عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرّب أبدًا من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ في مال ورأي عنَوا نوحًا وأتباعه ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ أي نوحًا في الدعوة ومُتَّبِعِيه في الإجابة والتصديق يعني تواطأتم على الدعوة والإجابة تسبيبًا للرياسة.

قوله: (أخسّاؤنا) الإخساء جمع خسيس مثل نبيّ وأنبياء. قوله: (جمع الأرذل) بفتح الهمزة؛ كقوله تعالى: ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٢٣]، وقوله ﷺ: «أحاسنكم أخلاقًا»، أو جمع أَرْذُل بضم الذال جمع رذل بسكونها نحو كلب وأَكْلُب وأكالب. قوله: (وبالهمزة) أي بهمزة مفتوحة بعد الدال (أبو عمرو). وقرأ الباقون بياء مفتوحة. قوله: (وبغير همز: أبو عمرو) أي أبدل همزة الرأي أي ألفًا وقفًا ووصلًا. قوله: (عنَّ لهم) في مختار الصحاح: عنَّ له كذا يَعُنُّ بضم العين وكسرها عَنَنًا، أي علا واعترض. اهـ.

قوله: (بديهة) في مختار الصحاح: بدَهَه أمر فجأه وبابه قطع، وبدهه بأمر إذا استقبله به، وبادهه فاجأه، والاسم البداهة والبديهة. اهـ. قوله: (رويّة) الروية الفكر والتدبّر، وهي كلمة جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفًا، وهي من روَّأت في الأمر بالهمز إذا نظرت فيه. اهـ مصباح. قوله: (أكثر المتّسمين بالإسلام) في مختار الصحاح: اتّسم الرجل جعل لنفسه سِمَةً يُعْرَف بها. اهـ. قوله: (زَلَّ) تنحّى.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ برهان ﴿مِّن رَّبِّي﴾ وشاهد منه يشهد بصحة دعواي ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ يعني النبوّة ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ ـ ﴿فَعَمِيَتْ﴾ ـ أي خفيت (﴿فَعُمِّيَتۡ﴾: حمزة وعلي وحفص) أي أخفيت أي فعميت عليكم البيّنة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هادٍ، وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي الرحمة ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ لا تريدونها، والواو دخلت هنا تتمة للميم. **(وعن أبي عمرو إسكان الميم، ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونًا وهو لحن، لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر).**

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ على تبليغ الرسالة لأنه مدلول قوله: ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ﴾ ﴿مَالًا﴾ أجرًا يثقل عليكم إن أدّيتم أو عليّ إن أبيتم

قوله: (﴿فَعُمِّيَتۡ﴾) بضم العين وتشديد الميم على ما لم يُسمّ فاعله، (حمزة وعلي) الكسائي (وحفص)، وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم مبنيًا للفاعل.
قوله: (وعن أبي عمرو إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة، فظنّها الراوي سكونًا وهو لحن؛ لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر) عبارة تفسير النيسابوري: ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾، باختلاس ضمّة الميم عباس. اهـ.

فائــدة:

الثابت من الحركة أكثر من الذاهب في الاختلاس، وذلك أن يأتي بتثليثها.

(﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ مدني وشامي وأبو عمرو وحفص) ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به (أنفة) من المجالسة معهم ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ فيشكونني إليه إن طردتهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل، أو تجهلون لقاء ربكم أو أنهم خير منكم ﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ مَن يمنعني من انتقامه ﴿إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ فأدعي فضلًا عليكم بالغِنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ حتى أطَّلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم، وهو معطوف على ﴿عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتى تقولوا لي ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ ولا أحكم على مَن استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ﴾ في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه مساعدة لكم ونزولًا على هواكم ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ﴾ من صدق الاعتقاد وإنما عَلَيَّ قبول ظاهر إقرارهم إذ لا أطّلع على خفي أسرارهم ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن قلت شيئًا من ذلك. والازدراء افتعال (من زرى عليه) إذا عابه (وأصله تزتري فأبدلت التاء) دالًا.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في وعدك ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ أي

قوله: (﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾) بفتح الياء (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو عمرو وحفص). والباقون بسكون الياء. **قوله**: (أنفَة) بفتحتين، في المصباح: أنِفَ من الشيء أنفًا من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبة، أي استنكف وهو الاستكبار. اهـ. **قوله**: (من زرى عليه) في المصباح: ذرى عليه ذريًا من باب رمى، وزرية وزراية ـ بالكسر ـ عابه واستهزأ به. اهـ. **قوله**: (وأصله تزتري فأبدلت التاء) دالًا لتجانس الزاي في الجهر، فإن التاء مهموسة.

ليس الإتيان بالعذاب إليّ وإنما هو إلى مَن كفرتم به ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لم تقدروا على الهرب منه.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ هو إعلام موضع الغيّ ليتقي والرشد ليقتفي (﴿وَلَٰكِنِّىٓ﴾ ﴿إِنِّىٓ﴾ ﴿نُصْحِىٓ﴾ مدني وأبو عمرو). ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ أي يضلّكم، وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقدَّمًا في الحكم لما عرف. تقديره: إن كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم، وهو دليل بيِّن لنا في إرادة المعاصي ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ فيتصرف فيكم على قضية إرادته ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيُجازيكم على أعمالكم ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ بل أيقولون افتراه ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ أي إن صحّ أني افتريته فعليّ عقوبة إجرامي أي افترائي. يقال أجرم الرجل إذا أذنب ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ﴾ أي ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه. ومعنى ﴿مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ فلا وجه لإعراضكم ومُعاداتكم.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ إقناط من إيمانهم وأنه غير متوقّع، وفي دليل على أن للإيمان حكم التجدّد كأنه قال: إن الذي آمن يؤمن في حادث الوقت، وعلى ذلك تخرج الزيادة التي ذكرت في الإيمان بالقرآن

قوله: (﴿وَلَٰكِنِّىٓ﴾) أراكم (﴿إِنِّىٓ﴾) أراكم (﴿نُصْحِىٓ﴾) إن أردت بالفتح[1] (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، (وأبو عمرو).

(١) أي بفتح ياء الإضافة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فلا تحزن حزن بائس (مستكين)، والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر، والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ هو في موضع الحال أي اصنعها محفوظًا وحقيقته مُلتبِسًا بأعيننا كأن الله معه أعينًا (تكلؤه) من أن يزيغ في صنعته عن الصواب ﴿وَوَحۡيِنَا﴾ وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع. عن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل (جؤجؤ الطير) ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ محكوم عليهم بالإغراق وقد قضى به وجفَّ القلم فلا سبيل إلى كفّه.

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ من عمله السفينة وكان يعملها في برية في أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له: يا نوح صرت بحّارًا بعدما كنت نبيًّا ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ عند رؤية الهلاك ﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ منا عند رؤية الفلك. رُوِيَ أن نوحًا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب (الساج) في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو ألفًا ومائتي ذراع وعرضها خمسون ذراعًا أو ستمائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعًا، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسّباع و(الهوام)، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب نوح ومَن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزّاد، وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزًا بين الرجال والنساء.

قوله: (مستكين) أي خاضع وذليل. **قوله**: (تكلؤه) تحفظه. **قوله**: (جُؤْجُؤ الطير) الجُؤْجُؤ الصدر. اهـ لسان العرب.

قوله: (الساج) وهو شجر عظيم يكثر في الهند. **قوله**: (الهوام) في المصباح: الهامّة ما له سمّ يقتل كالحية، قاله الأزهريّ. والجمع الهوامّ مثل دابة ودوابّ، وقد تُطلق على ما لا يقتل كالحشرات. اهـ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ﴾ «من» في محل نصب بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي فسوف تعلمون الذي يأتيه ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ وينزل عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ وهو عذاب الآخرة.

﴿حَتَّىٰ﴾ هي التي يبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد، ومابينهما من الكلام حال من ﴿يَصْنَعُ﴾ أي يصنعها والحال أنه كلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه، وجواب ﴿كُلَّمَا﴾ ﴿سَخِرُوا﴾ ﴿وَقَالَ﴾ استئناف على تقدير سؤال سائل، أو ﴿قَالَ﴾ جواب و﴿سَخِرُوا﴾ بدل من ﴿مَرَّ﴾ أو صفة لـ ﴿مَلَأٌ﴾ ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ هو كناية عن اشتدادِ الأمر وصعوبته. وقيل: معناه (جاش) الماء من تنّور الخبز، وكان من حجر لحوّاء فصار إلى نوح عليه السلام. وقيل: التنّور وجه الأرض ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ في السفينة (﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾) تفسيره (في سورة «المؤمنين») ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ عطف على ﴿اثْنَيْنِ﴾ وكذا ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم، واستثنى من أهله مَن سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وإرادته جلّ خالق العباد عن أن يقع في الكون خلاف ما أراد. ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال عليه السلام: «كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم»، وقيل: كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة. وقيل:

قوله: (جاش) في المصباح: جاشت القدر تجيش جيشًا غلت. اهـ. **قوله**: (﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾) تفسيره (في سورة المؤمنون) قال المصنف رحمة الله عليه في تفسير سورة المؤمنون: (﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾) من كل أمتين زوجين، وهما أمة الذّكر وأمّة الأنثى، كالجِمال والنُّوق والحُصُن[1] والرِّماك[2] (﴿اثْنَيْنِ﴾)

---

(١) جمع حصان.
(٢) جمع رمكه.

كانوا اثنين وسبعين ـ رجالًا ـ ونساءً ـ وأولاد نوح: (سام وحام ويافث) ونساؤهم، فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ متصل بـ ﴿ٱرْكَبُواْ﴾ حالًا من الواو أي اركبوا فيها مُسَمِّين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها، إما لأن المجرى والمرسى للوقت، وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم: («خفوق النجم»)، ويجوز أن يكون ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهي مبتدأ وخبر يعني أن نوحًا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أي باسم الله إجراؤها وإرساؤها، وكان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجَرَت، وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرَسَت: ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ (بفتح الميم وكسر الراء) من جرى إما مصدر أو وقت: حمزة وعلي وحفص، (وبضم الميم وكسر الراء): أبو عمرو، والباقون: بضم الميم وفتح الراء ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ لمَن آمن منهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث خلّصهم.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ متصل بمحذوف دلَّ عليه ﴿ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ كأنه قيل: فركبوا فيها يقولون بسم وهي تجري بهم أي السفينة تجري وهم فيها ﴿فِى

واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحِصان والرَّمَكة، رُوِيَ أنه لم يحمل إلا ما يلدُ ويبيض من ﴿كُلٍّ﴾ حفص والمفضل، أي من كل أُمّة زوجين اثنين واثنين تأكيد وزيادةَ بيان، انتهى بحروفه. **قوله**: (سام وحام ويافث) بمنع الصرف للعلمية والعُجْمة.

قوله: (خفوق النَّجم) أي طلوعه أو غروبه، فهو من الأضداد. **قوله**: (بفتح الميم وكسر الراء) للإمالة. **قوله**: (وبضمّ الميم وكسر الراء) للإمالة من أجرى.

﴿مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة في خلاله، شبَّه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ كنعان. وقيل: يام. والجمهور على أنه ابنه الصلبي. وقيل: كان ابن امرأته ﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ عن أبيه وعن السفينة «مفعل» عن عزله عنه إذا نحّاه وأبعدَه أو في معزِل عن دين أبيه (﴿يَٰبُنَيَّ﴾) بفتح الياء: عاصم، اقتصارًا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة من قولك: «يا بنيا». غيره بكسر الياء اقتصارًا عليه. من ياء الإضافة ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ في السفينة أي أسلم واركب ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ﴾ ألجأ ﴿إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ يمنعني من الغرق ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ إلا الراحم وهو الله تعالى، أو لا عاصِم اليوم من الطوفان إلا مَن رحم الله أي إلا مكان مَن رحم الله من المؤمنين، وذلك أنه لمّا جعل الجبل عاصمًا من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قطّ من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان مَن رحمهم الله ونجّاهم يعني السفينة، أو هو استثناء منقطع كأنه قيل: ولكن مَن رحمه الله فهو المعصوم كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: الآية ١٥٧]، ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾ بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ فصار أو فكان في علم الله.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ انشفي وتشرّبي، والبلع: (النشف) ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ أمسِكي ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ نقص من غاضه إذا نقصه وهو لازم ومُتعَدٍّ ﴿وَقُضِيَ

قوله: (﴿يَٰبُنَيَّ﴾) وذلك لأن أصل ابن بنو صغِّر على بنيو، فاجتمعت الواو والياء وسبقت أحدهما بالسكون قلبت الواو ياء وأُدغمت فيها، ثم لحقها ياء الإضافة، فاستثقل اجتماعها مع الكسرة، فقُلِبت ألفًا ثم حذفت الألف اجتزاءً عنها بالفتحة.

قوله: (النّشف) في مختار الصِّحاح: نَشِف الثوبُ والعَرَق ونَشِف الحوض الماء شربه وبابه فهم.اهـ.

﴿ٱلۡأَمۡرُ﴾ وأنجز ما وعد الله نوحًا من إهلاك قومه ﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ واستقرت السفينة بعد أن طافت الأرض كلها ستة أشهر ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ وهو جبل بـ **(الموصل)** ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي سحقًا لقوم نوح الذين غرقوا. **(يقال: بعد بعدًا وبَعَدًا إذا أرادوا البُعد البعيد)** من حيث الهلاك والموت ولذلك خُصَّ بدعاء السوء.

والنظر في هذه الآية من أربع جهات: من جهة **(علم البيان)** وهو النظر فيما فيها **(من المجاز والاستعارة والكناية)** وما يتصل بها فنقول: إن الله تعالى لمّا أراد

قوله: **(الموصل)** مثل مسجد بلد معروف، وهو على دجلة من الجانب الغربي. **قوله**: (يقال: بعد) من باب علم **(بعدًا)** بضمّ الباء وسكون العين **(وبَعَدًا)** بفتحتين **(إذا أرادوا البُعد البعيد)**[1] من قبيل ظلّ ظليل. **قوله**: **(علم البيان)** علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه. اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. **قوله**: (من **المجاز والاستعارة**) المجاز اسم لما أُريد به غير ما وُضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسدًا وهو مفعل بمعنى فاعل من جاز إذا تعدّى كالمولى بمعنى الوالي سُمّي به لأنه متعدٍّ من محل الحقيقة إلى محل المجاز، قوله: لمناسبة بينهما احترز به عمّا اسْتُعمل في غير ما وضع له لا لمناسبته، فإنّ ذلك لا يُسمّى مجازًا، بل كان مرتجلًا أو خطأً، والمجاز إمّا مرسل أو استعارة؛ لأن العلاقة المصحّحة له إمّا أن تكون مشابهة المنقول إليه بالمنقول عنه في شيء. وإمّا أن تكون غيرها، فإنْ كان الأوّل يسمى المجاز استعارة كلفظ الأسد إذا استُعمل في الشجاع، وإنْ كان الثاني فيسمّى مرسلًا كلفظ اليد إذا استعمل في النّعمة، كما يقال: جلت أياديه عندي أي كثرت نعمه لديّ، واليد في اللغة العضو المخصوص، والعلاقة كون ذلك العضو مصدرًا للنّعمة، فإنّها تصل إلى المُنعم عليه من اليد. والفرق بين المعنيَيْن أنّ الاستعارة في الأوّل اسم للفظ المنقول، وفي الثاني للنقل، وعلى الثاني يسمّى المشبّه به وهو الحيوان المفترس مستعارًا منه، والمشبّه وهو الشجاع مستعارًا له، واللفظ هو لفظ الأسد مستعارًا، والمتلفّظ وهو المستعمل للفظ الأسد في الشجاع مستعير، ووجه الشبه وهو الشجاعة ما به الاستعارة، ولا تصح هذه الاشتقاقات في الاستعارة بالمعنى الأوّل، وهو الظاهر. اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. **قوله**: **(والكناية)** الكناية عند علماء

---

(١) وصف البعد بكونه بعيدًا للمبالغة كجد جده. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أن يبيِّن (معنى أردنا) أن نردّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدّ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغِيضَ، وأن نقضي أمر نوح وهو إنجاز ما كنّا وعدناه من إغراق قومه فقضي، وأن نسوِّي السفينة على الجودي فاستوت، وأبقينا الظلمة غرقى، (بُنِي الكلام) على تشبيه المراد بالأمر الذي لا يتأتى منه لكمال (هيبةِ) العصيان، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ (في تكوّن المقصود) تصويرًا لاقتداره العظيم، وأن السمٰوات والأرض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة لإرادته فيها تغييرًا وتبديلًا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته، وأحاطوا علمًا بوجوب الانقياد لأمره (والإذعان) لحكمه (وتحتّم) بذل المجهود عليه في تحصيل مراده. ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عزَّ وجل: ﴿وَقِيلَ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ ثم قال مخاطبًا لها: ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو أعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي، ثم استعار الماء للغذاء تشبيهًا له بالغذاء لتقوى الأرض بالماء في الإنبات كتقوي الآكل بالطعام، ثم قال: ﴿مَآءَكِ﴾ بإضافة الماء إلى الأرضِ على سبيل المجاز لاتصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالِك، ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم التأني، ثم قال: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا﴾ ولم يصرِّح بمَن أغاض الماءَ ولا بمَن قضى الأمر، وسوى السفينة وقال بُعدًا، كما لم يصرِّح بقائل ﴿يَٰٓأَرۡضُ﴾ ﴿وَيَٰسَمَآءُ﴾ سلوكًا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية، وأن تلك الأمور العِظام لا تكون إلا بفِعل فاعل قادر وتكوين مُكَوِّن قاهر، وأن فاعلها

البيان هي أن يعبّر عن شيء لفظًا كان أو معنى بلفظ غير صريح في الدّلالة عليه لغرضٍ من الأغراض كالإبهام على السامع، نحو: جاء فلان، أو لنوع فصاحة، نحو: فلان كثير الرماد، أي كثير القرى.اهـ تعريفات للسيد الشريف رحمه الله. **قوله**: (معنى أردنا) أي هذا الكلام، وهو أردنا. **قوله**: (بني الكلام) جواب لما. **قوله**: (هيبةِ) أي هيبة المأمور من الأمر. **قوله**: (في تكوّن المقصود) أي في حصوله ووجوده. **قوله**: (والإذعان) أي الطاعة. **قوله**: (وتحتم) عطف على وجوب.

واحد لا يُشارك في فِعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، ولا أن يكون الغائض والقاضي والمُسَوِّي غيره. ثم ختم الكلام (بالتعريض) تنبيهًا لسالِكِي مَسلكهم في تكذيب الرُسُل ظلمًا لأنفسهم، إظهارًا لمكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم.

ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها، وذلك أنه اختير «يا» دون أخواتها لكونها أكثر استعمالًا، ولدلالتها على بُعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة والملكوت وإبداء العزَّة والجبروت، وهو تبعيد المنادى (المؤذن) بالتهاون به، ولم يقل: «يا أرضي» لزيادة التهاون إذ الإضافة تستدعي القُرب، ولم يقل: «يا أيتها الأرض» للاختصار. (واختير لفظ الأرض والسماء) لكونهما أخفّ (وأدور)، واختير ﴿ٱبْلَعِي﴾ على «ابتلعي» لكونه أخصر وللتجانس بينه وبين ﴿أَقْلِعِي﴾، وقيل: ﴿أَقْلِعِي﴾ ولم يقل: «عن المطر»، وكذا لم يقل: «يا أرض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء أقلعي فأقلعت» اختصارًا، (واختير ﴿وَغِيضَ﴾ على «غُيّض» وقيل: ﴿ٱلْمَآءُ﴾ دون أن يقول: «ماء الطوفان» و﴿ٱلْأَمْرُ﴾) ولم يقل «أمر نوح وقومه» لقصد الاختيار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك، ولم يقل: «وسوِّيت على الجودي» أي أقرّت على نحو: ﴿قِيلَ﴾ ﴿وَغِيضَ﴾ اعتبارًا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ إرادة للمطابقة، ثم قيل: ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ﴾ ولم يقل («ليبعد) القوم» (طلبًا للتوكيد) مع الاختصار. هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم، وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل، فذلك أنه قدَّم النداء على الأمر: فـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ ولم يقل: «ابلَعِي يا أرض وأقلعي يا سماء» جريًا على مقتضى الكلام فيم كان مأمورًا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى

قوله: (بالتعريض) لسائر الظلمة. قوله: (المؤذن) صفة تبعيد المنادي. قوله: (واختير لفظ الأرض والسماء) دون سائر الأسماء كالغبراء والخضراء مثلًا. قوله: (وأدور) على ألسنة الفُصَحاء. قوله: (واختير ﴿وَغِيضَ﴾ على غُيّض، وقيل: ﴿ٱلْمَآءُ﴾ دون أن يقال ماء الطوفان و﴿ٱلْأَمْرُ﴾) أي ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ ولم يقل: أمر نوح وقومه لقصد الاختصار. قوله: (ليبعد) من بَعِد ـ بكسر العين ـ في الماضي وفتحها في المستقبل. قوله: (طلبًا للتوكيد)؛ وذلك لأن قوله بعدًا مصدر

قصدًا بذلك (لمعنى الترشيح)، ثم قدّم أمر الأرض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها، ثم أتبع ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ لاتصاله بقصة الماء (وأخذه بحجزتها)، ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي أنجز الموعود من إهلاك الكَفَرَة وإنجاء نوح ومَن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر.

ومن جهة الفصاحة المعنوية وهي كما ترى نظم للمعاني لطيف، وتأدية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثّر الفكر في طلب المراد، (ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد). ومن جهة الفصاحة اللفظية، فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة، سليمة عن التنافر، بعيدة عن (البشاعة)، عذبة على (العذبات)، سَلِسَة على (الأسلات)، كلٌّ منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرِّقَّة، ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية، ولله (درّ) شأن التنزيل لا يتأمل العامل آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، ولا تظننَّ الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ﴾ نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله: ﴿رَبِّ﴾ مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ أي بعض أهلي لأنه كان

وإظهار المصدر يدلّ على التأكيد، نحو ضربت ضربًا. **قوله**: (لمعنى الترشيح) الاستعارة الترشيحيّة هي إثبات ملائم المشبّه به للمشبّه. اهـ تعريفات. **قوله**: (وأخذه بحجزتها) أي بحجزة قصة الماء استعارة عن شدّة الاتّصال من حجزة الإزار. في المصباح: حجزة الإزار معقده وحجزة السراويل مجمع شدّه، والجمع حُجَز مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله**: (ولا التواء) أي الاعوجاج (يشيك الطريق) أي يجعلها ذا شوك (إلى المرتاد) أي المطلوب. **قوله**: (البشاعة) الكراهة. **قوله**: (العَذَبات) جمع عذبة، وهي طرف اللسان مثل قصبة وقصبات، كذا في المصباح. **قوله**: (الأسَلات) جمع أسَلة، وهي طرف اللّسان؛ كذا في لسان العرب. **قوله**: (دَرّ) أي خير.

ابنه من صلبه أو كان ربيبًا له فهو بعض أهله ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ وإن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به، وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي أعلم الحكّام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل، ورُبَّ غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة، ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ ثم علّل لانتفاء كونِهِ من أهله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ وفيه إيذان بأن قرابة الدين (غامرة) لقرابة النسب، (وإن نسيبك في دينك وإن كان حبشيًا وكنت قرشيًا لصيقك)، ومَن لم يكن على دينك وإن كان أمسّ أقاربك رحمًا فهو أبعد بعيد منك، وجعلت ذاته عملًا غير صالح مبالغة في ذمّه (كقولها:

فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار)

أو التقدير: إنه ذو عمل، وفيه إشعار بأنه إنما أنجى مَن أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهله، وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أُبوّته. (﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ علي) قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه لأنه كان ينافق وإلا لا يحتمل أن يقول: ﴿ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ ويسأله نجاته، وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم

قوله: (غامرة) في المصباح: غمره البحر غمرًا من باب قتل علاه، وأيضًا فيه: غمرته أغمره سترته أستره وزنًا ومعنًى. اهـ. **قوله**: (وإن نسيبك في دينك) ومعتقدك من الأباعد في المنصب (وإن كان حبشيًا وكنت قرشيًا لصيقك) وخصيصك. **قوله**: (كقولها:

فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار)

أي كقول الخنساء، وهي امرأة من فُصحاء الجاهلية تصف ناقة فقدت ولدها بنحر أو موت أو ندّ ترعى إذ غفلت حتى إذا ادّكرت، فإنما هي إقبال وإدبار، كأنها نفس الإقبال والإدبار.

قوله: (﴿عَمِلَ﴾) بكسر الميم ونصب اللام بغير تنوين (﴿غَيْرَ صَٰلِحٍ﴾) بنصب الراء على أنه نعت لمصدر محذوف، والمعنى أن ابنك عمل عملًا غير صالح أشرك وكذب (علي) الكسائي. والباقون بفتح الميم ورفع اللامِ منوّنة ورفع الراء.

﴿مُّغْرَقُونَ﴾ فكان يسأله على الظاهر الذي عنده كما كان أهل النفاق يُظهِرون الموافقة لنبيِّنا عليه السلام ويُضمِرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه عليه، وقوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر (﴿فَلَا تَسْئَلْنِ﴾ اجتزأ بالكسرة عن الياء: كوفي ﴿تسألني﴾ بصري ﴿تسألنِّي﴾ مدني ﴿تسألنِّ﴾ شامي فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد ﴿تسألنَّ﴾ مكّي) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بجواز مسألته ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ هو كما نهى رسولنا بقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٣٥].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدّبًا بأدبك واتّعاظًا بموعظتك ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ بالعصمة عن العَوْد إلى مثله ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ بتحية منّا أو بسلامة من الغرق ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾ هي الخيرات النامية وهي في حقه بكثرة ذرِّيَّته وأتباعه، فقد جعل أكثر الأنبياء من ذريّته وأئمة الدين في القرون الباقية من نسله ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ «من» (للبيان)، فتُراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات، أو قيل لهم أُمم لأن الأُمم تتشعب منهم، أو لابتداء الغاية أي على أُمم ناشئة ممن معك وهي الأُمم إلى آخر الدهر وهو الوجه ﴿وَأُمَمٌ﴾ رفع بالابتداء ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا

قوله: (﴿فَلَا تَسْئَلْنِ﴾) بسكون اللام وتخفيف النون وكسرها بدون الياء (اجتزأ بالكسرة عن الياء، كوفي). **قوله**: (﴿تسألني﴾) بسكون اللام وتخفيف النون وكسرها بإثبات الياء (بصري). **قوله**: (﴿تسألنّي﴾) بفتح اللام وتشديد النون المكسورة بإثبات الياء (مدني). **قوله**: (﴿تسألنِّ﴾) بفتح اللام وتشديد النون المكسورة من غير إثبات الياء بعدها (شامي، فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد). **قوله**: (﴿تسألنَّ﴾) بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة (مكّي).

قوله: (للبيان) أي لبيان الجنس.

بالسعة في الرزق (والخفض في العيش) صفة والخبر محذوف تقديره. وممَّن معك أُمم سنمتِّعهم، وإنما حذف لأن ﴿وَمِمَّن مَّعَكَ﴾ يدل عليه ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي في الآخرة، والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أُمم مؤمنين ينشؤون ممّن معك. وممَّن معك أُمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار، وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء، (والخلق بعد الطوفان) منه (وممَن كان معه في السفينة)، وعن (محمد بن كعب): دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهي ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب مُوحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك ﴿مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ الوقت أو من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها ﴿فَاصْبِرْ﴾ على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح، وتوقع في العاقبة لك ولمَن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ في الفوز والنصر والغلبة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشِّرك.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ واحدًا منهم، وانتصابه للعطف على ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم ﴿هُودًا﴾ عطف بيان ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿مَا

قوله: (والخفض في العيش) في المصباح: وهو في خفضٍ من العيش، أي في سعة وراحة.اهـ. **قوله**: (والخلق) الحادث (بعد الطوفان) نشأ منه (وممَن كان معه في السفينة).

قوله: (محمد بن كعب) بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي المدني، وكان قد نزل الكوفة مُدّة، ثقة عالم، وُلد سنة أربعين على الصحيح، ووهم مَنْ قال: وُلد في عهد النبيّ ﷺ، فقد قال البخاري: إنّ أباه كان ممّن لم ينبت من سبي قريظة. مات محمد سنة عشرين بعد المائة، وقيل قبل ذلك.

﴿لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ **(بالرفع)**: نافع **(صفة على محل الجار والمجرور، وبالجر: عليّ على اللفظ)** ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء.

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة، والنصيحة لا يمحضها إلا **(حسم)** المطامع، وما دام يتوهم شيء منها لم **(تنجع)** ولم تنفع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إذ تردون نصيحة مَن لا يطلب عليها أجرًا إلا من الله وهو ثواب الآخرة، ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ آمنوا به ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ من عبادة غيره ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ أي المطر ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ حال أي **(كثير الدرور)** ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوّة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شيء إلى الماء. وكانوا **(مدلّين)** بما أوتوا من شدة البطش والقوة. وقيل: أراد القوة بالمال أو على النكاح. وقيل: حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولا على الإيمان والاستغفار. وعن **(الحسن بن علي)** رضي الله عنهما أنه

قوله: **(بالرفع صفة على محل الجار والمجرور، وبالجرّ عليّ)** الكسائي صفة **(على اللفظ)** عبارة تفسير الخطيب: قرأ الكسائي بكسر الراء والهاء صفة على اللفظ، والباقون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور، ومنْ زائدة. اهـ.

قوله: **(حَسْم)** أي قطع. **قوله**: **(تنجع)** كتنفع لفظًا ومعنًى.

قوله: **(كثير الدرور)** أي السيلان والنزول والتتابع. **قوله**: **(مدلّين)** مفتخرين. **قوله**: **(الحسن بن علي)** بن أبي طالب الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وقد صحبه ﷺ وحفظ عنه مات شهيدًا بالسمّ سنة تسع وأربعين وهو

(وفد) على **(معاوية)**، فلما خرج قال له بعض **(حُجَّابه)**: إني رجل ذو مال ولا يولد لي علمني شيئًا لعل الله يرزقني ولدًا. فقال الحسن: عليك بالاستغفار، فكان يُكثِر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية فقال: هلَّا سألته مِمَّ قال ذلك؟ فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول هود: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، وقول نوح: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: الآية ١٢]، ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ ولا تعرضوا عني وعما أدعو إليه ﴿مُجْرِمِينَ﴾ مُصِرِّين على إجرامكم وآثامكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله ﷺ: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الرعد: الآية ٢٧] مع فَوْت آياته الحصر ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ هو حال من الضمير في «تاركي آلهتنا» كأنه قيل: وما نترك آلهتنا **(صادرين)** عن قولك: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وما يصحّ من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه **(إقناطًا له)** من الإجابة ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ «إن» حرف نفي فنفى جميع القول إلا قولًا واحدًا وهو قولهم: ﴿اعْتَرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ بجنون و**(خبل)** وتقدير ما نقول قولًا إلا هذه المقالة أي قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي

ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل بعدها رضي الله عنه. **قوله: (وفد)** بابه وعد. **قوله: (معاوية)** بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُمية الأُمويّ أبو عبد الرحمٰن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي، ومات في رجب سنة ستّين، وقد قارب الثمانين رضي الله تعالى عنه. **قوله: (حجابه)** في المصباح: جمع الحاجب حجاب مثل كافر وكفار. اهـ.

قوله: (صادرين) راجعين. **قوله: (إقناطًا له)** مفعول له أي قالوا هذا إقناطًا له. **قوله: (خبل)** في المصباح: الخبل بسكون الباء الجنون وشبهه كالهَوَج والبله. اهـ. وفي مختار الصحاح: رجل أَهْوَجُ بَيِّن الهَوَج ـ بفتحتين ـ أي طويل،

بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾ أي من إشراككم آلهة من دونه، والمعنى إني أشهد أني بريء مما تشركون واشهدوا أنتم أيضًا إني بريء من ذلك. وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمَن (يبس الثرى) بينه وبينه: اشهد على أني أحبك تهكمًا به واستهانة بحالة ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أنتم وآلهتكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تُمهلون فإني لا أُبالي بكم وبكيدكم، ولا أخاف معرَّتكم وإن تعاونتم عليَّ، وكيف تضرّني آلهتكم وما هي إلا جماد لا يضرّ ولا ينفع؟ وكيف تنتقم مني إذا نِلْتُ منها وصددت عن عبادتها بأن (**تخبلني وتذهب بعقلي**)؟

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي مالكها. ولما ذكر توكّله على الله وثقته بحفظه و(**كلاءته**) من كيدهم، وصفه بما يوجب التوكّل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بالناصية تمثيل لذلك ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ إن ربي على الحق لا يعدل عنه، أو إن ربي يدل على صراط مستقيم ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ هو في موضع فقد ثبتت الحجة عليكم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ كلام مستأنف أي ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ﴾ بتولّيكم ﴿شَيۡـًٔاۚ﴾ من ضرر قطّ إذ لا يجوز عليه المضار وإنما تضرّون أنفسكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾ رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم، أو مَن كان رقيبًا على الأشياء كلها حافِظًا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار لم يضرّ مثله مثلكم.

وفيه تسرُّعٌ وحُمْقٌ. اهـ. وفي المصباح: بله بلها من باب تعب ضعف عقله فهو أبْله والأُنثى بلهاء، والجمع بُله مثل أحمر وحمراء وحُمُر. اهـ. **قوله**: (**يبس الثرى**) عبارة عن عدم المحبّة. **قوله**: (**تخبلني**) من باب ضرب، **قوله**: (**وتذهب بعقلي**) عطف تفسير.

قوله: (**كِلاءته**) بالكسر والمدّ بمعنى حفظه.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وكانوا أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ أي بفضل منا لا بعملهم أو بالإيمان الذي أنعمنا عليهم ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وتكرار ﴿نَجَّيْنَا﴾ للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه و﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال: سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف وصف أحوالهم فقال: ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رُسُل الله لا نفرّق بين أحد من رسله ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يريد رؤساؤهم ودُعاتهم إلى تكذيب الرسل لأنهم الذين يجبرون الناس على الأمور ويُعاندون بهم ومعنى اتّباع أمرهم طاعتهم ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ تكرار «ألا» مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم، وبعث على الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم، والدعاء بـ ﴿بُعْدًا﴾ بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عطف بيان لـ «عاد» وفيه فائدة لأن عادًا عادان: الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم، والأخرى إرم.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ لم ينشئكم منها إلا هو وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وجعلكم عُمَّارها وأراد منكم عمارتها، أو استعمركم من العمر أي أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة إلى ألف، وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطِّوال مع ما فيهم من الظلم، فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربّه عن سبب تعميرهم، فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ فاسألوه مغفرته بالإيمان ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ داني الرحمة ﴿مُّجِيبٌ﴾ لمن دعاه.

﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا﴾ فيما بيننا ﴿مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ﴾ للسيادة والمشاورة في الأمور، أو كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ (حكاية حال ماضية) ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوّة، أتى بحرف الشك مع أنه على يقين أنه على بيّنة، لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدّروا أني على بيّنة من ربي وأنني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ فمَن يمنعني من عذاب الله ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الأوثان ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ بقولكم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتي إيّاكم إلى الخسران.

﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ نصب على الحال (قد عمل فيها ما دلّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل) و﴿لَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿ءَايَةً﴾ حالًا منها متقدمة، لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدّمت انتصبت على الحال ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾

قوله: (حكاية حال ماضية) يعني الظاهر أن يقال: ما عبدت آباؤنا؛ لأن المقام مقام المضي، فعدل عن الظاهر وجِيء بصيغة المستقبل على حكاية الحال الماضية.

قوله: (قد عمل فيها ما دلّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل)، والمعنى أشير ناقة الله آية.

عقر أو نحر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ يوم الأربعاء ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ استمتعوا بالعيش ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يُدار فيها أي يتصرف أو في دار الدنيا ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (أي غير مكذوب فيه) فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به، أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر (كالمعقول).

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب أو عذابنا ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ قال الشيخ رحمه الله: هذا يدل على أن مَن نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام: «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله» ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ بإضافة الخزي إلى اليوم وانجرار اليوم بالإضافة. (وبفتحها مدني وعلي)، لأنه مضاف إلى «إذ» وهو مبني، وظروف الزمان إذا أُضيفت إلى الأسماء المبهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناء من المضاف إليه كقوله:

(على حين عاتبت المشيب على الصبا)

قوله: (أي غير مكذوب فيه) أوّله أو به لعدم إمكان حمله على ظاهره؛ لأن الوعد إنّما يوصف بكونه غير مكذوب إذا كان من شأنه أن يكون مكذوبًا، وليس كذلك؛ لأن المصدوق والمكذوب مَنْ كان مخاطبًا بالكلام المطابق للواقع وغير المطابق له، فلا يوصف بهما إلّا الإنسان الصالح للخطاب، فلذلك جعل أصل الكلام وعد غير مكذوب فيه، فحذف حرف الجرّ فاتّصل الضمير المجرور باسم المفعول بإقامته مقام المفعول به توسّعًا. **قوله**: (كالمعقول) فإنه مصدر بمعنى العقل.

قوله: (وبفتحها) أي بفتح الميم (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وعلي) الكسائي والباقون بالكسر. **قوله**:

(على حين عاتبت المشيب على الصبا) فقلت ألمّا أصبح والشيب وازع

والواو للعطف وتقديره: ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذلّه وفضيحته، ولا خزي أعظم من خزي مَن كان هلاكه بغضب الله وانتقامه. وجاز أن يريد بـ ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ﴾ القادر على تنجية أوليائه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب بإهلاك أعدائه.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي صيحة جبريل عليه السلام ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ﴾ منازلهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ ميتين ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ لم يقيموا فيها ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ (﴿ثَمُودَ﴾ **حمزة وحفص** ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾) - ﴿لِّثَمُودٍ﴾ - (علي): فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر، ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملَكًا ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ هي البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والأول أظهر ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ (**سلمنا عليك سلامًا**) ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ (**أمركم سلام** ﴿سِلْم﴾: حمزة وعلي)

قوله: (﴿ثَمُودَ﴾) بغير تنوين للعلمية والتأنيث على إرادة القبيلة (حمزة وحفص). والباقون بالتنوين مصروفًا على إرادة الحيّ. **قوله**: (﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾) بكسر الدال مع التنوين (علي) الكسائي. والباقون بغير تنوين مع فتحها.

قوله: (سلّمنا عليك سلامًا) على أن يكون سلامًا في النظم منصوبًا على أنه مصدر لفعل محذوف، وذلك الفعل في محل النصب بالقول، فلمّا حذف الفعل أُقيم المصدر مقامه. **قوله**: (أمركم سلام) أو جوابي سلام على أن سلام خبر مبتدأ محذوف. **قوله**: (سلم) بكسر السين وسكون اللام ويلزم بالضرورة سقوط الألف، قال الفراء: وهما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال (حمزة وعليّ) الكسائي. وقرأ

بمعنى السلام ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ﴾ فما لبث في المجيء به بل عجَّل فيه، أو فما لبث مجيئه، والعجل ولد البقرة وكان مال إبراهيم البقر ﴿حَنِيذٍ﴾ مشوي بالحجارة المحماة ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ نكر وأنكر بمعنى وكانت عادتهم أنه إذا مسَّ مَن يطرقهم طعامهم أمّنوه وإلا خافوه. والظاهر أنه أحسن بأنهم ملائكة، ونكرهم لأنه تخوَّف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أضمر منهم خوفًا ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ بالعذاب، وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فِيمَ أُرسلوا، وإنما قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ لأنهم رأوا أثر الخوف والتغيّر في وجهه.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رؤوسهم تخدمهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سرورًا بزوال الخيفة، أو بهلاك أهل الخبائث، أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب، أو فحاضت ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ وخُصَّت بالبشارة لأن النساء أعظم سرورًا بالولد من الرجال، ولأنه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو إسماعيل ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ﴾ ومن بعده ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنصب: (شامي) وحمزة وحفص، بفعل مضمر دلَّ عليه ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا﴾ أي فبشرناها بإسحٰق ووهبنا لها يعقوب من وراء إسحٰق. وبالرفع: غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول: «في الدار زيد».

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ الألف مبدلة من ياء الإضافة، وقرأ الحسن ﴿يَٰوَيْلَتِى﴾ بالياء على الأصل ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ ابنة تسعين سنة ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ ابن مائة وعشرين سنة ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿بَعْلِى﴾ خبره و﴿شَيْخًا﴾ حال، والعامل معنى الإشارة التي دلّت عليه «ذا»، أو معنى التنبيه الذي دلَّ عليه «هذا» ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ

الباقون، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح السين واللام وبألف بعدها. **قوله**: (شامي) أي ابن عامر الشامي.

﴿عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ قدرته وحكمته. وإنما أنكرت الملائكة تعجبها لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوفر **(ولا يزدهيها)** ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوّة، وأن تسبّح الله وتمجّده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به ربّ العزّة ويخصّكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوّة فليست بمكان عجيب، وهو كلام مستأنف علّل به إنكار التعجّب كأنه قيل: إياك والتعجّب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم. وقيل: الرحمة: النبوّة، والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم. و﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ نصب على النداء أو على الاختصاص ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ محمود بتعجيل النّعم ﴿مَّجِيدٌ﴾ ظاهر الكلام بتأجيل النّقم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالولد ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملىء سرورًا بسبب البشرى فزع للمجادلة. وجواب ﴿فَلَمَّا﴾ محذوف تقديره أقبل يجادلنا، أو ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ جواب ﴿فَلَمَّا﴾ **(وإنما جيء به مضارعًا لحكاية الحال)**، والمعنى **(يجادل رسلنا)**. ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنّا مُهلِكو أهل هذه

قوله: **(ولا يزدهيها)** في لسان العرب: ازدهاه فازدهى استخفّ فخفّ. اهـ. وأيضًا فيه: ازدهَيْت فلانًا أي تهاونت به وازدهى فلان فلانًا إذا استخفّه. وأيضًا فيه زهاه وازدهاه استخفّه وتهاون به، انتهى.

قوله: **(وإنما جِيءَ به مضارعًا لحكاية الحال)** يعني كان الظاهر أن يقال: جادلنا على لفظ المضيّ، فإنّ لما موضوعة للاستعمال في الماضي، فوجب في العدول عن الظاهر من نكتة، وتلك النكتة هي قصد تصوير الصورة الماضية بصورة الحال الحاضرة تعجيبًا للسامعين، ويسمّيه النحاة حكاية الحال الماضية. **قوله**: **(يجادل رسلنا)** فالمضاف محذوف إشعارًا بأنّ الملائكة المرسلين إليه بمنزلة منه تعالى، وأنّ مجادلته معهم هي مجادلة مع الله.

القرية فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنًا أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا حتى بلغ العشرة، قالوا: لا، قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا فعند ذلك قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ قالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [العنكبوت: الآية ٣٢] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول على كل مَن أساء إليه أو كثير الاحتمال ممَّن آذاه، صفوح عمَّن عصاه ﴿أَوَّٰهٌ﴾ كثير التأوّه من خوف الله ﴿مُّنِيبٌ﴾ تائب راجع إلى الله، وهذه الصفات دالَّة على رِقَّة القلب والرأفة والرحمة، فبيَّن أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يُحدِثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه فقالت الملائكة:

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال وإن كانت الرحمة **(ديدنك)** ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ قضاؤه وحُكمه ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ لا يُرَدّ بجدال وغير ذلك عذابٌ مرتفع باسم الفاعل وهو ﴿ءَاتِيهِمْ﴾ تقديره وإنهم يأتيهم. ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجِّهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط **(أربعة فراسخ)**.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ لما أتوه ورأى هيئاتهم وجمالهم ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ أحزن لأنه حسب أنهم إنْس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومُدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ تمييز أي وضاق بمكانهم صدره ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد. رُوِيَ أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما مشى معهم مُنطَلِقًا بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية؟ قالوا: وما أمرهم؟ قال: أشهد بالله إنها لشرّ قرية في الأرض عملًا. قال

قوله: (دَيْدَنُكَ) أي عادتك. **قوله**: (أربعة فراسخ) الفرسخ ثلاثة أميال[1]، والمِيل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعًا.

---

(١) جمع ميل بالكسر. ١٢ منه عمّ فيضهم.

ذلك أربع مرات ـ فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ يسرعون كأنما يدفعون دفعًا ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى (مرنوا) عليها وقَلّ عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مُجاهِرين لا يكفهم حياء ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فتزوّجوهنّ أراد أن يَقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم، وكان تزويج المسلمات من الكُفَّار جائزًا في ذلك الوقت كما جاز في الابتداء في هذه الأُمة، فقد زوَّج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص وهما كافران. وقيل: كان لهم سيدان مُطاعان فأراد لوط لو أن يزوِّجهما ابنتيه ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ أحلّ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ مبتدأ و﴿بَنَاتِي﴾ عطف بيان و﴿هُنَّ﴾ فصل و﴿أَطۡهَرُ﴾ خبر المبتدأ، أو ﴿بَنَاتِي﴾ خبر و﴿هُنَّ أَطۡهَرُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بإيثارهنّ عليهم ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾ ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي، أو ولا تُخجِلوني من (الخزاية) وهي الحياءُ، وبالياء: أبو عمرو في الوصل ﴿فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد (خزي) الرجل وذلك من (عراقة) الكرم وأصالة المروءة ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ أي رجل واحد يهتدي إلى طريق الحق وفِعْل الجميل والكفّ عن السوء ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ حاجة لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا، فمذهبنا إتيان الذكران ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة.

قوله: (مرنوا) من باب قعد، يقال: مرن على الشيء يمرن مرونًا ومرانة، أي تعوّده واستمرّ عليه. **قوله**: (الخزاية) بالفتح. **قوله**: (خزي) من باب علم. **قوله**: (عراقة) أصالة.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠﴾

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ۝٨٠﴾ جواب «لو» محذوف أي لفعلت بكم ولصنعت. والمعنى لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنّع به فيحميني منكم، فشبّه القوي العزيز (**بالركن من الجبل**) في شدّته ومنعته. رُوِيَ أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادّهم ما حكى الله عنه ويجادلهم. (**فتسوّروا**) الجدار، فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ۝٨١﴾

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ﴾ إن ركنك لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ فافتح الباب ودعنا وإيّاهم، ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربّه في عقوبتهم فأذِن له، فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ [القمر: الآية ٣٧] فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون: (**النجاء، النجاء**) فإن في بيت لوط قومًا سَحَرَة ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره ﴿فَأَسۡرِ﴾ (﴿**فاسر**﴾ **بالوصل**): حجازي (**من سُرى**) ﴿بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ طائفة منه أو نصفه ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ بقلبه إلى ما خلف أو لا ينظر إلى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد

قوله: (**بالركن**[1] **من الجبل**) الركن بسكون الكاف وضمّها الناحية من الجبل وغيره. **قوله**: (**فتسوروا**) تصعدوا سور الجدار.

قوله: (**النّجاء النّجاء**) أي اطلبوا النجاة أو انجوا بأنفسكم نجاةً، فهو إمّا مفعول به لاطلبوا، أو مفعول مطلق لانجوا، والتكرير للتأكيد، والنجاء ممدود ومقصور، أي يستعمل بالمدّ والقصر. **قوله**: (﴿**فاسر**﴾ **بالوصل**) أي بهمزة وصل حجازي، إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل حجازيّ، (**مِن سُرى**) بضمّ السين مصدر سرى بوزن هدى. والباقون بهمزة قطع مفتوحة من الإسراء وكلاهما بمعنى

---

(١) يعني جانبه.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ مستثنى من ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾. (وبالرفع: مكي وأبو عمرو على البدل من ﴿أَحَدٌ﴾)، وفي إخراجها مع أهله روايتان. رُوِيَ أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي، فلما سمعت هدّة العذاب) التفتت (وقالت: يا قوماه. فأدركها حجر فقتلها. ورُوِيَ أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإنَ هواها إليهم فلم يَسْرِ بها، واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين) ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾ أي

واحد، وباء ﴿بِأَهۡلِكَ﴾ للملابسة أو التعدية. **قوله:** (وبالرفع مكّي) أي ابن كثير المكّي (وأبو عمرو على البدل من ﴿أَحَدٌ﴾)، واستشكل ذلك بأنه يلزم منه أنهم نُهُوا عن الالتفات إلّا المرأة، فإنها لم تُنه عنه، وهذا لا يجوز؛ ولذا جعله في المعنى مرفوعًا بالابتداء، والجملة بعده خبر والمستثنى الجملة. قال: ونظيره: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾ [الغاشية: الآيات ٢٢ - ٢٤]. اهـ إتحاف. وقرأ الباقون بالنصب مستثنى من ﴿بِأَهۡلِكَ﴾. **قوله:** (وفي إخراجها مع أهله روايتان: رُوي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلّا هي، فلمّا سمعت هدَّة) أي صوت وقوع (العذاب وقالت: يا قوماه، فأدركها حجر فقتلها. ورُوِي أنه أُمِر أن يخلفها مع قومها، فإنّ هواها إليهم، فلم يَسِرْ بها. واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين) هكذا في الكشاف، وردّه ابن الحاجب بأنه باطل؛ لأن القراءتين ثابتتان قطعًا، فيمتنع حملها على وجهين: أحدهما باطل قطعًا، والقصة واحدة، فهو إمّا أن يسري بها أو لا، فإنْ كان قد سرى بها فليس مستثنى إلّا من قوله: ولا يلتفت. وإنْ كان ما سرى بها، فهو مستثنى من قوله: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾، فقد ثبت أن أحد التأويلين باطل قطعًا، فلا يُصار إليه في أحد القراءتين الثابتتين؛ فالأوْلى أن يكون ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ في الرفع والنصب مثل ما فعلوه ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾ [النّساء: الآية ٦٦]، ولا يبعد أن يكون بعض القرّاء على الوجه الأقوى وأكثرهم على وجهٍ مرجوح، بل جوّز بعضهم أن يتّفق القرّاء على القراءة بغير الأقوى، وأجاب عنه بعض فُضَلاء المغرب بأنه يمكن حمله على أنه لا تخالف بين الروايتين بأن يكون ما سرى بها وخلفها لكنها سرت بنفسها وتبعتهم، فعلى تقدير صحة هذا لا تدخل في المخاطبين بقوله: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ﴾، لكن ابن مالك نقل هذا في توضيحه وقال: إنه تكلّف ولا شبهة فيه، وإن استحسنه المعربون وغيرهم وارتضاه أبو شامة، وقال: إنّ فيه اختصارًا، وأصله: فإن خرجت معكم

إن الأمر. ورُوِيَ أنه قال لهم متى موعد هلاكهم؟ قالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أسرع من ذلك فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

وتبعتكم من غير أن تكون أنت سريت بها، فانه أهلك عن الالتفات غيرها، فإنّها ستلتفت فيصيبها ما أصاب قومها، فكانت قراءة النصب دالّة على مجموع المعنى المراد وارتضاه الشارح المدقّق في الكشف وتمّمه بدفع ما يرد على الكشاف من أنه يلزم من قوله: واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين شكٌّ في كلام لا ريب فيه من ربّ العالمين، بأنّ معناه اختلاف القراءتين جالب وسبب لاختلاف الروايتين، كما تقول: السلاح للغزو، أي أداة وصالح ونحوهما ولم يرد أن اختلاف القراءتين قد حصل. ولا شكّ أن كل رواية تناسب قراءة، وهذا ما أمكنني في تصحيحه وأورد عليه أنه مع بُعده فيه أنه تنقلب حينئذ الرواية دراية لاتّحادهما من ظاهر القراءة، وأيضًا فيه التزام استلزام اختلاف الروايتين أمرًا مجذورًا هو الجمع بين متنافيَيْن، وكلاهما غير وارد، فتأمّل.

وقال في المغني: الذي أجزم به أن قراءة الأكثرين ليست مرجوحة، وأن الاستثناء على القراءتين من (أَسْرِ) بدليل قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وأن الاستثناء منقطع بدليل سقوط، (ولا يلتفت) في سورة الحجر، والمراد بالأهل المؤمنون، وإن لم يكونوا من أهل بيته؛ كما في قوله لنوح ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هُود: الآية ٤٦]، ووجه الرفع أنه مبتدأ والجملة بعده خبره؛ كقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ﴾ [الغاشية: الآيات ٢٢ - ٢٤] إلّا أنه جعل النصب على اللغة الحجازية والرفع على التميمية، ولم يجعل المستثنى جملة وهو أوْلى ليكون الرفع على اللغتين لضعف اللغة التميمية، والمعنى: أَسْرِ بالمؤمنين لكن امرأتك مصيبها ما أصابهم، وهو وجهٌ حسن. وذهب الرضي إلى أن الاستثناء متّصل ولا تناقض، قال: لما تقرّر أن الاتّباع هو الوجه مع الشرائط المذكورة، ولمّا كان أكثر القرّاء على النصب هنا تكلّف الزمخشري له ما مرّ، فاعترضَ عليه ابن الحاجب بما قرّرناه، والجواب أنّ الإسراء وإنْ كان مطلقًا في الظاهر إلا أنه مقيّد في المعنى بعدم الالتفات، فمآله أَسْرِ بأهلك إسراء لا التفات فيه إلّا امرأتك، فإنك تسري بها إسراء مع الالتفات، فاستثن على هذا إن شئت من (أَسْرِ) أو (لا يلتفت)، ولا تناقض. وهذا كما تقول: امش ولا تتبختر، أي امش

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أي أسفل قراها، ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء (**نباح الكلاب**) وصِياح (**الديكة**)، ثم قلبها عليهم وأُتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا

مشيًا لا تتبختر فيه، فكأنه قيل: ولا يلتفت منكم أحد في الإسراء، وكذا امش ولا تتبختر في المشي، فحذف الجار والمجرور للعلم به، وقد ذكر مثله بعينه الفاضل اليمني. وفي شرح المغني أنه كثيرًا ما يأخذ كلام الرضيّ بعبارته كما يعرفه مَنْ تتبع وقد أورد عليه السيد قدّس سرّه في حواشيه: أن الاستثناء إذا رجع إلى القيد كان المعنى: فأسْرِ جميع أهلك إسراء لا التفات فيه إلّا من امرأتك، فيكون الإسراء بها داخلًا في المأمور به، وإذا رجع إلى المقيّد لم يكن الإسراء داخلًا في المأمور به، فيكون المحذور باقيًا بحاله، ولا دفع له إلّا بأنّ تناول العامّ إيّاها ليس قطعيًّا لجواز أن يكون مخصوصًا، فلا يلزم من رجوع الاستثناء إلى قوله: (**ولا يلتفت**) كونه مأمورًا بالإسراء بها، وحينئذ يوجّه الاستثناء بما ذكر من أنها تَبِعتهم وأسرى بها مع كونه غير مأمور بذلك؛ إذ لا يلزم من عدم الأمر به النهي، فتأمّل. اهـ.

وفيه بحث، لأن قوله: وإذا رجع إلى المقيّد... الخ. إن أراد به أنّه لا يكون داخلًا في المأمور به مطلقًا، فليس بصحيح لتقيّده بالقيد المذكور. وإنْ أراد لا يدخل في المأمور به المقيّد، فلا ضرر فيه؛ لأنه إذا أمر بالإسراء مع التفاتهم وأخرجت المرأة من مجموع الإسراء، فالالتفات لا ينافي ذلك الأمر بالإسراء بها من غير التفات، فتأمّله فإنه غير وارد مع احتمال التخصيص من غير دليل لا وجه له، ومراده بالتقييد أنه ذكر شيئان متعاطفان، فالظاهر أن المراد الجمع بينهما؛ لأن الجملة حالية فلا يرد عليه أن الحمل على التقييد مع أن الواو للنسق ممنوع، وكذا جعلها للحال مع لا الناهية، وأيضًا القراءة بإسقاطها تدلّ على عدم اعتبار ذلك التقييد؛ فتأمّل. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (نباح) بالضم صوت (**الكلاب**) جمع الكلب. **قوله**: (**الدِّيَكة**) وزان عِنَبة، جمع الدِّيك.

عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ هي كلمة معربة من سنك كل (بدليل قوله): ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: الآية ٣٣]، ﴿مَّنضُودٍ﴾ نعت لسجيل أي متتابع أو مجموع معدٌّ للعذاب ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ نعت لـ ﴿حِجَارَةً﴾ أي معلمة للعذاب. قيل: مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنه أو في حكمه ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ بشيء بعيد، وفيه وعيد لأهل مكة فإن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرَض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة، أو الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين بن إبراهيم أي وأرسلنا شعيبًا إلى ساكني مدين أو إلى بني مدين ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ﴾ أي المكيل بالمكيال ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ والموزون بالميزان ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ (بثروة) وسعة تغنيكم عن (التطفيف)، أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ مُهلِك من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: الآية ٤٢] وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب الآخرة.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل. نُهوا أولًا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي

قوله: (بدليل قوله) في موضعٍ آخر.

قوله: (بثروة) الثروة كثرة المال. اهـ مصباح. **قوله:** (التطفيف) في المصباح: الطفيف مثل القليل وزنًا ومعنًى، ومنه قيل: التطفيف المكيال والميزان تطفيف، وقد طفّفه فهو مطفّف إذا كال أو وزن ولم يُوف. اهـ.

هو حسن في العقول لزيادة الترغيب فيه، وجيء به مقيدًا بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ البخس: النقص، كانوا يُنقِصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنُهوا عن ذلك ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ **(العثى والعيث)** أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل، ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثيًا منهم في الأرض.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ يبقى لكم من الحلال بعد التنزّه عمّا هو حرام عليكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بشرط أن تؤمنوا. نعم بقية الله خير للكفَرَة أيضًا لأنهم يَسلَمون معها من تَبِعَة البَخْس والتطفيف إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر، وفي ذلك تعظيم للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه، أو المراد إن كنتم مصدِّقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ لنِعَمه عليكم فاحفظوها بترك البَخْس.

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ﴾ (وبالتوحيد: كوفي غير أبي بكر) ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟﴾ كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له: ما تستفيد بهذا؟ فكان يقول: إنها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح. فقالوا على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا، أو أن نترك التبسّط في أموالنا ما نشاء من إيفاء ونقص. وجاز أن تكون الصلوات آمرة مجازًا كما سمّاها الله تعالى ناهية مجازًا ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أي السفيه الضالّ وهذه تسمية على القلب استهزاء، أو إنك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا ما يقتضيه حالك.

قوله: (العثى والعيث) نحو جذب وجبذ.

قوله: (وبالتوحيد) أي بالإفراد (كوفي غير أبي بكر) أي قرأه حفص وحمزة والكسائي. والباقون بالجمع والتاء بالرفع في القراءتين.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ﴾ من لدنه ﴿رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ يعني النبوّة والرسالة أو مالًا حلالًا من غير بخس وتطفيف. وجواب ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ محذوف أي أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي وكنت نبيًّا على الحقيقة، أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكفّ عن المعاصي، والأنبياء لا يُبعَثون إلا لذلك؟ يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مُوَلٍ عنه، وخالفني عنه إذا ولّى عنه وأنت قاصده. ويلقاك الرجل صادرًا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول: خالفني إلى الماء يريد، أنه قد ذهب إليه واردًا وأنا ذاهب عنه صادرًا، ومنه قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها (**لأستبدّ بها دونكم**) ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ ما أريد إلا أن أُصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهي عن المنكر ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾ ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكِّنًا منه لا (آلو) فيه جهدًا ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ وما كوني موفَّقًا لإصابة الحق فيما آتي (وأذر) إلا بمعونته وتأييده ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ اعتمدت ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أرجع في السَّرَّاء والضَّرَّاء. «جرم» مثل «كسب» في تعدّيه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين ومنه قوله:

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم﴾ أي لا يكسبنّكم خلافي إصابة العذاب ﴿مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ وهو الغرق والريح

قوله: (لاستبدّ بها دونكم) في المصباح: استبدّ بالأمر انفرد به من غير مشارك له فيه. اهـ. **قوله**: (آلو) في مختار الصحاح: ألى من باب عدى، أي قصر، وفلان لا يألوك نُصْحًا فهو آلٍ. اهـ. **قوله**: (وأذر) في مختار الصحاح: تقول: ذَرْه أي دَعْه وهو يَذَره، ولا يقال: وذره ولا واذِر، لكن تركه فهو تارك. اهـ.

والرجفة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ في الزمان فهم أقرب الهالكين منكم، أو في المكان فمنازلهم قريبة منكم، أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوىء. (**وسُوِّي في قريب وبعيد**) وقليل وكثير بين المذكَّر والمؤنَّث لورودها على زِنَة المصادر التي هي (**الصهيل والنهيق**) ونحوهما.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ يغفر لأهل (**الجفاء**) من المؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ يحبّ أهل الوفاء من الصالحين ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ أي لا نفهم صحة ما تقول وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ لا قوة لك ولا عِزَّ فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منّا إن أردنا بك مكروهًا ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم ـ وهو شرّ قتله ـ وكان رهطه من أهل مِلَّتهم فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي لا تعزّ علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم، وإنما يعزّ علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا. (**وقد دلَّ إيلاء ضمير حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل**) كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزّة علينا ولذلك ﴿قَالَ﴾ في جوابهم.

قوله: (**وسوي في قريب وبعيد**). . . الخ. إشارة إلى جواب ما يقال من أن لفظ القوم مؤنّث؛ كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١٠٥]، فالقياس أن يقال ببعيدة. **قوله**: (**الصهيل**) صوت الخيل (**والنهيق**) والشهيق صوت الحمار.

قوله: (**الجفاء**) ممدود ضدّ البرّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**وقد دلّ إيلاء ضمير**) أي إيلاء الضمير الذي هو عبارة عن شُعيب عليه الصلاة والسلام (**حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل**) بأن يتفق المتكلّم والمخاطب على وجود أصل الفعل، لكن المخاطب يخطىء في تعيين الفاعل، والمتكلّم يقصد أن يردّ إلى الصواب، وهذا يقتضي أن يكون أصل الكلام ما عززت أنت فقدم أنت للاختصاص، فإنه قد تقرّر أن تقديم المسند إليه يفيد تخصيصه بالخبر، أي قصر الخبر عليه إنْ وقع المسند إليه بعد حرف النفي بلا فصل، نحو: ما أنا قلت، أي

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾

﴿يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ولو قيل وما عززت علينا لم يصحّ هذا الجواب. وإنما قال: ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ والكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعِزَّة عليهم دونه، لأن تهاونهم به ـ وهو نبيّ الله ـ تهاون بالله، وحين عزَّ عليهم رهطه دونه كان رهطه أعزّ عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: الآية ٨٠]، ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم في النسبة إلى الأمس (إمسي) ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ قد أحاط بأعمالكم علمًا فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هي بمعنى المكان يقال: مكان ومكانة ومقام ومقامة، أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين إذا تمكَّن من الشيء يعني اعملوا قارّين على جهتكم التي أنتم عليها من الشِّرك، و(الشنآن) لي، أو اعملوا متمكِّنين من عداوتي مُطيقين لها ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد

لم أقله مع أنه مقول لغيري، فالتقديم يفيد نفي الفعل عن المذكور وثبوته لغيره على الوجه الذي نفي عن المذكور، وإنما التزم تحقق التقديم في مثله؛ لأن كلمة ما لنفي الحال، والحال له اختصاص بالزمان؛ فالقياس أن يكون مدخولها فعلًا أو شبهه، وحيث وُجِد الاسم بعدها لا سيما الضمير دلّ ذلك على أن أصل الكلام ما عزّزت أنت، وأن التقديم لأجل الاهتمام والاختصاص. قال صاحب المفتاح في تفسير الآية: أي العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت، لكونهم من أهل ديننا، ولذلك قال عليه الصّلاة والسلام في جوابهم:

﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: الآية ٩٢]، أي من نبيّ الله. **قوله**: (إمسي) بكسر الهمزة.

قوله: (الشنآن) البغض.

ويمكنني ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ «مَن» استفهامية معلّقة لفعل العلم من عمله فيها كأنه قيل: سوف تعلمون أيّنا يأتيه عذاب يُخزيه أي يفضحه، وأيّنا هو كاذب. أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم. وإدخال الفاء في ﴿سَوۡفَ﴾ وصل ظاهر بحرف وضع للوصل، ونزعها وصل تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدَّر كأنهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال: سوف تعلمون. والإتيان بالوجهين للتفنّن في البلاغة وأبلغهما الاستئناف ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ وانتظروا العاقِبَة وما أقول لكم ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ منتظر، والرقيب بمعنى الراقِب من رقبه كالضريب بمعنى الضارِب، أو بمعنى المُراقب كالعشير بمعنى المعاشر، أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا. وإنما ذكر في آخر قصة عاد ومَدين ﴿وَلَمَّا جَآءَ﴾ وفي آخر قصة ثمود ولوط ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ لأنهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾، ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾، فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كقولك: «وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت». وأما الأُخريان فقد وقعتا مبتدأين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ الجاثم اللازم لمكانه (لا يريم) يعني أن جبريل صاح بهم صيحة (فزهق) روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة.

قوله: (لا يُريم) في مختار الصحاح: رامَ يُريم أي برح، يقال: لا رِمْتَ أي لا بَرِحْتَ، وهو دعاء بالإقامة، أي لا زِلْتَ مقيمًا.اهـ. **قوله:** (فزهق) أي خرج.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ (كأن لم يقيموا) في ديارهم أحياء متصرِّفين متردِّدين ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ (البُعْد بمعنى البَعَد) وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله: ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (وقرىء ﴿كَمَا بَعُدَتْ﴾) والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القُرب إلا أنهم فرَّقوا البُعد من جهة الهلاك وبين غيره، فغيَّروا البناء كما فرَّقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا: وعد وأوعد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾﴾ المراد به العصا لأنها (أبهرها) ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟﴾ أي الملأ ﴿أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هو تجهيل لمُتَّبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين، وذلك أنه ادّعى الألُوهية وهو بشر مثلهم، وجاهَر بالظلم والشَّرّ الذي لا يأتي إلا من شيطان ومثله بمعزل

قوله: (كأن لم يقيموا) من غنى بالمكان أي أقام. **قوله**: (البُعْد) بضمّ الباء وسكون العين (بمعنى البَعَد) ـ بفتحتين ـ وهو الهلاك.

قوله: (وقرىء ﴿كَمَا بَعُدَتْ﴾) بالضمّ، وهي قراءة شاذّة، وقارئه السلمي، والجمهور على كسر العين من (بعدت) على أنها من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، بمعنى هلك يهلك أرادت العرب أن تفرّق بين البعد بمعنى الهلاك، وبين البعد الذي هو ضدّ القرب، ففرّقوا بينهما بصيغة البناء، فقالوا: بَعُد ـ بالضم ـ في ضدّ القرب، وبعِد ـ بالكسر ـ في ضدّ السلامة، والبُعْد ـ بالضمّ وسكون ـ مصدر لهما، والبعد ـ بفتحتين ـ إنما يُستعمل في مصدر مكسور العين، وقرىء بضمّ العين أخذًا من ضدّ القرب؛ لأنهم إذا هلكوا فقد بعدوا، ومنه قول الشاعر:

مَنْ كان بينك في التراب وبينه ... شبر فذا في غاية البعد

قوله: (أبهرها) في المصباح: بَهَرَه بَهْرًا من باب نفع غلبه وفضله، ومنه قيل للقمر: الباهر؛ لظهوره على جميع الكواكب. اهـ.

عن الألوهية. وفيه أنهم عايَنوا الآيات والسلطان المُبين وعلِموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتّباعه إلى اتّباع مَن ليس في أمره رشد قطّ، أو المراد وما أمره بصالح حميد العاقبة، ويكون قوله:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي يتقدَّمهم وهم على عقبه تفسيرًا له وإيضاحًا أي كيف يرشد أمر مَن هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضي كما استعمل الغيّ في كل ما يذمّ ويقال قدَمه بمعنى تقدّمه ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أدخلهم. وجيء بلفظ الماضي لأن الماضي يدلّ على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل: يقدمهم فيُورِدهم النار لا مَحالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدَّمهم إلى النار وهم يتبعونه ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ﴾ المورود و﴿ٱلْمَوْرُودُ﴾ الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالوارِدة ثم قال: وبئس الورْد المورود الذي يَردونه النار لأن الورْد إنما يُراد لتسكين العطش والنار ضدّه ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ﴾ أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ رفدهم **(أي بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى)**.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ خبر ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المُهلَكة مقصوص عليك ﴿مِنْهَا﴾ من القرى ﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ أي بعضها باقٍ وبعضها **(عافي الأثر)** كالزرع القائم على ساقه والذي حصد، والجملة مُستأنفة لا محل لها من الإعراب.

قوله: **(أي بِئْس العَوْن المُعان أو بِئس العطاء المُعطى)** فإن الرفد قد جاء بمعنى العون وبمعنى العطيّة، تقول: رفدته أرفده رفدًا إذا أعطيته، وكذلك إذا أعنته، والإرفاد الإعطاء والإعانة.

قوله: **(عافي الأثر)** في المصباح: عفا المنزل يَعْفو عفوًا وعفوًّا وعَفَاء ـ بالفتح والمدّ ـ درس. اهـ. وأيضًا فيه: درس المنزل دروسًا من باب قعد عفا وخفيت آثاره. اهـ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٖ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ﴾ بارتكاب ما به أُهلكوا ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ فما قدرت أن تردّ عليهم بأس الله ﴿ٱلَّتِي يَدْعُونَ﴾ يعبدون وهي حكاية حال ماضية ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ﴾ عذابه و﴿لَّمَّا﴾ منصوب بـ «ما أغنت»، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٖ﴾ تخسير. يقال: تبَّ إذا خسر، وتبَّبه غيره أوقعه في الخسران يعني وما أفادتهم عبادة غير الله شيئًا بل أهلكتهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ (محل الكاف الرفع) أي ومثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أي أهلها ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ حال من ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾، ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفّار مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن يُبادر التوبة ولا يغترّ بالإمهال.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوْمٞ مَّجْمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٞ مَّشْهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعْدُودٖ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما قصَّ الله من قصص الأُمم الهالكة ﴿لَأٓيَةٗ﴾ لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِۚ﴾ أي اعتقد صحته ووجوده ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دلّ عليه ﴿يَوْمٞ مَّجْمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله إذا قلت يجمع له الناس. وإنما آثر اسم المفعول على فعله لما في اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم. وإنه أثبت أيضًا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكّون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٞ مَّشْهُودٞ﴾ أي مشهود فيه (فاتسع في الظرف بإجرائه) مجرى المفعول به أي يشهد

قوله: (محل الكاف الرفع) على أنه خبر مقدَّم للمصدر المذكور بعده.

قوله: (فاتّسع في الظرف بإجرائه) أي بحذف الجار وتعلّق الفعل بالظرف على صورة تعليقه بالمفعول به اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي القنوي: أي جوّز فيه

فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ أي اليوم المذكور. الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها، والعدّ إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ﴾ إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف، أو ما نؤخر هذا اليوم إلا لتنتهي المدة التي ضربناها لبقاء الدنيا.

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ **(وبالياء مكي، وافقه أبو عمرو ونافع وعلي) في (الوصل)**، وإثبات الياء هو الأصل إذ لا علة تُوجِب حذفها، وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ونظيره ﴿مَا كُنَّا نَبۡغِۚ﴾ [الكهف: الآية ٦٤] وفاعل ﴿يَأۡتِ﴾ ضمير يرجع إلى قوله: ﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ لا اليوم المضاف إلى ﴿يَأۡتِ﴾ و﴿يَوۡمَ﴾ منصوب باذكر أو بقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ أي لا تتكلم ﴿نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ أي لا يشفع أحد إلا بإذن الله، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ الضمير لأهل الموقف لدلالة ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ﴾ عليه وقد مرَّ ذكر الناس في قوله: ﴿مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ ﴿شَقِيّٞ﴾ معذب ﴿وَسَعِيدٞ﴾ أي ومنهم سعيد أي منعم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ﴾ هو أول نهيق الحمار ﴿وَشَهِيقٌ﴾ هو آخر، **(أو هما إخراج النفي وردّه)**، والجملة في موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذي في النار.

فجعل اليوم نفسه مشهودًا مع أنه وصف الخلائق بملابسة الظرفية والمظروفية، وله نظائر كثيرة كصام نهاره، وقام ليله، وهذا أُريد به المبالغة، وهنا أُريد به تعظيم اليوم وتفضيحه.اهـ. **قوله**: (وبالياء مكّي) أي ابن كثير المكي وصلًا ووقفًا، (وافقه أبو عمرو ونافع وعليّ) الكسائي في (الوصل)، والباقون بالحذف في الحالين لقصد التخفيف على حدّ لا أدر[1] اكتفاءً بالكسر.

قوله: (أو هما إخراج النفس وردّه) عبارة تفسير البيضاوي: الزفير إخراج النفس والشهيق ردّه، واستعمالهما في أوّل النهيق وآخره.اهـ. وفي مختار

---

(١) سمع من العرب: لا أذر ولا أُبال، وهي لغة لهذيل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدّرة ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ في موضع النصب أي مدة دوام السمٰوات والأرض، والمراد سمٰوات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد. والدليل على أن لها سمٰوات وأرضًا قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]، وقيل: ما دام فوق وتحت ولأنه لا بدَّ لأهل الآخرة مما (**يقلّهم**) ويظلّهم إما سماء أو عرش وكلّ ما أظَلَّكَ فهو سماء، أو هو عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب: (**ما لاح**) كوكب، وغير ذلك من كلمات التأبيد ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هو استثناء من الخلود في عذاب النار، وذلك لأن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار، أو ﴿مَا شَآءَ﴾ بمعنى مَن شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضًا لمُفارقتهم إياها بكونهم في النار أيامًا، فهؤلاء لم يشقوا شقاوة مَن يدخل النار على التأبيد، ولا سُعِدُوا سعادة مَن لا تمسّه النار، وهو مروي عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضي الله عنهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ بالشقي والسعدي.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾، (﴿سُعِدُواْ﴾ **وحمزة وعلي وحفص لازم، وسعَده يسعَده مُتعَدّ**) ﴿فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هو استثناء

الصحاح: الزّفير أوّل صوت الحمار والشهيق آخره؛ لأن الزفير إدخال النفس والشهيق إخراجه.اهـ. وأيضًا فيه في فصل الشين: شهيق الحمار آخر صوته وزفيره أوّله.اهـ. وأيضًا فيه وقيل: الشهيق ردّ النفس، والزفير إخراجه.

قوله: (**يقلهم**) أي يحملهم. **قوله**: (ما لاح) أي أوْمض.

قوله: (﴿سُعِدُواْ﴾) بضم السين بالبناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده (**حمزة وعلي**) الكسائي (**وحفص**)، وقرأ الباقون بفتحها مبنيًا للفاعل من اللازم، (**سعد**) من باب سَلِم (**لازم وسعده يسعده**) بفتحتين (**متعدٍّ**).

من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه، أو معناه إلا مَن شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الاستثناء في الآيتين لأهل الجنة» ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها، ولا يكون له أيضًا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء، والمعتزلة لما لم يروا خروج العُصاة من النار ردّوا الأحاديث المروية في هذا الباب وكفى به إثمًا مُبينًا ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: الآية ٢٥] وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء. قيل: (كفرت الجهمية) بأربع آيات ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: الآية ٣٥]، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: الآية ٩٦]، ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: الآية ٣٣].

لما قصَّ الله قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحلَّ بهم من نقمه وما أعدَّ لهم من عذابه قال:

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ أي فلا تشك بعدما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله ﷺ وعِدَة بالانتقام منهم ووعيدًا لهم. ثم قال: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ﴾ يريد أن حالهم في الشِّرك مثل حال آبائهم، وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله، وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية و«ما» في ﴿مِّمَّا﴾ و﴿كَمَا﴾ مصدرية أو موصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم، أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ حال من ﴿نَصِيبَهُمْ ۚ﴾ أي كاملًا ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى

قوله: (كفرت الجهميّة) أصحاب جهم بن صفوان، يقول: إن الجنّة والنار تفنيان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو تسلية لرسول الله ﷺ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ إنه لا يُعاجلهم بالعذاب ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من القرآن أو من العذاب ﴿مُرِيبٍ﴾ من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه يعني وإن كلهم أي وإن جميع المختلفين فيه (﴿وَإِنَّ﴾ مشددة ﴿لَّمَا﴾ مخفف: **بصري وعلي**)، «ما» مزيدة جيء بها ليفصل بها بين لام «إن» ولام ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ وهو جواب قسم محذوف، واللام في ﴿لَمَا﴾ موطئة للقسم والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينّهم ﴿رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم من إيمان وجحود وحسن وقبيح. (**بعكس الأول: أبو بكر، مخففان: مكي ونافع**) على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارًا لأصلها الذي هو التثقيل، ولأن «إن» تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو «لم يكن» و«لم يك» فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل. وأحسن ما قيل فيه أنه من (**لممت**) الشيء جمعته لمًّا، ثم وقف فصار «لما» ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى وما نفيه ألف التأنيث من المصادر. وقرأ (**الزهري**) ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمًّا﴾ بالتنوين كقوله: ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: الآية ١٩]. وهو

قوله: (و﴿وَإِنَّ﴾ مشدّدة ﴿لَّمَا﴾ مخفّف بصري) أي أبو عمرو بن العلاء البصري ويعقوب البصري، وليس من السبعة، (وعليّ) الكسائي. **قوله**: (بعكس الأوّل: أبو بكر) أي قرأ أبو بكر بتخفيف النون وتشديد الميم جعل ﴿إِن﴾ نافية، و﴿لَّمَّا﴾ كـلا، وكلا منصوب بمفسر بقوله: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هُود: الآية ١١١]، أو بتقدير أمري. اهـ إتحاف. **قوله**: (مخفّفان) أي بتخفيف نون ﴿أَن﴾ وميم ﴿لَّمَّا﴾ [هُود: الآية ١٠١] (مكّي) أي ابن كثير المكّي، (ونافع) المدني. **قوله**: (لممت) بابه ردّ. **قوله**: (الزهري) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. وروى عنه جماعة من

يؤيد ما ذكرنا والمعنى، وإن كلّا ملمومين أي مجموعين كأنه قيل: وإن كلّا جميعًا كقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر: الآية ٣٠]. وقال صاحب الإيجاز: «لما» فيه معنى الظرف وقد دخل في الكلام اختصار كأنه قيل: وإن كلّا لما بعثوا ليوفينَّهم ربك أعمالهم. وقال الكسائي: ليس لي بتشديد «لما» علم. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها غير عادل عنها ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ معطوف على المستتر في «استقم» وجاز للفاصل يعني فاستقم أنت وليستقم مَن تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصًا ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ ولا تخرجوا عن حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهو مُجازيكم فاتقوه. قيل: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية كانت أشقّ عليه من هذه الآية ولهذا قال: «شيبتني هود».

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

(﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾) ولا تميلوا. (قال الشيخ) رحمه الله: هذا خطاب لأتباع الكَفَرَة أي لا تركنوا إلى القادة والكُبَراء في ظلمهم وفيما يدعونكم

الأئمّة، منهم مالك بن أنس، وسفيان بن عُيينة، وسفيان الثوري. توفي ليلة الثلاثاء سبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة. والزهري ـ بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء ـ هذه النسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرّة، وهي قبيلة كبيرة من قريش.

قوله: (قال الشيخ) . . . الخ. عبارة الشيخ الإمام علم الهدى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾) وإن خرج مخرج العموم فهو خاصّ؛ لأنه لا كلّ ظالم يركن إليه تمسّه النار، وكان هذا لأتباع الكفرة، أي لا تركنوا إلى القادة والكبراء في ظلمهم وفيما يدعونكم إليه، فتمسّكم النار، والله أعلم. انتهت.

إليه ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ وقيل: الركون إليهم الرِّضا بكفرهم. وقال قتادة: ولا تلحقوا بالمشركين. (وعن الموفق) أنه صلى خلف الإمام فلما قرأ هذه الآية غشي عليه فلما أفاق قيل له فقال: هذا فيمن ركن إلى مَن ظلم فكيف بالظالم! وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا﴾ وقال سفيان: في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القرّاء الزائرون للملوك. وعن (الأوزاعي): ما من شيء أبغض إلى الله من عالِم يزور عامِلًا. وقال رسول الله ﷺ: «مَن دعا لظالم بالبقاء فقد أحبَّ أن يعصى الله في أرضه». ولقد سُئِل (سفيان الثوري) عن ظالم أشرف على الهلاك في بريَّة هل يسقى شربة ماء فقال: لا، فقيل له: يموت قال: دعه يموت ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ حال من قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة، ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ثم لا ينصركم هو لأنه حكم بتعذيبكم. ومعنى «ثم» الاستبعاد أي النصرة من الله مستبعدة.

قوله: (وعن الموفّق) أي موفق الدِّين الموصلي البغدادي الإمام العلامة ذي الفنون وصاحب التصانيف أبي محمد عبد اللّطيف بن يوسف رحمه الله مولده ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ومات بها في ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة. **قوله**: (الأوزاعي) هو أبو عمرو عبد الرحمٰن بن عمرو بن يُحْمِد إمام أهل الشام لم يكن بالشام أعلم منه، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وكان يسكن بيروت. رُوِيَ أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طوى، فحلَّ سفيان بعيره من القطار ووضعه على رقبته، فكان إذا مرّ بجماعة قال: الطريق للشيخ. سمع من الزهري وعطاء، وروى عنه الثوري وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كثيرة، توفي سنة سبع وخمسين ومائة. والأوزاعي بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة هذه النسبة إلى أَوْزاع، وهي بطن من ذي الكلاع من اليمن، وقيل: بطن من همدان، واسمه مرثد بن زيد، وقيل: الأوزاع قرية بدمشق على طريق باب الفراديس، ولم يكن أبو عمرو منهم وإنما نزل فيهم، فنُسِب إليهم. **قوله**: (سفيان الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الكوفي، كان إمامًا في علم الحديث وغيره من العلوم،

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ غدوة وعشية ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ وساعات من الليل (جمع زلفة) وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قرَّبه. وصلاة الغدوة الفجر، وصلاة العشية الظهر والعصر، لأن ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزلف المغرب والعشاء، وانتصاب ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك: «أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره». تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ إن الصلوات الخمس يُذهِبْن الذنوب وفي الحديث «إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب» أو الطاعات. قال عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها» أو سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ﴿فَٱسۡتَقِمۡ﴾ فما بعده أو القرآن ﴿ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ عِظَة للمتَّعظين. نزلت في (عمرو بن غزية الأنصاري) بائع التمر قال لامرأة: في البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه حاكيًا باكيًا فنزلت فقال عليه السلام: «هل شهدت معنا العصر»؟ قال: نعم. قال: «هي كفَّارة لك». فقيل: أله خاصة؟ قال: «بل للناس عامّة». ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على امتثال ما أمرت به والانتهاء عمّا نهيت عنه فلا يتمّ شيء منه إلا به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ جاء بما هو مشتمل على جميع الأوامر والنواهي من قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ وغير ذلك من الحسنات. .

وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمّة المجتهدين، مولده في سنة خمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع وتسعين للهجرة، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة. والثوري ـ بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء مهملة ـ هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة.

قوله: (جمع زلفة) كظُلَم وغُرَف في جمع ظُلْمة وغُرْفة. **قوله:** (عمرو بن غزية) ـ بغين معجمة مفتوحة ثم زاي مكسورة وتحتانية ثقيلة ـ ابن عمرو بن ثعلبة، شهد العقبة وبدرًا رضي الله عنه. (الأنصاري) الخزرجي.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فهلّا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل ﴿أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ﴾ أولو فضل وخير، وسُمِّي الفضل والجود بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلًا في الجودة والفضل. ويقال: فلان من بقية القوم أي من خيارهم، ومنه قولهم: «في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا» ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عجب محمد عليه السلام وأمته أن لم يكن في الأمم التي ذكر الله إهلاكهم في هذه السورة جماعة من أُولي العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع أي ولكن قليلًا ممَّن أنجينا من القرون نُهُوا عن الفساد وسائرهم تارِكون للنهي. و«من» في ﴿مِّمَّنْ أَنجَيْنَا﴾ للبيان لا للتبعيض لأن النجاة للنَّاهين وحدهم بدليل قوله: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأعراف: الآية ١٦٥]. ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي التاركون للنهي عن المنكر، وهو عطف على مضمر أي قليلًا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على «نهوا» ﴿مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ﴾ أي أتبعوا ما عرفوا فيه من التنعّم والترفّه من حبّ الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم ﴿وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ (اعتراض) وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ اللام لتأكيد النفي ﴿بِظُلْمٍ﴾ حال من الفاعل أي لا يصحّ أن يهلك الله القرى ظالمًا لها ﴿وَأَهْلُهَا﴾ قوم ﴿مُصْلِحُونَ﴾ تنزيهًا لذاته عن الظلم. وقيل: الظلم الشِّرْك أي لا يهلك القرى بسبب شِرك أهلها

قوله: (اعتراض) جعله اعتراضًا بناءً على أنه يكون في آخر الكلام عند أهل المعاني.

وهم مُصلِحون في المعاملات فيما بينهم لا يضمون إلى شِركهم فسادًا آخر ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي متفقين على الإيمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك. وقالت المعتزلة: هي مشيئة قسر، وذلك رافع للابتداء فلا يجوز ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الكفر والإيمان أي ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إلا ناسًا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي ولما هم عليه من الاختلاف فعندها خلقهم للذي علم أنهم سيصيرون إليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذي علم أنه سيصيرون إليه، كذا في شرح التأويلات ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي قوله للملائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لعلمه بكثرة مَن يختار الباطل.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَكُلًّا﴾ التنوين فيه عِوَض من المضاف إليه كأنه قيل: وكل نبأ وهو منصوب بقوله: ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ وقوله: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ بيان لكل وقوله: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ بدل من ﴿وَكُلًّا﴾، ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ أي في هذه السورة أو في هذه الأنباء المقتصة ما هو حق ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من أهل مكة وغيرهم ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ على مكانتنا ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ بنا الدوائر ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أن ينزل بكم نحو ما اقتصَّ الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فلا بدَّ أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم. (﴿يُرْجَعُ﴾: **نافع وحفص**) ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فإنه كافيك وكافلك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (**وبالتاء: مدني**

قوله: (﴿يُرْجَعُ﴾) بضم الياء وفتح الجيم على البناء للمفعول (**نافع وحفص**)، والباقون بفتح الياء وكسر الجيم. **قوله**: (**وبالتاء**) على الخطاب (**مدني**) أي نافع

وشامي وحفص)، أي أنت وهم على تغليب المخاطب. قيل: خاتمة التوراة هذه الآية وفي الحديث «مَن أحَبَّ أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى».

المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي، **(وحفص)**، والباقون بالياء على الغيبة.

تمت سورة هود بعون الله الملك المعبود
والحمد للمنعم الودود والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد
صاحب الشفاعة العظمى والحوض المورود
وعلى آله وصحبه ما تجدّد الموجود وتباعد المفقود

(سورة يوسف) عَلَيْهِ السَّلَامُ

(مكيَّة مائة وإحدى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾، ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات هذه السورة، و﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ السورة أي تلك الآيات التي أُنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاب العرب، أو التي تبيَّن لمَن تدبّرها أنها من عند الله لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم، أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام، فقد رُوِيَ أن علماء اليهود قالوا للمشركين: سَلوا محمدًا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة يوسف عليه السلام

قوله: (سورة يوسف عليه السلام، مكيَّة مائة وإحدى عشرة آية) بالاتّفاق، وعدد كلماتها ألف وتسعمائة وستّ وتسعون كلمة، وعدد حروفها سبعة آلاف ومائة وستّة وسبعون حرفًا. اهـ خطيب.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ أي أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام في حال كونه قرآنًا عربيًّا، وسُمِّي بعض القرآن قرآنًا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا معانيه ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ [فصلت: الآية ٤٤]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ نبيِّن لك أحسن البيان. والقاصّ الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن (**الزجّاج**)، وقيل: القصص يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص تقول: قصَّ الحديث يقصّه قصصًا، ويكون فعلًا بمعنى مفعول كالنقض والحسب، فعلى الأول معناه نحن نقصّ عليك أحسن الاقتصاص ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون ﴿أَحْسَنَ﴾ منصوبًا نصب المصدر لإضافته إليه والمقصوص محذوف لأن ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ مُغْنٍ عنه. والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتصّ على أبدع طريقة وأعجب (**أسلوب**) فإنك لا ترى اقتصاصه في كتب الأوّلين مُقارِبًا لاقتصاصه في القرآن. وإن أُريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقصّ عليك أحسن ما يقصّ من الأحاديث، وإنما كان أحسن لما يتضمن من (**العبر**) والحكم والعجائب التي ليست في غيره. والظاهر أنه أحسن ما يقتصّ في بابه كما يقال: «فلان أعلم الناس» أي في فنّه، واشتقاق القصص من قصّ أثره إذا تبعه لأن الذي يقصّ الحديث يتبع ما حفظ منه شيئًا فشيئًا ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ الضمير

قوله: (**الزجّاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّيّ بن سهل النحوي كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم، وأخذ الأدب عن المُبَرّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنُسِب إليه، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله**: (**أسلوب**) في مختار الصِّحاح: الأُسلُوب الفنّ. اهـ. وأيضًا فيه: الفَنّ واحد الفُنُون وهي الأنواع والأفانين، الأساليب وهي أجناس الكلام وطرقه ورجل مُتَفَنِّن أي ذو فُنُون وافتَنَّ الرجل في حديثه وفي خطبته بوزن اشتَوَّ جاء بالأفانين. **قوله**: (**العبَر**) جمع عبرة مثل سدرة وسدر.

يرجع إلى «ما أوحينا»، ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عنه «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارِقة بينها وبين النافية يعني وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الجاهلين به.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ﴾ (بدل اشتمال) من ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ لأن الوقت مشتمل على القصص أو التقدير: اذكر إذ قال ﴿يُوسُفُ﴾ اسم (عبراني) لا عربي إذ لو كان عربيًا لانصرف لخلوّه عن سبب آخر سوى التعريف ﴿لِأَبِيهِ﴾ يعقوب (﴿يَٰٓأَبَتِ﴾) «أبت» (شامي) وهي تاء تأنيث عوّضت عن ياء الإضافة لتناسبهما، لأن كل واحدة منهما زائدة في آخر الاسم ولهذا قلبت هاء في الوقف. (**وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر كما في: رجل ربعة**)، وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة. ومَن فتح التاء فقد حذف الألف من («يا أبتا») واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من

قوله: (بدل اشتمال) لاشتمال الظرف وهو وقت قول يوسف عليه السلام لأبيه بالمظروف، وهو ما يقصّ في ذلك الوقت، والمراد بالوقت الأمر الممتدّ يتّسع ما يقص فيه جميعًا. اهـ قنوي. **قوله**: (عبراني) أي أنه علم أعجمي؛ إذ العجمة ما عدا العربية. وفي لسان العرب: العِبْرانيّة لغة اليهود والعِبْريّ بالكسر العِبْرانيّ لغة اليهود. اهـ. **قوله**: (﴿يَٰٓأَبَتِ﴾) بفتح التاء (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالكسر. عبارة الخطيب: قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أصله يا أبي، فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة، ولذلك قَلبها ابن كثير وابن عامر هاء في الوقف، ووقف الباقون بالتاء كالرسم، وفي الوصل بالتاء للجميع، وفتح التاء في الوصل ابن عامر وكسرها الباقون، انتهت بحروفها. **قوله**: (وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر) فإن قلت: كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر؟ أُجيب بأنه كثيرًا ما يوصف المذكّر بما فيه تاء التأنيث (كما في: رجل ربعة) الرّبعة بسكون الباء مربوع الخلق لا قصير ولا طويل. **قوله**: (يا أبتا) وإنما جاز يا أبتا ولم يجز يا أبتي؛ لأنه جمع بين العوض والمعوض، وهذا لا يجوز. وأمّا علة جواز يا أبتا هو أنه جمع بين العوضين، ولا كلام في جوازه ووقوعه.

حذف الياء في «يا غلام» ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ (من الرؤيا لا من الرؤية) ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (أسماؤها ببيان النبي عليه السلام): جربان والذيال والطارق وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ هما أبواه أو أبوه وخالته والكواكب إخوته. قيل: الواو بمعنى «مع» أي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر. وأجريت مجرى العقلاء في ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء وهو السجود وكررت الرؤيا لأن الأولى تتعلق بالذات والثانية بالحال، أو الثانية كلام مُستأنَف على تقدير سؤال وقع جوابًا له كأن أباه قال له: كيف رأيتها؟ فقال: رأيتهم لي ساجدين أي متواضعين وهو حال، وكان ابن ثنتي عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة أو ثمانون.

قوله: (من الرؤيا لا من الرؤية)، لقوله: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾... الخ. يعني كليهما مصدر لرأى، لكن فرّق بين كونها بصرية بجعل مصدرها رؤية وحُلمية بجعله رؤيا. **قوله**: (أسماؤها ببيان النبيّ عليه السلام)... الخ. رُوِيَ عن جابر أن يهوديًا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهنّ يوسف؛ فسكت، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك، فقال: «إذا أخبرتك فهل تُسلم»؟ قال: نعم، قال: «جربّان والطارق والذّيّال وقابس وعمودان والفليق والمصبّح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له»، فقال اليهوديّ: أي والله إنها لأسماؤها، هذا الحديث أخرجه جماعة كابن أبي حاتم والحاكم وجماعة من المفسّرين، واختلف في صحته فقال أبو زرعة وابن الجوزي: إنه منكر موضوع، وقال الحاكم: إنه صحيح على شرط مسلم، وذكروا أن اسم اليهودي سنان، وجربان - بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الباء - منقول من اسم طوق القميص، والطارق معلوم ما يطلع ليلًا، والذّيال من ذوات الأذناب، وقابس - بقاف وموحدة وسِين - مقتبس النار، وعمودان تثنية عمود، والفليق نجم منفرد، والمصبّح ما يطلع قبيل الفجر، والفرغ - بفاء وراء مهملة ساكنة وغين معجمة - نجم عند الدلو، ووثاب - بتشديد المثلثة - سريع الحركة، وذو الكتفين تثنية كتف نجم كبير.اهـ بيضاوي وشهاب وقنوي.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ (بالفتح حيث كان: حفص) ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ﴾ هي بمعنى الرؤية إلا أنها مختصّة بما كان منها في المنام دون اليقظة، وفرَّق بينهما بحر في التأنيث (كما في القربة والقربى) ﴿عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ﴾ جواب النهي أي إن قَصصتها عليهم كادوك. عرف يعقوب عليه السلام أن الله يصطفيه للنبوّة ويُنعِم عليه بشرف الدارين فخاف عليه حسد الإخوة. وإنما لم يقل فيكيدوك كما قال: ﴿فَكِيدُونِي﴾ [هود: الآية ٥٥] (لأنه ضمن معنى فعل يتعدى باللام) ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو «فيحتالوا لك» ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وهو ﴿كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (ظاهر العداوة) فيحملهم على الحسد والكيد.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الاجتباء الذي دلَّت عليه رؤياك ﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يصطفيك، والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك، وجبيت الماء في الحوض جمعته ﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل: وهو يعلِّمك ﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ أي تأويل الرؤيا، وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا، أو تأويل أحاديث الأنبياء وكتب الله

قوله: (بالفتح حيث كان: حفص) على أن أصلها: يا بنيا، الذي أصله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، أُبدلت ياء الإضافة ألفًا؛ كما قيل في يا غلامي يا غلاما بناءً على أن الألف والفتحة أخفّ من الياء والكسرة، وقرأ الباقون: ﴿يَٰبُنَيِّ﴾ بحذف ياء الإضافة اكتفاءً بالكسرة، كما قيل: يا غلام، في يا غلامي، فإن ابن يصغّر على بنيّ فإذا أُضيف إلى ياء المتكلم قيل: يا بني. **قوله**: (كما في القربة) للتقرّب المعنوي بعبارة ونحوها، (والقربى) للنسبى. **قوله**: (لأنه ضمن معنى فعل يتعدّى باللام) كأنه قيل: فيكيدوك محتالين لك، أو فيحتالوا كائدين. **قوله**: (ظاهر العداوة) بيان لأن ﴿مُّبِينٞ﴾ من أبان اللازم.

(وهو اسم جمع للحديث) وليس بجمع أحدوثة ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أي جعلهم أنبياء الدنيا وملوكًا، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة. وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم، وأصل آل أهل بدليل تصغيره على «أهيل» إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له (خطر)، يقال: آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام، ولكن أهله، وإنما علم يعقوب أن يوسف يكون نبيًا وإخوته أنبياء استدلالًا بضوء الكواكب فلذا قال: ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أراد الجد وأبا الجد ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عطف بيان لـ ﴿أَبَوَيْكَ﴾، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ يعلم مَن يحقّ له الاجتباء ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء في مواضعها.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ أي في قصتهم وحديثهم ﴿ءَايَٰتٌ﴾ علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته في كل شيء. (﴿آيةٌ﴾ مكي) ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ لمن

قوله: (وهو اسم جمع للحديث) ولم يجعله جمعًا للحديث لأن فعيلًا لا يجمع على أفاعيل، بل يجمع على فعل، نحو: قبيل وقبل، وعلى أفعلة نحو قفيز وأقفزة، وفعلان قفيز وقفزان، وعلى أفعلاء نحو نبيّ وأنبياء، وعلى فُعَلاء نحو شهيد وشُهَداء، وعلى فعال نحو كريم وكرام، وعلى أفعال نحو شريف وأشراف؛ فنحو أقاطيع وأحاديث ينبغي أن يجعل اسم جمع حديث وقطيع. قال صاحب الكشاف عفا الله عنه في سورة المؤمن: الأحاديث تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديث رسول الله ﷺ، وتكون جمعًا للأُحدوثة الذي هو مثل الأضحوكة والأُعجوبة، ولا يصحّ أن يجعل جمع أُحدوثة في الآية؛ لأنها عبارة عما سيحدث به الناس تلهيًا بحيث يتعجّب منه ويضحك؛ لأنه يقال: أحاديث الشيء، ومن الممتنع أن يُطلق على الكلام النبوي أُحدوثة، وقيل: إنه جمع لواحد غير ملفوظ به، كأنهم جمعوا حديثًا على أحدثة، ثم جمعوا الجمع على أحاديث كقطيع وأقطعة وأقاطيع. **قوله**: (خطَر) أي قدرٌ ومنزلة.

قوله: (﴿آيةٌ﴾ مكّي) أي قرأ ابن كثير المكّي: ﴿آيةٌ﴾ بالإفراد على إرادة الجنس، والباقون بالجمع تصريحًا بالمراد.

سأل عن قصتهم وعرفها، أو آيات على نبوة محمد ﷺ للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، وأسماؤهم: (**يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي**) وزبولون ويشجر وأمهم (**ليا بنت ليان**)، ودان ونفتالي وجاد وآشر (**من سُرّيّتين زلفة وبلهة**)، فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل (**فولدت له بنيامين ويوسف**).

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شُبهة فيه. وإنما قالوا ﴿وَأَخُوهُ﴾ وهم إخوته أيضًا لأن أُمهما كانت واحدة، وإنما قيل: ﴿أَحَبُّ﴾ في الاثنين (**لأن أفعل من**) لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث، (**ولا بد من الفرق مع لام التعريف**) وإذا أُضيف ساغ الأمران. والواو في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ للحال أي أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كُفاة نقوم بمرافقه، فنحن أحقّ بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ غلط في تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة في الدين لكفروا. والعصبة العشرة فصاعدًا.

قوله: (**يهوذا**) بدال مهملة وأصله بالمعجمة بالعبرانية، لكن تصرفت فيه العرب فأهملوها. اهـ شيخنا. اهـ جمل. وهو أكبرهم وأحسنهم رأيًا، وهو أبو الملوك. **قوله**: (**وروبيل**) وهو أكبرهم سنًا. **قوله**: (**وشمعون**) بكسر الشين. اهـ قنوي. وفي المغني: بفتح معجمة. اهـ. **قوله**: (**ولاوى**) ويُروى: ليوى، كأنه إمالته، وهو أبو الأنبياء عليهم السلام. **قوله**: (**ليا بنت ليان**) وهي ابنة خال يعقوب. **قوله**: (**من سُرّيّتين**) بضم السين وتشديد الراء والياء، أي من جاريتين (**زلفة وبُلهة**). **قوله**: (**فولدت له بنيامين ويوسف**) بنيامين ـ بكسر الباء ـ قال مولانا سعدي: وماتت راحيل من نفاسه، فيكون بنيامين آخر ولده، فعلم أن يوسف عليه السلام أكبر سنًّا منه، فتقديمه في الذِّكر للترقّي.

قوله: (**لأن أفعل من**) أي لأن أفعل التفضيل المستعمل بلفظة من. **قوله**: (**ولا بدّ من الفرق**) إذا كان معرّفًا (**مع لام التعريف**).

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ من جملة ما حكى بعد قوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ كأنهم أطبقوا على ذلك إلا مَن قال لا تقتلوا يوسف. وقيل: الآمِر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها عن الوصف **(ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة)** ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم، والمراد سلامة محبته لهم ممّن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم، لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، وجاز أن يُراد بالوجه الذات كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: الآية ٢٧]، ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ مجزوم عطفًا على ﴿يَخْلُ لَكُمْ﴾، ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب، أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير إلى مصدر «اقتلوا» أو «اطرحوا» ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيًا ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ فإن القتل عظيم ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ في قعر البئر وما غاب منه عن عين الناظر.

قوله: (ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة) يعني أن قوله: ﴿أَرْضًا﴾ [يُوسُف: الآية ٩] منصوب على أنه ظرف مكان، وظرف المكان إنما ينصب بتقدير في إذا كان مبهمًا غير محدود، ولفظ ﴿أَرْضًا﴾ [يُوسُف: الآية ٩] لمّا كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهمًا وتنكيرها في حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة عن العمران وعن أرض أبيه، فازداد بذلك إبهاماً. فإن قيل: المعلوم أن يوسف عليه الصّلاة والسلام لم يخلُ من الكون في أرض، فتبيّن أنهم أرادوا أرضًا بعيدة غير التي هو فيها، ومثل هذا المكان لا يتعدّى إليه إلّا بواسطة في، فلا بدّ أن يكون انتصابه مبنيًّا على إسقاط الخافض؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: الآية ١٦]. فالجواب أن الظرف المبهم عبارة عمّا ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه، و﴿أَرْضًا﴾ [يُوسُف: الآية ٩] في الآية الكريمة من هذا القبيل.

(**غيابات وكذا ما بعده: مدني**) ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ بعض الأقوام (**الذين يسيرون**) في الطريق ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ به شيئًا.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أي لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه، وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف (**استنزاله عن رأيه**) وعادته في حفظه منهم، وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ﴾ ـ نرتع ـ نتسع في أكل الفواكه وغيرها والرتعة السَّعة ﴿وَيَلۡعَبۡ﴾ ـ ونلعب ـ نتفرج بما يُباح كالصيد والرمي والركض. (**بالياء فيهما مدني وكوفي، وبالنون فيهما: مكي وشامي وأبو عمرو، وبكسر العين: حجازي من ارتعى يرتعي افتعال من الرعي**) ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يناله مكروه.

قوله: (**غيابات**) بالجمع (**وكذا ما بعده: مدني**) أي قرأه نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، كأنه كان لتلك الجبّ غيابات، وهي ـ أي الغيابة ـ قعره أو حفرة في جانبه، والباقون بالإفراد؛ لأنه لم يُلْقَ إلّا في واحدة، والجبّ البئر التي لم تُطْوَ. **قوله**: (**الذين يسيرون**) أي ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾، اللام فيها موصولة، وهي بمعنى المضارع كما هو مقتضى المقام.

قوله: (**استنزاله عن رأيه**) أي تبديل رأي يعقوب على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام من خوفه عليه منهم. **قوله**: (**بالياء فيهما مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفرٍ المدني وليس من السبعة، (**وكوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي (**وبالنون فيهما مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي، (**وأبو عمرو. وبكسر العين حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: **حجازي**. (**من ارتعى يرتعي افتعال من الرَّعْي**) وسكن العين أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي رحمهم الله مضارع رتع: انبسط في الخصب، فيكون صحيح الآخر جزمه بالسكون.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ أي يحزنني ذهابكم به واللام لام الابتداء ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ اعتذر إليهم بأن ذهابهم به مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة وأنه يخاف عليه من (**عدوة** ﴿ٱلذِّئْبُ﴾) إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ اللام مُوطِئة للقَسَم، والقَسَم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب. والواو في ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ جواب للقسم مُجزِىء عن جزاء الشرط أي إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذًا وخسرناها، وأجابوا عن عذره الثاني دون الأول (**لأن ذلك كان يغيظهم**).

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ (**أي عزموا على إلقائه**) في البئر وهي بئر على ثلاثة (**فراسخ**) من منزل يعقوب عليه السلام، وجواب «لما» محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد رُوِيَ أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا، فلما أرادوا إلقاءه في

قوله: (عَدْوَة) بالفتح. **قوله**: (﴿ٱلذِّئْبُ﴾) يُهمز ولا يُهمز، ويقع على الذَّكر والأُنثى، وربما دخلت الهاء في الأنثى، فقيل: ذئبة. اهـ مصباح. **قوله**: (**لأن ذلك كان يغيظهم**) ويُذيقهم **الأمَرِّيْن** ـ بكسر[1] الراء ـ قال أبو منصور: جاء هذا على لفظة الجماعة بالنون عن العرب أي الدواهي فأعاروه آذانًا صمًّا ولم يعبؤوا به. اهـ كشاف.

قوله: (**أي عزموا على إلقائه**) إشارة إلى معنى أصل الإجماع، أي أصل معنى الإجماع العزم المصمّم، وأنه **على** حذف الجار من متعلَّقه، **أي على** أن يجعلوه. **قوله**: (**فراسخ**) جمع الفرسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والذّراع أربع وعشرون أصبعًا، والأصبع ستّ شعيرات، بطن كل واحدة إلى

---

(١) وبفتحها على التثنية عن ابن الأعرابي. منه عمّ فيضهم.

الجبّ تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطّخوه (بالدم) فيحتالوا به على أبيهم ودلوه في البئر، وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي وكان يهوذا يأتيه بالطعام. ويُروَى أن إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار جُرِّد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحٰق، وإسحٰق إلى يعقوب فجعله يعقوب في (تميمة) علّقها في عنق يوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ قيل: أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيىٰ وعيسى عليهما السلام. وقيل: كان إذ ذاك (مدركًا) ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي لتحدِّثنَّ إخوتك بما فعلوا بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك، وذلك أنهم حين دخلوا عليه (ممتارين) فعرفهم وهم له منكِرون، دعا (بالصّواع) فوضعه على يديه ثم نقره فطن فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس، أو يتعلق ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بـ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ أي آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون بذلك.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾ للاستتار والتجسّر على الاعتذار ﴿يَبْكُونَ﴾ حال عن (الأعمش) لا تصدق باكية بعد إخوة يوسف، فلما سمع صوتهم فزع وقال: ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا. قال: فما بالكم وأين يوسف؟

الأخرى. **قوله**: (بالدم) أي بدم سخلة ذبحوها. **قوله**: (تميمة) التميمة عُوذة تُعلَّق على الإنسان. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (مدركًا) أي بالغًا كاملًا أشدّه. **قوله**: (ممتارين) في المصباح: مارهم ميرًا من باب باع أتاهم بالميرة ـ بكسر الميم ـ وهي الطعام وامتارها لنفسه. اهـ. **قوله**: (بالصُّواع) في مختار الصحاح: الصُّواع لغة في الصاع، وقيل: هو إناء يشرب فيه. اهـ.

قوله: (الأعمش) هو أبو محمد سليمان بن مهران الكوفي الإمام المشهور كان ثقة عالمًا فاضلًا، توفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول، وقيل: سنة سبع وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين رحمه الله تعالى.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ أي نتسابق في العدو أو في الرمي. والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامي وغير ذلك ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ بمصدّق لنا ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيىء الظن بنا غير واثق بقولنا؟!

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ (ذي كذب) أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزّور بذاته. رُوِي أنهم ذبحوا (سخلة ولطخوا) القميص بدمها وزلّ عنهم أن يمزقوه، ورُوِيَ أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال: أين القميص، فأخمذه وألقاه على وجهه وبكى حتى (خضب) وجهه بدم القميص وقال: تالله ما رأيت كاليوم ذئبًا أحلَم من هذا، أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه. وقيل: كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلًا ليعقوب على كذبهم (﴿أَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾)، ودليلًا على براءة يوسف حين قُدَّ من دبره. ومحل ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ النصب على الظرف كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم ﴿قَالَ﴾ يعقوب عليه السلام ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ﴾ زيَّنت أو سهَّلت ﴿لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ عظيمًا ارتكبتموه ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ خبر أو مبتدأ لكونه موصوفًا أي فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل وهو ما لا (شكوىٰ) فيه إلى الخلق ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ﴾ أي أستعينه ﴿عَلَىٰ﴾ احتمال ﴿مَا تَصِفُونَ﴾ من هلاك يوسف والصبر على (الرزء) فيه.

قوله: (ذي كذب)... الخ. بيان؛ لأنه وصف بالمصدر كرجل عدل، فإمّا أن يكون بتقدير مضاف أو أنه وصف بالمصدر مبالغة. **قوله:** (سخلة) في المصباح: السخلة تُطلق على الذّكر والأُنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد.اهـ. **قوله:** (ولطخوا) في مختار الصحاح: لَطَخه كذا من باب قطع فتلطخ به لوّثه به فتلوّث.اهـ. **قوله:** (خَضَب) من باب ضرب. **قوله:** (﴿أَلۡقُوهُ﴾) طرح القميص (﴿عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ﴾) رجع (﴿بَصِيرٗا﴾). **قوله:** (شَكْوى) بالفتح. **قوله:** (الرَّزْء) بالفتح المصيبة.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ رفقة تسير من قبل (مدين) إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب، فأخطؤوا الطريق فنزلوا قريبًا منه، وكان الجبّ في قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحًا (فعذب) حين أُلقي فيه يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعي ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ أرسل الدلو ليملأها (فتشبث) يوسف بالدلو فنزعوه ﴿قَالَ يا (بشرى﴾ كوفي) نادى البشرى كأنه يقول: تعالي فهذا أوانك. غيرهم «بشراي» على إضافتها لنفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافًا إلى نفسه ﴿هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ قيل: ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ الضمير للوارِد وأصحابه أخفوه من الرفقة، أو لإخوة يوسف فإنهم قالوا للرفقة: هذا غلام لنا قد (أبق) فاشتروه منّا، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ﴿بِضَـٰعَةً﴾ حال أي أخفوه متاعًا للتجارة، والبضاعة ما بضع من المال للتجارة أي قطع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَشَرَوْهُ﴾ وباعوه ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾(مبخوس) ناقص عن القيمة نقصانًا ظاهرًا (أو زيف) ﴿دَرَٰهِمَ﴾ بدل من «ثمن»، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة تُعَدّ عدًّا ولا تُوزَن لأنهم كانوا يعدّونِ ما دون الأربعين ويزِنون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهمًا

قوله: (مدين) هي قرية جهة الشام. **قوله**: (فعذب) بابه سهل. **قوله**: (فتشبّث) في مختار الصِّحاح: التشبّث بالشيء التعلّقُ به. **قوله**: (بشرى) بغير ياء الإضافة (كوفي) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي. **قوله**: (أبَق) في مختار الصحاح: أبِق العبد يَأْبُقُ بكسر الباء وضمّها أي هرب. اهـ.

قوله: (مبخوس) يعني أن البخس مصدر بخسه حقّه يبخسه، أي نقصه والثمن لا يوصف بالمعنى المصدري، فلذلك جعله بمعنى المبخوس إما لرداءة عينه، أو لنقصان وزنه. **قوله**: (أو زَيْف) في المصباح: زافت الدراهم تزيف زيفًا

﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ ممَّن يرغب عمّا في يده فيبيعه بالثمن (**الطفيف**)، أو معنى ﴿وَشَرَوْهُ﴾ واشتروه يعني الرفقة من إخوته ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ أي غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آبق. ويُروَى أن إخوته اتبعوهم وقالوا: استوثقوا منه لا يأبق. و﴿فِيهِ﴾ ليس من صلة ﴿ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ أي غير راغبين (**لأن الصلة**) لا تتقدم على الموصول، وإنما هو بيان كأنه قيل: في أيّ شيء زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ هو قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر ـ والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات في حياته واشتراه العزيز برِنَّته ورقًا ـ وحريرًا ومِسْكًا وهو ابن سبع عشرة سنة، وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ (**راعيل أو زليخا**) واللام متعلقة بـ ﴿قَالَ﴾ لا بـ ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ اجعلي منزله ومقامه عندنا كريمًا أي حسنًا مرضيًّا بدليل قوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾. وعن الضحاك: بطيب معاشه (**ولين لباسه**) ووطىء فراشه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ لعله إذا (**تدرّب**) وراضَ الأمور فهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أو نتبنّاه ونقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيمًا وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما قدم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه. والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أي كما

من باب سار ردأت ثم وصف بالمصدر، فقيل: درهم زيف. اهـ. **قوله**: (**الطفيف**) مثل القليل وزنًا ومعنًى. اهـ مصباح. **قوله**: (**لأن الصِّلة**) أي متعلّق الصلة.

قوله: (**راعيل أو زليخا**) الأول بمهملات بوزن هابيل والثاني بفتح الزاي وكسر اللام والخاء المعجمة وفي آخره ألف وهو المشهور، وقيل: إنه بضمّ أوّله على هيئة المصغر، وقيل: أحدهما لقبها والآخر اسمها. **قوله**: (**ولين لباسه**) وفي نسخة: لين رياشه، أي ملبوسه. **قوله**: (**تدرّب**) اعتاد.

أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكّنا له ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي أرض مصر وجعلناه ملكًا يتصرف فيها بأمره ونهيه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ **(كان ذلك الإنجاء والتمكين)** ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ لا يمنع عمّا شاء أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد إخوته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب ما يجهل فيه أو حكمًا بين الناس وفقهًا ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تنبيه على أنه كان مُحسِنًا في عمله متقيًا في **(عُنفوان أمره)**.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي طلبت يوسف أن يُواقعها والمُراودة مُفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت فِعْل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن **(التمحّل)** لمُواقعته إياها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ وكانت سبعة ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ هو اسم لتعال وأقبل وهو مبني على الفتح (﴿هَيْتُ﴾ **مكي بناه على الضم**،

قوله: **(كان ذلك الإنجاء والتمكين)** لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل. اهـ كشاف. وفي تفسير الخازن: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ أي مكنّا له في الأرض، لكي نعلمه من تأويل الأحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها. اهـ. وفي تفسير الجلالين وغيره: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ تعبير الرؤيا عطف على مقدَّر متعلّق بـ ﴿مَكَّنَّا﴾، أي لنملكه أو الواو زائدة. اهـ.

قوله: **(عُنْوان أمره)** في المصباح: عُنوان كل شيء ما يستدلّ به عليه ويُظهره. اهـ.

قوله: **(التمحّل)** أي الاحتيال. **قوله**: (﴿هَيْتُ﴾) بفتح الهاء وضمّ التاء بينهما ياء ساكنة (مكِّي) أي ابن كثير المكِّي **(بناه على الضمّ)** تشبيهًا بحيث

﴿هِيتَ﴾ مدني وشامي) واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هَلُمَّ لك ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ (أعوذ بالله معاذًا) ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي إن الشأن والحديث ﴿رَبِّيٓ﴾ سيدي ومالكي يريد قطفير ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ حين قال لك ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ فما جزاؤه أن أخونه في أهله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الخائنون (أو الزناة)، أو أراد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ الله تعالى لأنه مُسَبِّب الأسباب ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾ هم عزم ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

وقال (الشيخ أبو منصور) رحمه الله: وهَمَّ بها هَمَّ خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه، ولو كان معه كهمّها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين. وقيل: وهمَّ بها (وشارف) أن يهمّ بها، يقال: هَمَّ بالأمر إذا قصده وعزم عليه. وجواب ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ محذوف أي لكان ما كان. وقيل: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ جوابه ولا يصح، لأن جواب «لولا» لا يتقدم عليها لأنه في حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة. ويجوز أن يكون ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ داخلًا في حكم القسم في قوله: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾، ويجوز أن يكون خارجًا. ومن حق القارىء إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلامًا برأسه أن يقف على ﴿بِهِۦ﴾ ويبتدىء بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾، وفيه أيضًا إشعار بالفرق بين الهمَّين. وفسَّر همَّ يوسف بأنه حل (تكة سراويله) وقعد

(﴿هِيتَ﴾) بكسر الهاء وفتح التاء بينهما ياء ساكنة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (وشامي) أي ابن عامر الشامي. وقراءة الأكثرين ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ بفتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة. **قوله**: (أعوذ بالله معاذًا) إشارة إلى أنه منصوب على المصدرية بفعل محذوف. **قوله**: (أو الزناة) بضمّ جمع زان، مثل قاضٍ وقضاة.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي يقال له إمام الهدى له المصنّفات الجليلة، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة رحمة الله عليه. **قوله**: (وشارف) أي دنا وقارَبَ. **قوله**: (تكة سراويله) التّكة معروفة،

(بين شُعَبها الأربع) وهي مستلقية على قفاها، وفسَّر البرهان بأنه سمع صوتًا إياك وإياها مرتين فسمع ثالثًا أعرض عنها (فلم ينجع فيه) حتى مثل له يعقوب (عاضًا على أنملته)؛ وهو باطل، ويدلّ على بُطلانه قوله: (﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾) ولو كان ذلك منه أيضًا لما برَّأ نفسه من ذلك، وقوله: (﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾) ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفًا عنه وقوله: (﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾) ولو كان كذلك لخانه بالغيب، وقوله: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾، ﴿ٱلْـَٰٔنَ (حَصْحَصَ) ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ولأنه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذي النون وداود عليه السلام، وقد سمَّاه الله مخلصًا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أُولي العزم ناظرًا في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثَّناء. ومحل الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب أي مثل ذلك التثبيت ثبَّتناه، أو رفع أي الأمر مثل ذلك ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ خيانة السيد

والجمع تكك مثل سدرة وسدر. قال ابن الأنباري: وأحسبها معرّبة واستكّ بالتكة أدخلها في السراويل. اهـ مصباح. **قوله**: (بين شُعَبها الأربع) أي يديها ورجليها والشعب النواحي، واحدتها شعبة. **قوله**: (فلم ينجع فيه) في مختار الصحاح: نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء، أي دخل وأثر وبابه خضع. اهـ.

قوله: (عاضًا على أنملته) في المصباح: عضضت اللّقمة وبها وعليها عضًا أمسكتها بالأسنان، وهومن باب تعب في الأكثر، لكن المصدر ساكن، ومن باب نفع لغة قليلة، وفي أفعال ابن القطاع من باب قتل. اهـ. وأيضًا فيه الأنملة من الأصابع العُقْدة، وبعضهم يقول: الأنامل رؤوس الأصابع، وعليه قول الأزهري الأنملة المفصِل الذي فيه الظُّفُر، وهي بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمّها، وابن قتيبة يجعل الضمّ من لحن العوام، وبعض المتأخّرين من النحاة، حكى تثليث الهمزة مع تثليث الميم، فيصير تسع لغات. اهـ. **قوله**: (﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾) أي طلبتني بالجماع. **قوله**: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) أريناه البرهان (﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾) الخيانة (﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾) الزنا. **قوله**: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي طلب البراءة (﴿لِيَعْلَمَ﴾) العزيز (﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾) في أهله (﴿بِٱلْغَيْبِ﴾) حال. **قوله**: (﴿حَصْحَصَ﴾) وضح.

﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ الزّنا ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (بفتح اللام حيث كان: مدني وكوفي) أي الذين أخلصهم الله لطاعته، وبكسرها غيرهم أي الذين أخلَصوا دينهم لله. ومعنى ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ وتسابقا إلى الباب، هي للطلب وهو (**للهرب**)، على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥] أو على تضمين ﴿وَٱسْتَبَقَا﴾ معنى ابتدرا ففرَّ منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحَّد الباب وإن كان جمعه في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ لأنه أراد الباب البرَّاني الذي هو المخرج من الدار، ولما هرب يوسف جعل (**فراش القفل**) يتناثر ويسقط حتى خرج ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ اجتذبته من خلفه فانقدَّ أي انشقَّ حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ﴾ وصادفا بعلها قطفير مقبلًا يريد أن يدخل، فلما رأته احتالت لتبرئة (**ساحتها**) عند زوجها من (**الريبة**) ولتخويف يوسف طمعًا في أن يُواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «ما» نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو عذاب أليم وهو الضرب (**بالسِّياط**)، ولم تصرِّح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءًا لأنها قصدت العموم أي كل مَن أراد بأهلك سوءًا

قوله: (**بفتح اللام حيث كان: مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وكوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي.

قوله: (**للهَرَب**) في مختار الصحاح: الهَرب الفرار وقد هَرَب يهرُب هَرَبًا مثل طلب يطلب طلبًا.اهـ. **قوله**: (**فراش القفل**) في مختار الصحاح: فراشة القُفْل ـ بالتخفيف ـ ما ينشب فيه يقال: أَقْفَل فأَفْرَشَ.اهـ. وأيضًا فيه نَشِب الشيء في الشيء بالكسر نشوبًا عَلِق فيه.اهـ. **قوله**: (**ساحتها**) في لسان العرب: الساحة الناحية.اهـ. **قوله**: (**الرِّيْبَة**) التُّهمة. **قوله**: (**بالسِّياط**) في المصباح: السوط معروف والجمع أسواط وسياط مثل ثوب وأثواب وثياب.اهـ.

فحقه أن يُسجَن أو يُعَذَّب، لأنه ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف. ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه.

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ ولولا ذلك لكتم عليها ولم يفضحها ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ (هو ابن عم لها)، وإنما ألقى الله الشهادة على لسان مَن هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف. وقيل: كان ابن خال لها وكان صبيًا في المهد. وسُمِّي قوله شهادة لأنه أدَّى مؤدَّى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ والتقدير: وشهد شاهد فقال: إن كان قميصه. وإنما دلَّ قُدَّ قميصه من قبل على أنها صادقة لأنه يسرع خلفها ليلحقها (فيعثر) في مقادم قميصه فيشقّه، ولأنه يقبل عليها وهي تدفعه عن نفسها فيتخرق قميصه من قبل. وأما تنكير ﴿قُبُلٖ﴾ و﴿دُبُرٖ﴾ فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر، (**وإنما جمع بين «إن» التي للاستقبال وبين «كان»**) لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قُدَّ.

قوله: (هو ابن عمّ لها) وكان رجلًا حكيمًا ذا لحية، واتّفق في ذلك الوقت أنّه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها، وقال: قد سمعت من وراء الباب صوت شقّ القميص، إلا أني لا أدري أيّكما قدام صاحبه، فإن كان شقّ القميص من قدّامه فأنت صادقة والرجل كاذب، وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة.
قوله: (فيعثر) في المصباح: عثر الرجل في ثوبه يعثر، والدابّة أيضًا من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب عِثارًا ـ بالكسر ـ والعثرة المرّة، ويقال للزلّة: عثرة؛ لأنها سقوط في الاسم، وفرّق بينهما في مختصر العين بالمصدر، فقال: عثر الرجل عثورًا أو عثر الفرس عِثارًا.

قوله: (وإنما جمع بين إن التي للاستقبال وبين كان) يعني أن كلمة إن تدلّ على الاستقبال، وكان على المضيّ، فينبغي أن لا يجمع بينهما؛ لأن المعنى أن

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ قطفير ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾ وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾ إن قولك: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ أو إن هذا الأمر وهو الاحتيال لنيل الرجال ﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ﴾ الخطاب لها ولأمتها ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ لأنهن (**ألطف**) كيدًا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال، (**والقصريات**) منهن معهن ما ليس مع غيرهن من (**البوائق**). وعن بعض العلماء: إني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية ٧٦]، وقال لهن: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾، ﴿يُوسُفُ﴾ حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحله ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ الأمر واكتمه ولا تتحدث به. ثم قال لراعيل: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ من جملة القوم المتعمّدين للذنب. يقال: خطيء إذا أذنب متعمّدًا، وإنما قال بلفظ التذكير تغليبًا للذكور على الإناث، وكان العزيز رجلًا حليمًا قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول.

﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾

﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ﴾ جماعة من النساء وكنّ خمسًا: امرأة الساقي وامرأة الخبّاز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب. والنسوة اسم مفرد

يعلم أنه كان قميصه يعني أن الشرط وإنْ كان ماضيًا بحسب اللّفظ، لكنه في تأويل المضارع؛ لأن المراد إرشاد العزيز إلى أن يتبع الإمارة التي تدلّ على تعيين الصادق وتمييزه من الكاذب، وهو نظير قولك: إن أحسنت إليّ فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمنن عليك بإحسانه، فإنّ المعنى إن تمنن عليّ بإحسانك أمنن عليك بإحساني السابق، وإن تعد إحسانك إليّ فيما مضى، فأعد إحْساني إليك فيه، فلمّا كان الشرط في تأويل المستقبل ارتفعت المُنافاة بينه وبين كلمة أن. **قوله**: (**ألطف**) أي أخفى. **قوله**: (**والقصريات**) أي الساكنات في القصر. **قوله**: (**البوائق**) في المصباح: البائقة النازلة، وهي الداهية والشرّ الشديد وباقَتِ الداهية إذا نزلت، والجمع البوائق. اهـ.

لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقي ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون (وضمها) ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ في مصر ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ يردن قطفير، والعزيز الملك بلسان العرب ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لتنال شهوتها منه ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تمييز أي قد شغفها حبّه يعني خرق حبّه (شغاف) قلبها حتى وصل إلى الفؤاد، والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ في خطأ وبُعْد عن طريق الصواب.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ راعيل ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومَقَتها. (وسُمّي الاغتياب مَكرًا) لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره. (وقيل: كانت استكتمتهن سرّها) فأفشينه عليها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ دعتهن. قيل: دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ وهيَّأت افتعلت (من العتاد) ﴿لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ ما يتكئن عليه من (نمارق) قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها، لأن المتكىء إذا بهت لشيء وقعت يده

قوله: (وضمّها) وبالضمّ قرأ المفضل والأعمش والسلمي، كما قال القرطبي رحمه الله؛ فلا عبرة بمن أنكرها. اهـ شهاب. **قوله**: (شغاف) بالفتح.

قوله: (وسُمّي الاغتياب مكرًا)... الخ. أي إنما سمّى اغتيابهنّ مكرًا، والغيبة ليس من قبيل المكر تشبيهًا له بالمكر بجامع الإخفاء، فالمكر من باب الاستعارة المصرَّحة. اهـ تمجيد. **قوله**: (وقيل: كانت استكتمتهنّ سرّها) أي طلبت منهنّ كتمان سرّها في حبّ يوسف، فوعدن بذلك لكن ما وفَيْن بالوعد، بل أفْشَيْن سرّها بالاغتياب بين الناس، فعلى هذا يكون المكر على حقيقته؛ لأن حقيقة المكر إيصال المكروه إلى من خفي عنه ذلك. اهـ تمجيد. **قوله**: (من العتاد) بالفتح. **قوله**: (نمارق) جمع نمرقة الوسائد. في مختار الصحاح: النُّمْرُق والنُّمْرُقة وسادة صغيرة، والنِّمرقة بالكسر لغة فيه. اهـ. وفي القاموس: النمرق والنمرقة مثلثة

علـى يـده ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ وكـانـوا لا يـأكـلون فـي ذلـك الـزمـان إلا بالسكاكين كفِعْل الأعاجم ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ (بكسر التاء: بصري) وعاصم وحمزة، وبضمها: غيرهم.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ (أعظمْنه وهِبْنَ) ذلك الحُسْن (الرائق) والجمال الفائق، وكان فضل يوسف على الناس في الحُسْن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء، وكان إذا سار في (أزِقَّة) مصر يُرى تلألؤ وجهه على (الجدران)، وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه. وقيل: ورث الجمال من جدّته سارة. وقيل: «أكبرن» بمعنى حِضْنَ (والهاء للسكت)، إذ لا يقال النساء قد حضنه لأنه لا يتعدى إلى

الوسادة الصغيرة. اهـ. **قوله**: (بكسر التاء بصري) أي أبو عمرو البصري، ويعقوب البصري وليس من السبعة. **قوله**: (أعظمنه[1]) فعلى هذا يكون همزة أفعل في ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ للوجدان، أي وجدنه كبيرًا. اهـ تمجيد. **قوله**: (وهِبْنَ) جمع مؤنّث من هابَ يهاب، والواو للعطف، ففعل به ما فعل ببعن، وهذا لازم معناه إذ المراد بتعظيمه تعظيم حسنه لا تعظيم ذاته، والقرينة عليه ما بعده ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، فإنه يدلّ على أن حُسْنه وجماله غير معهود للبشر. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله**: (الرّائق) في المصباح: راقني جماله أعجبني. اهـ. وفي نسخة: الرائع، في المصباح: راعني جماله أعجبني. اهـ.

قوله: (أزقة) في المصباح: الزقاق دون السكّة، نافذة كانت أو غير نافذة. قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنّثون الزقاق والطريق والسبيل والسوق والصّراط. وتميم تذكر والجمع أزقّة، مثل غراب وأغربة. اهـ. **قوله**: (الجدران) في المصباح: الجدار الحائط والجمع جُدُر، مثل كتاب وكُتُب، والجدر لغة في الجدار، وجمعه جدران. اهـ. وفي مختار الصِّحاح: الجَدْرُ كالفَلْس والجِدار الحائط، وجمع الجدار جُدُر، وجمع الجَدْر جُدْران، كبَطْن وبُطْنان. اهـ. **قوله**: (والهاء للسَّكت[2]) في القاموس: هاء السَّكْتِ وهي اللاحقة لبيان حركة أو حرف، نحو ماهِيَه وهاهُنَاه، وأصلها أن يوقف عليها، وربما وُصِلت بنية الوقف. اهـ.

---

(١) فأكبره بمعنى كبّره أي عظّمه. اهـ شهاب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) وأجرى الوصل مجرى الوقف وحرّكت تشبيهًا له بالضمير. ١٢ منه عمّ فيضهم.

مفعول، يقال: أكبرت المرأة حاضت، وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حدِّ الصغر وكأن (**أبا الطيب**) أخذ من هذا التفسير (**قوله**:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق)

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (**وجرحنها**) كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدُهِشْن لمّا رأينه (**فخدشن**)

قوله: (**أبا الطيب**) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور، هو من أهل الكوفة وقَدِم الشام في صباه وجال في أقطاره، واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، وكان من المُكثرين من نقل اللغة والمطّلعين على غريبها وحواشيها ولا يسئل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النّظم والنثر، وإنما قيل له المتنبّي لأنه ادّعى النبوّة في بادية السماوة وتبعه خلقٌ كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرّق أصحابه وحبسه طويلًا ثم استتابه وأطلقه، وقيل غير ذلك، وهذا أصحّ. قُتِل سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، ومولده في سنة ثلاث وثلاثمائة بالكوفة في محلّة تسمّى كندة، فنُسِب إليها، وليس هو من كندة التي هي قبيلة، بل هو جعفيّ القبيلة ـ بضمّ الجيم وسكون العين المهملة وبعدها فاء ـ وهو جعفي بن سعد العشيرة ابن مذحج، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وإنما قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب فيما قيل في ثلاثمائة من ولده وولد ولده، فإذا قيل له: مَنْ هؤلاء؟ قال: عشيرتي، مخافة العين عليهم.
قوله: (**قوله**)... الخ. وهو من قصيدة مدح بها الحسين بن إسحٰق التنوخي، (**خِفِ الله واستر ذا الجمال**) بنصب الجمال نعت، ذا اسم إشارة، وجوّز فيه أن يكون ذا بمعنى صاحب، والجمال مجرور بالإضافة، والمراد بذي الجمال الوجه، والأول أوْلى روايةً ودراية، أي استر جمالك (**ببرقع**) ترسله على وجهك (**فإن لُحْتَ**) أي إن ظهرتَ (**حاضت**) عشقًا وصبابةً (**في الخُدور**) جمع خِدر ـ بالكسر ـ وهو ستر يُمَدّ في جانب البيت للنساء (**العواتق**)، جمع عاتق، وهي المرأة الشابّة.
قوله: (**وجرحنها**) يعني أن القطع ليس بمعنى الإبانة كما قيل؛ لأنه خلاف الظاهر، وهذا معنى حقيقيّ له أيضًا. وقال صاحب الكشف: الأصح أنه مجاز. **قوله**: (**فخدشن**) في المصباح: خدشته خدشًا من باب ضرب جرحته في ظاهر الجلد

أيديهن ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ «حاشا» كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول: أساء القوم حاشا زيد. وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة، (**فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله. وقراءة أبي عمرو «حاشا لله»**) نحو قولك: سقيًا لك كأنه قال: براءة، ثم قال: لله، لبيان مَن يُبرِّىء وينزّه. (**وغيره «حاش لله» بحذف الألف الأخيرة**) والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية و(**بتتن**) بها الحكم لما (**ركز**) في الطِّباع أن لا أحسن من الملَك كما ركِّز فيها أن لا أقبح من الشيطان.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنّني فيه، تعني إنكن لم تصوّرنه حقّ صورته وإلا (**لعذرتنني**) في الافتتان به ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفّظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها،

وسواء دمي الجلد أو لا، ثم استُعمل المصدر اسمًا وجمع على خدوش. اهـ.
قوله: (**فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله**) وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة. اهـ كشاف. (**وقراءة أبي عمرو: «حاشا لله»**) بألف حال الوصل، فإذا وقف حذفها اتباعًا للخطّ في تفسير الكشاف. وقراءة أبي عمرو: «حاش لله» بحذف الألف الآخرة. اهـ. فافهم. وأيضًا فيه: فإن قلت: فلِمَ جاز في «حاشا لله» أن لا ينوّن بعد إجرائه مجرى براءة لله؟ قلت: مراعاةً لأصله الذي هو الحرفيّة. اهـ. وأيضًا فيه قراءة أبي السمال: «حاشًا لله» بالتنوين. اهـ.
قوله: (**وغيره: ﴿حاش لله﴾ بحذف الألف الأخيرة**) وقفًا ووصلًا. **قوله**: (**بَتَتْنَ**) البَتُّ القطع. اهـ مختار الصحاح. من باب ضرب وقتل. اهـ مصباح. **قوله**: (**ركز**) في المصباح: ركزت الرُّمح ركزًا من باب قتل أثبته بالأرض فارتكز، والمركز وزان مسجد موضع الثبوت. اهـ.

قوله: (**لعذرتنني**) أي لجعلتنني معذورة.

وهذا بيان جليّ على أن يوسف عليه السلام بريء مما فسّر به أولئك الفريق الهَمَّ والبرهان. ثم قلن له: أطِعْ مولاتك، فقالت راعيل: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ الضمير راجع إلى «ما» وهي موصولة، (**والمعنى ما آمره به. فحذف الجار**) كما في قوله: «أمرتك الخير»، أو «ما» مصدرية والضمير يرجع إلى يوسف أي ولئن لم يفعل أمري إياه أي مُوجِب أَمْري ومقتضاه ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ليحبسنَّ، والألف في ﴿وَلَيَكُونًا﴾ بدل من نون التأكيد الخفيفة ﴿مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ مع السرّاق (**والسفاك والأباق**) كما سرق قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق، فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعني هنا كل ذلك، ومَن لم يرضَ بمثلي في الحرير على السرير أميرًا حصل (**في الحصير على الحصير حسيرًا**). فلما سمع يوسف تهديدها.

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ أسند الدعوة إليهن لأنهن قلن له ما عليك لو أجَبْتَ مولاتك، أو افتتنت كل واحدة به فدعته إلى نفسها سرًّا فالتجأ

قوله: (**والمعنى ما آمرهُ به. فحذف الجار**) من به وأوصل الفعل إليه.
قوله: (**والسُّفاك**) جمع سافك، في المصباح: سفكت الدَّم والدمع سفكًا من باب ضرب، وفي لغة: من باب قتل أرَقْتَه، والفاعل سافك وسفّاك للمبالغة. **قوله**: (**والأُبّاق**) جمع آبق، في المصباح: أبِقَ العبد أبْقًا من بابي تعب وقتل في لغة، والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيِّده من غير خوف ولا كَدّ عمل، هكذا قيّده في العين. وقال الأزهري: الأَبَاق هروب العبد من سيّده، والإباق ـ بالكسر ـ اسم منه، فهو آبق، والجمع أُبّاق، مثل كافر وكُفّار. اهـ. **قوله**: (**في الحصير**) أي الحبس (**على الحصير**) أي البارية، في المصباح: الحصير الحبس، والحصير البارية. اهـ. وأيضًا فيه: البارية الحصير الخشن وهو المشهور في الاستعمال، وهي في تقدير فاعولة، وفيها لغات إثبات الهاء وحذفها، والبارياء على فاعلاء مخفّف ممدود، وهذه تؤنّث، فيقال: هي البارياء، كما يقال: هي البارية بوجود علامة التأنيث. وأمّا مع حذف العلامة، فمذكّر فيقال: هو الباريء، وقال المطرزي: الباري الحصير، ويقال له بالفارسية البورياء. اهـ بحروفه. **قوله**: (**حسيرًا**) ذليلًا.

إلى ربه، قال ربّ السجن أحب إليّ من ركوب المعصية ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ (فزع منه إلى الله) في طلب العصمة ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ أمل إليهن. والصبوة الميل إلى الهوى (ومنه الصَّبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها) ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن مَن لا (جدوى) لعلمه فهو ومَن لم يعلم سواء، أو من السفهاء، فلما كان في قوله: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ معنى طلب الصرف والدعاء قال:

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي أجاب الله دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعوات المُلتجئين إليه ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بحاله وحالهن ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ (فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي)، والضمير في ﴿لَهُم﴾ للعزيز وأهله ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ وهي الشواهد على براءته كقدّ القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ لإبداء

قوله: (فزع منه إلى الله) في المصباح: فزعت إليه لجأت، وهو مفزع أي ملجأ. اهـ. **قوله**: (ومنه الصَّبا) ـ بالفتح ـ وهو ريح يهبّ من جانب الشرق ويقابله الدبور، وإنما سُمِّيت هذه الريح بالصبا (لأن النفوس تصبو) أي تميل (إليها لطيب نسيمها) في المصباح: النسيم نفس الريح. اهـ. (وروحها) في مختار الصحاح: الرَّوْح ـ بالفتح ـ من الاستراحة. **قوله**: (جَدْوىٰ) أي نفع.

قوله: (فاعله مضمر لدلالة ما يفسّره عليه، وهو ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾، والمعنى: بدا لهم بداء، أي ظهر لهم رأي) كذا في تفسير الكشاف. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة شهاب عليه رحمة الله الوهاب: وجملة ﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾ تحتمل ثلاثة أوجه: أن تكون مفعولًا لقول مضمر، والتقدير: قالوا ليسجننه، وإليه ذهب المبرد. وأن تكون مفسّرة للضمير المستتر في بَدَا، فلا موضع لها، والضمير إما للبداء بمعناه المصدري، أو بمعنى الرأي أو للسجن بالفتح المفهوم من الكلام. وأن تكون جوابًا لبدا؛ لأن بدا من أفعال القلوب، والعرب تُجريها مجرى القسم وتتلقاها بما يتلقّى به، ففي الفاعل له أقوال، واختار أبو حيان رحمه الله تعالى أنه

عذر الحال وإرخاء الستر على القيل والقال، وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وكان مِطواعًا لها (وجُمَيْلًا ذلولًا)، زمامه في يدها وقد طمعت أن يذلّله السجن ويسخِّره لها، أو خافت عليه العيون وظَنَّت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس، (والوجل) من البأس، إلى أن رضيت بالحجاب، مكان خوف الذهاب، لتشتفي بخبره، إذا منعت من نظره ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى زمان كأنها اقترحت أن يُسجَن زمانًا حتى تُبصِر ما يكون منه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٦)﴾

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ عبدان للملك خبّازه و(شرابيه) بتهمة السم، فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن «مع» يدل على معنى الصحبة تقول: خرجت مع الأمير تريد مُصاحِبًا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مُصاحبين له ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ أي شرابيه ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ أي في المنام (وهي حكاية حال ماضية) ﴿أَعْصِرُ خَمْرًاۖ﴾ أي عنبًا تسمية للعنب بما يؤول إليه، (أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب) ﴿وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ﴾ أي خبّازه ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ

للسجن. اهـ. **قوله**: (وجُمَيْلًا) تصغير جمل. **قوله**: (ذلولًا) في المصباح: ذلّت الدابّة ذلًّا ـ بالكسر ـ سهلت وانقادت، فهي ذلول، والجمع ذلل مثل رسول ورسل. اهـ. **قوله**: (الوجل) الخوف.

قوله: (شرَّابيه) منسوب إلى الشراب، أي ساقيه، والنسبة لتولية الشراب وسقيه الملك. **قوله**: (وهي حكاية حال ماضية) وإلّا فالظاهر أن يقال: إني رأيت، فإنه من الرؤيا ورؤياه قد مضت، فعدل عمّا يقتضيه الظاهر إلى صيغة الحال استحضارًا للصورة الماضية وتصويرها كما رأى. **قوله**: (أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب) في المصباح: عُمَان وزان غراب موضع باليمن. اهـ. وأما الذي بالشام، فهو عمّان ـ بالفتح والتشديد ـ. اهـ مختار الصِّحاح. وفي لسان العرب: والعرب تسمّي العنب خمرًا. قال ابن سيّده: وأظنّ ذلك لكونها منه، حكاها أبو حنيفة قال: وهي لغة يمانية، وقال في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ﴾ أن الخمر

نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ بتأويل ما رأيناه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ **(من الذين يحسنون عبارة الرؤيا)** أو من المحسنين إلى أهل السجن فإنك تداوي المريض **(وتعزِّي)** الحزين وتوسع على الفقير، فأحسِن إلينا بتأويل ما رأينا. وقيل: إنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي: إني رأيت كأني في بستان، فإذا بأصل **(حبلة)** عليها ثلاثة **(عناقيد)** من عنب **(فقطفتها وعصرتها)** في كأس الملك وسقيته وقال الخبّاز: إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث **(سلال)** فيها أنواع الأطعمة، فإذا سِباع الطير **(تنهش)** منها.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ أي لبيان ماهيته وكيفيته **(لأن ذلك يشبه تفسير المشكل)** ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ ولما استعبراه ووصفاه بالإحسان **(افترص)** ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار

هنا العنب. اهـ. **قوله**: (من الذين يحسنون عبارة الرؤيا) لعِلْمهم بذلك؛ إذ عبّر لبعضهم رؤياه. **قوله**: **(وتعزي)** في المصباح: عزى يعزي من باب تعب صبر على ما نابه، وعزّيته تعزية قلت له: أحسن الله عزاءك، أي رزقك الصبر الحسن، والعزاء مثل سلام اسم من ذلك مثل سلم سلامًا وكلّم كلامًا. اهـ. **قوله**: (حَبَلة) بفتح الباء، ويجوز حَبْلة بالجزم، أي عنبة. في لسان العرب: الحَبْل شجر العنب، واحدته حَبَلة. اهـ. **قوله**: **(عناقيد)** في مختار الصِّحاح: العُنْقُود ـ بالضمّ ـ واحد عناقيد العِنَب. **قوله**: **(فقطفتها)** في المصباح: قطفت العنب ونحوه قطفًا من بابي ضرب وقتل قطعته. اهـ. **قوله**: **(وعصرتها)** من باب ضرب. **قوله**: **(سلال)** في لسان العرب: السَّلَّة كالجُونة المُطْبَقة، والجمع سَلٌّ وسِلال. اهـ. **قوله**: (تَنْهَشُ) منها بالمهملة والمعجمة، أي تأخذ منها وتقضم بمقدَّم الفم، وفعله على مثال منع.

قوله: **(لأن ذلك يشبه تفسير المشكل)** أي لأن بيان ماهية الطعام وكيفيّته قبل الإتيان إليهما يشبه تفسير المشكل، يريد بيان وجه ذكر لفظ التأويل المستعمل في بيان المشكل من القرآن والحديث. اهـ تمجيد. **قوله**: **(افترص)** أي اغتنم. **قوله**:

بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول: يأتيكما طعام مَن صفته (**كيت وكيت**) فيكون كذلك، ويجعل ذلك تخلّصًا إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزيِّنه لهما ويقبح إليها الشِّرك. وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو (**بصدده**)، وغرضه أن (**يقتبس**) منه ما لم يكن من باب التزكية ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ إشارة لهما إلى التأويل (**أي ذلك التأويل**) والإخبار بالمغيبات ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ وأوحى به إليَّ ولم أقله عن تكهّن وتنجّم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يجوز أن يكون كلامًا مبتدأ وأن يكون تعليلًا لما قبله أي علّمني ذلك وأوحى به إليَّ لأني رفضت ملّة أولئك وهي أهل مصر ومَن كان الفتيان على دينهم.

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨﴾

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ﴾ وهي الملّة الحنيفية، وتكرير «هم» للتوكيد وذكر الآباء ليُريهما أنه من بيت النبوّة بعد أن عرّفهما أنه نبي يُوحَى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوّي رغبتهما في اتّباع قوله، والمراد به ترك الابتداء لا أنه كان فيه ثم تركه ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ ما صحَّ لنا (**معشر الأنبياء**) ﴿أَن

(**كيت وكيت**) في لسان العرب: وكان من الأمر كَيْتَ وكَيْتَ، وإن شئتَ كسرت التاء، وهي كناية عن القصة أو الأُحدوثة، حكاها سيبويه. اهـ. **قوله**: (**بصدده**) في المصباح: الصَّدد - بفتحتين - القرب. اهـ. وفي لسان العرب: الصَّدَد الناحية، والصدد ما استقبلك وهذا صَدَدُ هذا بصدده وعلى صدده، أي قُبالته، والصدد القرب، والصدد القصد. قال ابن سيّدة: قال سيبويه: هو صددك ومعناه القصد. اهـ. **قوله**: (**يقتبس**) أي يستفاد. **قوله**: (**أي ذلك التأويل**) المراد بالتأويل كشفه عن الطعام قَبْلَ مجيئه؛ لأنه لمّا ذكره لهما قالا له: هذا كهانة، أي سحرًا وتنجم، أي استخراج له بما عَلِم من عِلْم النجوم، فقال: لا بل هو مما علّمني الله تعالى بوحيه وإلهامه.

قوله: (معشر الأنبياء) أي جماعة الأنبياء قاطبةً، الظاهر أنه منصوب بتقدير، يعني بالضمير معشر الأنبياء.

نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (أي شيء كان) صنمًا أو غيره. ثم قال: (﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد) ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضل الله فيُشركون به ولا ينتهون.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ (يا ساكني السجن كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾) [البقرة: الآية ٣٩]، و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [البقرة: الآية ٨٢] ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يريد التفرّق في العدد والتكاثر أي أن تكون أرباب (شتى) يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما ربٌّ واحد قهَّار لا يُغالَب ولا يُشارَك في الربوبية؟ وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون الله ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي سمّيتم ما لا يستحق الإلٰهية آلهة ثم (طفقتم) تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مُسمَّيات لها، ومعنى ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ سمَّيتم بها

قوله: (أي شيء كان) أي كلمة من زائدة في المفعول، سواء كان مفعولًا مطلقًا أو مفعولًا به[1]، فيفيد العموم، أي لا نشرك بالله في العبادة شيئًا من الأشياء، قليلًا أو حقيرًا، صنمًا أو ملكًا أو جنًّا أو غير ذلك. **قوله**: (﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد) جعل المشار إليه التوحيد المأخوذ من نفي صحة الشِّرك لقربه.

قوله: (يا ساكني السجن) أي المراد بالصاحب الساكن؛ إذ الصُّحبة بمعنى السكنى شائع؛ (كقوله) تعالى: (﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾) لملازمتهم بالسكنى لها. **قوله**: (شتّى) جمع شتيت، أي متفرّقون من ذهب وفضّة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك. **قوله**: (طفقتم) في مختار الصحاح: طَفِق يفعل كذا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب. اهـ. وفي لسان العرب: طَفِق يفعل كذا يطفَق طَفَقًا جعل يفعل وأخذ. اهـ. أي أخذتم.

---

(١) أي شيئًا من الإشراك. ١٢ منه.

يقال: سمَّيته زيدًا وسمَّيته بزيد ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ بتسميتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ في أمر العبادة والدين ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ ثم بيَّن ما حكم به فقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الثابت الذي دلَّت عليه البراهين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا يدلّ على أن العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقه.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

ثم عبَّر الرؤيا ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ يريد الشرابي ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ أي يعود إلى عمله ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾ أي الخبّاز ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ رُوِيَ أنه قال للأول: ما رأيت من **(الكرمة)** وحُسنها هو الملك وحُسْن حالك عنده، وأما **(القضبان)** الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه. وقال للثاني: ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل. ولما سمع الخبّاز صَلْبه قال: ما رأيت شيئًا، فقال يوسف: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ **(أي قطع وتم)** ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أي ما يجرّ إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظّانّ هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، وإن كان بطريق الوحي فالظّانّ هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ صِفني عند الملك بصفتي وقصَّ عليه قصتي لعله يرحمني ويخلِّصني من

قوله: **(الكرمة)** في لسان العرب: الكَرْمُ شجرة العنب، واحدتها كَرْمَة. اهـ. **قوله**: **(القضبان)** في مختار الصحاح: القضيب الغُصْن وجمعه قُضبان ـ بضم القاف وكسرها أيضًا ـ نقلهما الأزهري. اهـ. وفي المصباح: قضبت الشيء قضبًا من باب ضرب، فانقضب قطعته فانقطع واقتضبته مثل اقتطعته وزنًا ومعنى، ومنه قيل للغصن المقطوع قضيب فعيل بمعنى مفعول، والجمع قضبان ـ بضم القاف والكسر ـ لغة. اهـ. **قوله**: **(أي قطع وتمّ)**... الخ. قيل: إنه مخصوص بيوسف النبيّ صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلّم؛ لأنه علم بالوحي كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ

هذه (الورطة) ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ فأُنسي الشرابي ﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ **(أن يذكره لربه أو عند ربه)**، أو فأُنسِي يوسف ذكر الله حين وكَّل أمره إلى غيره، وفي الحديث «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعًا».
﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ أي سبعًا عند الجمهور، والبضع ما بين الثلاث إلى التسع.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريَّان بن الوليد رؤيا عجيبة هالَتْه، رأى سبع بقرات سِمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عِجاف فابتلعت العِجاف السِّمان، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حَبُّها وسبعًا أُخر يابسات قد **(استحصدت وأدركت فالتوت)** اليابسات على الخُضْر حتى **(غلبن عليها)**، فاستعبرها فلم يجد في قومه مَن يُحسِن عبارتها. وقيل: كان ابتداء بلاء

﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾، والتعليم إنما هو بالوحي. **قوله**: **(الوَرْطَة)** الهلاك وأصلها الوحل يقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلّص، وقيل: أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص. اهـ مصباح. **قوله**: **(أن يذكره لربّه أو عند ربّه)** يعني مقتضى الظاهر أن يقال: فأنساه الشيطان ذكره عند ربّه، لكن عدل عن مقتضى الظاهر إلى أن يقال ﴿ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ بإضافة الذِّكر إلى ربّه مكان ذكره عند ربّه، وهذه ليس بإضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله، فصحّحها بأنها إضافة لأدنى ملابسة الذِّكر لربِّه في أن ربّه هو الذي ألقى إليه الخبر وخُوطِب به عند الذِّكر وإلقاء الخبر. اهـ تمجيد. وفي حاشية البيضاوي للعلامة شيخ زاده: يعني الظاهر أن يقال ذكره لربّه على إضافة المصدر إلى مفعوله؛ لأن الشائع في إضافته أن يُضاف إلى الفاعل أو إلى المفعول به الصريح، إلا أنه أُضيف إلى غير الصريح للملابسة. اهـ.

قوله: **(استحصدت)** أي قَرُب وقت حصادها. **قوله**: **(وأدركت)** أي نضجت. **قوله**: **(فالتوت)** أي التفَّت عليها. **قوله**: **(غلبن عليها)** أي عصرتها حتى أذهبتها ولم يبقَ منها شيء كما أكلت السّمان العجاف.

يوسف في الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضًا الرؤيا. سِمان: جمع سمين و(سمينة)، والعجاف: المهازيل، و(العجف) الهزال الذي ليس بعده سمانة، والسبب في وقوع عجاف جمعًا لعجفاء - وأفعل وفعلاء لا يُجمعان على فعال - حمله على نقيضه وهو سمان، ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض. وفي الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة كانت سبعًا كالخضر لأن الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السِّمان والعِجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأُخَر السبع ويكون قوله: ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ بمعنى سبعًا أخر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾ كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ اللام في ﴿لِلرُّءْيَا﴾ للبيان، كقوله: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ أو لأن المفعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه (فعضد بها)، تقول: عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت، أو يكون ﴿لِلرُّءْيَا﴾ خبر «كان» كقولك: «كان فلان لهذا الأمر» إذا كان مستقلًا به متمكنًا منه، و﴿تَعْبُرُونَ﴾ خبر آخر أو حال. وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول: «عبرت النهر» إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه «أوّلت الرؤيا» إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها. وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر.

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي هي أضغاث أحلام أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان. وأصل الأضغاث ما جمع من

قوله: (سمينة) وهي الممتلئة لحمًا وشحمًا. **قوله**: (العجف) في المصباح: عَجِف الفرس عجفًا من باب تعِب وضعُف، ومن باب قرب لغة فهو أعجف وشاة عجفاء، وجمع الأعجف عِجاف على غير قياس، وإنما جمع على عِجاف إمّا حملًا على نقيضه وهو سمان، وإمّا حملًا على نظيره وهو ضعاف، ويعدّى بالهمزة فيقال: أعجفته وربما عُدّي بالحركة، فقيل: عجَفته عَجْفًا من باب قتَل. اهـ. **قوله**: (فعضد بها) في مختار الصحاح: عَضَده من باب نصر أعانه. اهـ.

أخلاط النبات (وحُزَم) من أنواع الحشيش، الواحد ضغث فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى من أيّ أضغاث من أحلام. وإنما جمع وهو (حلم) تزايدًا في وصف الحلم بالبُطلان، وجاز أن يكون قد قصَّ عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة فقالوا: ليس لها عندنا تأويل، إنما التأويل للمنامات الصحيحة، أو اعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بخابرين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا﴾ من القتل ﴿مِنْهُمَا﴾ من صاحب السجن ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ بالدال هو الفصيح وأصله «اذتكر» فأبدلت الذال دالًا والتاء دالًا وأدغمت الأولى في الثانية لتقارب الحرفين. وعن الحسن: و«اذكر» ووجهه أنه قلب التاء ذالًا وأدغم أي تذكر يوسف وما شاهد منه ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه (وأعضل) على الملك تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ أنا أخبركم به عمَّن عنده علمه ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ وبالياء (يعقوب بن إسحٰق) أي فابعثوني إليه لأسأله فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ أيها البليغ في الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق وتعرَّف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أوَّل ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ

قوله: (وحُزم) في المصباح: حزمت الشيء جعلته حُزْمة، والجمع حُزَم مثل غرفة وغُرف. اهـ. **قوله**: (حلم) في مختار الصحاح: الحُلْم ـ بضم اللام وسكونها ـ ما يراه النائم. اهـ.

قوله: (وأعضل) في مختار الصحاح: وقد أعضل الأمر اشتدّ واستغلق، وأمرٌ مُعْضِل لا يُهتدى لوجهه، والمُعْضِلات الشدائد. اهـ. **قوله**: (يعقوب بن إسحٰق) الحضرمي البصري، وليس من السبعة.

﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ إلى الملك وأتباعه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هو خبر في معنى الأمر كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾ [الصف: الآية ١١]. دليله قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه ﴿دَأَبًا﴾ ﴿دأْبًا﴾ بسكون الهمزة وحفص يحرّكه (وهما مصدرا دأب في العمل) وهو حال من المأمورين أي دائبين ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ كي لا يأكله (السوس) ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ في تلك السنين ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾ هو من إسناد المجاز جعل أَكْلَهُنَّ مسندًا إليهن ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي في السنين (المخصبة) ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تحرزون و(تخبئون).

قوله: (وهما مصدرا دأب في العمل) في مختار الصحاح: دأب في عمله جدَّ وتَعِبَ وبابه قطع وخضع، فهو دائب بالألف لا غير، انتهى. **قوله:** (السُّوس) الدود الذي يأكل الحنطة ونحوها فيُفسدها؛ إذ غلال مصر ونواحيها إن لم تترك في سنبله بل ميّز حبوباته عن تبنه، فاستولى عليه السوس فيُفسده، فأرشده عليه السلام إلى صلاح الأمر، وهو دوس ما أرادوا أكله وترك الباقي في سنبله. **قوله:** (المخصبة) في المصباح: الخصب وزان حمل النّماء والبركة، وهو خلاف الجدب، وهو اسم من أخصب المكان بالألف، فهو مخصب. وفي لغة: خصب يخصب من باب تعب، فهو خصيب، وأخصب الله الموضع إذا أنبت به العشب والكلأ. اهـ. وفي مختار الصحاح: الخِصْب ـ بالكسر ـ ضد الجَدْب، ويقال: بلد خِصْب وأَخْصابٌ أيضًا، وصفوه بالجمع؛ كأنهم جعلوا الواحد أجزاء وله نظائر وقد أَخْصَبتِ الأرض ومكان مُخْصِب وخَصِيب، انتهى. **قوله:** (تخبئون) في المصباح: خبأت الشيء خبأ مهموز من باب نفع سترته، ومنه الخابية، وترك الهمزة تخفيفًا لكثرة الاستعمال، وربما همزت على الأصل، وخبّأته حفظته، والتشديد تكثير ومبالغة، والخَبْء ـ بالفتح ـ اسم لما خبّىء، انتهى.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ﴾ أي من بعد أربع عشرة سنة عام ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ (من الغوث) أي يُجاب مُستغيثهم، (أو من الغيث) أي يمطرون يقال: غيثت البلاد إذا مطرت ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ العنب والزيتون (والسِّمْسِم) فيتخذون الأشربة والأدهان («تعصرون» حمزة) فأول البقرات السِّمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب. والعجاف واليابسات بسنين (مجدبة). ثم بشَّرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركًا كثير الخير (غزير) النِّعَم، وذلك من جهة الوحي.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليخرجه من السجن ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي الملك ﴿فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ أي حال النسوة ﴿اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾

قوله: (من الغَوْث) أي يجوز أن تكون ألف يغاث مبدلة من الواو على أن تكون من الغوث الذي هو الفرج وزوال الهمّ والكرب، وعلى هذا يكون فعله رباعيًّا، يقال: استغاث الله تعالى فأغاثه، أي أنقذه من الكرب الذي فيه، وهو القحط في قصة الرؤيا. **قوله:** (أو من الغيث) أي يجوز أن تكون ألف يغاث مقلوبة من الياء على أن يكون مشتقًّا من الغيث الذي هو مصدر قولك: غاث الله البلاد يُغيثها غيثًا إذا أنزل بها الغيث وهو المطر، وقد غيثت الأرض تُغاث إذا أمطرت. **قوله:** (السِّمْسِم) في مختار الصِّحاح: السِّمْسِمُ حَبّ الحَلّ. اهـ. وأيضًا فيه الحَلّ دُهْن السِّمْسِم. اهـ.

قوله: («تعصرون») بالتاء على الخطاب؛ لأن الكلام كلّه مع الخطاب (حمزة)، وفي تفسير البيضاوي وغيره قرأ حمزة والكسائي بالتاء. اهـ. والباقون بالياء على الغيبة رَدًّا إلى الناس. **قوله:** (مجدبة) في المصباح: الجَدْب هو المحل وزنًا ومعنى، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض، يقال: جدب البلد ـ بالضمّ ـ جدوبة فهو جدب وجديب وأرض جدبة وجدوب وأجدبت إجدابًا وجدبت تجدب من باب تعب مثله، فهي مجدبة والجمع مجاديب. اهـ. **قوله:** (غزير) أي كثير.

إنما تَثَبَّتَ يوسف و(تأنّى) في إجابة الملك وقدَّم سؤال النسوة ليُظهِر براءة ساحته عمّا رُمِيَ به وسجن فيه لئلا (يتسلق) به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سُلَّمًا إلى حطّ منزلته لديه، لئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير. وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التّهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها، وقال عليه السلام: «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره (والله يغفر له) حين سُئِل عن البقرات العِجاف والسِّمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يُخرِجوني، ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ولو كنت مكانه ولبثت في السجن لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العُذْرَ إن كان لحليمًا (ذا أناة)». ومن كلامه وحُسْن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المُقَطِّعات أيديهنَّ ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ أي إن كيدهن عظيم لا يعلمه إلا الله وهو مجازيهن عليه. فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المُقَطِّعات أيديهنّ ودعا امرأة العزيز ثم.

﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾

﴿قَالَ﴾ لهنّ ﴿مَا خَطۡبُكُنَّ﴾ ما شأنكن ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ هل وجدتن منه ميلًا إليكن ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تعجّبًا من قدرته على خلق عفيف مثله

قوله: (تأنى) تمكث ولم يعجل. **قوله**: (يتسلّق) في لسان العرب: التسلُّق الصعود على حائط أمْلَسَ. اهـ. وأيضًا فيه: تَسَلَّق صَعِد على حائط. اهـ. **قوله**: (والله يغفر له) ونحوه مقدَّمة تذكر أمام المقصود تعظيمًا لمن قيل له ذلك وتوقيرًا، وهو كما تقول لمن تعظّمه: عفا الله عنك ما صنعت في أمري. **قوله**: (ذا أناة) في المصباح: تأنّى في الأمر تمكث ولم يعجل، والاسم منه أناة وزن حصاة. اهـ. قال البغوي: وصفه بالأناة والصبر حيث لم يبادر إلى الخروج حين جاءه الرسول بالعفو عنه مع طول سجنه، بل قال: ﴿ٱرۡجِعۡ﴾ [يوسف: الآية ٥٠] . . . الخ. إقامةً للحجّة على ظلمه، وإنما قال النبيّ ﷺ ذلك تواضعًا منه لا أنه لو كان مكانه بادر وعجل، وإلا فحلمه ﷺ وتحمّله معلوم. اهـ شهاب.

﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ من ذنب ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ ظهر واستقر ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ ولا مزيد على شهادتهم له للبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن إنه لم يتعلق بشيء مما قُذِفَ به.

ثم رجع الرسول إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وإقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي امتناعي من الخروج والتثبّت لظهور البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ بظهر الغيب في حُرمته، و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني، أو ليعلم الملك أني لم أخن العزيز ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي وليعلم أن الله ﴿لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ لا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها. ثم أراد أن يتواضع لله و(يهضم) نفسه لئلا يكون لها مُزَكّيًا وليبيّن أن ما فيه من الأمانة بتوفيق الله وعصمته فقال:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ من (الزلل) وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أُزكّيها في عموم الأحوال، أو في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهمّ الذي هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أراد الجنس أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة، ويجوز أن يكون ﴿مَا رَحِمَ﴾ في معنى الزمان

قوله: (يهضم) من باب ضرب، أي يكسر.

قوله: (الزلل) في المصباح: زلّ عن مكانه زلّاً من باب ضرب تنحّى عنه وزلّ زَلَلًا من باب تعب لغة، والاسم الزّلة ـ بالكسر ـ والزّلة ـ بالفتح ـ المرّة، والمزلّة المكان الدّحضُ وهو بفتح الميم، وأما الزاي فالكسر أفصح من الفتح، يقال: أرضٌ مزلّة تَزِلّ فيها الأقدام، وزلّ في منطقه أو فِعْله يزلّ من باب ضرب زَلّة أخطأ. اهـ.

(أي إلا وقت رحمة ربي) يعني أنها أمّارة بالسوء في كل وقت إلا وقت العصمة، **(أو هو استثناء منقطع)** أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة. وقيل: هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سُئلت عنه، وما أُبرىء نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين قَذَفْتُهْ وقلت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ وأودعته السجن، تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي إلا نفسًا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وإنما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لأن المعنى يقود إليه. وقيل: هذا من تقديم القرآن وتأخيره أي قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ متصل بقوله: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ **(أجعله خالصًا لنفسي)** ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ وشاهد منه ما لم يحتسب ﴿قَالَ﴾ الملك ليوسف ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ **(ذو مكانة ومنزلة، أمين مؤتمن)** على كل شيء. رُوِيَ أن الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبًا وسبعون مركبًا وبعث إليه لباس الملوك فقال: أجب الملك، فخرج من السجن ودعا لأهله: اللَّهمَّ **(اعطف)** عليهم قلوب الأخيار **(ولا تعمّ عليهم الأخبار)**

قوله: **(أي إلا وقت رحمة ربّي)** يريد أن الاستثناء في ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾، مفرغ وما في ﴿مَا رَحِمَ﴾ دوامية يعني مصدرية بتقدير وقت مضاف إلى ﴿مَا رَحِمَ﴾ فالمعنى أن النفس لأمّارة بالسوء في جميع الأوقات إلّا وقت رحمة ربّي، فإنّها لا تأمر بالسوء في ذلك الوقت. **قوله**: **(أو هو استثناء منقطع)** فعلى هذا لا يقدر الوقت قبل ما رحم، وما مصدريّة ﴿وإلا﴾ بمعنى لكن، وما بعده مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: لكن رحمة ربّي هي التي تصرف الإساءة.

قوله: **(أجعله خالصًا لنفسي)** أي باب الاستفعال للتعدية لا للطلب. **قوله**: **(ذو مكانة ومنزلة)** أي مكين من المكانة وصيغة فعيل، وهو مكين للنسبة كلابن وتامر. **قوله**: **(أمين مؤتمن)** على كل شيء من أُمور السلطنة ولوازم الوزارة. **قوله**: **(اعطف)** أي أمل. **قوله**: **(ولا تُعَمِّ عليهم الأخبار)** في مختار الصِّحاح:

فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات. وكتب على باب السجن: هذه منازل البلواء وقبور الأحياء و(**شماتة الأعداء**) وتجربة الأصدقاء. ثم اغتسل وتنظف من (**درن**) السجن ولبس ثيابًا (**جُدُدًا**)، فلما دخل على الملك قال: اللَّهمَّ إني أسألك (**بخيرك**) من خيره، وأعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه، ثم سلّم عليه ودعا له بالعبرانية فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لسانًا فكلَّمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال: أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك. قال رأيت بقرات فوصف لونهنّ وأحوالهنّ ومكان خروجهنّ، ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك وقال له: من حقك أن تجمع الطعام في (**الأهراء**) فيأتيك الخلق من النواحي و(**يمتارون**) منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك. قال الملك: ومَن لي بهذا ومَن يجمعه؟

عَمِي عليه الأمر التبس، ومنه قوله: ﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ﴾ [القَصَص: الآية ٦٦]، وقرىء ﴿فعُمّيت عليهم﴾ بالتشديد. **قوله**: (**شماتة الأعداء**) في مختار الصحاح: الشَّماتة الفَرَح ببلية العدوّ وبابه سَلِم.اهـ. **قوله**: (دَرَن) وَسَخ. **قوله**: (**جددًا**) بضمّتين جمع جديد كسُرُر وسرير. **قوله**: (**بخيرك**) بنصرك وفتحك وعونك وصونك وسائر أنواع فضلك من خيره، أي من خير الملك لفظة مِنْ ابتدائية من منشائية وإضافة الخير إلى الملك لأدنى ملابسة، والخير كلّه منه تعالى، والمعنى: أَطلب منك خيرك الكائن من خير أودعته في يد الملك وأظهرته فيها، ولهذا السرّ لم يقل: اللّهمّ إنّي أسألك بخيره من خيرك، وكون من تبعيضية بعيد، والسؤال كما يعدّى بعن لتضمّنه معنى التفتيش يعدّى بالباء لتضمّنه معنى الاعتناء، ولا يبعد أن يكون زائدة، وأعوذ بعزّتك وقدرك من شرّه، ولم يقل من شرّك مع أن الكل من عند الله لمراعاة الأدب، ولا يخفى حُسْن موقع صفة العزَّة والقدرة هنا من سائر الصّفات العلى.اهـ قنوي.

قوله: (**الأهْراء**) واحدها هُرْي وهو الأنبار. في القاموس: الهُرْيُ ـ بالضمّ ـ بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان، ج أهْراءٌ، انتهى. **قوله**: (**يمتارون**) أي يشترون، وفي المصباح: مارهم ميرًا من باب باع أتاهم بالمِيرة ـ بكسر الميم ـ وهي الطعام، وامتارها لنفسه.اهـ.

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾

﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ولِّني على خزائن أرضك يعني مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ أمين أحفظ ما تستحفظنيه ﴿عَلِيمٞ﴾ عالِم بوجوه التصرف. وصف نفسه بالأمانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممَّن يولّونه. وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكّن مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحبّ الملك والدنيا، وفي الحديث «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخّر ذلك سنة» قالوا: وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان (**عمالة**) من يد سلطان جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به. وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع له.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التمكين الظاهر ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (**أرض مصر**) وكانت أربعين (**فرسخًا**) في أربعين، والتمكين الإقدار وإعطاء (**المكنة**) ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ أي كل مكان أراد أن يتخذه منزلًا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه. (﴿نَشَآءُ﴾ **مكي**) ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا﴾ بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النِّعم ﴿مَن نَّشَآءُ﴾ مَن اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ في الدنيا.

قوله: (عِمالة) ـ مثلثة ـ أجر العمل، كذا في نسخة. وفي أكثر النسخ: عملًا بدل عمالة.

قوله: (أرض مصر) فاللام للعهد الخارجي. **قوله**: (فرسخًا) الفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعًا. **قوله**: (المكنة) القوّة والشدَّة. **قوله**: (﴿نَّشَآءُ﴾ [يوسف: الآية ٥٦]) بالنون على أنها نون العظمة لله تعالى (مكّي) أي ابن كثير المكّي، والباقون بالياء، والضمير ليوسف.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ (٥٧)﴾

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ الشِّرك والفواحش. قال (**سفيان بن عيينة**): المؤمن يُثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من (**خلاق**) وتلا الآية. رُوِي أن الملك توَّج يوسف وختمه بخاتمه (**ورداه بسيفه**) ووضع له سريرًا من ذهب مكللًا بالدّرّ والياقوت، فقال: أما السرير (**فأشد**)

قوله: (**سفيان بن عيينة**) كان إمامًا عالمًا ثَبِتًا زاهدًا وَرِعًا مُجمَعًا على صحة حديثه وروايته، وحجّ سبعين حجّة، وروى عن الزهري وأبي إسحٰق السبعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزّناد وعاصم بن أبي النجود المقرىء والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء من أعيان العلماء، وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد بن إسحٰق وابن جريج والزبير بن بكار وعمّه مصعب وعبد الرزّاق بن هُمام الصنعاني ويحيىٰ بن أكثم القاضي وخلق رضي الله تعالى عنه. قال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتمّ لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار، فأوّل من صيّرني محدثًا أبو حنيفة فذاكرته، فقال لي: يا بنيّ ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الأحاديث، ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة، ونقله أبوه إلى مكّة وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل أوّل يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكّة، ودُفِن بالحجون رحمه الله تعالى. وعُيينة بضم العين المهملة وفتح الياء الأُولى وسكون الثانية المثناتين من تحتهما وفتح النون وبعدها هاء ساكنة، والحجون بفتح الحاء المهملة وضمّ الجيم وبعد الواو الساكنة نون، جبل بأعلى مكّة عنده مدافن أهلها، وهو من تابعي التابعين، وكان يُعدّ من حكماء أصحاب الحديث، وكان حديثه نحو سبعة آلاف، ولم يكن له كتب.

قوله: (**خلاق**) نصيب. **قوله**: (**وردّاه بسيفه**) أي قلّده سيفه. **قوله**: (**فأشدّ**) في المصباح: شدّ الشيء يشدّ من باب ضرب شدّة قوي، فهو شديد وشددته شدًّا من باب قتل أوثقته. اهـ.

به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فجلس على السرير و(دانت) له الملوك، وفوَّض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوَّجه الملك امرأته، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيرًا مما طلبت! (فوجدها عذراء) فولدت له ولدين - افرائيم وميشا - وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء، وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس، وباع من أهل مصر في سِنِي القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الأولى حتى لم يبقَ معهم شيء مِنها، ثم (بالحليّ) والجواهر في الثانية، ثم بالدواب في الثالثة، ثم بالعبيد والإماء في الرابعة، ثم (بالدُّور والعقار) في الخامسة، ثم بأولادهم في السادسة، ثم برِقابهم في السابعة حتى استرقَّهم جميعًا، ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم وردّ عليهم أملاكهم، وكان لا يبيع لأحد من الممتارين أكثر من حمل بعير، وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر (فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا) وذلك قوله:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ بلا تعريف ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ لتبدّل (الزّيّ) ولأنه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة، ورُوِيَ أنه لمّا رآهم وكلّموه بالعبرانية قال لهم: أخبروني مَن أنتم وما شأنكم؟ قالوا: نحو

قوله: (دانت) خضعت. **قوله**: (فوجدها عذراء) إذ القطفير كان عنّينًا. في المصباح: عذرة الجارية بكارتها، والجمع عُذر مثل غرفة وغُرف، وامرأة عذراء مثل حمراء، أي ذات عذرة، وجمعها عذارى بفتح الراء وكسرها. اهـ. **قوله**: (بالحلي) في مختار الصحاح: الحَلْيُ حَلْيُ المرأة والجمع حُليّ مثل ثدي وثُدِيّ، وقد تكسر الحاء وقرىء: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٨] بضم الحاء وكسرها. اهـ. **قوله**: (بالدُّور) جمع دار. **قوله**: (والعَقار) بالفتح مخفّفاً الأرض والضِّياع. **قوله**: (فأرسل يعقوب) على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام (بنيه ليمتاروا) لاستماعه أن ملك مصر بذل العطاء واجتهد في الكرم والندى.

قوله: (الزيّ) اللّباس والهيئة. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: الزِّي - بالكسر - الهيئة، وأصله زويّ. اهـ.

قوم من أهل الشام (رُعاة) أصابنا (الجهد) فجئنا نَمْتار. فقال: لعلكم جئتم (عيونًا) تنظرون عورة بلادي. فقالوا: معاذ الله نحن بنو نبي حزين لفَقْد ابن كان أحبّنا إليه وقد أمسك أخًا له من أُمه يستأنس به فقال: ائتوني به إن صدقتم.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ﴾ أعطى كل واحد منهم حِمْل بعير، وقُرِىء بكسر الجيم شاذًا ﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ أتمّه ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ كان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم رغّبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾ فلا أبيعكم طعامًا ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ أي فإن لم تأتوني به تُحرَموا ولا تقربوا فهو داخل في حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ أو هو بمعنى النهي ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنُخادعه عنه ونحتال حتى ننزعه من يده ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك لا محالة لا نفرّط فيه ولا نتوانى. قال: فدعوا بعضكم رهنًا، فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأيًا في يوسف.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ كوفي غير أبي بكر «لفتيته» غيرهم، وهما جمع فتى كإخوة وإخوان في أخ، وفعلة للقلة، وفعلان للكثرة أي لغلمانه الكيَّالين ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم وكانت نِعالًا أو (أدمًا) أو ورقًا وهو أليق (بالدّس) في (الرِّحال)

قوله: (رعاة) بالضم جمع راعٍ مثل قاضٍ وقضاة. **قوله**: (الجهد) ـ بالفتح ـ المشقّة. **قوله**: (عيونًا) جمع عين بمعنى الجواسيس[1].

قوله: (أدمًا) بفتحتين وبضمّتين أيضاً وهو القياس جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ. **قوله**: (بالدّس) أي الإخفاء. **قوله**: (الرحال) جمع رحل وهو الوعاء

---

(١) بمعنًى جاسوس.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ يعرفون حقّ ردّها وحقّ التكرّم بإعطاء البدلين ﴿إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ (وفرَّغوا ظروفهم) ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، أو ربما لا يجدون بضاعة بها يرجعون أو ما فيهم من الديانة يُعيدهم لردّ الأمانة، أو لم يرَ من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمنًا.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ﴾ بالطعام وأخبروه بما فعل ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ يريدون قول يوسف: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾ لأنهم إذا أُنذِروا بمنع الكيل فقد مُنِع الكيل ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ نرفع المانِع من الكيل ونَكْتَل من الطعام ما نحتاج إليه. («يكتل» **حمزة وعلي**) أي يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ يعني أنكم قلتم في يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ كما تقولونه في أخيه ثم (خُنتم) بضمانكم فما يأمنني من مثل ذلك؟ ثم قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ كوفي غير أبي بكر. فتوكل على الله فيه ودفَعه إليهم وهو حال أو تمييز، ومَن قرأ (﴿حَافِظًا﴾) فهو تمييز لا غير. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن يُنعِم عليَّ بحفظه

الذي يجعل المسافر أسبابه فيه. **قوله**: (وفرغوا ظروفهم) في المصباح: فرغ الشيء خلا ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أفرغته وفرّغته. اهـ.

قوله: (يكتل) بالياء من تحت (حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بالنون.

قوله: (خنتم) من باب قال. **قوله**: (﴿حَافِظًا﴾) بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء كوفي غير أبي بكر، أي قرأه حفص وحمزة والكسائي وخلف، والباقون: ﴿حفظاً﴾ بكسر الحاء وسكون الفاء.

ولا يجمع عليّ مصيبتين. قال (كعب): لما قال ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗا﴾ قال الله تعالى: وعزّتي وجلالي (لأُردنّ عليك كِليهما).

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥﴾

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ﴾ «ما» للنفي (أي ﴿مَا نَبۡغِيۖ﴾ في القول) ولا تتجاوز الحق أو ما نبغي شيئًا وراء ما فعل بنا

قوله: (كعب) بن ماتع الحِميَري، أبو إسحٰق المعروف بكعب الأحبار ثقة مُخَضْرَمٌ أي أدرك الجاهلية والإسلام، من أهل اليمن، فسكن الشام مات في خلافة عثمان، وقد زاد على المائة؛ كذا في تقريب التهذيب. وفي كتاب تهذيب الأسماء: كعبُ بنُ ماتِع بالتاء المثناة فوق هو كعب الأحبار التابعي المشهور مذكور في المختصر في جزاء الصَّيد، وفي المهذب وآخر الاستسقاء: هو أبو إسحٰق كعب بن ماتع بن هينوع، ويقال: هيسُوع، ويقال: عمرو بن قيس بن معمر بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قَطَن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حِمْير بن سبأ الحميري المعروف بكعب الأحبار، أدرك زمن النبيّ ﷺ ولم يره وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما، وصحب عمر وأكثر الرواية عنه، وروى أيضاً عن صُهيب. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وأبو هريرة، وخلائق من التابعين منهم ابن المسيَّب، وكان يسكن حمص ذكره أبو الدرداء فقال: إن عنده علمًا كثيرًا، واتّفقوا على كثرة عِلمه وتوثيقه، وكان قبل إسلامه على دين اليهود وكان يسكن اليمن، مات في خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين، ودُفِن بحمص متوجّهًا إلى الغزو ويقال له: كعب الأحبار، وكعب الحبر ـ بكسر الحاء وفتحها ـ لكثرة علمه ومناقبه وأحواله وحِكمه كثيرة مشهورة، انتهى بحروفه. **قوله**: (**لأردنّ عليك كليهما**) بعدما توكّلت عليّ.

قوله: (أي ﴿مَا نَبۡغِيۖ﴾ في القول) ... الخ. أي لا نكذب ولا نتعدّى فيما نتكلّم في وصفه مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال على أن البغي بمعنى التعدي لا بمعنى الطلب.

من الإحسان، أو ما نريد منك بضاعة أخرى، أو للاستفهام أيْ أيّ شيء نطلب وراء هذا؟ ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ﴾ جملة مستأنفة مُوَضِّحة لقوله: ﴿مَا نَبۡغِيۖ﴾ والجُمَل بعدها معطوفة عليها أي أن بضاعتنا رُدَّت إلينا فنستظهر بها ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾ في رجوعنا إلى الملك أي نجلب له ميرة وهي طعام يُحمَل من غير بلدك ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ في ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شيء مما نخافه ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ نزداد (وسق بعير) باستصحاب أخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ سهل عليه متيسِّر لا يتعاظمه.

﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ﴾ (وبالياء: مكي) ﴿مَوۡثِقٗا﴾ عهدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ والمعنى حتى تعطوني ما أتوثَّق به من عند الله أي أراد أن يحلفوا له بالله. وإنما جعل الحلف بالله موثقًا منه لأن الحلف به مما يؤكد به العهود وقد أذِنَ الله في ذلك فهو إذْن له ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ إلا أن تُغلَبوا فلم تطيقوا الإتيان به فهو مفعول له، والكلام المُثبَت وهو قوله: ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ في تأويل النفي أي لا تمتنعوا من الإتيان به إلا للإحاطة بكم يعني لا تُمنَعوا منه لعلّة من العِلل إلا لعلّة واحدة وهو أن يُحاط بكم، فهو استثناء من أعمّ العامّ في المفعول له، والاستثناء من أعمّ العام لا يكون إلا في النفي فلا بدَّ من تأويله بالنفي ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾ قيل: حلفوا بالله ربّ محمد عليه السلام ﴿قَالَ﴾ بعضهم يسكت عليه لأن المعنى قال يعقوب: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ من طلب الموثق وإعطائه ﴿وَكِيلٞ﴾ (رقيب مُطَّلِع) غير أن (السكتة) تفصل

قوله: (وسق بعير) أي حِمل بعير.

قوله: (وبالياء) أي بإثبات الياء بعد النون وقفًا ووصلًا، (مكي) أي ابن كثير المكي، وقرأ أبو عمرو بإثبات الياء وصلًا لا وقفاً، وحذفها الباقون وقفًا ووصلًا. **قوله**: (رقيب مطّلع) فسّره به لأن الوكيل بالأمر يراقبه ويحفظه، فالمراد لازمه؛ إذ معنى الوكيل وهو القائم بأُمور عباده ليس يناسب هنا، وإنما عبّر به للمبالغة في الحفظ؛ إذ الوكالة نوع التزام إيّاه بخلاف المراقبة، وذكر المطلع للتنبيه على أن الرقيب بمعنى العليم.اهـ قنوي. **قوله**: (السكتة) وقفة

بين القول والمَقول وذا لا يجوز، فالأولى أن يُفرَّق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ الجمهور على أنه خاف عليهم (**العين**) لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرّق في الكَرَّة الأولى لأنهم كانوا مجهولين في الكَرَّة الأولى، فالعين حق عندنا وُجودُهُ بأن يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانًا فيه وخللًا، وكان النبي ﷺ يعوِّذ (**الحسن والحسين**) رضي الله عنهما فيقول: «أعيذكما (**بكلمات الله التامة**) من كل (**هامة**) ومن كل عين (**لامة**) وأنكر (**الجبائي**) العين وهو مردود بما ذكرنا.

لطيفة من غير تنفّس، كذا في المنح الفكرية في شرح الجزرية لملّا علي القاري رحمه الله تعالى.

قوله: (العين) أي إصابة العين. **قوله**: (الحسن) بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسمّ سنة تسع وأربعين، وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل بعدها. **قوله**: (والحسين) بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته حفظ عنه، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين وله ستّ وخمسون سنة.

قوله: (بكلمات الله التامّة) المراد بكلمات الله: كتبه المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. **قوله**: (هامة) واحدة الهوام، وهي الحيات وكل ذي سمّ يقتل. وأمّا ما لا سُمّ له يقتل، فهو السَّوام وواحدتها سامّة؛ كالعقرب والزنبور، وقد تقع الهوام على كل ما يدبّ من الحيوان. **قوله**: (لامّة) اللامة الملمّة من ألْمَمت به، أي نزلت وجيء بها على فاعلة، ولم يقل: ملمّة؛ لازدواج هامة، ويجوز أن تقال على ظاهرها بمعنى جامعة للشرّ على المعيون من لمَّه يلمّه إذا جمعه، يقال: إن دارك تلمّ الناس، أي تجمعهم. **قوله**: (الجبائي) بضم الجيم وتخفيف الباء وتشديدها منسوب إلى الجباء، وهي قرية من قرى البصرة، وهو أبو

وقيل: إنه أحبَّ أن لا يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لإهلاكهم ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ أي إن كان الله أراد بكم سوءًا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرتُ به عليكم من التفرّق وهو مصيبكم (لا محالة) ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ أي متفرّقين ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم﴾ دخولهم من أبواب متفرقة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ أي شيئًا قطّ حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرّقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصّواع في رَحْله وتضاعف المصيبة على أبيهم ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء منقطع أي ولكن حاجة ﴿فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾ وهي شفقته عليهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ﴾ يعني قوله: وما أُغني عنكم وعلمه بأن (القدر) لا يُغني عنه (الحذر) ﴿لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ لتعليمنا إياه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ ضمَّ إليه بنيامين. ورُوِيَ أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم: أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجْلَسَ كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيًّا لأجلَسَني معه فقال يوسف: بقي أخوكم وحيدًا فأجلسه معه على مائدته وجعل يُؤاكله وقال له: أتحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالِك؟ قال: ومَن يجد

علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام ـ بتخفيف اللام ـ كان شيخ المعتزلة، وُلد في سنة خمس وثلاثين ومائتين، وتوفي في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة. **قوله**: (لا محالة) بضمّ الميم وفتحها.

قوله: (القدر) في مختار الصحاح: القَدْر والقَدَر أيضاً ما يقدّره الله تعالى من القضاء.اهـ. **قوله**: (الحذر) في مختار الصّحاح: الحذر والحَذَر: التحرّز.

أخًا مثلك ولكن لم يَلِدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم ﴿قَالَ﴾ له ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يُوسُف ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ فلا تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى فإن الله قد أحسَنَ إلينا وجمعنا على خير ولا تُعلِمهم بما أعْلَمْتك. ورُوِيَ أنه قال له: فأنا لا أُفارقك. قال: لقد علمت اغتمام والدي بي فإن (حبستك) ازداد غمّه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يحمد. قال: لا أُبالي فافعل ما بَدَا لك. قال: فإني أدسّ صاعي في رَحْلك ثم أُنادي عليك بأنك سرقته ليتهيَّأ لي رَدّك بعد تسريحك معهم فقال: افعل.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠﴾

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾ هيَّأ أسبابهم وأوفى الكَيل لهم ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ السقاية هي (مشربة) يُسقَى بها وهي الصّواع. قيل: كان يُسقى بها الملك ثم جُعِلَت صاعًا يُكال به لعزّة الطعام وكان يشبه (الطاس) من فضة أو ذهب ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ ثم نادى مُنادٍ آذنه أي أعلمه، وأذَّن: أكثر الإعلام، ومنه المؤذِّن لكثرة ذلك منه. رُوِيَ أنهم ارتحلوا وأمهَلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ هي الإبل التي عليها الأحْمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء والمراد أصحاب العير ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ كناية عن سرقتهم إياه من أبيه.

﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ۝٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ۝٧٢﴾

﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ۝٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ هو الصّاع ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ يقوله المؤذِّن يريد وأنا

قوله: (حبستك) من باب ضرب.

قوله: (مشربة) بكسر الميم إناء يُشرب به. وأمّا المشربة ـ بفتح الميم ـ فهو معنى الغرفة، كذا في شرح الكشاف، وهو القياس. وقد نقل في الأوّل الفتح لكونه محلاً للماء المشروب، وهذا وإنْ صح لكن اعتبار كونه آلة للشرب أوْلى. اهـ قنوي. **قوله:** (الطاس) الذي يُشرب فيه.

بحمل البعير كفيل أؤدّيه إلى مَن جاء به وأراد وسق بعير من طعام (جعلًا) لمَن حصّله.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ (قسم فيه معنى التعجب) مما أُضيف إليهم ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استشهدوا بعلمهم لمّا ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعًا أو طعامًا لأحد من أهل السوق، ولأنهم ردّوا بضاعتهم التي وجدوها في رِحالهم ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ وما كنّا نُوصَف قطّ بالسرقة ﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ الضمير للصّواع أي فما جزاء سرقته ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في جحودكم وادّعائكم البراءة منه ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ أي جزاء سرقته أخذ مَن وُجِد في رَحْله، وكان حُكم السارق من آل يعقوب أن يُستَرَقّ سنة فلذلك استُفتُوا في جزائه. وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ تقرير للحكم أي فأخْذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير، أو ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره (﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) أي السُّرّاق بالاسترقاق.

قوله: (جُعْلًا) ـ بالضمّ ـ ما يُجعل للشخص في مقابلة عمله.

قوله: (قسم فيه معنى التعجب) أي يلازمه التعجّب غالبًا، ومنه قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: الآية ٨٥]، والمعنى: ما أعجب حالكم أنتم تعلمون علمًا حاليًّا لا رَيْب فيه لما شاهدتم من أحوالنا أننا بريئون مما تنسبونه إلينا، فكيف تقولون لنا إنكم لسارقون؟

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) محلّ الكاف النصب على النعت لمصدر محذوف، أي نجزي السارقين جزاء مثل ذلك، والإشارة إلى الحكم، وهو من كلام إخوة يوسف صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلّم، أي هذا شرعنا في جزاء السارق.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وِعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال: ما أظن هذا أخذ شيئًا فقالوا: والله لا نتركه حتى تنظر في رَحْله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي الصُّواع ﴿مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ذكر ضمير الصُّواع مرات ثم أنَّثه لأن التأنيث يرجع إلى السقاية، أو لأن الصُّواع يُذَكَّر ويُؤنَّث.

الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ (في محل نصب) أي مثل ذلك الكَيد العظيم ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ (يعني علَّمناه إياه) ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (تفسير للكيد وبيان له) لأن الحكم في دين الملك أي في سيرته للسارق أن يُغَرَّم مثلي ما أخذ لا أن يُستعبَد ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي ما كان ليأخذه إلا بمشيئة الله وإرادته فيه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾ (بالتنوين: كوفي) ﴿مَّن نَّشَاءُ﴾ أي في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه

قوله: (في محلّ النصب) على أنه نعت لمصدر محذوف، أي كدنا له كيدًا مثل ذلك الكيد العظيم، يعني علَّمناه إياه وأوحينا به إليه. **قوله**: (**يعني علَّمناه إياه**) فسّر الكيد المسنَد إليه تعالى بالتعليم والإيحاء؛ لأن حقيقة الكيد مستحيل في حقِّه تعالى، وذلك لأن الكيد عبارة عن المكر والخديعة، وهو أن تُوهم غيرك خلاف ما تُخفيه، فهو في حقّ الله تعالى محمول على التمثيل، فإنّ صورة صنع الله تعالى في تعليم يوسف عليه الصّلاة والسّلام أن لا يحكم على إخوته حكم الملك، وهو أن يضرب السارق ويغرمه مثلي ما أخذه، بل يحكم عليهم على سُنن مذهبهم وهو أن يستعبد السارق سنة صورة صنع مَنْ يُوهم الغير خلاف ما يخفيه؛ لأن مقصود يوسف عليه الصّلاة والسلام إيواء أخيه إليه، وكان لا يتمّ ذلك إلّا بهذه الحيلة، ولمّا كان قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ هو عين الكيد قال المصنّف رحمة الله عليه: (تفسير للكيد وبيان له). **قوله**: (**بالتنوين**) أي بتنوين التاء (كوفي) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بغير تنوين على الإضافة.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ فوقه أرفع درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عزّ وجلّ.

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أرادوا يوسف. قيل: دخل **(كنيسة)** فأخذ تمثالًا صغيرًا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه. وقيل: كان في المنزل **(دجاجة)** فأعطاها السائل. وقيل: كانت **(منطقة)** لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحٰق، ثم وقعت إلى ابنته ـ وكانت أكبر أولاده ـ **(فحضنت)** يوسف وهي عمّته بعد وفاة أُمه وكانت لا تصبر عنه، فلما **(شَبّ)** أراد يعقوب أن ينزعه منها **(فعمدت)** إلى المِنطقة **(فحزمتها)** على يوسف تحت ثيابه وقالت: فَقَدْتُ مِنطقة إسحٰق فانظروا مَن أخذها، فوجدوها **(مجزومة)** على يوسف، فقالت: إنه لي سَلَم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت. ورُوِيَ

قوله: (كنيسة) في المصباح: الكنيسة متعبّد اليهود، وتُطلق أيضًا على متعبّد النصارى معربة.اهـ. **قوله**: (دجاجة) في مختار الصِّحاح: الدجاج معروف وفتح الدال أفصح من كسرها، الواحدة دجاجة ذكراً كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطّة.اهـ. **قوله**: (منطقة) بالكسر ما يُشدّ في الوسط. **قوله**: (فحضنت) في مختار الصحاح: الحِضْن ما دون الإبط إلى الكشح، وحَضَن الطائر بيضه من باب نصر ودخل إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحِه، وحضنت المرأة ولدها حِضانةً أي جعلته في حِضْنها وحِضانة الصبي التي تقوم عليه في تربيته.اهـ. **قوله**: (شبّ) في المصباح: شبّ الصبي يشبّ من باب ضرب شبابًا وشبيبة وهو شاب، وذلك سنّ قبل الكهولة.اهـ. وأيضًا فيه: الكهل مَنْ جاوز الثلاثين، ووخطه[1] الشَّيب، وقيل: مَنْ بلغ الأربعين.اهـ. **قوله**: (فعمدت) في المصباح: عمدت للشيء عمدًا من باب ضرب، وعمدت إليه قصدت.اهـ. **قوله**: (فحزمتها) من باب ضرب: أي فشدّتها. **قوله**: (مجزومة) أي مشدودة.

---

(١) قوله: وخطه الشيب كوعده خالَطَه.اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أنهم لمّا استخرجوا الصَّاع من رَحْل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له: (فضحتنا) وسَوَّدْتَ وجوهنا يا بني راحيل، ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذتَ هذا الصَّاع؟ فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصُّواع في رَحْلي الذي وضع البضاعة في رِحالكم ﴿فَأَسَرَّهَا﴾ أي مقالتهم إنه سرق كأنه لم يسمعها ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ تمييز أي أنتم شرّ منزلة في (السَّرَق) لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ تقولون أو تكذبون.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ في السن (وفي القدر) ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ﴾ أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا فأتمِم إحسانك أو من عادتك الإحسان فاجْرِ على عادتك ولا تغيِّرها ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ أي نعوذ بالله معاذًا من أن نأخذ فأُضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ «إذًا» جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا، وهذا لأنه وجب على قضية فَتْواكم أَخْذ مَن وُجِد الصَّاع في رَحْله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلمًا في مذهبكم فلِمَ تطلبون ما عرفتم أنه ظلم.

قوله: (فضحتنا) في مختار الصحاح: فضحه فافتضح، أي كشف مساوئه، وبابه قطع والاسم الفَضيحة والفُضُوحة أيضًا بضمّتين. اهـ. **قوله**: (السَّرَق) بفتحتين.

قوله: (وفي القدر) لأنه نبيّ من أولاد الأنبياء على نبيِّنا وعليهم الصلاة والسلام.

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾ يئسوا **(وزيادة السين والتاء للمبالغة)** كما مرَّ في ﴿استعصم﴾، ﴿مِنْهُ﴾ من يوسف وإجابته إيّاهم ﴿خَلَصُوا۟﴾ انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم ﴿نَجِيًّا﴾ ذوي نجوى أو فوجًا نجيًّا أي مُناجيًا لمُناجاة بعضهم بعضًا، **(أو تمحضوا تناجيًا)** لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجِدٍّ واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته.

فالنجيّ يكون بمعنى المُناجي كالسمير بمعنى المسامِر، وبمعنى المصدر الذي هو التناجي وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أيّ صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السن وهو روبيل، أو في العقل والرأي وهو يهوذا، أو رئيسهم وهو شمعون ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ «ما» **(صلة)** أي ومن قبل هذا قصَّرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم، أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ فلن أُفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ في الانصراف إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ بالخروج منها أو بالموت **(أو بقتالهم)** ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه لا يحكم إلا بالعدل.

قوله: (وزيادة السين والتاء للمبالغة)، فإن السين للطلب؛ فتدلّ على أنهم كانوا في يأس، وهو انتفاء الطمع، فطلبوا من أنفسهم الزيادة على ما هم فيه، وبناء استفعل بمعنى المجرّد إلا أنه أبلغ منه.

قوله: (أو تمحضوا تناجيًا) أي انفردوا عن الناس، فصاروا بحيث لا يخالطهم سواهم كائنين تناجيًا محضًا. **قوله:** (صلة) أي مزيدة. **قوله:** (أو بقتالهم) فأقاتلهم حتى أستردّ أخي.

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ **(وقرىء «سُرِّق»)** أي نسب إلى السرقة ﴿وَمَا شَهِدْنَآ﴾ عليه بالسرقة ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ من سرقته وتيقنّا إذ الصُّواع استخرج من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ يعني مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم عن **(كُنْهِ القصة)** ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وأصحاب العير وكانوا قومًا من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولنا فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه وإلا فمَن أدرى ذلك الرجل أن السارق يسترقّ لولا فتواكم وتعليمكم ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ بيوسف وأخيه وكبيرهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي في الحزن والأسف ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ وأعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه. **(والألف بدل من ياء الإضافة،**

قوله: **(وقرىء «سُرِّق»)** بالتشديد هذه القراءة منقولة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وليست بمتواترة.

قوله: **(كُنْهِ القصة)** في المصباح: كنه الشيء حقيقته ونهايته وعرفته كنه المعرفة، والكنه الغاية، والكنه الوقت. قال الشاعر:

فإن كلام المرء في غير كنهه

أي: غير وقته، ولا يُشتقّ منه فعل. اهـ.

قوله: **(والألف بدل من ياء الإضافة)**، والأصل: يا أسفي ففتحت الفاء وصيرت الياء ألفًا طلبًا للتخفيف؛ لأن الفتحة والألف أخفّ من الكسرة والياء،

والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلّف ونحوه: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ [التوبة: الآية ٣٨]، (﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾) [الأنعام: الآية ٢٦]، و﴿وَهُمْ (يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)﴾) [الكهف: الآية ١٠٤]، (﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾) [النمل: الآية ٢٢]. وإنما تأسف دون أخيه وكبيرهم لتمادي أسفه على يوسف دون الآخرين، وفيه دليل على أن **(الرزء)** فيه مع **(تقادم)** عهده كان **(غضًا)** عنده طريًا ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ **(إذ أكثر الاستعبار ومحقت العبرة)** سواد العين وقلبته إلى بياض كدر.

وليحصل امتداد الصوت الذي هو المقصود في الندامة، ونداء مثل الأسف والحسرة مجاز، والمقصود إنشاء التأسّف والتحزّن لتحقّق ما يُوجبهما، وقوّة ما يدعو إليهما من الأسباب والعِلل؛ كأنه يقول: هذا أوانك أيّها الأسف فاحضر. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (والتجانس بين) لفظتي **(الأسف ويوسف)** مما يقطع مطبوعًا **(غير متكلّف)** أي غير متعمل فيملح ويبدع **(ونحوه:** ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾) [الأنعام: الآية ٢٦]، و(﴿يَحْسَبُونَ﴾) [الكهف: الآية ١٠٤]) يظنّون (﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾) [الكهف: الآية ١٠٤]، (﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾) [النمل: الآية ٢٢]. **قوله:** (﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾) بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل، أي تباطأتم وملتم عن الجهاد إلى الأرض والقعود فيها. **قوله:** (﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾) الناس (﴿عَنْهُ﴾) أي عن اتّباع النبيّ ﷺ (﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾) يتباعدون (﴿عَنْهُ﴾) فلا يؤمنون به. **قوله:** و(﴿يَحْسَبُونَ﴾) يظنون (﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾) عملًا يُجازون عليه. **قوله:** (﴿مِن سَبَإٍ﴾) بالصرف وتركه قبيلة باليمن سُمّيت باسم جدٍّ لهم وباعتباره صرف (﴿بِنَبَإٍ﴾) بخبر.

قوله: (الرُّزْء)[1] بضم الراء وسكون الزاي المعجمة وبالهمزة وهو المصيبة. **قوله:** (تقادم) في مختار الصحاح: قَدُم الشيء بالضم قِدَمًا بوزن عِنَب فهو قديم وتقادم مثله. اهـ. **قوله:** (غضًا) في مختار الصّحاح: شيء غَضّ وغَضِيض أي طَرِيّ. اهـ. وأيضًا فيه شيء طَرِيّ بيِّن الطّراوة. اهـ. **قوله:** (إذ أكثر الاستعبار ومحقت العبرة) في مختار الصحاح: العَبْرة - بالفتح - تحلّب الدمع، وعَبِر الرجل والمرأة والعين من باب طَرِب، أي جرى دَمْعه، والنعت في الكل عابر،

---

(١) وزان قفل ١٢.

وقيل: قد (عَمِي) بصره. وقيل: كان قد يدرك إدراكًا ضعيفًا ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ لأن الحزن سبّب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن. قيل: ما جفّت عينا يعقوب من وقت فِراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عامًا وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب، ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المَبلغ لأن الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الحزن (**فلذلك حَمَد صبره، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم**)، وقال: «القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرّبّ وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون».

وإنما المذموم (**الصياح والنّياحة ولَطْم الصدور**) والوجوه (**وتمزيق الثياب**) ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى

واستعبرت[١] عينه أيضًا، والعَبْران الباكي. اهـ. **قوله**: (عَمِي) من باب صَدِي[٢]. **قوله**: (**فلذلك حمد صبره**) وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن. **قوله**: (**ولقد بكى رسول الله ﷺ**) حديث صحيح أخرجه الشيخان عن أنس رضي الله عنه. **قوله**: (**على ولده إبراهيم**) أبناء النبيّ ﷺ ثلاثة: القاسم وبه يُكنى؛ إذ هو أوّل أولاده عاش سنتين ومات قبل البعثة بمكّة، وعبد الله وهو الطيّب الطّاهر مات في الرّضاع بعد البعثة ودُفِن بمكّة، وهما من خديجة رضي الله تعالى عنها؛ وإبراهيم من مارية القبطيّة، وُلد في ذي الحجّة في ثمان من الهجرة عقّ عنه عليه السلام بكبشين يوم سابع ولادته وحلق رأسه وتصدّق بزِنَة شعره فضّة على المساكين وأمر بشعره فدُفِن في الأرض ومات في الرّضاع، وهو ابن ثمانية عشر شهرًا ودُفِن بالبقيع. **قوله**: (**الصِّياح**) في المصباح: صاح بالشيء يصيح به صيحة وصياحًا صرخ. اهـ. وفي مختار الصحاح: الصُياح الصوت، وقد صاح يصيح صيحًا وصيحة وصِياحًا ـ بكسر الصاد وضمّها ـ وصَيَحانًا ـ بفتح الياء ـ والمصايحة والتصايح أن يصيح القوم بعضهم ببعض. اهـ. **قوله**: (**النِّياحة**) في مختار الصحاح: ناحت المرأة من باب قال، ونِياحًا ـ بالكسر ـ والاسم النِّيَاحة. **قوله**: (**ولطم الصدور**) أي ضربها بباطن الكفّ، وبابه ضرب. **قوله**: (**وتمزيق الثياب**) في

---

(١) أي دمعت. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) الصَّدَى العطش، قد صَدِي بالكسر صَدًى فهو صَدٍ وصَدْيان وامرأة صَدْياء. اهـ مختار الصحاح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

مفعول بدليل قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: الآية ٤٨] (من كظم السقاء) إذا شدّه على ملّته.

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ﴾ أي لا تفتأ (فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس) إذ لو كان إثباتًا لم يكن بُدٌّ من اللام والنون. ومعنى لا تفتأ لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ (مُشفيًا على الهلاك) مرضًا ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ البثّ أصعب الهمّ الذي لا يصير عليه صاحبه (فيبثّه) إلى الناس أي ينشره أي لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى الله ربي داعيًا له ومُلتَجئًا إليه (فخلّوني وشكايتي). ورُوِيَ أنه أوحى إلى يعقوب: (إنما وجدت عليكم) لأنكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تُطعِموه وإن أحبَّ خلقي إليّ الأنبياء ثم المساكين فأصنع طعامًا وأدْعُ عليه المساكين. وقيل: اشترى

المصباح: مزّقت الثوب مزقًا من باب ضرب شققته، ومزّقته بالتثقيل فتمزّق.اهـ. **قوله:** (من كظم السقاء) إذا شدَّه على ملئه، فإنه إذا شدّ فم السقاء يكون ما فيه مستورًا مخفيًّا. في مختار الصحاح: السِّقاء يكون للّبن والماء، والقِرْبة للماء خاصّة.اهـ. **قوله:** (فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس) بالإثبات، و﴿تَفْتَؤُاْ﴾ هٰهنا جواب القسم في قوله: ﴿تَاللَّهِ﴾ [يوسف: الآية ٧٣]، وتقديره: لا تفتأ ويدلّ عليه، أي على حذف حرف النفي فيه أنه لو كان مثبتًا لكان بلام الابتداء ونون التوكيد معًا عند البصريّين، نحو: والله ليفعلنّ، أو بأحدهما عند الكوفيّين؛ فلو قيل: والله أحبك، كان المراد لا أحبّك، وهو من قبيل التورية، فإنّ كثيرًا من الناس يتبادر ذهنهم منه إلى إثبات المحبّة، وليس كذلك، فظهر أن المعنى: لا تفتأ.اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (مُشْفِيًا على الهلاك) أي مشرفًا عليه وقريبًا منه. **قوله:** (فيبثّه) من باب ردّ. **قوله:** (فخلوني وشكايتي) الواو بمعنى مع. **قوله:** (إنما وجدت عليكم) في المصباح: وجدت عليه مَوْجِدة غضبت.اهـ. وفي لسان العرب: وَجَد عليه في الغضب يَجِدُ ويَجُد وُجْدًا وجِدَة ومَوْجِدَةً ووِجْدانًا غضب، وفي حديث الإيمان:

جارية مع ولدها فباع ولدَها فبكت حتى عَمِيَت ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وأعلم من رحمته أنه يأتيني (بالفرج) من حيث لا أحتسب، ورُوِيَ أنه رأى مَلَك الموت في منامه فسأله: هل (قبضت) روح يوسف؟ فقال: لا والله هو حيٌّ فاطلبه وعلَّمه هذا الدعاء «يا ذا المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه أبدً ولا يحصيه غيرك فرِّج عنّي».

﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعّل من الإحساس وهو المعرفة ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن الأمر والشأن ﴿لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ لأن مَن آمَن يعلم أنه متقلّب في رحمة الله ونعمته، وأما الكافر فلا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في نعمته فييأس من رحمته، فخرجوا من عند أبيهم راجعين إلى مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ على يوسف ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ (الهزال) من الشدة والجوع ﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارًا لها من أزجيته إذا دفعته وطردته. وقيل: كانت (دراهم زيوفًا) لا تؤخذ إلا (بوضيعة). وقيل: كانت صوفًا و(سمنًا) ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ الذي هو حقنا ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾

«إني أسائلك فلا تَجِدْ عليّ»، أي لا تَغضب من سؤالي، ومنه الحديث: «لم يَجِد الصائم على المفطر»، انتهى. **قوله**: (بالفرج) في المصباح: فرّج الله الغمّ ـ بالتشديد ـ كشفه، والاسم الفرج ـ بفتحتين ـ وفرجه فرجًا من باب ضرب لغة. اهـ. **قوله**: (قبضت) بابه ضرب.

قوله: (الهُزال) نقيض السِمَن. **قوله**: (دراهم زيوفًا) في المصباح: زافت الدراهم تزيف زيفًا من باب سار ردأت، ثم وصف بالمصدر فقيل: درهم زيف، وجُمع على معنى الاسمية، فقيل: زيوف مثل فلس وفلوس. اهـ. أي دراهم معيبة. **قوله**: (بوضيعة) في لسان العرب: الوضيعة الخَسارة. اهـ. **قوله**: (سَمْنًا) في المصباح: السمن ما يُعْمل من لبن البقر والغنم، والجمع سُمْنان مثل ظهر وظهران

وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زِدْنا على حقنا أو هَبْ لنا أخانا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ ولما قالوا مسَّنا وأهلنا الضّرّ وتضرّعوا إليه وطلبوا منه أن يتصدَّق عليهم (ارفضَّت عيناه) ولم يتمالك أن عرَّفهم نفسه حيث قال:

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ﴾ أي هل علمتم قُبْح ما فعلتم بيوسف ﴿وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ لا تعلمون قبحه أو إذ أنتم في حدّ (السَّفه والطيش) وفِعْلهم بأخيه تعريضهم إيّاه للغمّ بإفراده عن أخيه لأبيه وأُمه وإيذاؤهم له بأنواع الأذى ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ﴾ (بهمزتين: كوفي وشامي) ﴿لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾ اللام لام الابتداء و﴿أَنتَ﴾ مبتدأ و﴿يُوسُفُ﴾ خبره، والجملة خبر «إن» ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾

وبطن وبطنان. اهـ. **قوله**: (ارفضَّت عيناه) في لسان العرب: ارفضّ الدمع ارْفِضاضًا وترَفَّضَ سال وتفرّق وتتابع سَيَلانه وقطرانه، وارفَضّ دمعه ارْفِضاضًا إذا انهلَّ متفرّقًا، وارفضاض الدمع تَرَشُّشه. اهـ.

قوله: (السَّفه) نقص في العقل، وأصله الخفّة. اهـ مصباح. **قوله**: (الطيش) الخفة. اهـ مصباح. **قوله**: (بهمزتين كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي، (وشامي) أي ابن عامر الشامي. عبارة الخطيب: قرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها نون على الخبر، وقرأ قالون[(١)] وأبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام، وقرأ ورش[(١)] بغير ألف بينهما والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضًا. وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين مع القصر، ولهشام[(٢)] وجهٌ ثانٍ وهو المدّ، انتهت بحروفها. وعبارة كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، وقرأ: (﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾) بهمزة واحدة ابن كثير وأبو جعفر، والباقون بهمزتين على الاستفهام التقريريّ، وهم على أصولهم، فقالون وأبو عمرو بتسهيل

---

(١) يُروَى عن نافع ١٢.

(٢) يُروى عن ابن عامر الشامي. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وإنما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لأنه كان في ذكر أخيه بيان لِما سألوه عنه ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بالأُلفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالمَلامة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ الفحشاء ﴿وَيَصْبِرْ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي أجْرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين. وقيل: مَن يتق مولاه ويصبر على بلواه لا يضيع أجره في دُنياه وعقباه.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ وإن شأننا وحالنا أنّا كنّا خاطئين متعمِّدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جَرَم أن الله أعزَّك بالمُلْك وأذلّنا بالتمسكن بين يديك ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ لا تعيير عليكم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ متعلق بالتثريب أو بـ ﴿يَغْفِرُ﴾ والمعنى لا أثر بكم اليوم وهو اليوم الذي هو مَظَنَّة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام! ثم ابتدأ فقال: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم. يقال: غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضي والمضارع، أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجِل غفران الله. ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ أخذ (بعضادتي باب الكعبة) يوم الفتح فقال لقريش: «ما ترونني فاعلًا بكم»؟ قالوا: نظن خيرًا أخٌ كريم وابن أخ كريم، وقد (قدرت). فقال: «أقول ما

الثانية مع الفصل بالألف، وورش ورُوَيْس[1] كذلك لكن بلا فصل، وقرأ الحلواني من مشهور طرقه عن هشام، وكذا الشذائي عن الداجوني بالتحقيق مع الفصل، وقرأ الداجوني غير الشذائي عنه بالتحقيق بلا فصل، وبه قرأ الباقون، انتهت بحروفها.

قوله: (بعضادتي باب الكعبة) في المصباح: العضادة ـ بالكسر ـ جانب العتبة من الباب.اهـ. **قوله**: (قدرت) في المصباح: قدرت على الشيء أقدر من

---

(١) يُروى عن يعقوب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

قال أخي يوسف لا تثريب عليك اليوم». ورُوِي أن (أبا سفيان) لمّا جاء ليسلِّم قال له (العباس): إذا أتيت رسول الله فاتلُ عليه ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ ففعل فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك ولمَن علَّمك». ويُروَى أن إخوته لمّا عرفوه أرسلوا إليه أنك تدعونا إلى طعامك بكرةً وعشيًّا ونحن نستحي منك لما فرط منّا فيك، فقال يوسف: إن أهل مصر وإن مُلِّكتُ فيهم فإنهم ينظرون إليَّ بالعين الأولى ويقولون سبحان مَن بلغ عبدًا بيع بعشرين درهمًا ما بلغ، ولقد (شرفت) الآن بكم حيث علم الناس أني من (حفدة) إبراهيم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أي إذا رحمتكم وأنا الفقير (القتور) فما ظنكم بالغني الغفور؟ ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا: إنه عَمِيَ من كثرة البكاء قال:

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ قيل: هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف، وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مُبتَلى ولا سقيم إلا عُوفِي ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يصر بصيرًا. تقول: جاء البناء محكمًا أي صار، أو يأتِ إليَّ وهو بصير. قال يهوذا: أنا أحمل قميص

باب ضرب قويت عليه وتمكّنت منه، والاسم القدرة والفاعل قادر وقدير. اهـ. وفي مختار الصحاح: قدر على الشيء قُدْرة وقُدْرَانًا أيضًا بضمّ القاف وقَدِر يقدَر لغة فيه كعلم يعلم. اهـ. **قوله**: (أبا سفيان) صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأُمويّ صحابي مشهور أسلم عام الفتح، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل بعدها رضي الله عنه.

قوله: (العباس) بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النبيّ ﷺ مشهور، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمان وثمانين رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (شُرِّفت) مبني للمفعول من التشريف. **قوله**: (حَفَدة) ـ بفتحتين ـ أولاد أولاد. في المصباح: حفد حفدًا خدم فهو حافد، والجمع حفدة، مثل كافر وكفرة، ومنه قيل للأعوان حفدة، وقيل لأولاد الأولاد حفدة؛ لأنهم كالخدّام في الصِّغر. **قوله**: (القتور) في المصباح: قتر على عياله قترًا وقتورًا من بابي ضرب وقعد ضيّق في النفقة وأقتر إقتارًا وقتر تقتيرًا مثله. اهـ.

الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء. وقيل: حمله وهو (**حافٍ حاسر**) من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخًا ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لينعموا بآثار مُلكي كما اغتمّوا بأخبار (**هَلَكي**).

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ (**خرجت من عريش مصر**). قال: فصل من البلد فصولًا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لولد ولده ومَن حوله من قومه ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ التفنيد النسبة إلى (**الفند**) وهو الحزن وإنكار العقل من هرم. يقال: شيخ مفند. والمعنى لولا تفنيدكم إيّاي لصدَّقتموني ﴿قَالُوا۟﴾ أي (**أسباطه**) ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ لفي ذهابك عن الصواب قديمًا في

قوله: (**حاف**) في المصباح: حفى الرجل يحفى من باب تعب حفاء مثل سلام مشى بغير نعل ولا خفّ فهو حافٍ، والجمع حُفاة مثل قاضٍ وقُضاة.اهـ. **قوله**: (**حاسر**) أي مكشوف الرأس. **قوله**: (**هُلْكى**) في المصباح: هلك الشيء هلكًا من باب ضرب، وهلاكًا وهلوكًا ومهلكًا بفتح الميم. وأمّا اللام، فمثلثة والاسم الهلك مثل قفل.اهـ.

قوله: (**خرجت من عريش مصر**) أي عمرانها.اهـ جمالين. وفي الكمالين: خرجت من عرش مصر، أي من بيوتها، والعرش ـ بضم العين والراء ـ جمع عريش.اهـ. وفي الفتوحات الإلـٰهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدّقائق الخفية للعلّامة الشيخ سليمان الجمل رحمه الله: قوله: خرجت من عريش مصر، أي خرجت من مصر ووصلت إلى العريش، ثم خرجت منه متوجّهًا إلى أرض كنعان، والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر وأوّل بلاد الشام، وهذا أحد قولين. والثاني: أنها خرجت من نفس مصر.اهـ من الخازن. وفي المختار: وفصل من الناحية خرج منها وبابه جلس.اهـ بحروفه. **قوله**: (**الفند**) ـ بفتحتين ـ ضعف الرأي من الهَرَم.اهـ مختار الصحاح. وأيضًا فيه: الهَرَم كِبَر السنّ.اهـ. **قوله**: (**أسباطه**) في المصباح: السِّبط ولد الولد، والجمع أسباط مثل حمل وأحمال.اهـ.

إفراط محبتك ليوسف أو في خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم أنه قد مات.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ أي يهوذا ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب ﴿فَٱرْتَدَّ﴾ فرجع ﴿بَصِيرًا﴾ يقال: ردّه فارتدّ وارتدّه إذا ارتجعه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يعني قوله: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ﴾ أو قوله: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ﴾. وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ورُوِيَ أنه سأل البشير كيف يوسف؟ قال: هو ملك مصر. فقال: ما أصنع بالملك، على أيّ دين تركته؟ قال: على دين الإسلام. قال: الآن تمّت النعمة ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ أي سَل الله مغفرة ما ارتكبنا في حقك وحق ابنك إنا تُبنا واعترفنا بخطايانا ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ أخَّر الاستغفار إلى وقت السَّحَر، أو إلى ليلة الجمعة، أو ليتعرَّف حالهم في صدق التوبة، أو إلى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم. ثم إن يوسف وجَّه إلى أبيه جهازًا ومائتي راحِلَة ليتجهَّز إليه بمَن معه، فلما بلغ قريبًا من مصر خرج يوسف والملِك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقّوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ ضمَّ إليه ﴿أَبَوَيْهِ﴾ واعتنقهما. قيل: كانت أُمه باقية. وقيل: ماتت وتزوج أبوه خالته ـ والخالة أُم كما أن العمّ أب ـ ومنه قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: الآية ١٣٣] ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم أنزلهم في (مضرب) خيمة أو

قوله: (مضرب) في لسان العرب: المِضْرَب فسطاط المَلِك.اهـ.

قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضمّ إليه أبويه ﴿وَقَالَ﴾ لهم بعد ذلك ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجوارٍ أو من القحط. ورُوِيَ أنه لمّا لقيه قال يعقوب عليه السلام: السلام عليك يا مُذهِب الأحزان، وقال له يوسف: يا أبت بكيت عليّ حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ فقال: بلى ولكن خشيت أن يُسلَب دينك فيُحال بيني وبينك. وقيل: إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء، وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلًا سوى الذرية و(الهرمى)، وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ قيل: لمّا دخلوا مصر وجلس في مجلسه مستويًا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخرّوا له ـ يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين ـ سُجَّدًا، وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد. وقال (الزجاج): سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يسجد للمعظم. وقيل: ما كانت إلا انحناء دون (تعفير) الجباه وخرورهم سُجَّدًا يأباه. وقيل: وخرّوا لأجل يوسف سُجَّدًا لله وشكرًا (وفيه نبوة) أيضًا واختلف في استنبائهم ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا﴾ أي

وأيضًا فيه: قال الزمخشري: الفُسْطاط ضرب من الأبنية في السفر دون السَّرادِق. اهـ. وأيضًا فيه: السرادق ما أحاط بالبناء. اهـ. **قوله**: (الهرمى) جمع هرم. في المصباح: هرم هرمًا من باب تعب، فهو هرم كبر وضعف وشيوخ هرمى مثل زمن وزمنى، وامرأة هرمة ونسوة هرمى وهرمات أيضًا. اهـ.

قوله: (الزجّاج) هو أبو إسحٰق بن إبراهيم بن محمد. **قوله**: (تعفير) في المصباح: العفر ـ بفتحتين ـ وجه الأرض، ويُطلق على التراب، وعفرت الإناء عفرًا من باب ضرب دلكته بالعفر فانعفر هو واعتفر وعفّرته ـ بالتثقيل ـ مبالغة فتعفّر. اهـ. **قوله**: (وفيه نبوة) أيضًا في لسان العرب: نَبا عن الشيء نَبْوًا ونَبْوةً

الرؤيا ﴿رَبِّي حَقًّا﴾ أي صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ يقال: أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجبّ لقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ من البادية لأنهم كانوا أصحاب مَواشٍ ينتقلون في المياه (والمناجع) ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ أي أفسد بيننا و(أغرى) ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ (أي لطيف التدبير) ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بتأخير الآمال إلى الآجال أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ مُلك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا و«من» فيهما للتبعيض إذ لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ انتصابه على النداء ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب لولده ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٢] وعن الضحاك: مخلصًا. وعن (التستري): مسلّمًا إليك أمري وفي عصمة الأنبياء إنما دعا به يوسف ليقتدي به

زايَله. اهـ. وفي المصباح: نَبا الشيء بعد. اهـ. يعني أنّ في الكلام نَبْوة عنه. قال صاحب الكشف: لأنه جعله تأويل رؤياه من قبل وقد ذكر فيها: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: الآية ٤]، انتهى. وفي تفسير العلّامة أبي السعود: وقيل: خرّوا لأجله سجدًا لله شكرًا، ويردّه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ﴾ [يوسف: الآية ١٠٠]. . . الخ. **قوله**: (والمناجع) في القاموس ولسان العرب: المُنْتَجع المنزل في طلب الكلأ. اهـ. وفي لسان العرب: ويقال للمُنْتَجع مَنْجعٌ وجمعه مَناجِعُ. اهـ. **قوله**: (أغرى) أي ألقى الفتنة. **قوله**: (أي لطيف التدبير) يعني اللّطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأُمور المدبّر لها والمسهّل لصعابها.

قوله: (التُستَري) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع الصالح المشهور لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع،

قومه ومن بعده ممّن ليس بمأمون العاقبة، لأن ظواهر الأنبياء لنظر الأمم إليهم ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من آبائي أو على العموم. رُوِيَ أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال: يا بنيَّ ما أعقَّك عندك هذه القراطيس وما كتبت إليَّ على ثمان مراحل. فقال: أمرني جبريل. قال: أو ما تسأله؟ قال: أنت أبسط إليه مني فاسأله. فقال جبريل: الله أمرني بذلك لقولك: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ فهلا خفتني.

ورُوِيَ أن يعقوب أقام معه أربعًا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحٰق، فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثًا وعشرين سنة، فلما تمَّ أمره طلبت نفسه المُلْك الدائم فتمنى الموت. وقيل: ما تمنّاه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبًا طاهرًا، فتخاصم أهل مصر

وكان صاحب كرامات ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكّة، وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة، وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سوار، فإنه قال: قال لي خالي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت له: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلّبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك: الله معي الله ناظر إليَّ الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوة، فلمّا كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علّمتك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة؛ فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرّي، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل، مَنْ كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده يعصيه إياك والمعصية، فكان ذلك أوّل أمره.

وسكن البصرة زمانًا وعبادان مدّة، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين ومائتين رضي الله تعالى عنه بالبصرة. والتستري ـ بضم التاء المثنّاة من فوقها وسكون السين المهملة وفتح التاء المثنّاة من فوقها الثانية وبعدها راء ـ هذه النسبة إلى تستر، وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان، يقول الناس بها شُشتر ـ بشينين معجمتين ـ بها قبر البراء بن مالك رضي الله تعالى عنه.

و(تشاحّوا) في دفنه كلٌّ يحبّ أن يُدفَن في محلتهم حتى همّوا بالقتال، فرأوا أن يعملوا له صندوقًا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه (شرعًا) حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته إلى بيت المقدس. وولد له إفرائيم وميشا، وولد لإفرائيم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ولقد توارثت (الفراعنة) من (العماليق) بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف، والخطاب لرسول الله ﷺ وهو مبتدأ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ خبران ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى بني يعقوب ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ عزموا على ما همّوا به من إلقاء يوسف في البئر ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾

قوله: (تشاحوا[١]) الرجلان على الأمر لا يريدان أن يفوتهما. اهـ. وفي لسان العرب: وتشاحُّوا في الأمر وعليه شحّ به بعضهم على بعض، وتبادروا إليه حذر فوته، ويقال: هما يتشاحان على أمر إذا تنازعاه لا يريد كلّ واحد منهما أن يفوته، والنعت شحيح والعدد أشحّة، وتشاح الخصمان في الجدل كذلك. اهـ. **قوله**: (شرعًا) أي سواء. في مختار الصحاح: قولهم الناس في مدّ الأمر شرع، أي سواء يحرّك ويُسكّن ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث. اهـ. وفي لسان العرب: ونحن في هذا سواء وشرعٌ واحدٌ، أي سواء لا يفوق بعضنا بعضًا يحرّك ويسكّن والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث فيه سواء. اهـ.

قوله: (الفراعنة) في مختار الصحاح: فرعون لقب الوليد بن مُصْعَب ملك مصر وكل عات فرعون، والعُتات الفراعنة. اهـ. **قوله**: (العماليق) في مختار الصحاح: العماليق والعمالقة قومٌ من ولد عَمْليق بن لاوز بن إرَم بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وهم أُمم تفرّقوا في البلاد. اهـ.

---

(١) وفي مختار الصحاح: تشاح.

بيوسف ويبغون له (الغوائل)، والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين اتفقوا على إلقاء أخيهم في البئر ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ أراد العموم أو أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ على التبليغ أو على القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ جعل ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ ما هو إلا موعظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ و(حثٌّ) على طلب النجاة على لسان رسول من رسله ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ على الآيات أو على الأرض ويشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا﴾ عن الآيات ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يعتبرون بها والمراد ما يرون من آثار الأُمم الهالكة وغير ذلك من (العبر).

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي وما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السمٰوات والأرض إلا وهو مُشرِك بعبادة الوثن الجمهور على أنها نزلت في المشركين لأنهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم، وإذا (حزبهم) أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يُشرِكون به غيره. من جملة الشِّرك ما

قوله: (**الغوائل**) في مختار الصحاح: فلان قليل الغائلة والمغالة ـ بالفتح ـ أي الشرّ، و**الغوائل** الدَّواهي. وأيضًا فيه: الداهية الأمر العظيم، ودواهي الدهر ما يُصيب الناس من عظيم نُوَبه. اهـ.

قوله: (**حثّ**) في المصباح: حثثت الإنسان على الشيء حثًّا من باب قتل وحرّضته عليه بمعنى. اهـ. **قوله**: (**العِبَر**) جمع **العبرة** مثل سدرة وسدر.

قوله: (**حزبهم**) ـ بحاء مهملة وزاي مفتوحة وموحدة مخفّفة ـ أي أهمّهم ونزل بهم.

يقوله (القدرية) من إثبات قدرة التخليق للعبد، والتوحيد المحض ما يقوله أهل السُّنَّة وهو أنه لا خالق إلا الله ﴿أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ حال أي (فجأة) ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانها.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق يُذَكَّران ويُؤَنَّثان. ثم فسر سبيله بقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير (عمياء) ﴿أَنَا۠﴾ تأكيد للمستتر في ﴿أَدْعُوٓا۟﴾، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ عطف عليه أي أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه مَن اتبعني، أو ﴿أَنَا۠﴾ مبتدأ و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ خبر مقدَّم و﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ عطف على ﴿أَنَا۠﴾ يخبر ابتداء بأنه ومَن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ (وأُنزِّهه عن الشركاء) ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مع الله غيره.

قوله: (القدرية) بفتح الدال وتسكن هم المنكرون للقدر القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة بقدرتهم ودواعيهم لا بقدرة الله وإرادته، وإنما نسب هذه الطائفة إلى القدر لأنهم يبحثون في القدر كثيرًا.اهـ مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح.
قوله: (فجأة) بفتح الفاء وسكون الجيم مع القصر ويجوز ضمّ الفاء ومدّ الجيم.اهـ قنوي. وفي حاشية البيضاوي للعلاّمة الشهاب رحمه الله: فجأة بضم الفاء والمدّ وبالفتح والقصر بمعنى المفاجأة والبغتة.اهـ. وفي المصباح: فَجِئت الرجل أفجؤه مهموز من باب تعب، وفي لغة بفتحتين جئته بغتة، والاسم الفُجاءة ـ بالضمّ والمدّ ـ وفي لغة وزان تمرة، وفَجِئه الأمر من باب تعب ونفع أيضًا، وفاجأه مفاجأة أي عاجله.اهـ.

قوله: (عمياء) في المصباح: عمي فقد بصره، فهو أعمى والمرأة عمياء، والجمع عُمْي من باب أحمر وعميان أيضًا.اهـ. **قوله**: (وأنزهه عَن الشركاء) على أن سبحان اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر، أي أسبّح الله تسبيحًا من الشركاء.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون: لو شاء ربّنا لأنزل ملائكة، أو ليست فيهم امرأة (﴿نُّوحِيٓ﴾) بالنون (**حفص**) ﴿إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل و(**الجفاء**) ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي ولدار الساعة الآخرة ﴿خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ الشّرك وآمنوا به ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (**وبالياء: مكي وأبو عمرو وحمزة وعلي**).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِّبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ يئسوا من إيمان القوم (﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِّبُواْ﴾) ـ كذِّبوا ـ (**وأيقن الرسل أن قومهم كذبوهم. وبالتخفيف: كوفي أي وظن المُرسَل إليهم أن الرُّسُل قد كذبوا أي أخلفوا**)، أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرُّسُل أي كذبتهم الرُّسُل في أنهم يُنْصَرونَ عليهم ولم يصدقوهم فيه

قوله: (﴿نُّوحِيٓ﴾) **بالنون**، أي بنون العظمة وكسر الحاء مبنيًّا للفاعل (**حفص**) وحده، والباقون بضمّ الياء من تحت وفتح الحاء مبنيًّا للمفعول. **قوله**: (**الجَفاء**) ممدود ضدّ البر. اهـ مختار الصِّحاح. **قوله**: (**وبالياء مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وأبو عمرو وحمزة وعليّ**) الكسائي، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب، وليسا من السبعة بالتاء على الخطاب.

قوله: (﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِّبُواْ﴾) بالتشديد، كما قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (**وأيقن الرسل أن قومهم كذّبوهم، وبالتخفيف**) أي بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول (**كوفي**) أي قرأه عاصم وحمزة والكسائي (**أي وظنّ المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا، أي أخلفوا**) بالبناء للمفعول، أي أخلفهم الله وعده إيّاهم بالنصر، فمعنى كذبوا بالتخفيف أخلفوا، أي أخلف الله وعدهم بالنصر. وعلى

﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ للأنبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب ﴿فَنُجِّيَ﴾ (**بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء: شامي وعاصم على لفظ الماضي المبني للمفعول والقائم مقام الفاعل** ﴿مَن﴾. **الباقون (فننجي)** ﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي النبي ومَن آمن به ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

(﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾) أي في قصص الأنبياء وأُممهم أو في قصة يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ حيث نقل من غاية الحب، إلى غيابة الجب، ومن الحصير، إلى السرير، فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة، ونهاية المكر (**وخامة**) وندامة ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ ما كان القرآن حديثًا مُفترى كما زعم الكفّار ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ولكن تصديق الكتب التي تقدمته ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الدين لأنه القانون الذي تستند إليه السُّنَّة والإجماع والقياس ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وأنبيائه (**وما نصب بعد «لكن» معطوف على**

قراءة التخفيف يكون الظنّ على بابه. **قوله**: (**بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامي**) أي ابن عامر الشامي (**وعاصم على لفظ الماضي المبنيّ للمفعول والقائم مقام الفاعل** ﴿مَن﴾). وقرأ (**الباقون**: «**فننجي**») بنونين مضمومة فساكنة فجيم مكسورة مخفّفة فياء ساكنة مضارع أنجى ﴿وَمَن﴾ مفعوله.

قوله: (﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾) الآية. في الدرّ المنثور **أخرج** ابن السنيّ والدَّيلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا عسر على المرأة ولادتها أخذ إناء نظيف وكُتِب عليه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: الآية ٣٥] إلى آخر الآية، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: الآية ٤٦] إلى آخر الآية، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسف: الآية ١١١] إلى آخر الآية، ثم يُغسل وتُسقى المرأة منه وينضح على بطنها وفرجها» انتهى بحروفه. **قوله**: (وخامة) أي ثِقَل. **قوله**: (**وما نصب بعد «لكن» معطوف على**

خبر «كان» **عن رسول رسول الله ﷺ: «علِّموا أرقّاءكم سورة يوسف)** فأيما عبد تلاها وعلّمها أهله وما ملكت يمينه هوَّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلمًا» قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: في ذكر قصة يوسف عليه السلام وإخوته تصبير لرسول الله ﷺ على أذى قريش كأنه يقول: إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين ومع الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك، فأنت مع مخالفتهم إياك في الدين **(أحرى)** أن تصبر على أذاهم. وقال **(وهب)**: إن الله تعالى لم ينزل كتابًا إلا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هي في القرآن العظيم والله أعلم.

خبر كان) عبارة تفسير الكشاف: وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان.اهـ. **قوله**: **(عن رسول الله ﷺ: «علموا أرقاءكم سورة يوسف»)** الأرقّاء - بالمدّ - جمع رقيق، الحديث رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه. **قوله**: **(أحرى)** أليَق. **قوله**: **(وهب)** بن منبه أبو عبد الله اليماني صاحب الأخبار والقصص، وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسِيَر الملوك، وذكر عنه ابن قتيبة في كتاب المعارف أنه كان يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابًا، ورأيت له تصنيفًا ترجمه بذكر الملوك المتوَّجة من حِمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم في مجلّد واحد، وهو من الكتب المفيدة.اهـ وفيات الأعيان وأنباء الزَّمان. وتوفي وهب في المحرّم سنة عشر، وقيل: أربع عشرة، وقيل: ستّ عشرة ومائة بصنعاء اليمن، وعمره تسعون سنة رضي الله تعالى عنه.اهـ وفيات الأعيان. وفي تقريب التهذيب: وهب بن منبه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأبْنَاوي - بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون - ثقة.اهـ.

تمت سورة يوسف عليه الصّلاة والسلام والحمد لله حقّ حمده على جميع آلائه والصلاة والسلام على رسوله خاتم أنبيائه وعلى آله وصحبه ما دُعِيَ الحق بأسمائه وتُقرّب إلى الله بتلاوة الآيات وأستغفر الله لي ولجميع أهل الإسلام من قرابتي وأحبّائي ولجميع المؤمنين والمؤمنات. اللّهمّ يسّر لنا خدمة كلامك ووفّقنا لفهم معانيه بإلهامك، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير

(سورة الرعد)

(مكية، وهي ثلاث أو خمس وأربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)﴾

﴿الٓمٓر﴾ أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أريد بالكتاب السورة (أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة) العجيبة في بابها ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن كله ﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر ﴿وَٱلَّذِى﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيقولون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الرعد مكّية وهي ثلاث أو خمس وأربعون آية)، وعدد كلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة أحرف. اهـ خطيب.

قوله: (أي تلك الآيات، آيات السورة الكاملة) معنى الكمال مستفاد من التعريف الجنسي في الكتاب، كما يقال: زيد هو الرجل، أي هو الكامل في

(تقوّله) محمد ثم ذكر ما يُوجِب الإيمان فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ والخبر ﴿ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ حال وهو جمع عماد أو عمود ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير يعود إلى السمٰوات أي ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان، أو إلى عمد فيكون في موضع جر على أنه صفة لـ ﴿عَمَدٍ﴾ أي بغير عمد مرئية ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لمنافع عباده ومصالح بلاده ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاء الدنيا ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أمر ملكوته وربوبيته ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يبيِّن آياته في كتبه المنزلة ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لعلكم توقنون بأن هذا المدبر والمفصل لا بدَّ لكم من الرجوع إليه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بسطها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ (جبالًا ثوابت) ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ جارية ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير (وما أشبه ذلك) ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ (يلبسه مكانه)

الرجولية دلالة على أنه لاستجماعه صفات الرجولية على التّمام كان كأنه الجنس كلّه، وليس رجل غيره. **قوله**: (تقوّله) اختلق القرآن.

قوله: (جبالًا ثوابت) من رسى الشيء إذا ثبت جمع راسية أشار إلى موصوفها المقدّر، وقوله: ثوابت، أي تمسكها عن الاضّطراب. **قوله**: (وما أشبه ذلك) من الأصناف المختلفة كالحار والبارد.

قوله: (يُلْبِسُه مكانه) يَعْني أن الإغشاء إلباس الشيء الشيء، ولمّا كان إلباس اللّيل والنهار وتغطية النهار به غير معقول؛ لأنهما متضادّان لا يجتمعان، واللّباس لا بدّ أن يجتمع مع اللابس قدّر المضاف وهو مكانه، ومكان النهار هو الجوّ، وهو الذي يلبس ظلمة الليل شبّه إحداث الظلمة في الجوّ الذي هو مكان الضوء بإلباسها إيّاه وتغطيته بها، فأطلق عليه اسم الإغشاء والإلباس، فاشتقّ منه لفظ يغشى، فصار استعارة تبعيّة.

فيصير أسود مظلمًا بعد ما كان أبيض منيرًا. (﴿يُغَشِّى﴾ **حمزة وعلي وأبو بكر**) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن لها صانعًا عليمًا حكيمًا قادرًا.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ (**بقاع**) مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة، إلى (**سبخة**) وكريمة، إلى (**زهيدة**) وصلبة، إلى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه ﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ معطوفة على ﴿قِطَعٌ﴾، ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ (**بالرفع مكي وبصري وحفص عطف على** ﴿قِطَعٌ﴾) غيرهم: بالجر بالعطف على ﴿أَعْنَٰبٍ﴾، والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلها واحد (**وعن حفص بضم الصاد**) وهما لغتان ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ (**وبالياء عاصم وشامي**) ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (**وبالياء: حمزة وعلي**) ﴿فِى ٱلْأُكُلِ﴾ في الثمر. (**وبسكون الكاف: نافع ومكي**) ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ

قوله: (﴿يُغَشِّى﴾) وبفتح الغين وتشديد الشين (**حمزة وعلي وأبو بكر**)، والباقون بالسكون والتخفيف من أغشى.

قوله: (**بِقاع**) جمع بُقْعة. **قوله**: (**سبخة**) بكسر الباء وإسكانها تخفيف وفتح الباء أيضًا، أي ملحة. **قوله**: (**زهيدة**) قليلة الخير. **قوله**: (**بالرفع**) أي برفع الأربعة (**مكّي**) أي ابن كثير المكّي (**وبصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (**وحفص عطف على** ﴿قِطَعٌ﴾) أي فرفع ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ بالعطف على قطع ورفع ﴿صِنْوَانٌ﴾ لكونه تابعًا لـ ﴿وَنَخِيلٌ﴾ و﴿وَغَيْرُ﴾ لعطفه عليه. **قوله**: (**وعن حفص بضم الصاد**) قال في الجمالين: ولعلّه رواية شاذّة، انتهى. **قوله**: (**وبالياء**) من تحت على التذكير أي المذكور (**عاصم، وشامي**) أي ابن عامر الشامي، وقراءة الباقين بالتاء على التأنيث، أي الجنّات وما فيها. **قوله**: (**وبالياء**) من تحت (**حمزة وعليّ**) الكسائي ليُطابق قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، والباقون بالنون. **قوله**: (**وبسكون الكاف نافع ومكّي**) أي ابن كثير المكّي، والباقون بالرفع.

﴿لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ عن (الحسن) مثل اختلاف القلوب في آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع في أنهارها وأزهارها وثمارها.

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾

﴿وَإِن تَعۡجَبۡ﴾ يا محمد من قولهم في إنكار البعث ﴿فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ﴾ خبر ومبتدأ أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لأن مَن قدر على إنشاء ما عدَّد عليك كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان إنكارهم (أعجوبة من الأعاجيب)﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ﴾ في محل الرفع بدل من ﴿قَوۡلِهِمۡ﴾. (قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ﴾ أولئك الكافرون

قوله: (الحسن) البصري، كان من سادات التابعين وكُبرائهم وجمع كل فنّ من علم وزهد وورع وعبادة، وتوفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه، وكانت جنازته مشهورة. قال حميد الطويل: توفي الحسن عشيّة الخميس وأصبحنا يوم الجمعة ففزعنا من أمره، وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفنّاه، فتبع الناس كلّهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا أعلم أنها تُركت منذ كان الإسلام إلّا يومئذ؛ لأنهم تبعوا كلّهم الجنازة حتى لم يبقَ بالمسجد مَنْ يصلّي العصر، وأغمي على الحسن عند موته ثم أفاق، فقال: لقد نبّهتموني من جنّات وعيون ومقام كريم، وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين: رأيت كأن طائرًا أخذ أحسن حصاة بالمسجد، فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن، فلم يكن إلّا قليلًا حتى مات الحسن رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أُعجوبة من الأعاجيب) في مختار الصحاح: العجيب والعجاب ـ بالضمّ ـ الأمر الذي يتعجّب منه، وكذا العُجّاب وبتشديد الجيم وهو أكثر، وكذا الأُعْجُوبة والتعاجيب والعجايب ولا يجمع عَجَبٌ ولا عجيب، وقيل: جمع عجيب عجائب، مثل أفيل وأفايل وتبيع وتبايع، وقولهم: أعاجيب كأنه جمع أُعجوبة مثل أُحدوثة وأحاديث. اهـ. **قوله**: (قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين) عبارة الخطيب: (تنبيه): هنا آيتان في كلٍّ منهما همزتان، فقرأ قالون بتحقيق الهمزة الأُولى وتسهيل الثانية، ويدخل بينهما ألفًا على الاستفهام. وفي الآية الثانية بهمزة

المُتمادون في كفرهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ (وصف لهم بالإصرار) أو من جملة الوعيد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ دلّ تكرار أولئك على تعظيم الأمر.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٦﴾

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا، **(والمثلة)** العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أي ظالمين لأنفسهم. قال **(السدي)**: يعني المؤمنين وهي

مكسورة وبعدها نون مشدّدة على الخبر، وورش كذلك إلّا أنه لا يدخل بين الهمزتين في ﴿أَءِذَا﴾ ألفًا، وينقل في الثاني على أصله، وابن كثير يقرأ بالاستفهام فيهما من غير إدخال ألف بين الهمزتين مع تحقيق الأُولى وتسهيل الثانية فيهما، وأبو عمرو كذلك مع إدخال ألف بينهما، وابن عامر في الأوّل بهمزة مكسورة بعدها ذال مفتوحة على الخبر، وفي الثاني بهمزة مفتوحة محقّقة وهمزة مكسورة محقّقة على الاستفهام، وأدخل هشام[1] بينهما ألفًا بخلافٍ عنه. والباقون بهمزتين محقّقتين الأُولى مفتوحة، والثانية مكسورة، ولا ألف بينهما في الموضعين، انتهت بحروفها. **قوله**: **(وصف لهم بالإصرار)**... الخ. يعني هذه الجملة إن نظر إلى ما قبلها وجعلت وصفًا لهم بامتناعهم عن الإيمان وإصرارهم على الكفر، فهي تشبيه وتمثيل لحالهم في الدنيا في الإصرار وعدم الالتفات إلى الحقّ بحال طائفة في أعناقهم أغلال لا يمكنهم الالتفات، وإن نظر إلى ما بعدها يكون لوصف حالهم في الآخرة.

قوله: **(والمثلة)** بفتح الميم وضمّ الثاء المثلثة. **قوله**: **(السدّي)** في المصباح: السدّة الباب ويُنسب إليها على اللفظ، فيقال: السدّي، ومنه الإمام

---

(١) يُروى عن أبي عامر الشامي ﷺ.

أرجى آية في كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تُزيلها وترفعها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ على الكافرين أو هما جميعًا في المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أي يغفر لمن يشاء ويعذب مَن يشاء.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ لم يعتدّوا بالآيات المُنَزَّلة على رسول الله ﷺ عنادًا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ﴾ إنما أنت رجل أرسلت منذرًا مخوفًا لهم من سوء العاقبة وناصحًا كغيرك من الرُّسُل، **(وما عليك إلا الإتيان بما يصحّ به أنك رسول منذر)**، وصحة ذلك حاصلة بأيِّ آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خصَّ بها لا بما يريدون ويتحكمون.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ﴾ «ما» في هذه المواضع الثلاثة موصولة أي يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكورة وأُنوثة، وتمام **(وخداج)**، وحسن وقبح، وطول **(وقصر)** وغير ذلك، وما تغيضه الأرحام أي ويَعلمُ ما تنقصه. يقال: غاض الماء وغَضَتُّه أنا، وما تزداده والمراد عدد الولد فإنها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة، أو جسد الولد فإنه يكون تامًّا ومخدجًا، أو مدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيَد عليها **(إلى سنتين عندنا، وإلى أربع**

المشهور وهو إسمٰعيل السدِّي، لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدّة مسجد الكوفة. اهـ.

قوله: (وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر) من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك.

قوله: (خداج) نقصان. **قوله**: (قِصَر) في مختار الصحاح: قَصُر الشيء ضدّ طال، يقصُر بالضمّ قِصَراً بوزن عِنَبٍ. اهـ. **قوله**: (إلى سنتين عندنا، وإلى أربع

عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك)، أو مصدرية أي يعلم حمل كل أُنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر وحدّ لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: الآية ٤٩].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾﴾

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عن الخلق ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما شاهدوه ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن الذي كل شيء دونه ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها. (وبالياء في الحالين: مكي).

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ أي في علمه ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ (متوار) ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ ذاهب في (سربه) أي في طريقه ووجهه. يقال: (سرب) في الأرض سروبًا. (و﴿وَسَارِبٌ﴾ عطف على ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ لا على «مستخف» أو على «مستخفّ» غير أن ﴿وَمَنْ﴾ في معنى الاثنين)، والضمير في

عند الشافعي، وإلى خمس[1] عند مالك) وعن أحمد ﷺ روايتان المشهور كمذهب الشافعي ﷺ، والآخر كمذهب إمامنا الأعظم أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وبالياء) بعد اللام (في الحالين) أي في الوقف والوصل (مكّي) ابن كثير المكّي، والباقون بغير ياء وقفًا ووصلًا.

قوله: (متوار) أي مستتر. **قوله**: (سربه) بفتح السين وسكون الراء. **قوله**: (سَرَب) بابه دخل. **قوله**: (﴿وَسَارِبٌ﴾ عطف على ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ لا على مستخفٍ، أو على مستخفّ غير أن ﴿وَمَنْ﴾ في معنى الاثنين) جواب عمّا يقال: إنّ الاستواء يقتضي شيئين، فكيف يصحّ أن يعطف سارب على قوله مستخفّ، مع أنه

---

(١) وفي رواية عنه: أربع سنين أو سبع سنين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿لَهُۥ﴾ مردود على ﴿مَّنۡ﴾ كأنه قيل: لمن أسرَّ ومن جهر ومن استخفى ومن سرب ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه، والأصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه لأن بعضهم يعقب بعضًا، أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ أي قدامه ووراءه ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل: له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه، أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من العافية والنعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ من الحال الجميلة بكثرة المعاصي ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ عذابًا ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ فلا يدفعه شيء ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ من دون الله ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم.

مستلزم تحقّق الأشياء بالاستواء في شخصٍ واحد له صفتان: الاستخفاء والبروز؛ وذلك لأن جملة قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ معطوفة على جملة قوله تعالى: ﴿مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾، وهما مبتدأ حكم عليهما بالاستواء، فلمّا عطف عليه قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ لزم أن يكون هذا المعطوف أيضًا محكومًا عليه بالاستواء، وهو شخص واحد له صفتان؛ فحقّ العبارة أن يقال: ومَنْ هو مُستخفٍ بالليل ومَنْ هو سارب بالنهار، ليتحقّق شيئَين يحكم عليها بالاستواء.

وأجاب المصنف عنه رحمه الله تعالى بوجهين: تقرير الأوّل ما ذكر إنما يلزم أنْ لو كان ﴿وَسَارِبُۢ﴾ معطوفًا على قوله: ﴿مُسۡتَخۡفِۭ﴾ وليس كذلك، بل هو معطوف على ﴿وَمَنۡ﴾، فيتحقّق شيئان كأنه قيل: سواء منكم إنسان وهو مستخفٍ وسارب. وتقرير الوجه الثاني: سلّمنا أنه معطوف على مُستخفٍ لكن لا نسلّم استلزامه لكون الاستواء في شخص واحد بناءً على أن كلمة ﴿وَمَنۡ﴾ عبارة عن الاثنين، كأنه قيل: سواء منكم اثنان هما مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار، وعلى الوجهين تكون كلمة ﴿وَمَنۡ﴾ موصوفة لا موصولة، فيحمل الأوّلان أيضًا على ذلك ليتوافق الكلّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ انتصبا على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع، أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين، والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال (أبو الطيب):

(فتى كالسحاب الجون يُخْشَى ويُرْتجى يُرَجَّى الحَيا منه وتخشى الصواعق)

أو يخاف المطر مَن له فيه ضرر كالمسافر ومَن له بيت (يكف) ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر، ويطمع فيه مَن له نفع فيه، ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾ (هو اسم جنس) والواحدة سحابة ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ بالماء وهو جمع ثقيلة، تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثِقال.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ قيل: (يسبِّح سامِعو الرعد) من العباد الراجين للمطر أي يصيحون بسبحان الله والحمد لله. (وعن النبي ﷺ أنه قال: «(الرعد) مَلَك

قوله: (أبو الطيب) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصَّمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي، الشاعر المشهور. **قوله**: (فتى كالسحاب) جمع سحابة. اهـ **شواهد الكشاف**. (الجون) الأسود هٰهنا، ورواه ابن جنيّ بضم الجيم. وفي مختار الصحاح: الجون الأبيض، والجون الأسود، وهو من الأضداد. اهـ. (يُخْشَى ويُرْتجى، يُرَجَّى الحيا منه) في المصباح: الحَيَا مقصور الغيث. اهـ. وفي مختار الصحاح: الحَيَا مقصور المطر والخِصْب (وتخشى الصواعق) جمع صاعقة. **قوله**: (يكف) في مختار الصحاح: وكف البيت قَطَر وبابه وعد. اهـ. **قوله**: (هو اسم جنس) جمعي.

قوله: (يسبّح سامعو الرعد) بحذف مضاف أو إسناد مجازي لكونه سببًا حاملًا، وهو الأرجح. اهـ قنوي. (وعن النبي ﷺ أنه قال: «الرعد»)... الخ. أخرجه الترمذي وصححه النسائي.

موكل بالسحاب معه (مخاريق) من نار يسوق بها السحاب» والصوت الذي يسمع زجره السحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ ويسبح الملائكة (من هيبته) وإجلاله ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ الصاعقة: نار تسقط من السماء. لما ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دلَّ على قدرته (الباهرة) ووحدانيته قال: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يعني الذين كذبوا رسول الله ﷺ يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم: مَن يحيي العظام (وهي رميم). ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله. أو الواو للحال أي فيصيب بها مَن يشاء في حال جدالهم، وذلك أن (أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري) قال لرسول الله ﷺ حين (وفد) عليه مع عامر بن (الطفيل) قاصدين لقتله، (فرمى الله عامرًا بغدَّة كغدة البعير وموت في بيت سلولية)، وأرسل على أربد صاعقة فقتله: أخبرني عن ربنا أمِن نحاس هو أم من حديد. ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي المماحلة وهي شدة المُماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلَّف لاستعماله الحيلة واجتهد فيه، (ومَحَلَ بفلان) إذا كاده وسعى به إلى السلطان، والمعنى أنه شديد المكر والكَيْد لأعدائه يأتيهم (بالهلكة) من حيث لا يحتسِبون.

قوله: (مخاريق) جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يُلَفّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضًا، والمراد به هٰهنا آلة يسوق بها الملائكة السَّحاب. **قوله**: (من هيبته) أي هيبة الله تعالى وجلاله، وقيل: الضمير للرعد. **قوله**: (الباهرة) الغالبة. **قوله**: (وهي رميم) أي بالية، ولم يقل بالتاء؛ لأنه اسم جامد لما بلي من العظام لا صفة بمعنى فاعل حتى يجب تأنيثه، كذا قاله الزمخشري. **قوله**: (أربد) بوزن أفعل بالباء الموحدة. **قوله**: (أخا لبيد بن ربيعة العامري) لأُمّه. **قوله**: (وَفَدَ) أي ورد وبابه وعد. **قوله**: (الطفيل) مصغّر. **قوله**: (فرمى الله عامرًا بغُدّة كغُدّة البعير، وموت في بيت سلولية) الغدّة الطاعون للإبل، وقلّما تسلم منه، يقال: أغد البعير، أي صار ذا غُدّة وهي الطاعون. وسلول قبيلة من العرب أقلّهم وأرذلهم، كان عامر يقول: ابْتُليت بأمرين كل واحد منهما شرٌّ من الآخر، أحدهما: أنّ غُدّتي كغُدّة البعير، وأن موتي موت في بيت أرذل الخلائق. **قوله**: (ومحل بفلان) بابه قطع. **قوله**: (بالهَلكة) في المصباح: الهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أُضيفت إلى الحق الذي هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة مُلابِسَة للحق وأنها بمعزل من الباطل، والمعنى أن الله سبحانه يُدعَى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سُؤله فكانت دعوة مُلابسة للحق لكونه حقيقًا بأنه يوجّه إليه الدعاء لما في دعوته من **(الجدوى والنفع)** بخلاف ما لا ينفع **(ولا يجدي)** دعاؤه. واتصال ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ و﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ بما قبله على قصة أربد ظاهر لأن إصابته بالصاعقة مَحال من الله ومكر به من حيث لم يشعر، وقد دعا رسول الله ﷺ عليه وعلى صاحبه بقوله: «اللّهمّ اخسفهما بما شئت» فأُجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق. وعلى الأول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله ﷺ بحلول مَحاله بهم وإجابة دعوة رسول الله ﷺ فيهم إن دعا عليهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والآلهة الذين يدعوهم الكفّار ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ **(من طلباتهم)** ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ الاستثناء من المصدر أي من الاستجابة التي دلّ عليها لا يستجيبون لأن الفعل بحروفه يدل على المصدر، وبصيغته على الزمان، وبالضرورة على المكان والحال، فجاز استثناء كلٍّ منها من الفعل فصار التقدير: لا يستجيبون استجابة إلا استجابة كاستجابة باسط كفّيه إلى الماء أي كاستجابة الماء لمن بسط كفّيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه. والماء جماد لا يشعر ببَسْط كفّيه ولا **(بعطشه)** وحاجته إليه، ولا يقدر أن يُجيب دعاءه ويبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماد **(لا يحس)** بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم. واللام في ﴿لِيَبْلُغَ﴾ متعلق بـ «باسط كفيه»، ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ وما الماء ببالغ

قوله: **(الجَدْوى)** بالفتح **(والنفع)** عطف تفسير. **(ولا يُجْدي)** أي لا ينفع. **قوله**: **(من طلباتهم)** بيان لشيء وهو جمع طلبة بمعنى مطلوب. **قوله**: **(بعَطَشه)** العَطَش ضدّ الرِّيّ، وبابه طرب. **قوله**: **(لا يحسّ)** في المصباح: أحسّ الرجل الشيء إحساسًا عَلِم به يتعدّى بنفسه مع الألف، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [آل عمران: الآية ٥٢]، وربما زيدت الباء فقيل: أحسّ به على معنى شَعُر به وحسست به من باب قتل لغة فيه، والمصدر الحِسّ بالكسر يتعدّى بالباء على معنى شعَرت أيضًا، ومنهم مَنْ يخفّف الفعلين بالحذف، فيقول: أحَسْتُه

فاه ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ في (ضياع) لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سجود تعبّد وانقياد ﴿طَوْعًا﴾ حال يعني الملائكة والمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ يعني المنافقين والكافرين في حال الشدة والضيق ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ معطوف على ﴿مَن﴾ جمع ظل ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ جمع غداة، (كقنيّ) وقناة (﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمع أصُل أصيل). قيل: ظل كل شيء يسجد لله بالغدو والآصال، وظل الكافر يسجد كرهًا وهو كاره، وظل المؤمن يسجد طوعًا وهو طائع.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ حكاية لاعترافهم لأنه إذا قال لهم مَن ربّ السمٰوات والأرض لم يكن لهم بُدٌّ من أن يقولوا: الله، دليله قراءة

وحَسْتُ به، ومنهم مَنْ يخفّف فيهما بإبدال السين ياء، فيقول: فحَسَيْت وأحْسَيْت وحَسِسْتُ بالخبر من باب تَعِب ويتعدّى بنفسه، فيقال: حَسَسْتُ الخبرَ من باب قتل، فهو محسوس وتحسّسته تطلبته ورجل حسّاس للأخبار كثير العلم بها، وأصل الإحساس الإبصار، ومنه: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: الآية ٩٨]، أي هل ترى. ثم استعمل في الوجدان والعلم بأيّ حاسّة كانت، وحواس الإنسان مشاعره الخمس: السمع والبصر والشمّ والذوق واللّمس، الواحدة حاسّة مثل دابّة ودوابّ. اهـ.

قوله: (ضياع) في مختار الصحاح ضاع الشّيء يضيع ضِياعًا بكسر الضاد وفتحها هلك. اهـ.

قوله: (كقنيّ) بضم القاف وكسر النون وتشديد الياء وقناة بفتح القاف وهي الرمح، ويُطلق على مجرى الماء. **قوله**: (﴿وَٱلْآصَالِ﴾) أصله ءأصال ـ بهمزتين ـ فقلبت الثانية ألفًا. **قوله**: (جمع أُصُل) والأصل جمع (أصيل) وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس.

(ابن مسعود) و(أُبَيّ) «قالوا الله» أو هو تلقين أي فإن لم يجيبوا فلقنهم فإنه لا جواب إلا هذا ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أبعد أن علمتموه ربّ السمٰوات والأرض اتخذتم من دونه آلهة ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضررًا عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ أي الكافر والمؤمن أو مَن لا يُبصر شيئًا ومَن لا يخفى عليه شيء ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى (ٱلظُّلُمَٰتُ) وَٱلنُّورُ﴾ مَثَلُ الكفر والإيمان. (﴿يَسْتَوِى﴾ كوفي غير حفص) ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ خلقوا مثل خلقه وهو صفة لـ ﴿شُرَكَآءَ﴾ أي أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما (قدر) الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يُعبَد، ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلًا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي خالق الأجسام والأعراض لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة، ومَن قال إن الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ المتوحّد بالربوبية ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور.

قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله**: (أُبيّ) بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن نجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر، سيّد القراء، ويكنى أبا الطفيل أيضًا من فُضلاء الصحابة، اختُلف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك. **قوله**: (﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾) جمعها لأن الكفر أنواع متعدّدة والإيمان شيء واحد، فلذلك أفرد النور. **قوله**: (﴿يَسْتَوِى﴾) بالياء على التذكير (كوفي غير حفص) أي قرأه أبو بكر شعبة وحمزة والكسائي، والباقون بالتاء على التأنيث. **قوله**: (قدر) من باب ضرب.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَنزَلَ﴾ أي الواحد القهّار وهو الله سبحانه ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من السحاب ﴿مَآءً﴾ مطرًا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ﴾ جمع وادٍ وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، وإنما نكر لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بمقدارها الذي علم الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضارّ ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ﴾ **(أي رفع)** ﴿زَبَدًا﴾ هو ما علا على وجه الماء من **(الرغوة)** والمعنى علاه زبد ﴿رَّابِيًاۚ﴾ منتفخًا مرتفعًا على وجه السيل ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ **(بالياء كوفي غير أبي بكر)** و«من» لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد الماء، أو للتبعيض أي وبعضه زبد ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ أي مما توقدون عليه ثابتًا في النار ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في ﴿تُوقِدُونَ﴾، ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ من الحديد و**(النحاس)** و**(الرصاص)** يتخذ منها **(الأواني)** وما يتمتع به في الحضر والسفر، وهو معطوف على ﴿حِلْيَةٍ﴾ أي زينة من الذهب والفضة ﴿زَبَدٌ﴾ **(خبث)** وهو مبتدأ ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ نعت له ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ خبر له أي لهذه **(الفلزات)** إذا أغليت زبد مثل زبد الماء.

قوله: **(أي رفع)** إشارة إلى أن احتمل بمعنى حمل، فإن افتعل قد يكون بمعنى فعل، نحو: جال واجْتال. **قوله**: **(الرغوة)** في المصباح: الرغوة الزَّبد يعلو الشيء عند غليانه بفتح الراء وضمّها، وحُكي الكسر وجمع المفتوح رغوات مثل شهوة وشهوات، وجمع المضموم رغى مثل مدية ومُدى. اهـ. **قوله**: **(وبالياء كوفي غير أبي بكر)** أي قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء على الغيبة على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به، والباقون بالتاء على الخطاب. **قوله**: **(الأواني)** جمع آنية، وهي معروفة. **قوله**: **(النحاس)** معروف. **قوله**: **(الرصاص)** بالفتح معروف والعامّة تقوله بالكسر. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(خبث)** بفتحتين ما نفاه الكير بالكسر، هو منفاخ الحدّاد، أي زقّ الحدّاد الذي ينفخ به ويكون من جلد غليظ ذي حافات. **قوله**: **(الفلزات)** جمع فلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزّاي

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ أي مثل الحق والباطل ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾ حال أي متلاشيًا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان، والجفاء الرمي وجفأت الرجل صرعته ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء و(**الحلي**) والأواني ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فيثبت الماء في العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى في الأرض مدة طويلة ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ ليُظهِر الحق من الباطل. وقيل: هذا مثلٌ ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، فمثَّل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في (**صوغ الحلي منه**) واتخاذ الأواني والآلات المختلفات، وذلك ماكث في الأرض باقٍ بقاء ظاهرًا يثبت الماء في منافعه، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة. وشبّه الباطل في سرعة اضمحلا له و(**وَشْك**) زواله بزبد السيل الذي يرمي به. وبزبد الفلز الذي (**يطفو**) فوقه إذا أُذيب. قال الجمهور: وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل، فالماء القرآن نزل لحياة (**الجَنان**) كالماء للأبدان والأودية: القلوب. ومعنى ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بقدر سعة القلب وضيقه، والزبد (**هواجس**) النفس ووساوس الشيطان، والماء الصافي المنتفع به في مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلًا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السَّنِيَّة والأخلاق الزكية، وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدة بالإخلاص المعدة للخلاص، فإن الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع في الحرب، وأما الزبد فالرّياء والخلل و(**الملل**) والكسل.

وهو ما في الأرض من الجواهر المعدنية أو نحوها كالذهب والفضّة والنحاس والرصاص وغيرها. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (**الحلي**) بوزن رمى أو بضمّ الحاء وكسر اللام وتشديد الياء ما يُتحلّى ويُتزيّن به. **قوله**: (**صوغ الحلي منه**) في المصباح: صاغ الرجل الذهب يصوغه صوغاً جعله حليًا، فهو صائغ وصوّاغ وهي الصياغة. اهـ. **قوله**: (**وشْك**) أي سُرْعة. **قوله**: (**يطفو**) أي يعلو. **قوله**: (**الجنان**) بالفتح القلب. **قوله**: (**هواجس**) خواطر. **قوله**: (**الملل**) في المصباح: مللته ومللت منه مَلَلًا من باب تعب وملالة سئمت وضجرت والفاعل ملول. اهـ.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾

واللام في ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾ أي أجابوا متعلقة بـ ﴿يَضۡرِبُ﴾ أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ وهي صفة لمصدر ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾ أي استجابوا الاستجابة الحسنى ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ أي للكافرين الذين لم يستجيبوا أي هما مَثَلا الفريقين. وقوله: ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾ كلام مبتدأ في ذكر ما أعدّ لغير المستجيبين أي لو ملكوا الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله. والوجه أن الكلام قد تمّ على الأمثال وما بعده كلام مستأنف و﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾ والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ﴾ مبتدأ خبره «لو» مع ما في حيّزه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ المناقشة فيه (في الحديث «مَن نوقش الحساب عُذِّب»). ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾ ومرجعهم بعد المحاسبة النار ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ المكان الممهَّد والمذموم محذوف أي جهنم.

﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾

دخلت همزة الإنكار على الفاء في ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ﴾ لإنكار أن تقع شبهة ما بعد ضرب من المثل في أن حال مَن علم ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله: ﴿كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾ كبُعْد ما بين الزبد والماء والخبث و(الإبريز) ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا.

قوله: (في الحديث: «مَن نوقش الحساب) أي عُوسر فيه (عُذِّب») أي تكون نفس تلك المضايقة عذابًا أو سببًا مغضبًا للعذاب، رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

قوله: (الإبريز) الحلي الصافي من الذهب. اهـ لسان العرب.
قوله: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] أنت ربّنا.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾. . . ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [الرعد: الآية ٢٥]، وقيل: هو صفة لأولي الألباب والأول أوجه، وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله ﷺ وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم و(الذّب) عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم، ومنه مراعاة حق الأصحاب و(الخدم) والجيران والرفقاء في السفر ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي وعيده كله ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ خصوصًا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يُحاسَبوا.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكاليف ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يُعاب في الجزع ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ داوموا على إقامتها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي من الحلال (وإن كان الحرام رزقًا عندنا) ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يتناول

قوله: (الذَّبُّ) المنع والدفع وبابه رَدَّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (الخدم) في مختار الصحاح: الخادم واحد الخَدَم غلاماً كان أو جارية. اهـ.

قوله: (وإنْ كان الحرام رزقاً عندنا) في ضوء المعالي لبدء الأمالي للعلامة علي القاري رحمة الله عليه أنّ الحرام مرزوق مثل الحلال؛ لأن الرزق ما يسوقه الله إلى الحيوان لينتفع به حراماً كان أو حلالًا، وفي المسألة خلاف، المعتزلة مستدلّين بأن الرزق مستند إليه سبحانه في الجملة والمسند إليه يقبح أن يكون

النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض **(لأن المجاهر بها أفضل نفيًا للتهمة)** ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ ويدفعون بالحسن من الكلام ما يردّ عليهم من سيء غيرهم، أو إذا حُرموا أعطوا، وإذا ظُلموا عفوا، وإذا قُطِعوا وصلوا، وإذا أذنبوا تابوا، وإذا (هربوا) أنابوا، وإذا رأوا منكرًا أمروا بتغييره، **(فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة)** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أرادها الله أن تكون **(عاقبة الدنيا)** ومرجع أهلها.

حراماً يعاقبون عليه. أُجيب بأنه لا قبيح بالنسبة إليه تعالى؛ لأنه يفعل ما يشاء في ملكه ويحكم ما يريد في مُلكه وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم أسباب الأحكام مع أنه يلزم المعتزلة أن المنتفع بالحرام طول الأيّام من عمره لم يرزقه الله أصلًا، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هُود: الآية ٦]. اهـ.

قوله: **(لأن المجاهر بها أفضل نفياً للتهمة)**. وفي الجمالين: ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي بعضه الذي وجب عليهم إنفاقه سرًّا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن يعرف به. اهـ. **قوله**: (هربوا) في مختار الصِّحاح: الهَرْب الفرار هَرَبَ يَهْرُب هَرَباً مثل طَلَب يطلُب طلبًا. اهـ. **قوله**: **(فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنّة)**. عبارة الخازن: قال عبد الله بن المبارك: هذه ثمان خِلال مشيرة إلى أبواب الجنّة الثمانية. **قلت**: إنما هي تسع خِلال، فيحتمل أنه عدّ خلّتين بواحدة، انتهت.

قوله: **(عاقبة الدنيا)** أي التي تخلف الدنيا وتجيء بعدها، وكلّ ما جاء بعد شيء فهو عاقبته والتاء لتأنيث الموصوف، وهي الجنّة، فإنها هي التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها والنار، وإنْ كانت عاقبة الدنيا بالنسبة إلى الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرّعد: الآية ٣٥]، إلا أنها لمّا كانت عاقبة لها بالنسبة إليهم لسوء اختيارهم ليس كونها عاقبة لها مقصودًا بالذات، قال الواحدي رحمه الله تعالى: العقبى كالعاقبة ويجوز أن يكون مصدرًا كالشورى والقربى والرجعى أُضيف إلى فاعله، والمعنى: أُولئك لهم أن تعقب أعمالهم الدار التي هي الجنّة. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾﴾

﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾ بدل من ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، ﴿يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ﴾ أي آمن ﴿مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ (وَأَزۡوَٰجِهِمۡ) وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ (وقرىء ﴿صَلُحَ﴾) والفتح أفصح و﴿مَن﴾ في محل الرفع بالعطف على الضمير في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ و(ساغ) ذلك وإن لم يؤكد لأن ضمير المفعول صار فاصلًا. وأجاز (الزجّاج) أن يكون مفعولًا معه، ووصفهم بالصلاح ليعلم أن الأنساب لا تنفع بنفسها، (والمراد أبو كل واحد منهم) فكأنه قيل من آبائهم وأُمهاتهم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ في قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرِّضا.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۖ﴾ في موضع الحال إذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أي هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات، أو على أمر الله، (أو بسلام) أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والأول أوجه ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ الجنات ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۙ﴾ بالكفر والظلم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ الإبعاد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾

قوله: (﴿وَأَزۡوَٰجِهِمۡ﴾) أي اللاتي مُتن في عصمتهم. اهـ جمل. **قوله**: (وقرىء ﴿صَلُحَ﴾) بضمّ اللام قارئه ابن أبي عبلة. **قوله**: (ساغ) أي جاز. **قوله**: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النحوي رحمه الله، توفي سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد. **قوله**: (والمراد أبوا كل واحد منهم) عبارة تفسير الكشاف: وآباؤهم جمع أبوي كلّ واحد منهم. اهـ.

قوله: (أو) متعلّق (بسلام)... الخ. وفي حاشية البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: لا بسلام؛ لأنه لا يفصل بين المصدر ومعموله بالخبر؛ لأنه أجنبي، قاله أبو البقاء وجوّزه غير أبي البقاء. قال في الدرّ المصون: وجهه أنّ المنع إنما هو في المصدر المؤوّل بحرف مصدريّ وفعل وهذا ليس منه، والمصنّف

يحتمل أن يُراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار، وأن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها.

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ أي ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده وهو يبسط الرزق ويقدر دون غيره ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بما بسط لهم من الدنيا (فرح بطر وأشر) لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجَروا بنعيم الآخرة ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئًا (نزرًا) يتمتع به **(كعجالة الراكب)** وهو ما يتعجّله من تُميرات أو شربة سويق.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ أي الآية المقترحة ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ

رحمه الله تبع فيه أبا البقاء مع الرضى جوّزه مع التأويل أيضًا، وقال: لا أراه مانعًا، لأن كل مؤوّل بشيء لا يثبت له جميع أحكامه. وقال صاحب الكشف: إن عليكم بحسب أصله ليس بأجنبي، فلذا أجاز الفصل به. اهـ.

قوله: (فرح بطر) في مختار الصحاح: البَطَر الأشَر، وهو شدّة المرح، وبابه طرب. اهـ. وأيضًا فيه المرح شدّة الفَرح والنّشاط، وبابه طرِب. اهـ. **قوله**: (وأشر) في مختار الصحاح: الأشر البَطر وبابه طَرِب فهو أشِر. اهـ. وفي المصباح: أشر أشرًا فهو آشر من باب تعب بطر وكفر النعمة، فلم يشكرها. اهـ. **قوله**: (نَزرًا) أي قليلًا. في مختار الصحاح: النَّزْر التافه القليل، وبابه ظرف وعطاء منزور أي قليل. اهـ. وفي المصباح: نَزر الشيء ـ بالضم ـ نزارة ونزورًا، فهو نزر ونزورًا ـ بالفتح ـ ونزير أي قليل. اهـ. **قوله**: **(كعجالة الراكب)** بضم العين.

﴿أَنَابَ﴾ ويرشد إلى دينه مَن رجع إليه بقلبه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هم الذين أو محله النصب بدل من ﴿مَنْ﴾، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ تسكن ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ على الدوام أو بالقرآن أو بوعده ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ بسبب ذكره تطمئن قلوب المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ خبره وهو مصدر من طاب كبشرى. ومعنى طوبى لك أصبت خيرًا وطيبًا، **(ومحلها النصب أو الرفع)** كقولك طيبًا لك وطيب لك وسلامًا لك وسلام لك. واللام في ﴿لَهُمْ﴾ للبيان مثلها في سقيا لك. والواو في ﴿طُوبَىٰ﴾ منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن. والقراءة في ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ مرجع. بالرفع والنصب تدل على مَحلّيها.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ **(مثل ذلك الإرسال)** أرسلناك إرسالًا له شأن وفضل على سائر الإرسالات. ثم فسر كيف أرسله فقال: ﴿فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ أي أرسلناك في أمة قد تقدَّمتها أُمم كثيرة فهي آخر الأُمم وأنت خاتم الأنبياء ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ وحال هؤلاء أنهم يكفرون ﴿بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالبليغ الذي وَسِعَت رحمته كل شيء ورب كل شيء ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نصرتي عليكم ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ مرجعي فيثيبني على مصابرتكم. «متابي» و«عقابي» و«مآبي» في الحالين: **(يعقوب)**.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ

قوله: **(ومحلّها النصب)** على المصدرية، كأنه قيل: طيّب الله طوبى وحسنهم حسن مآب **(أو الرفع)** بالابتداء، وإن كانت نَكرة لأنها للدعاء.

قوله: **(مثل ذلك الإرسال)** أي إرسال الرسل المتقدّمين إلى أُممهم. **قوله**: **(يعقوب)** وليس من السبعة.

كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ عن مقارها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ حتى تتصدع وتتزايل قطعًا ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فتسمع وتجيب **(لكان هذا القرآن)** لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف، فجواب «لو» محذوف. أو معناه: ولو أن قرآنًا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيئهم لما آمنوا به ولما تنبّهوا عليه كقوله: (﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾) [الأنعام: الآية ١١١]. **(الآية)** ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أفلم يعلم وهي لغة قوم من **(النخع)**. وقيل: إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالِم بأنه لا يكون كما استعمل النسيان في معنى الترك لتضمن ذلك، دليله قراءة علي رضي الله عنه «أفلم يتبين» وقيل: إنما كتبه الكاتب **(وهو ناعس مستوي السينات)** وهذه والله **(فرية)** ما فيها مرية ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ من كفرهم وسوء أعمالهم ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بما

قوله: (لكان هذا القرآن)... الخ. وهذا معنى قول قتادة، فإنه قال: معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم. **قوله: (كقوله:** ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ **الآية)** وآخر الآية: ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١١١]. **قوله: (النخع)** في القاموس: النَّخَع محرّكة قبيلة باليمن، وهو ابن عَمْرو بن علّة بن خالد بن مالك بن أُدَدٍ. اهـ. **قوله: (وهو ناعس)** في المصباح: نعس ينعس من باب قتل والاسم النعاس، فهو ناعس والجمع نعَّس مثل راكع وركَّع والمرأة ناعسة والجمع نواعس، وربما قيل: نعسان ونعسى حملوه على وسنان ووسنى، وأوّل النوم النعاس، وهو أن يحتاج الإنسان إلى النَّوم. اهـ. **قوله: (مستوي السينات)** أي السّنات تسمية للجزء الذي هو العمدة باسم الكل؛ إذ ما عدا السّنات يطرح في الدرج، وفي لسان العرب قال أبو سعيد: وقولهم: فلان لا يحسن سينة يريدون شعبة من شُعَبه وهو ذو ثلاث شعب. اهـ. **قوله: (فرية)** ـ بالكسر ـ في مختار الصحاح: فرى كذبًا خلقه وافتراه اختلقه، والاسم الفرية. اهـ. **قوله:** مرية في

يحلّ الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أو تحلّ القارعة قريبًا منهم فيفزعون ويتطاير عليهم (**شررها**) ويتعدى إليهم شرورها ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ أي موتهم أو القيامة، أو ولا يزال كفّار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن جيش رسول الله (**يغير**) حول مكة ويختطف منهم، (**أو تحل أنت يا محمد**) قريبًا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أي فتح مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ أي لا خلف في موعده.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الإملاء الإمهال وأن يترك (**ملاوة**) من الزمان في (**خفض**) وأمن ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ صالحة أو (**طالحة**) ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعلم خيره وشرّه ويعدّ لكل جزاءه كمن ليس كذلك. ثم استأنف فقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أي الأصنام ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي

مختار الصحاح المِرْية الشكّ، وقد يُضمّ بهما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هُود: الآية ١٧]. اهـ. **قوله**: (**شررها**) الشّرر واحد شرارة، وهي ما يتطاير من النار. **قوله**: (**يغير**) مِنْ أغار على العدوّ. **قوله**: (**أو تحلَ أنت يا محمّد**)... الخ. وقد حلّ ﷺ بالحديبية في السنة السادسة ومنعوه من دخول مكّة وصالحوه على أن يمكّنوه من الدخول في السنة التي بعدها، وقد دخل في السابعة، واعتمر وفتح مكّة في الثامنة، وحجّ في العاشرة مرّة ولم يحجّ غيرها.

قوله: (**ملاوة**) بفتح الميم وضمّها وكسرها، أي حينًا. **قوله**: (**خفض**) أي راحة. **قوله**: (**طالحة**) في لسان العرب: الطلاح نقيض الصلاح، والطالح خلاف

سمّوهم له مَن هم ونبِّئوه بأسمائهم ثم قال: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على «أم» المنقطعة أي بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السمٰوات والأرض، فإذا لم يعلمهم علم أنهم (ليسوا بشيء) والمراد نفي أن يكون له شركاء ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ٣٠، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [يوسف: الآية ٤٠] ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾ (كيدهم للإسلام بشركهم) ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ عن سبيل الله (بضم الصاد: كوفي، وبفتحها: غيرهم)، ومعناه وصدّوا المسلمين عن سبيل الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ من أحد يقدر على هدايته ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر وأنواع (المِحَن) ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد لدوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ من حافظ من عذابه.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ صفتها التي هي في غرابة المَثل، وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أي فيما يُتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (كما تقول صفة زيد أسمر) ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ ثمرها دائم الوجود لا

الصالح. اهـ. **قوله**: (ليسوا بشيء) يتعلق به العلم. **قوله**: (**كيدهم للإسلام بشركهم**) المكر حيلة يجلب بها مضرّة، فالمكر هنا مجازًا والإسلام ليس من شأنه الكيد، فالمراد إخلالهم له بشركهم وإضرارهم له. اهـ قنوي باختصار. **قوله**: (**بضمّ الصاد**) على البناء للمفعول، (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي (**وبفتحها**) على البناء للفاعل (**غيرهم**). **قوله**: (المِحَن) جمع مِحْنة مثل سدرة وسدر.

قوله: (كما تقول صفة زيد أسمر) جواب عمّا يقال: كيف يصح أن يكون المثل هٰهنا بمعنى الصفة، ثم يكون مبتدأ وخبره: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، فإنّ المثل إذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام صفة الجنّة فيها أنهار، والحال أنه لا

ينقطع (﴿وَظِلُّهَا﴾) دائم (لا ينسخ) كما ينسخ في الدنيا بالشمس ﴿تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ أي الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعني منتهى أمرهم ﴿وَعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد مَن أسلم من اليهود (**كابن سلام**) ونحوه ومن النصارى بأرض (**الحبشة**) ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه (**والسيد والعاقب وأشياعهما**) ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم، وكانوا ينكرون نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرَّفوه وبدَّلوه من الشرائع ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ هو جواب للمنكرين أي قل إنما أُمرت فيما أنزل إليَّ بأن أعبد الله ولا أُشرك به، فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادّعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يُشرك به ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾ خصوصًا لا أدعو إلى غيره ﴿وَإِلَيْهِ﴾ لا إلى غيره ﴿مَـَٔابِ﴾ مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأثورًا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ حكمة عربية مترجمة

معنى لقولنا: صفة الجنة فيها أنهار؛ لأن الأنهار في نفس الجنّة لا في صفتها، وتقدير الجواب أنّ ما ذُكِر إنما يلزم أن لو كان ضمير فيها راجعًا إلى الصفة في قولنا: صفة الجنّة فيها أنهار، وليس كذلك؛ كما إذا قيل: صفة زيد أسمر، يريد أن ضمير أسمر راجع إلى نفس زيد لا إلى صفته، فلا يردّ ما ذُكِر لأنه إنما يردّ أنْ لو كان ضمير أسمر راجعًا إلى الصفة، وليس كذلك؛ بل هو راجع إلى نفس زيد، كأنه قيل: صفة السُّمْرة فيه. **قوله**: (﴿وَظِلُّهَا﴾) مبتدأ حُذِف خبره، كما أشار له المصنّف رحمة الله تعالى عليه. **قوله**: (**لا ينسخ**) أي لا يزال. **قوله**: (**كابن سلام**) بتخفيف اللام. **قوله**: (**الحبشة**) ـ بفتحتين ـ الجماعة من الحبش، وهم طائفة من السودان. **قوله**: (**والسيد والعاقب**) علمان لأسقفي نجران. **قوله**: (**وأشياعهما**) أتباعهما.

بلسان العرب وانتصابه على الحال، كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور يشاركهم فيها فقيل: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ أي لا ينصرك ناصر ولا يَقِيك منه واق، وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين وأن لا يزلّ زالٌّ عند الشُّبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدة الثبات بمكان. وكانوا يُعيبونه (**بالزواج والولاد**) ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ نساءً وأولادًا ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس في وسعه إتيان الآيات على ما يقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (**لكل وقت حُكْمٌ يُكتَب**) على العباد أي يُفرَض عليهم على ما تقتضيه حكمته.

قوله: (**بالزواج**) في المصباح: الزواج ـ بالفتح ـ يجعل اسمًا من زوج مثل سلَّم سلامًا وكلَّم كلامًا، ويجوز الكسر ذهابًا إلى أنه من باب المفاعلة؛ لأنه لا يكون إلّا من اثنين كالنكاح والزِّنا. اهـ. **قوله**: (**والولاد**) في مختار الصِّحاح ولسان العرب: وَلَدَتِ المرأة ولادًا أو ولادة. اهـ.

قوله: (**لكل وقت حكم يُكتب**) يعني أنّ الكتاب بمعنى الحكم المكتوب المفروض على المكلّفين بالشرائع والأحكام؛ لأن الطاعنين في نبوّته ﷺ قالوا: لو كان صادقًا في دعوة النبوّة لم ينسخ الأحكام التي نصّ الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدِّمة في التوراة والإنجيل، لكنه نسخها وحرّفها نحو تحريف القبلة ونسخ أكثر أحكام التوراة والإنجيل؛ فوجب أن لا يكون نبيًا حقًّا. فأجاب الله تعالى عنه بقوله: **لكل** وقت حكم يليق بصلاح أهله وحالهم، فإنّ الحكمة تقتضي اختلاف الأحكام على حسب الأعصار والأُمم، وعلى حسب تخصيص المشيئة الإلـٰهيّة أهل كل عصر بحكم على حِدة؛ كما قال الله تعالى:

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (**ينسخ ما يشاء نسخه** ﴿وَيُثْبِتَ﴾ **بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ**)، أو يمحو من ديوان الحَفَظَة ما يشاء ويثبت غيره، أو يمحو كُفْر التائبين ويثبّت إيمانهم، (**أو يميت مَن حان أجَله وعكسه** ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ **مدني وشامي وحمزة وعلي**) ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفَّيناك قبل ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة (**فحسب**) ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لا عليك فلا يهمنَّك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم.

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ إنْ فسّر بما ذكره المصنّف رحمه الله تعالى بقوله: (**ينسخ ما يشاء نسخه**، ﴿وَيُثَبِّتَ﴾ **بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ**). **قوله**: (**أو يُميت مَنْ حان**) أي قَرُب (**أجله وعكسه**) قال الحسن: يمحو ما يشاء، أي مَنْ جاء أجله يذهب به ويثبت مَنْ لم يجىء أجله إلى أجله.اهـ. وعن ابن عباس وغيره: يمحو ما يشاء إلّا الشقاوة والسعادة والحياة والممات وعن كثير من السّلف كعمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهما أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء: اللّهمّ إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثْبِتنا فإنك تمحو ما تشاء وتُثبت وعندك أُمّ الكتاب. وهذا الدعاء نقل في الحديث قراءته في ليلة النصف من شعبان.اهـ جمالين. **قوله**: (﴿وَيُثْبِتُ﴾) بفتح الثاء وتشديد الباء الموحدة من التثبيت (**مدني**) أي نافع المدني (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وعليّ**) الكسائي. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بسكون الثاء المثلّثة وتخفيف الباء الموحدة من أثبت.

قوله: (**فحسب**) أي فقط.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ أرض الكَفَرَة ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغَلَبَة، والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونُتِمُّ ما وعدناك من النصرة والظفر ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا رادّ لحُكمه. والمعقِّب الذي **(يكرّ)** على الشيء فيُبطله، وحقيقته الذي يعقِّبه أي يقفّيه أي بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقِّب لأنه يقفّي غريمه بالاقتضاء والطلب، والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس. ومحل ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ النصب على الحال كأنه قيل: والله يحكم نافذًا حكمه كما تقول: جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرًا ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ **(فعمّا قليل)** يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كُفَّار الأُمم الخالية بأنبيائهم والمكر إرادة المكروه في خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ثم فسّر ذلك بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ يعني العاقبة المحمودة لأن مَن علم ما تكسب كل نفس وأعدّ لها جزاءها فهو المكر كله، لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عمّا يُراد بهم **(الكافر)**. على **(إرادة الجنس حجازي وأبو عمرو)**.

قوله: **(يكرّ)** في مختار الصحاح: الكَرّ الرجوع وبابه ردّ.اهـ. **قوله**: **(عمّا قليل)** من الزّمان، وما زائدة.

قوله: **(الكافر)** بالألف بعد الكاف على الإفراد، والكاف مفتوحة والفاء مكسورة مخفّفة على **(إرادة الجنس حجازي)** أي إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة قيل: حجازي، أي قرأه نافع المدني وابن كثير المكّي **(وأبو عمرو)**، وقرأ الباقون بالألف بعد الفاء على الجمع، فالكاف مضمومة والفاء مفتوحة مشدّدة، فمن قرأ بالإفراد

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ﴾ المراد بهم كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود قالوا: لست مُرسَلًا، ولهذا قال عطاء هي مكيّة إلا هذه الآية ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظهر من الأدلة على رسالتي، والباء دخلت على الفاعل و﴿شَهِيدًۢا﴾ تمييز ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: هو الله عزّ وجلّ، والكتاب: اللوح المحفوظ (**دليله قراءة مَن قرأ** ﴿وَمَنْ عِندِهِۦ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه، وقيل: ومَن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم. وقال ابن سلام: فيَّ نزلت هذه الآية. وقيل: هو جبريل عليه السلام. ﴿وَمَنْ﴾ في موضع الجر بالعطف على لفظ ﴿ٱللَّهِ﴾ أو في موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور إذ التقدير: كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدَّر في الظرف فيكون فاعلًا، لأن الظرف صلة لـ «من» و«من» هنا بمعنى الذي والتقدير مَن ثبت عنده علم الكتاب، وهذا لأن الظرف إذا وقع صلة يعمل عَمَل الفعل نحو: «مررت بالذي في الدار أخوه» فأخوه فاعل كما تقول: «بالذي استقر في الدار أخوه» (**وفي القراءة بكسر ميم «من» يرتفع العلم بالابتداء**).

أراد الجنس؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العَصر: الآية ٢] ليوافق الجمع.

قوله: (**دليله قراءة مَنْ قرأ**: ﴿وَمَنْ عِندِهِۦ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾) بكسر الميم والدال، وهي قراءة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهي من الشواذ. **قوله**: (**وفي القراءة بكسر ميم** «من») على أنه حرف جرّ (**يرتفع العلم بالابتداء**) أي يكون علم الكتاب مرفوعًا على الابتداء وما قبله خبره.

تمّت سورة الرعد والحمد لله على التمام،
وهذا أوان الشروع فيما يتعلق بسورة إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام

(سورة إبراهيم) عليه السلام

(مكّيّة: اثنتان وخمسون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾ هو خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب يعني السورة، والجملة التي هي ﴿أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ في موضع الرفع صفة للنكرة ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ بدعائك إياهم ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من الضلالة إلى الهدى ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ بتيسيره وتسهيله (مُستَعار من الإذن الذي هو تسهيل الحجاب) وذلك ما يمنحهم من التوفيق ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ بدل من ﴿ٱلنُّورِ﴾ بتكرير العامل ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالب بالانتقام ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ المحمود على الإنعام.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة إبراهيم عليه السلام مكّية اثنتان وخمسون آية) وعدد كلماتها ثمانمائة وإحدى وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وثلاثون حرفًا. اهـ خطيب. **قوله**: (مستعار من الإذن الذي هو تسهيل[1] الحجاب) أي

---

(١) المراد به الرفع المانع. ١٢ منه.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾

﴿ٱللَّهِ﴾ **(بالرفع مدني وشامي على هو «الله»)** وبالجر غيرهما **على** أنه **(عطف بيان لـ** ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾) ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا. ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعَّد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال: (﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ **وهو مبتدأ وخبر، وصفة)**.

مجاز مرسل على طريق إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، فإنّ لفظ الإذن حقيقة في الإطلاق ورفع الحجاب ويلزمه التسهيل والتيسير، فإنّ الدخول في حقّ الغير وملكه متعذّر، فإذا صُودف الإذن يكون تسهيلًا وتيسيرًا، فلمّا كان التسهيل من لوازم الإذن صحّ استعمال لفظ الإذن فيه مجازًا، فالمراد بقوله: مستعار الاستعارة اللغوية لا ما هو مصطلح أهل البيان. وقوله: ﴿لِتُخْرِجَ﴾ متعلق بـ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾. وقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ يجوز أن يتعلّق بالإخراج، أي لتخرجهم بتسهيله وتيسيره، وأن يتعلّق بمحذوف على أنه حال من ضمير الفاعل، أي مأذونًا لك أو من الناس، أي مأذونًا لهم شبّه الكفر بالظلمات لأنها نهاية ما يتحيّر الرجل فيه ولا يهتدي به إلى الحقّ والصواب، وشبّه الإيمان بالنور لأنه نهاية ما يتجلّى به الحقّ المطلوب، وجمع الظلمات لتعدّد طرق الكفر وأنواعه. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: **(بالرفع مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي **(على هو الله)** أي على أنه خبر مُضمر، أي هو الله أو مبتدأ خبره الموصول. **قوله**: **(عطف بيان لـ** ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾) لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته على المعبود بحقّ. **قوله**: (﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ **وهو مبتدأ وخبر وصفة)** أي ﴿وَوَيْلٌ﴾ مبتدأ، و﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ خبره، ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في موضع رفع صفة لويل بعد الخبر، وهو جائز، ولا يجوز أن يتعلق بويل من أجل الفصل بينهما بالخبر. اهـ تبيان في إعراب القرآن للإمام محبّ الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكبَري.

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ويؤثرون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون لسبيل الله زيغًا واعوجاجًا، والأصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ عن الحق. ووصف الضلال بالبُعْد من الإسناد المجازي والبُعد في الحقيقة للضالّ لأنه هو الذي يتباعد عن طريق الحق فوصف به فِعْله كما تقول جَدَّ جدّه، أو مجرور صفة للكافرين، أو منصوب على الذمّ، أو مرفوع على أعني الذين، أو هم الذين.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ إلا متكلِّمًا بلغتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ ما هو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له: لِمَ نفهم ما خُوطِبنا به. فإن قلت: إن رسولنا ﷺ بعث إلى الناس جميعًا بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨] بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة. قلت: لا يخلو ما إن ينزل بجميع الألسنة أو بواد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فتعيَّن أن ينزل لسان واحد، وكان لسان قومه أولى بالتعيين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعد من التحريف والتبديل ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ مَن آثر سبب الضلالة ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ مَن آثر سبب الاهتداء ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يُغالَب على مشيئته ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فلا يخذل إلا أهل الخذلان. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ (بأن أخرج أو أي أخرج) لأن الإرسال فيه

قوله: (بأن أخرج أو أي أخرج) أشار إلى أنّ ﴿أَنْ﴾ في ﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ [إبراهيم: الآية ٥] يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون مفسّرة لوقوعها بعد فعل في

معنى القول كأنه قيل: أرسلناه وقلنا له: أخرج قومك ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود، ومنه أيام العرب لحروبها (وملاحمها) أو بأيام الإنعام حيث ظلّل عليهم الغَمام وأنزل عليهم المَنَّ والسلوى وفلق لهم البحر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلايا ﴿شَكُورٍ﴾ على العطايا كأنه قال لكل مؤمن إذ الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ «إذ» ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت، أو بدل اشتمال من نعمة الله أي اذكروا وقت إنجائكم ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ ذكر في البقرة ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ [الآية ٤٩]، وفي الأعراف ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ [الآية ٤١] بلا واو، وهنا مع الواو. والحاصل أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرًا للعذاب وبيانًا له، وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ الإشارة إلى العذاب (والبلاء المحنة) أو إلى الإنجاء والبلاء والنعمة. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي آذن ونظير «تأذن» و«آذن» توعد وأوعد. ولا بدَّ في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل: وإذ آذن ربكم إيذانًا بليغًا تنتفي عنده

معنى القول. **قوله**: (وملاحمها) الملاحِم جمع مَلْحَمة، والمَلْحَمة هي الحرب وموضع القتال. اهـ لسان العرب. وأيضًا فيه: المَلْحمة الحرب ذات القتل الشديد، والملحمة الوقعة العظيمة في الفتنة. اهـ.

قوله: (والبلاء المحنة)... الخ. لأن البلاء يكون ابتلاء بالنّعمة والمحنة جميعًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥].

الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه، وانتصابه للعطف على ﴿نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ كأنه قيل: وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ما (خوّلتكم) من نعمة الإنجاء وغيرها ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود. وقيل: إذا سمعت النعمة نغمة الشكر تأهّبت للمزيد. وقال (ابن عباس) رضي الله عنهما: لئن شكرتم بالجدّ في الطاعة لأزيدنكم بالجدّ في المَثوبة ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ ما أنعَمْتُ به عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ لمَن كفر نعمتي، أما في الدنيا فسلب النِّعَم، وأما في العقبى فتوالي النِّقَم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ﴾ يا بني إسرائيل ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ والناس كلهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ﴾ وإن لم يحمدهُ الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لا بدّ لكم منه ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضًا، أو عطف ﴿ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ و﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اعتراض، والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبًا لا يعرفون. ورُوِيَ أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية:

قوله: (خولتكم) أعطيتكم. **قوله**: (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمى البحر والحبر لسِعَة علمه، مات سنة ثمانٍ وستّين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة.

(كذب النسّابون) ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ الضميران يعودان إلى الكفَرَة أي أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجّبًا أو عضّوا عليها تغيّظًا، أو الثاني يعود إلى الأنبياء أي ردَّ القوم أيديهم في أفواه الرُّسل كيلا يتكلموا بما أُرسِلوا به ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ﴾ من الإيمان بالله والتوحيد ﴿مُرِيبٖ﴾ موقع في الريبة.

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ أُدخِلَت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ﴾، ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ﴾ إلى الإيمان (﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ **إذا آمنتم**) ولم تجيء مع «من» إلا في خطاب الكافرين كقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [نوح: الآيتان ٣، ٤]، ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [الأحقاف: الآية ٣١]، وقال في خطاب المؤمنين: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾ إلى أن قال: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [الصَّف: الآيات ١٠ ـ ١٢] وغير ذلك مما يُعرَف بالاستقراء، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوّي بين الفريقين في الميعاد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ إلى وقت وقد سمّاه وبيّن مقداره.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي القوم ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾ ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلِمَ تُخَصّون بالنبوّة دوننا ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ

قوله: (كذب النسّابون) لأنهم يدَّعون علم الأنساب، وقد نفى الله علمها عن العباد.

قوله: (﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ **إذا آمنتم**) في الأشباه: أن الحربي يُغفَر له كل ذنب، والذمّي يغفر له ما عدا المظالم. اهـ.

ءَابَآؤُنَا﴾ يعني الأصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة بيِّنة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات، وإنما أرادوا بالسلطان المُبين آية قد اقترحوها (تعنتًا ولجاجًا).

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ تسليم لقولهم إنهم بشر مثلهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالإيمان والنبوّة كما مَنَّ علينا ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ جواب لقولهم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ والمعنى أن الإتيان بالآية التي قد اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمر منهم للمؤمنين كافَّة بالتوكّل وقصدوا به أنفسهم قصدًا أوليًا كأنهم قالوا: ومن حقنا أن نتوكَّل على الله في الصبر على معاندتكم ومُعاداتكم وإيذائكم، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ معناه وأيّ عذر لنا في أن لا نتوكل عليه ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ وقد فعل بنا ما يُوجِب توكّلنا عليه وهو التوفيق لهداية كلٌ منّا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين. قال (أبو تراب): التوكّل طرح البدن في العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والشكر عند العطاء، والصبر عند البلاء ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ جواب قسم مضمر أي حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لا يُمسِكوا عن دعائهم

قوله: (**تعنتًا**) في لسان العرب: تعنّته تعنّتًا سأله عن شيء أراد به اللَّبْس عليه والمشقّة. **قوله**: (**لجاجًا**) في مختار الصِّحاح: لَجِجْتُ ـ بالكسر ـ لَجاجًا ولَجاجَة ـ بفتح اللام فيهما ـ فأنت لَجُوج ولَجُوجة والهاء للمبالغة، ولجَجْتَ ـ بالفتح ـ تَلِجُّ ـ بالكسر ـ لغة، والمُلَاجّة التمادي في الخصومة. اهـ.

قوله: (**أبو تراب**) عسكر بن حصين النخشبي صحب حاتم الأصمّ وأبا حاتم العطّار المصري، مات سنة خمس وأربعين ومائتين، قيل: مات بالبادية نهسته السِّباع رحمة الله عليه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي فليثبت المتوكّلون على توكّلهم حتى لا يكون تكرارًا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ﴾، (﴿سُبُلَنَا﴾، ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ **أبو عمرو**) ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ من ديارنا ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أي ليكونن أحد الأمرين إخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك، (**والعود بمعنًى الصيرورة**) وهو كثير في كلام العرب، أو خاطبوا به كل رسول ومَن آمن معه (**فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد**) ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (**القول مضمر**) أو أجرى الإيحاء مجرى القول (**لأنه ضرب منه**). ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي أرض الظالمين وديارهم. في الحديث «من آذى جاره ورثه الله داره» ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك والإسكان أي ذلك الأمر حق ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾ موقفي وهو موقف الحساب، (**أو المقام**) مُقحَم، أو خاف قيامي عليه بالعلم كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: الآية ٣٣]، والمعنى أن ذلك حقٌّ للمتقين ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾، ﴿عَذَابِى﴾ (**وبالياء: يعقوب**).

قوله: (﴿سُبُلَنَا﴾ و﴿رُسُلُهُم﴾ **أبو عمرو**) أي أسكن باء ﴿سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: الآية ١٢] وسين ﴿رُسُلُهُم﴾ [إبراهيم: الآية ٩] أبو عمرو، والباقون بالرفع. **قوله**: (**والعود بمعنى الصَيْرورة**) أي والعود هٰهنا خارج عن أصل معناه الذي وضع هو له وهو الرجوع إلى ما كان عليه أولًا، فهذا جواب عمّا عسى يُسأَل، ويقال: إن لفظ العود يُشعر بأنهم كانوا على ملّتهم وليس كذلك، فما معنى العود؟ فأُجيب بأن ليس المراد بالعَوْد حقيقة معناه، بل المراد به الصيرورة مجازًا. **قوله**: (**فغلبوا في الخطاب الجماعة**) وهم الذين آمنوا معه (**على الواحد**) أي الرسول؛ إذ كل قوم خاطبوا نبيّهم الذي بُعِث إليهم وهو الواحد. **قوله**: (**القول مُضمر**) أي فعل الإيحاء لا يلائم ليهلكن.اهـ شهاب. **قوله**: (**أو المقام**) أي لفظ المقام مُقحم، أي مزيد. **قوله**: (**لأنه ضربٌ منه**) أي لأن الإيحاء نوعٌ من القول، ولمّا كان الإيحاء نوعًا منه، فأية حاجة إلى اعتبار إضمار القول. **قوله**: (**وبالياء**) في الحالين (**يعقوب**) وليس من السبعة.

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾، ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ﴾ وخسر كل متكبّر بطر ﴿عَن يَدٍ﴾ مُجانِب للحق. معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبّار عنيد وهم قومهم. وقيل: الضمير للكفّار ومعناه واستفتح الكفّار على الرُّسُل ظنًّا منهم بأنهم على الحق والرُّسُل على الباطل، وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ **من بين يديه**) ﴿جَهَنَّمُ﴾ وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها، أو وصف حاله في الآخرة حيث يبعث ويوقف ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يَلقى فيها ما يَلقى ويُسقى ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ ما يسيل من جلود أهل النار، و﴿صَدِيدٍ﴾ عطف بيان لماء لأنه مبهم فبيَّن بقوله: ﴿صَدِيدٍ﴾.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يشربه جرعة جرعة ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: الآية ٤٠] أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده، وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام أي لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكًا ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لأنه لو مات لاستراح ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ ومن بين يديه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابًا أشد مما قبله وأغلظ. وعن (**الفضيل: هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد**).

قوله: (﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ **من بين يديه**) قال أبو عبيدة: هو من الأضداد، يعني أنه يقال: وراء بمعنى خلف، وبمعنى أمام.

قوله: (**الفضيل**) بن عياض مات بمكّة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة رحمة الله عليه. **قوله**: (**هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد**) أي لا يمكنه أن يتنفّس لاستيلاء اللّهب والدخان عليه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي فيما يتلى عليكم مثل الذين ﴿كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول: كيف مثلهم؟ فقيل: أعمالهم كرماد ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾، **(الرياحُ مدني)** ﴿فِى (يَوْمٍ عَاصِفٍۖ)﴾ جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك: «يوم ماطر»، وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرِّقاب وفداء الأسرى وعَقْر الإبل للأضياف وغير ذلك، شبَّهها في حبوطها لبنائها على غير **(أساس)** وهو الإيمان بالله تعالى ـ برماد طيَّرته الريح العاصف ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ من أعمالهم ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي لا يرون له أثرًا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المُطيَّر في الريح على شيء ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ إشارة إلى بُعْد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم الخطاب لكل أحد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (﴿خَٰلِقُ﴾ **مضافًا: حمزة وعلي**) ﴿بِٱلْحَقِّۚ﴾ بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقها عبثًا ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق

قوله: **(الرياحُ)** بالجمع (مدني) أي نافع المدني وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، والباقون بالإفراد. **قوله**: (﴿يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة؛ كقولهم: نهاره صائم وليله قائم. اهـ. بيضاوي. **قوله**: **(أساس)** بالفتح أصل البناء.

قوله: (﴿خَٰلِقُ﴾ **مضافًا**) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف اسم فاعل وخفض ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على الإضافة ﴿وَٱلْأَرْضَۚ﴾ على العطف عليه، **(حمزة وعلي)** الكسائي، والباقون بفتح الخاء واللام بلا ألف وفتح القاف فعلًا ماضيًا ونصب السمٰوات بالكسرة، والأرضَ على المفعولية.

مكانهم خلقًا آخر على شكلهم، أو على خلاف شكلهم إعلامًا بأنه قادر على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ بمتعذّر.

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١﴾

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ويبرزون يوم القيامة. وإنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عزّ وجلّ لصدقه كأنه قد كان ووجد. ونحوه ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠]، وغير ذلك، ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خافٍ على الله، فإذا كان يوم القيامة انكشفوا عند أنفسهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية، أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ في الرأي وهم السَّفَلَة والأتباع. وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ مَن يفخّم الألف قبل الهمزة فيُميلها إلى الواو ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدّوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ تابعين. جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب، **(أو ذوي تبع)** والتبع الأتباع يقال: تبعه تبعًا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه. و«من» الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل: فهل أنتم مُغنون عنّا بعض الشيء الذي هو عذاب الله، أو هما للتبعيض أي فهل أنتم مُغنون عنّا بعض شيء هو بعض عذاب الله؟ لما كان قول الضعفاء توبيخًا لهم وعتابًا على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم ﴿قَالُوا۟﴾ لهم مُجيبين معتذرين ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ أي لو هدانا الله إلى الإيمان في الدنيا لهديناكم إليه، أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق **(الهلكة)** ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ **(مستويان علينا الجزع**

قوله: (أو ذوي تبع) على إضمار مضاف أو مصدر نعت به. **قوله**: (الهَلَكة) مثال قَصَبة بمعنى الهلاك. اهـ مصباح. **قوله**: (مستويان علينا الجزع

والصبر)، والهمزة وأم للتسوية. رُوِيَ أنهم يقولون في النار: تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع، فيقولون: تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر، ثم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ واتصاله بما قبله من حيث إن عتابهم لهم كان جزعًا مما هم فيه، فقالوا لهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ يريدون أنفسهم وإيّاهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مُجتَمِعين فيها يقولون: ما هذا الجزع والتوبيخ، ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ (**منجي**) ومهرَب جزعنا أم صبرنا، ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمُستكبِرين جميعًا.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ حُكِم بالجنة والنار لأهليهما وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ، ورُوِيَ أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبًا على منبر من نار فيقول لأهل النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ كذبتكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ من تسلّط واقتدار ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾ لكني دعوتكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني،

والصبر) أشار إلى أن ﴿سَوَآءٌ﴾، إنما أفرد لأنه في الأصل مصدر والمراد التثنية، وضميره راجع إلى الجزع والصبر لكونهما مبتدأ مقدَّمان عليه.اهـ قنوي. وفي حاشية البيضاوي للعلامة شيخ زاده رحمه الله: قوله: مستويان علينا الجزع والصبر إشارة إلى أن قوله: ﴿أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ في محلّ الرفع على الابتداء، والجملة إنما يمتنع الإخبار عنها إذا كانت نسبتها ملحوظة تفصيلًا. وأما إذا أُريد بها مطلق الحدث المدلول عليه ضمنًا على الاتّساع، فهي كالاسم في الإضافة والإسناد إليه.اهـ. وفي مختار الصحاح: الجَزَع ضدّ الصبر، وبابه طرب.اهـ. **قوله**: (**منجي**) بالقصر.

والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان ﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ﴾ (فأسرعتم إجابتي) ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ لأن مَن تجرَّد للعداوة لا يُلام إذا دعا إلى أمر قبيح مع أن الرحمٰن قد قال لكم: ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: الآية ٢٧]، ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ حيث اتبعتموني بلا حجة ولا برهان. وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصِّلها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين، باطل لقوله: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ أي إلى الإيمان ﴿لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١] كما مرَّ ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ لا ينجي بعضنا بعضًا من عذاب الله ولا يغيثه. والإصراخ الإغاثة (﴿بِمُصۡرِخِيِّ﴾ حمزة) اتباعًا للخاء، غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ، فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ (وبالياء بصري) و«ما» مصدرية ﴿مِن قَبۡلُۗ﴾ متعلق بـ ﴿أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ أي كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ [فاطر: الآية ١٤] ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ [الممتحنة: الآية ٤]، أو ﴿مِن قَبۡلُۗ﴾ متعلق بـ ﴿كَفَرۡتُ﴾ و«ما» موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عزَّ وجل. تقول: أشركني فلان أي جعلني له شريكًا، ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزيِّنه لهم من عبادة الأوثان وهذا آخر قول الشيطان، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ قول الله عزَّ وجلّ. وقيل: هو من تمام كلام إبليس، (**وإنما حكى الله عزَّ وجلّ ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامعين**).

قوله: (فأسرعتم إجابتي) إشارة إلى أن استجاب وأجاب وإن كان بمعنى واحد إلّا أنّ استجاب أبلغ. **قوله**: (﴿بِمُصۡرِخِيِّ﴾) بكسر الياء مع التشديد (حمزة) اتباعًا للخاء. **قوله**: (وبالياء بصري) أي أثبت ياء ﴿أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ وصلًا أبو عمرو البصري، وفي الحالين يعقوب البصري وليس من السبعة. **قوله**: (**وإنما حكى الله عزّ وجلّ ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامعين**) في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بدّ لهم من الوصول إليه، وأن يتصوّروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما يخلّصهم منه وينجيهم.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ عطف على ﴿بَرَزُوا۟﴾، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بـ ﴿وَأُدْخِلَ﴾ أي أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ هو تسليم بعضهم على بعض في الجنة أو تسليم الملائكة عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ أي وصفه وبيّنه ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ نصب بمُضمَرٍ أي جعل كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو تفسير لقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ نحو شرّف الأمير زيدًا كساه حلّة وحمله على فرس، أو انتصب ﴿مَثَلًا﴾ و﴿كَلِمَةً﴾ بـ ﴿ضَرَبَ﴾ أي ضرب كلمة طيبة مثلًا يعني جعلها مثلًا ثم قال: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي كشجرة طيبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي في الأرض ضارِب بعروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا﴾ وأعلاها ورأسها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان، وفرعها إقرار باللسان، وأكلها عمل الأركان، وكما أن الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملًا فالمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملًا ولكن الأشجار لا تُراد إلا للثمار، فما أقوات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت **(الإخفار)** في عهد الإثمار. والشجرة كل شجرة مُثمِرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة، فعن **(ابن عمر)** أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي؟ **(فوقع الناس في شجر البوادي)**، وكنت صبيًّا فوقع في قلبي أنها النخلة **(فهِبْت)** رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا

قوله: **(الإخفار)** في مختار الصحاح: أخفره نقض عهده وغدر. اهـ.

قوله: **(ابن عمر)** هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما العدوي أبو عبد الرحمٰن، وُلِد قبل البعثة بيسير واستصغر يوم أُحُد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المُكثرين من الصحابة والعبادلة، وكان من أشدّ الناس اتّباعًا للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها وأوّل التي تليها. **قوله**: **(فوقع الناس في شجر البوادي)** أي ذهبت أفكارهم إليها دون النّخلة. **قوله**: **(فهِبْت)** في المصباح: هابَ

أصغر القوم فقال رسول الله ﷺ: «ألا إنها النخلة» فقال عمر: يا بني لو كنت قلتها لكانت أحبّ إليّ من (حُمر النَّعم).

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ تُعطَى تمرها كل وقت وقَّته الله لإثمارها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾ بتيسير خالِقِها وتكوينه ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كل شجرة لا يطيب ثمرها وفي الحديث أنها شجرة (**الحنظل**) ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثَّة كلها وهو في مقابلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ أي استقرار، يُقال قرَّ الشيء قرارًا كقولك ثبت ثبوتًا، شبَّه بها القول الذي لا (**يعضد**) بحجة فهو (**داحض**) غير ثابت.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يُديمهم عليه ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ هو قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ حتى إذا فُتِنوا في دينهم لم يزلوا

يَهابُه من باب تعب هيبة خدره ويهيبه من باب ضرب لغة. اهـ باختصار. **قوله**: (**حُمر النَّعم**) بضم حاء وسكون ميم أي أقواها وأجلدها، أي الإبل الحُمر وهي أنفس أموال العرب.

قوله: (**الحنظل**) نبات يخرج أغصانًا وأوراقًا مفروشة على الأرض له بطاطيخ مدوّرة هي مرّة شديدة المرارة. اهـ تمجيد. **قوله**: (**يعضد**) في المصباح: عضدت الرجل عضدًا من باب قتل أصبت عضده أو أعنته فصرت له عضدًا، أي مُعينًا وناصرًا. اهـ. **قوله**: (**داحض**) أي باطل.

(**كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود**) وغير ذلك ﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ الجمهور على أن المراد به في القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب، فعن (**البراء**) أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال: «ثم تُعاد روحه في جسده فيأتيه مَلَكان فيُجلِسانه في قبره فيقولان له مَن ربك (**وما دينك**) ومَن نبيّك؟ (**فيقول: ربي الله**) وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، فينادي مُنادٍ (**من السماء أن صدق**) عبدي فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ ثم يقول المَلَكان: عشت سعيدًا

قوله: (**كما ثبت الذين فَتَنهم أصحاب الأُخدود**) الشقّ في الأرض، رُوي مرفوعًا: «أن ملكًا كان له ساحر، فلما كبر ضم إليه غلامًا ليعلّمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه، فرأى في طريقه ذات يوم حيّة قد حبست الناس، فأخذ حجرًا وقال: اللّهمّ إنْ كان الراهب أحبّ إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها، وكان الغلام بعده يبرىء الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأله الملك: مَنْ أبرأك؟ فقال: ربّي، فغضب الملك فدلّ على الغلام فَعَرَّبَهُ، فعزّ على الراهب فقده فدعا فهلك مَنْ معه ونجا فأجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه، فغرقوا ونجا، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهمًا من كنانتي، وتقول: باسم رب الغلام ثم ترميني به، فرماه فوقع السهم في صدعه فمات، فآمن الناس فأمر بأخاديد أوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبيّ: أُمّاه اصبري، فإنّك على الحق، فاقتحمت». اهـ شيخ زاده رحمه الله. وكان ذلك في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، ورُوي أنّه كان ذلك قبل مولد النبيّ ﷺ بسبعين سنة. اهـ كمالين.

قوله: (**البراء**) بن عازب بن الحارث بن عديّ الأنصاري الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة استُصغر يوم بدر، وكان هو وابن عمر لِدَة، مات سنة اثنتين وسبعين. **قوله**: (**وما دينك**) أي الذي اخترته من بين الأديان. **قوله**: (**فيقول: ربي الله**) بفتح الياء ويسكن ولو كان الميت أعجميًا صار عربيًا. **قوله**: (**من السماء**) أي من جهتها. **قوله**: (**أن صدق**) أن مفسّرة للنداء، لأنه في معنى القول.

و(مُتْ) حميدًا (نَمْ) نومة (العروس) ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلا يثبّتهم على القول الثابت في مواقف الفتن و(تزل) أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضلّ وأزلّ ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ فلا اعتراض عليه في تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ (أي شكر نعمة الله) ﴿كُفْرًا﴾ لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرًا، فكأنهم غيّروا الشكر إلى الكفر وبدّلوه تبديلًا وهم أهل مكة، كرّمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ الذين تابعوهم على الكفر ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ دار الهلاك ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ وبئس المقر جهنم. ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالًا في العبادة أو في التسمية ﴿لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (وبفتح الياء: مكي وأبو عمرو) ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ في الدنيا والمراد به

قوله: (مُتْ) في مختار الصحاح: مَاتَ يموت ويَمات أيضًا فهو مَيّت وميْت مشدّدًا ومخفّفًا. اهـ. **قوله**: (نم) أمر من نام ينام. **قوله**: (العروس) يُطلق على الذّكر والأُنثى في أوّل اجتماعهما. **قوله**: (تزلّ) في مختار الصحاح: زلّ في طين أو مَنْطِق يَزِلّ بالكسر زَلِيلًا، وقال الفراء: زَلّ يزَلّ بالفتح زَلَلًا والاسم الزَّلّة. اهـ.

قوله: (أي شكر نعمة الله) قدّر المضاف لأن الكفر المذكور بجنب النعمة يُراد به الكفران، ومقابلة الشكر. واعلم أن بدّل يتعدّى إلى مفعولين إلى أوّلهما بنفسه وإلى ثانيهما بواسطة الباء، وأن المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار، وقد يُحذف حرف الجرّ فيتعدّى الفعل إليهما بنفسه، كما في هذا المقام والمجرور بالباء هٰهنا هو النعمة لأنها هي المتروكة، والذي تعدّى الفعل إليه بنفسه هو الكفران، فهو المفعول الأوّل.

قوله: (وبفتح الياء) من ضلّ يضلّ (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وأبو عمرو)، والباقون بضم الياء من أضلّ يضلّ. واللام في ﴿لِّيُضِلُّوا۟﴾ سواء قرىء

(الخذلان) والتخلية. وقال (ذو النون): التمتّع أن يقضي العبد ما استطاع من شهوته ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ مرجعكم إليها.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خصّهم بالإضافة إليه تشريفًا. و(**بسكون الياء شامي وحمزة وعلي والأعشى**) ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ المقول محذوف لأن ﴿قُل﴾ تقتضي مَقولًا وهو أقيموا وتقديره: قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا. وقيل: إنه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا، فحذف اللام لدلالة ﴿قُل﴾ عليه، ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ انتصبا على الحال أي ذوي سر وعلانية يعني مُسِرِّين ومعلنين، أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية، أو على المصدر أي إنفاق سر وإنفاق علانية، والمعنى إخفاء التطوّع وإعلان الواجب ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ أي لا انتفاع فيه بمبايعة (**ولا مخالة والخلال المخالة**)،

بفتح الياء أو ضمّها لام العاقبة؛ لأن كل واحد من الضلال والإضلال نتيجة اتّخاذ الأنداد وعاقبته. **قوله**: (الخِذْلان) في مختار الصحاح: خذله يخذُله بالضمّ خذلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عونه ونصرته. اهـ.

قوله: (ذو النون) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، وقيل: الفيض بن إبراهيم توفي سنة خمس وأربعين ومائتين رضي الله تعالى عنه.

قوله: (بسكون الياء شاميّ) أي ابن عامر الشامي (وحمزة وعلي) الكسائي (والأعشى)[1] أي أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى، وفتح ياء الإضافة من ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم ورُوَيْس وأبو جعفر وخلف عن نفسه. اهـ إتحاف. **قوله**: (ولا مخالة) أي خلال مصدر فاعل كالمفاعلة. **قوله**: (والخلال المخالة) وهي المصاحبة والمصادقة، يقال: خاللْته خلالًا ومخالّة.

---

(١) يُروى عن أبي بكر بن عيّاش عن عاصم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله. بفتحهما: (مكي) و(بصري)، والباقون بالرفع والتنوين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خبره ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ من السحاب مطرًا ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقًا هو ثمرات أو ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مفعول ﴿أَخْرَجَ﴾ و﴿رِزْقًا﴾ حال من المفعول ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ دائمين وهو حال من الشمس والقمر أي (يدأبان) في سيرهما وإنارتهما (ودرئهما) الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يتعاقبان (خلفة) لمعاشكم (وسباتكم).

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ «من» للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه، أو وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه فـ «ما» موصولة والجملة صفة لها، وحذفت الجملة الثانية لأن الباقي يدل على المحذوف كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: الآية ٨١]. (﴿من كلٍّ﴾ عن أبي عمرو) و﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾

قوله: (مكّي) أي ابن كثير المكّي. **قوله**: (بصري) أبو عمرو البصري.

قوله: (يدأبان) أي يدأبان ويستمران ويعبران أبدًا فيما يسند إليهما من الأفعال، يقال: دأب فلان في عمله دؤوبًا، أي جدّ وتعب. **قوله**: (ودرئهما) أي دفعهما. **قوله**: (خلفة) أي يخلف كل منهما الآخر فيما ينبغي أن يفعل فيه. **قوله**: (سُباتكم) راحتكم.

قوله: (﴿من كلٍّ﴾) بالتنوين (عن أبي عمرو) عبارة تفسير النيسابوري: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين يزيد وعباس، والباقون بالإضافة، انتهت. وقوله: يزيد، هو أبو

نفي ومحله النصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائِليه، أو «ما» موصولة أي وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تطيقوا عدّها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدّوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يعلمه إلا الله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾ بظلم النعمة بإغفال شكرها ﴿كَفَّارٌ﴾ شديد الكفران لها أو ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفّار في النعمة (**يجمع ويمنع**) والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران مَن يوجدان منه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ واذكر إذ قال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ أي البلد الحرام ﴿ءَامِنًا﴾ ذا أمن والفرق بين هذه وبين ما في البقرة أنه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمَن أهلها، وفي الثاني أن يُخرِجه من صفة الخوف إلى الأمْن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنًا ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ وبعِّدني أي ثبّتني وأدِمْني على اجتناب عبادتها كما قال: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ١٢٨] أي

جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة. وقوله: عباس، هو العباس بن الفضل يروي عن أبي عمرو بن العلاء، وفي كتاب الروضة في القراءات الإحدى عشرة: وهي قِراءة العشرة المشهورة وقراءة الأعمش.

مسألة: قرأ الأعمش: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بتنوين كلٍّ تفرّد بذلك الباقون من كلِّ ما من غير تنوين على الإضافة. اهـ بحروفه. وفي كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: وعن الحسن والأعمش ﴿مِّن كُلِّ﴾ بتنوين ﴿كُلِّ﴾ و﴿مَا﴾ بعدها إما نافية أو موصولة، فالجمهور على إضافة ﴿كُلِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾. اهـ بحروفه. وفي كتاب المُحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات ولغات العرب، ومن ذلك قراءة ابن عباس والحسين والضحّاك ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد وعمرو بن فائد ويعقوب: ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ بالتنوين. اهـ. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم. **قوله: (يجمع ويمنع)**، أي يجمع المال ويمنعه من مستحقّيه.

ثبّتنا على الإسلام ﴿وَبَنِيَّ﴾ أراد بنيه من صلبه ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ من أن نعبد الأصنام ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ جعلن مُضِلَّات على طريق التسبيب لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ على مِلَّتي وكان حنيفًا مسلمًا مثلي ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ فيما دون الشِّرك ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أو ومَن عصاني عصيان شِرْك فإنك غفور رحيم إن تاب وآمن.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ بعض أولادي وهم إسماعيل ومَن وُلِد منه ﴿بِوَادٍ﴾ هو وادٍ بمكة ﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ لا يكون فيه شيء من زرع قطّ ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ هو بيت الله سُمِّي به لأن الله تعالى حرَّم التعرّض له والتهاون به وجعل ما حوله حرمًا لمكانه، أو لأنه لم يزل ممنعًا يهابه كل جبّار، أو لأنه محترم عظيم الحُرمة لا يحلّ انتهاكها، أو لأنه حرم على الطوفان أي منع منه كما سُمِّي عتيقًا لأنه أعتق منه ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اللام متعلقة بـ ﴿أَسْكَنتُ﴾ أي ما أسكنتهم بهذا الوادي (**البلقع**) إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرَّم ويعمروه بذِكرِك وعبادتك ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أفئدة من أفئدة الناس و«من» للتبعيض لما رُوِي عن (**مجاهد**): لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والتُّرْك والهند. (**أو للابتداء**) كقولك: «القلب مني سقيم» تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس، ونكرت المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة

قوله: (**البَلْقَع**) الأرض القفراء التي لا شيء بها، والقَفْراء مفازة لا نبات بها ولا ماء. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى واثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله**: (**أو للابتداء**) كقولك: القلب مني سقيم، أي القلب الكائن مني، وأفئدة كائنة من الناس، والمصنّف رحمه الله نكر لفظ الناس حيث قال: أفئدة ناس، مع أنه في الآية معرف باللام، لأن الأفئدة في الآية وقعت منكرة، ولما أراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس أضاف الأفئدة إليهم، ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تسرع إليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقًا ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع سكناهم واديًا ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد (**الشاسعة**) ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ النعمة في أن يُرزَقوا أنواع الثمرات في وادٍ ليس فيه شجر ولا ماء.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿رَبَّنَآ﴾ النداء المكرر دليل التضرّع (**واللجأ**) إلى الله ﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ تعلم السر كما تعلم (**العلن**) ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ من كلام الله عزَّ وجل تصديقًا لإبراهيم عليه السلام، أو من كلام إبراهيم و«من» للاستغراق كأنه قيل: وما يخفى على الله شيء ما ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ «على» بمعنى «مع» وهو في موضع الحال أي وهب لي وأنا كبير ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ رُوِيَ أن إسماعيل وُلِدَ له وهو ابن تسع وتسعين سنة، ووُلِد له إسحٰق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة ورُوِيَ أنه وُلِد له إسماعيل لأربع وستين، وإسحٰق لتسعين، وإنما ذكر حال الكِبْر لأن المِنَّة بهبة الولد فيها أعظم لأنها حال وقوع اليأس من الولادة، والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم، ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ مُجيب

﴿أَفْـِٔدَةً﴾ في الآية، فإنّ تنكير المضاف إليه يفيد ما يُستفاد من تنكير المضاف في مقام الإثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع، فمعنى أفئدة ناس أي مما يُطلق عليه لفظ ناس، وهو معنى قوله: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، وإنْ كان لفظ الناس المعرّف باللام في هذا التعبير محمولًا على العموم. **قوله**: (**الشاسعة**) البعيدة، في المصباح: شسع المكان يشسع ـ بفتحتين ـ بَعُد فهو شاسع وبلاد شاسعة. اهـ. وفي مختار الصحاح. الشاسع والشُسُوع ـ بالفتح ـ البعيد. اهـ.

قوله: (**اللّجأ**) في مختار الصحاح: لجأ إليه يلجأ مثل قطع يقطع لَجَأ ـ بفتحتين ـ انتهى. **قوله**: (**العَلَن**) في مختار الصحاح: العلانية ضدّ السرّ، يقال: علن الأمر من باب دخل وطرب. اهـ. وفي المصباح: علن الأمر علونًا من باب قعد ظهر وانتشر، فهو عالِن وعلن علنًا من باب تعب لغة، فهو علن وعلين

الدعاء من قولك: «سمع الملك كلام فلان» إذا تلقّاه بالإجابة والقبول، ومنه (**سمع الله لمَن حمده**) وكان قد دعا ربّه وسأله الولد فقال: ربِّ هَب لي من الصالحين، فشكر الله ما أكرمه به من إجابته. وإضافة السميع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها (**وأصله** ﴿لسميعٌ ٱلدُّعَآءِ﴾) وقد ذكر (**سيبويه**) فعيلاً في جملة أبنية المبالغة العامِلَة عمل الفعل كقولك: «هذا رحيم أباه».

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ وبعض ذريتي عطفًا على المنصوب في ﴿ٱجۡعَلۡنِي﴾ وإنما بعَّض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذريته كفّار، عن (**ابن عباس**) رضي الله عنهما: لا يزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم

والاسم العلانية مخفّف.اهـ. **قوله**: (**سمع الله لمن حمده**) معناه: قَبِل **حَمْد** مَنْ حمده، واللام في لمن للمنفعة والهاء في حمده للكناية، وقيل: للسكتة والاستراحة، ذكره ابن الملك. وقال الطيبي: أي أجاب حمده وتقبله يقال: اسمَعْ دعائي، أي أجِبْ؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبول، انتهى. فهو دعاء بقبول الحمد، كذا قيل، ويحتمل الإخبار.اهـ مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح. **قوله**: (**وأصله** ﴿لسميعٌ﴾) بالتنوين (﴿ٱلدُّعَآءِ﴾).

قوله: (**سيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قُنْبَر أعلم المتقدّمين والمتأخّرين بالنحو، توفي سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره نيّف وأربعون سنة، وسيبويه بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة، ولا يقال بالتاء البتّة، وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفّاح. وقال إبراهيم الحربي: سُمّي سيبويه لأن وجنتيه كأنّهما تفّاحتان، وكان في غاية الجمال رحمه الله.

قوله: (**ابن عباس**) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمّى البحر والحبر لسِعَة علمه، مات سنة ثمان وستّين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء

الساعة ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ بالياء في الوصل والوقف: (مكّي)، وافقه أبو عمرو وحمزة في الوصل. الباقون بلا ياء أي استجب دعائي (أو عبادتي ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ) وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: الآية ٤٨]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ أي آدم وحواء، أو قاله قبل النهي واليأس عن إيمان أبويه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ أي يثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله إسنادًا مجازيًا مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ تسلية للمظلوم وتهديد للظالم، والخطاب لغير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلًا كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤]، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: الآية ٨٨]، وكما جاء في الأمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: الآية ١٣٦]، وقيل: المراد به الإيذان بأنه عالِم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء، وأنه مُعاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٣]، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي عقوبتهم ﴿لِيَوْمٍ (تَشْخَصُ) فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي أبصارهم لا تقرّ في أماكنها من هَوْل ما ترى.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين إلى الداعي ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعيها ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ (صفر) من

الصحابة. **قوله**: (مكّي) أي ابن كثير المكّي رحمه الله. **قوله**: (**أو عبادتي**) بدليل قوله تعالى: ﴿(وَأَعْتَزِلُكُمْ) وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: الآية ٤٨].

قوله: (﴿تَشْخَصُ﴾) صفة ليوم وشخوص البصر ارتفاعه وعدم استقراره في مكانه من حدّة النظر، وقيل: بقاؤه مفتوحًا بحيث لا يغمض ولا يرتدّ إليه طرفه.

قوله: (**صِفْر**) وزان حِمْل أي خالٍ.

الخير لا (تعي) شيئًا من الخوف، والهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل: قلب فلان هواء إذا كان (جبانًا) لا قوة في قلبه ولا (جرأة). وقيل: جوف لا عقول لهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي يوم القيامة. و﴿يَوْمَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿أَنذِرِ﴾ لا ظرف إذ الإنذار لا يكون في ذلك اليوم ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي الكفار ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ أي رُدَّنا إلى الدنيا وأمهِلْنا إلى (أمد) وحدّ من الزمان قريب نتدارك ما فرَّطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رُسُلك فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ أي حلفتم في الدنيا أنكم إذا مُتم لا تزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرتم بالبعث كقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: الآية ٣٨] و﴿مَا لَكُم﴾ جواب القَسَم. وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله: ﴿أَقْسَمْتُم﴾ ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال، أو أُريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل، أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فإنهم يسألون يومئذ أن يؤخِّرهم ربّهم إلى أجل قريب.

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾

(يقال: سكن الدار) وسكن فيها ومنه ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر لأن السكنى من السكون وهو اللبث والأصل تعديته بـ «في» نحو

قوله: (تعي) تحفظ. **قوله**: (جَبانًا) ضعيف القلب. **قوله**: (جرأة) وزان غرفة أي شجاعة.

قوله: (أمد) في مختار الصحاح: الأمَد ـ بفتحتين ـ الغاية. اهـ.

قوله: (يقال: سكن الدار)... الخ. أي وقد يُستعمل بمعنى التبوّؤ، فيجري مجراه.

«قرَّ في الدار وأقام فيها» ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تُصرَف فيه فقيل: «سكن الدار» كما قيل: «تبوأه»، ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة مَن قبلهم في الظلم والفساد لا يحدِّثونها بما لقي الأولون من أيام الله، وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا و(**يرتدعوا**) ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بالأخبار أو المشاهدة. وفاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾ مُضمَر دلَّ عليه الكلام أي تبيَّن لكم حالهم و﴿كَيْفَ﴾ ليس بفاعل لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما نصب ﴿كَيْفَ﴾ بقوله: ﴿فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ أي أهلكناهم وانتقمنا منهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (**أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم**) وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾ أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو ما فعلوه من تأييد الكفر وبُطلان الإسلام ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ وهو مضاف إلى الفاعل الأول، والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مُجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه، أو إلى المفعول أي عند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يأتيهم من حيث لا يشعرون ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ بكسر اللام الأولى ونصب الثانية والتقدير: وإن وقع مكرهم لزوال أمر النبي ﷺ، فعبّر عن النبي عليه السلام بالجبال لعِظَم شأنه، و«كان تامّة» و«إن» نافية، واللام مؤكدة لها كقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] والمعنى ومُحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال (**الراسية**) ثباتًا وتمكّنًا دليله قراءة (**ابن مسعود**) «وما كان مكرهم»

قوله: (**يرتدعوا**) في مختار الصحاح: رَدَعه عن الشيء فارتدع، أي كفَّه فكفَّ وبابه قطع. اهـ. **قوله**: (**أي صفات ما فعلوا**) من المناهي والمكروهات (**وما فعل بهم**) من تدميرهم بأنواع العقوبات.

قوله: (الراسية) الثابتة الراسخة. **قوله**: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن، من السابقين الأوّلين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة، مات سنة اثنتين وثلاثين أو في

(**وبفتح اللام الأولى ورفع الثانية: علي**)، أي وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أماكنها فـ «إن» مخففة من «إن» واللام مؤكدة.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ يعني قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: الآية ٥١]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: الآية ٢١]. ﴿مُخْلِفَ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿تَحْسَبَنَّ﴾ وأضاف ﴿مُخْلِفَ﴾ إلى ﴿وَعْدِهِۦ﴾ وهو المفعول الثاني له والأول ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ والتقدير مُخْلِف رُسُله وعده، وإنما قدَّم المفعول الثاني على الأول ليُعْلَم أنه لا يُخلِف الوعد أصلًا كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: الآية ٩]، ثم قال: ﴿رُسُلَهُۥٓ﴾ ليُؤذِن أنه إذا لم يخلف وعده أحدًا فكيف يخلفه رُسُله الذي هم (**خِيرته**) وصفوته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يُماكِر ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾

وانتصاب ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ على الظرف للانتقام، أو على إضمار اذكر، والمعنى يوم تُبَدَّل هذه الأرض التي تعرفونها أرضًا أخرى غير هذه المعروفة، وتبدّل السمٰوات غير السمٰوات، وإنما حذف لدلالة ما قبله عليه، والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك: «بدّلت الدراهم دنانير»، وفي الأوصاف كقولك: «بدّلت الحلقة خاتمًا» إذا أذَبْتها وسوَّيتها خاتمًا فنقلتها من شكل إلى شكل. واختلف في تبديل الأرض والسمٰوات فقيل: تبدّل أوصافها وتسير عن الأرض جبالها (**وتفجر بحارها**) وتُسَوَّى فلا ترى فيها (**عوجًا**) ولا (**أمتًا**). وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (**هي تلك الأرض وإنما تغير**). وتبدّل السماء بانتشار

التي بعدها بالمدينة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**وبفتح اللام الأُولى ورفع الثانية علي**) الكسائي، والباقون بكسر الأُولى ونصب الثانية.

قوله: (**خيرته**) بفتح الياء وتسكينها يوصف به الواحد والجمع.

قوله: (**وتفجر بحارها**) أي يبست. **قوله**: (**عوجًا**) انخفاضًا. **قوله**: (**أمتًا**) ارتفاعًا. **قوله**: (**هي تلك الأرض وإنما تغير**) صفاتها.

كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابًا. وقيل: تخلق بدلها أرض وسمٰوات أُخَر. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة. وعن (عليّ) رضي الله عنه: تبدّل أرضًا من فضة وسمٰوات من ذهب ﴿وَبَرَزُوا﴾ وخرجوا من قبورهم ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ هو كقوله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: الآية ١٦] لأن المُلْك إذا كان لواحد (غلّاب) لا يُغالب (فلا مُستَغاث) لأحد إلى غيره كان الأمر في غاية الشدة.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ (قرن) بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغلّلين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ متعلق بـ ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ أي يقرنون في الأصفاد، أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفَّدين، والأصفاد القيود أو الأغلال ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ (هو ما يتحلب من شجر يسمى الأُبْهل) فيطبخ (فتهنأ) به الإبل الجربى فيُحرَق

قوله: (عليّ) رضي الله تعالى عنه ابن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح. **قوله**: (غلاب) اسم فاعل بزنة المبالغة. **قوله**: (فلا مُستغاث) الظاهر أنه مصدر، أي لا طلب العون لأحد من غيره.

قوله: (قرن) بالتشديد والتخفيف. **قوله**: (هو ما يتحلّب) أي يتقاطر (من شجرٍ يسمّى الأبهل) بضمّ الهمزة وسكون الباء وضمّ الهاء. اهـ شهاب رحمه الله. وفي ترجمة القاموس: الأبهل بوزن أحمد. اهـ. **قوله**: (فتهنأ[1]) بضمّ التاء الفوقيّة

---

(١) أي تُطلى ١٢ منه.

الجَرَب بحدَّته وحرِّه، ومن شأنه أن يُسرِع في اشتعال النار، وهو أسود اللون مُنتِن الريح فيُطلَى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم (لذع القطران) وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح، على أن (التفاوت بين القطرانين) كالتفاوت بين النارين، وكل ما وعده الله أو وعَدَهُ به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره، وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمُسَمَّيات ثَمَّة نعوذ بالله من سخطه وعذابه (﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾) زيد (عن يعقوب) نحاس مُذاب بلغ حَرّه إناه ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تعلوها باشتعالها. وخصَّ الوجه لأنه أعزّ موضع في ظاهر البدن كالقلب في باطنه ولذا قال: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: الآية ٧].

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ﴾ أيْ يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت، أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم على أنه يُثيب المؤمنين بطاعتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع العباد في أسرع من لَمْح البصر ﴿هَٰذَا﴾ أي ما وصفه في قوله: ﴿وَلَا

وسكون الهاء وفتح النون وفي آخره همزة مقصورة من الهنا كالطلا لفظًا ومعنى. **قوله**: (لذع القطران) بفتح اللام وسكون الذال المعجمة والعين المهملة الإحراق. في مختار الصحاح: لذعته النار أحرقته وبه قطع. اهـ.

قوله: (التفاوت بين القطرانين) أي قطران الدنيا والآخرة. **قوله**: (﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾) بفتح القاف وكسر[1] الطاء وتنوين الراء[2] وآنٍ على وزن رام، فيكون قطر آن كلمتين والقطر النحاس المُذاب والآني اسم فاعل من أنى يأني أنًا، أي تناهى في الحرارة، قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٤٤]، زيد بن أحمد بن إسحٰق (عن يعقوب) وليس من السبعة.

---

(١) كما في الدرّ المصون، ويقال فيه: قطر بكسر فسكون. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) كذا في حاشية شيخ زاده وشهاب. ١٢ منه.

تحسبن﴾ إلى قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾، ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ كفاية في التذكير والموعظة ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوو العقول.

تمت سورة إبراهيم بحمد الله وحُسن توفيقه
وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الحجر)

(مكّية تسع وتسعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾، ﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب، والقرآن المُبين السورة، وتنكير القرآن للتفخيم، والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابًا وأي قرآن مبين كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال وللغرابة في البيان ﴿رُّبَمَا﴾ (**بالتخفيف: مدني وعاصم، وبالتشديد: غيرهما**)، و«ما» هي الكافَّة لأنها حرف يجرّ ما بعده، ويختصّ بالاسم النكرة فإذا كفَّت وقع بعدها الفعل الماضي والاسم. وإنما جاز ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لأن المترقِّب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل: ربما ودّ، وَوِدادتهم تكون عند النَّزع أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، أو إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلمًا، كذا رُوِيَ عن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (**سورة الحجر** مكّية) أي إجماعًا (**تسع وتسعون آية**) أي إجماعًا أيضًا وستّمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة وستّون حرفاً. **قوله**: (**بالتخفيف**) أي بتخفيف الباء الموحدة (**مدنيّ**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، (**وعاصم، وبالتشديد غيرهما**) لغتان.

ابن عباس رضي الله عنهما (﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ **حكاية ودادتهم**). وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مُخبَر عنهم كقولك: «حلف بالله ليفعلن» ولو قيل: «حلف بالله لأفعلن» و«لو كنّا مسلمين» لكان حسنًا وإنما قلّل بـ «ربّ» لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمنّي فإذا أفاقوا من سَكَرات العذاب ودّوا لو كانوا مسلمين. وقول مَن قال: إن «ربّ» يعني بها الكثرة سهو لأنه ضد ما يعرفه أهل اللغة لأنها وُضعَت للتقليل.

﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿ذَرۡهُمۡ﴾ أمر إهانة أي اقطع طمعك من (**ارعوائهم**) ودعهم عن النهي عمّا هم عليه والصّدّ عنه بالتذكرة والنصيحة وخلّهم ﴿يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنياهم ﴿وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُ﴾ ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الإيمان ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ سوء صنيعهم، وفيه تنبيه على أن إيثار التلذّذ والتنعّم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾﴾ ولها كتاب جملة واقعة صفة لـ ﴿قَرۡيَةٍ﴾ والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢٠٨] وإنما توسّطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة ملتصقة بالموصوف بلا واو فجيء بالواو تأكيدًا لذلك. والوجه أن تكون هذه الجملة حالًا لـ ﴿قَرۡيَةٍ﴾ لكونها في حُكم الموصوفة كأنه قيل: وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفًا. وقوله: ﴿كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ أي مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كُتِب في اللوح المحفوظ وبين ألا ترى إلى قوله: ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ في موضع

قوله: (﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ **حكاية ودادتهم**) يعني أنّ قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ حكاية لودادتهم بقول مقدّر، والتقدير يودّ الذين كفروا قائلين لو كانوا مسلمين، فالظاهر حينئذٍ أن يقال: لو كنّا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمحكيّ، إلّا أنه جيء بها على لفظ الغيبة لتطابق اللفظ الذي ذكر قبلها، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

قوله: (**ارعوائهم**) بمعنى انزجارهم وانكشافهم عن القبيح.

كتابها ﴿وَمَا يَسْتَـْخِرُونَ﴾ أي عنه وحذف لأنه معلوم، وأنّث الأمة أولًا ثم ذكرها آخرًا حملًا على اللفظ والمعنى.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧﴾

﴿وَقَالُواْ﴾ أي الكفّار ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ يعنون محمدًا عليه السلام، وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: الآية ٢٧] وكيف يقرّون بنزول الذِّكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكّم (سائغ) ومنه ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ٢١]، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: الآية ٨٧]، والمعنى إنك لتقول قول المجانين حيث تدَّعي أن الله نزَّل عليك الذِّكر ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧﴾ «لو» ركبت مع «لا» و«ما» لامتناع الشيء لوجود غيره أو للتحضيض، و«هل» رُكِّبَت مع «لا» للتحضيض (فحسب)، والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك، أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقًا.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾

(﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ كوفي غير أبي بكر)، ﴿نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ (أبو بكر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي تتنزل: غيرهم) ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا تنزيلًا ملتبسًا بالحكمة ﴿وَمَا كَانُوٓاْ

قوله: (سائغ) جائز. قوله: (فحسب) أي فقط.

قوله: (﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾) بنونين الأُولى مضمومة والأخرى مفتوحة وكسر الزاي مشدّدة مبنيًّا للفاعل ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ بالنصب مفعولًا به (كوفي غير أبي بكر) يعني قرأه حفص وحمزة والكسائي ﴿تُنَزَّلُ الملائكة﴾ بضمّ التاء وفتح النون والزاي مشدّدة مبنيًّا للمفعول الملائكة بالرفع نائب الفاعل (أبو بكر ﴿تَنَزَّلُ الملائكة) بفتح التاء والنون والزاي مشدّدة مبنيًّا للفاعل مسنداً للملائكة، (أي تتنزّل) أي وأصله تتنزّل حذفت إحداهما تخفيفًا الملائكة بالرفع فاعله (غيرهم).

إِذًا مُّنظَرِينَ﴾، (﴿إِذًا﴾ جواب لهم وجزاء) الشرط مقدَّر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين إذًا وما أخَّر عذابهم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ للقرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (وهو ردٌّ لإنكارهم واستهزائهم) في قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الحجر: الآية ٦] ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ فأكد عليهم إنه هو المُنَزِّل على القطع وأنه هو الذي نزَّله محفوظًا من الشياطين وهو حافِظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتولَّ حفظها وإنما استحفظها الربَّانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيًا فوقع التحريف، ولم يَكِل القرآن إلى غير حفظه وقد جعل قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ دليلًا على أنه مُنَزَّل من عنده آية إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرَّق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه، أو الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ لرسول الله ﷺ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ أي ولقد أرسلنا من قبلك رُسُلًا في الفِرَق الأولين، والشيعة: الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة ﴿وَمَا

قوله: (﴿إِذًا﴾ جواب لهم وجزاء) فإنّ ﴿إِذًا﴾ إنما يذكر حيث خاطبك أحد بشيء وتريد أن تجيبه فتقول في جواب كلامه: إذًا يكون كما إذا قال لك إنسان: أنا آتيك فتقول: إذًا أُكرمك، كأنك قلت هٰهنا إن كان الأمر كما ذكرت أكرمك؛ فكذا هذه الآية. **قوله:** (وهو ردّ لإنكارهم واستهزائهم) فإنّ الكفرة قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ فقد أنكروا أن ينزل عليه ذكرٌ من ربّه، واستهزؤوا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين أنه عليه الصّلاة والسلام غير موصوف به، فكأنهم قالوا: يا أيها المفتري إنّ الله تعالى لم ينزل عليك الذِّكر، وهذا الذي تزعم أنه من عند الله ليس منه، بل هو من إلقاء الجنّ و﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾؛ فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾، وأكّده من وجوه تصدير الجملة بأن توسيط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلّم الواحد بضمير الجمع للتعظيم والإجلال وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتقريره وإسمية الجملة.

﴿يَأۡتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية لأن ما لا تدخل على المضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماضٍ إلا وهو قريب من الحال ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ يعزي نبيّه عليه السلام ﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ أي كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء في شيع الأولين نسلكه أي الكفر أو الاستهزاء في قلوب المجرمين من أُمتك مَن اختار ذلك. يقال: سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة في الأصلح وخلق الأفعال ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالله أو بالذكر وهو حال ﴿وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ مضت طريقتهم التي سَنَّها الله في إهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ﴾ يصعدون.

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ **(حُيرت أو حُبست من الإبصار من السُكر أو)** من **(السَكْر، ﴿سُكِرَتۡ﴾ مكي)** أي حبست كما يحبس النهر من الجري، والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوّهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسّر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا: ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ قد سحرنا محمد بذلك، أو الضمير للملائكة أي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانًا لقالوا ذلك. وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مُستوضِحين لِما يرون وقال: إنما ليدلّ على أنهم يبتّون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرًا للأبصار.

قوله: **(حُيرت)** بالبناء للمفعول **(أو حُبست من الإبصار)** بكسر الهمزة من الإفعال مصدر أبصر **(من السُكر)** بضم السين ضد الصَحو، ولما كانت الحيرة لازمة له فسّر ﴿سُكِّرَتۡ﴾ بحيّرت، **(أو)** من **(السَّكْر)** بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر أسكره إذا سددته. **قوله**: (﴿سُكِرَتۡ﴾) بتخفيف الكاف وبناء المفعول **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي رحمه الله. وباقي السبعة قرؤوا على بناء المفعول أيضًا إلّا أنهم شدّدوا الكاف.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ خلقنا فيها ﴿بُرُوجًا﴾ نجومًا أو قصورًا فيها (الحرس) أو منازل للنجوم ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ أي السماء ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾ أي السماء ﴿مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ ملعون أو مَرمي بالنجوم ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ أي المسموع و«من» في محل النصب على الاستثناء ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾ نجم ينقض فيعود ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر للمُبصِرين. قيل: كانوا لا يحجبون عن السمٰوات كلها فلما وُلِد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سمٰوات، فلما وُلِد محمد ﷺ مُنِعوا من السمٰوات كلها.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ بسطناها من تحت الكعبة، (والجمهور على أنه تعالى مدّها على وجه الماء) ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ في الأرض (جبالًا ثوابت) ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ وزن بميزان الحكمة وقدِّر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان، أو له وزن وقدر في أبواب المنفعة والنعمة، أو ما يُوزَن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها، وخَصَّ ما يُوزَن (لانتهاء الكيل إلى الوزن).

قوله: (الحرس) جمع حارس مثل خادم وخدم.

قوله: (والجمهور على أنه تعالى مدّها على وجه الماء)، وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج عن الماء، وهو الجزء المعمور منها، واعتذروا عن قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ بأنّ الكرة إذا كانت عظيمة كان كلّ جزء منها كالسطح العظيم، فثبت بهذا الأمر أن الأرض محدودة مبسوطة وأنها كرة، وردّ هذا أصحاب التفاسير بأن الله أخبر في كتابه بأنها ممدودة وأنها مبسوطة، ولو كانت كرة لأخبر بذلك، والله أعلم بمراده وكيف مدّ الأرض. اهـ خازن. **قوله**: (جبالًا ثوابت) من رسى الشيء إذا ثبت جمع راسية. **قوله**: (لانتهاء الكيل إلى الوزن) لأن الصاع والمدّ مقدّران بالوزن.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَعَايِشَ﴾ ما يُعاش به من المطاعم جمع معيشة (وهي بياء صريحة) بخلاف الخبائث ونحوها (**فإن تصريح الياء فيها خطأ**) ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾، ﴿وَمَن﴾ في محل النصب بالعطف على ﴿مَعَايِشَ﴾ (أو على محل ﴿لَكُمْ﴾) كأنه قيل: وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم مَن لستم له برازقين، أو جعلنا لكم فيها معايش ولِمَن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخَدَم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزّاق يرزقهم وإياهم، ويدخل فيه الأنعام والدوابّ ونحو ذلك. ولا يجوز أن يكون محل ﴿وَمَن﴾ جرًّا بالعطف على الضمير المجرور في ﴿لَكُمْ﴾ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجارّ ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيه إلا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلًا لاقتداره على كل مقدور.

قوله: (وهي بياء صريحة) لكونها ياء أصلية بمنزلة الصاد من مناصر لكون الكلمة من العيش. **قوله**: (**فإن تصريح الياء فيها خطأ**) والصواب الهمزة؛ لأن الهمزة فيها زائدة لبناء فعائل كما في نحو قبيلة وقبائل وسحابة وسحائب وحمالة وحمائل. **قوله**: (**أو على محل** ﴿لَكُمْ﴾) وهو النصب؛ لأنه مفعول كأنه قيل: جعلناكم معايش، ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ لكن حذف الجار وأوصل الفعل، وإنما قال على محل لكم لِمَا تقرّر في النحو من أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور إلّا بإعادة الجار في حال السعة والاختيار عند البصريّين، ويجوز ترك الإعادة حال الضرورة؛ كما في قوله:

فاليوم قد بت تهجونا وتشمتنا فاذهب وما بك والأيام من عجب

وأجاز الكوفيُّون ترك الإعادة في حال السعة بقوله تعالى: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النّساء: الآية ١] بالجرّ في قراءة حمزة إذا تقرّر هذا فقد ظهر الفرق بين العطف على الضمير المجرور والعطف على محلّ مجموع الجار والمجرور والذي لم يجوّزه البصريون حال السعة هو الأول دون الثاني.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ جمع لاقحة أي وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقِحَة بها من لقحت الناقة حملت وضدّها العقيم. (﴿ٱلرِّيحَ﴾ **حمزة**) ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ فجعلناه لكم **(سقيًا)** ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ كأنه قال: نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها، وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ أي نحيي بالإيجاد ونُميت بالإفناء، أو نُميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزاء الأعمال على التقديم والتأخير إذ الواو للجمع المطلق ﴿وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ الباقون بعد هلاك الخلق كلهم. وقيل: للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ مَن تقدَّم ولادةً وموتًا ومَن تأخر، أو مَن خرج من أصلاب الرجال ومَن لم يخرج بعد، أو مَن تقدم في الإسلام أو في الطاعة أو في وصف الجماعة أو في صفّ الحرب ومَن تأخر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ **(باهر الحكمة)** واسع العلم.

قوله: (﴿ٱلرِّيحَ﴾) بالإفراد على تأويل الجنس **(حمزة)** والباقون بالجمع.
قوله: **(سقيًا)**[1] بضمّ السين وسكون القاف كبشرى بمعنى مسقى يسقي به الأرض والمواشي، فليس أسقاه بمعنى سقاه، وإن ورد بهذا المعنى أيضًا.

قوله: **(باهر الحكمة)** أي عالم بالأشياء على ما هي عليه وفاعل لها كما ينبغي.

---

(١) أي جعلنا لكم ماء المطر معدًّا لسقي أنفسكم وأراضيكم ومواشيكم. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي آدم ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ طين يابس غير مطبوخ ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ صفة لـ ﴿صَلْصَٰلٍ﴾ أي خلقه من صلصال كائن من حمإٍ أي طين أسود متغيّر ﴿مَّسْنُونٍ﴾ مصوّر وفي الأول كان ترابًا فعجن بالماء فصار طينًا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصوِّر ويبس فصار صلصالًا فلا تناقض ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ أبا الجن كآدم للناس أو هو إبليس وهو منصوب بفِعل مُضمَر يفسّره ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبل آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ من نار الحر الشديد **(النَّافذ في المسام. قيل: هذه السموم)** جزء من سبعين جزءًا من سموم النار التي خلق الله منها الجانّ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ واذكر وقت قوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممتَ خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وجعلت فيه الروح وأحييته **(وليس ثمّة نفخ)** وإنما هو تمثيل والإضافة للتخصيص ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ هو أمر من وقع يقع أي أسقطوا على الأرض يعني اسجدوا له، ودخل الفاء لأنه جواب «إذا» وهو دليل على أنه يجوز تقدّم الأمر عن وقت الفعل ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾ فالملائكة جمع عامّ محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله:

قوله: (النافذ في المسام) لشدّة لطفها وقوّة حرارتها، فإذا دخلت في الإنسان قتلته، والمسام هي ثقب البدن جمع سم بكسر السين على غير قياس كمحاسن جمع حسن. **قوله: (قيل: هذه السموم)**. . . الخ. قائله عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وليس ثمّة نفخ) ولا منفوخ.

﴿كُلُّهُمْ﴾ وذكر الكل احتمل تأويل التفرّق فقطعه بقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾، ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ ظاهر الاستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لأن المستثنى يكون من جنس المستثنى منه. وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة. قلنا: غير المأمور لا يصير بالتَّرك ملعونًا. وقال في الكشاف: كان بينهم مأمورًا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك: «رأيتُهم إلا هندًا» ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ امتنع أن يكون معهم و﴿أَبَىٰٓ﴾ استئناف على تقدير قول قائل يقول: هلَّا سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه. وقيل: معناه ولكن إبليس أبى.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ حرف الجر مع أن محذوف تقديره ما لك في أن لا تكون مع الساجدين أي أيّ غرض لك في إبائك السجود ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ اللام لتأكيد النفي أي لا يصحّ مني أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لأن اللعنة هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ ضرب يوم الدين حدًّا للعنة لأنه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم، والمراد به إنك مذموم مدعو عليك باللعنة في السمٰوات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذّبت بما ينسى اللعن معه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ فأخّرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾، ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ و﴿يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكًا بالكلام طريقة البلاغة. وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يُبعَثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يُجَب إلى ذلك وأُنظِر إلى آخر أيام التكليف.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للقسم و«ما» مصدرية وجواب القسم لأزيّنن لهم ومعنى أقسم بإغوائك إياي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ المعاصي ونحوه قوله: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ [الحجر: الآية ٣٩]، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [صٓ: الآية ٨٢] في أنه إقسام إلا أن أحدهما إقسام (**بصفة الذات**) والثاني بصفة الفعل، وقد فرّق الفقهاء بينهما فقال العراقيون: الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزّة يمين، والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين. والأصح أن الأيمان مبنية على العُرْف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينًا ومالًا فلا، والآية حجة على المعتزلة في خلق الأفعال. وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في الدنيا التي هي دار الغرور، وأراد إني أُقدَر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدَر. ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ (ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ **وبكسر اللام: بصري ومكي وشامي**) استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلونه منه.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (**أي هذا طريق حقّ عليَّ أن أُراعيه**) وهو أن لا يكون لك

قوله: (بصفة الذات). . . الخ. وصفة الذات ما لا يجوز أن يوصف بضدّه، وصفة الفعل ما يجوز أن يُوصف بضدّه، فإنه تعالى يرضى بالإيمان ولا يرضى بالكفر. **قوله**: (﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾) قرأه نافع وعاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام، أي الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية (**وبكسر اللام بصري**) أي أبو عمرو البصري (ومكّي) أي ابن كثير المكّي، (وشامي) أي ابن عامر الشامي أي الذين أخلصوا دينك عن الشوائب.

قوله: (أي هذا طريق حقّ عليَّ أن أُراعيه) نحو: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: الآية ٤٧].

سلطان على عبادي إلا مَن اختار اتباعك منهم لغوايته. وقيل: معنى ﴿عَلَيَّ﴾ إلي. («عليٌّ» **يعقوب**) من علو الشرف والفضل.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ الضمير للغاوين ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ من أتباع إبليس ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ نصيب معلوم (**مفرز**). قيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها، فأعلاها للموحِّدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصائبين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ **وبضم العين: مدني وبصري وحفص**). المتقي على الإطلاق مَن يتقي ما يجب إتقاؤه مما نهي عنه. (**وقال في الشرح: إن دخل أهل الكبائر**) في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر وإلا فالمراد به الذين اتقوا الشرك.

قوله: (عَلِيٌّ) بكسر اللام وضم الياء منوّنة (**يعقوب**) وليس من السبعة، والباقون بفتح اللام والياء بلا تنوين.

قوله: (**مفرز**) في مختار الصحاح: فرز الشيء عزله عن غيره وأفرزه أيضًا وفارز شريكه فاصله وقاطعه. اهـ.

قوله: (﴿وَعُيُونٍ﴾) بكسر العين ابن كثير وابن ذكوان وأبو بكر وحمزة والكسائي (**وبضمّ العين مدني**) أي نافع (**وبصري**) أي أبو عمرو (**وحفص**). **قوله**: (**وقال في الشرح: إن دخل أهل الكبائر**)... الخ. عبارة التأويلات للإمام أبي منصور الماتريدي رحمة الله عليه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ إن دخل أهل الكبائر في قوله لها سبعة أبواب، فيكون المراد بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتّقوا الكبائر، وإن كان أصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، فيكون المراد بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتّقوا الشرك، والله أعلم. انتهت بحروفها.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي يقال لهم ادخلوها ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ حال أي سالمين أو مسلمًا عليكم تسلّم عليكم الملائكة ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الخروج منهما ومِنَ الآفات فيها وهو حال أخرى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ وهو الحقد الكامن في القلب أي إن كان لأحدهم غلّ في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم. وعن **(علي)** رضي الله عنه: أرجو أن أكون أنا و**(عثمان)** و**(طلحة)** و**(الزبير)** منهم. وقيل: معناه طهّر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غلّ وألقى فيها التوادد والتحابب ﴿إِخْوَٰنًا﴾ حال ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ كذلك قيل تدور بهم **(الأسِرَّة)** حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضًا ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ في الجنة تعب ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فتمام النعمة بالخلود. ولما أتمّ ذكر الوعد والوعيد أتبعه.

قوله: (علي) بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأوّلين المرجح أنه أوّل مَنْ أسلم وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح.

قوله: (عثمان) بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس الأُمويّ أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأوّلين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشّرة، استشهد في ذي الحجّة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وعمره ثمانون، وقيل أكثر وقيل أقلّ.

قوله: (طلحة) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي أبو محمد المدني أحد العشرة مشهور استشهد يوم الجمل سنة ستّ وثلاثين، وهو ابن ثلاث وستّين. **قوله**: (الزبير) بن العوام بن خُوَيْلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، قُتِل سنة ستّ وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. **قوله**: **(الأسِرّة)** جمع السرير.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ تقريرًا لما ذكر وتمكينًا له في النفوس. قال عليه السلام: «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورّع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه (لبخع نفسه) في العبادة ولما أقدم على ذنب» وعطف ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ وأخبر أمتك. عطفه على ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ ليتخذوا ما أحلَّ من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكًا، والضيف يجيء واحدًا وجمعًا لأنه مصدر ضافه ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ أي نسلّم عليك سلامًا أو سلّمنا سلامًا ﴿قَالَ﴾ أي إبراهيم ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون لامتناعهم من الأكل أو لدخولهم بغير إذن وبغيرِ وقت.

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل أي إنك مبشّر آمن فلا توجل. (وبالتخفيف وفتح النون: حمزة) ﴿بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحـٰق لقوله في سورة هود ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ﴾ [هود: الآية ٧١] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي أبشرتموني مع مسّ الكِبْر بأن يولد لي أي أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكِبْر ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ هي «ما» الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل: فبأي أُعجوبة تبشّرون، وبكسر النون والتشديد: (مكّي)، والأصل «تبشرونني» فأدغم نون الجمع في نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت

قوله: (لبخع نفسه) في مختار الصحاح: بخع نفسه قتله غمًّا وبابه قطع، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: الآية ٦]. اهـ.

قوله: (وبالتخفيف وفتح النون) أي بفتح النون وسكون الباء وضمّ الشين مخفّفة (حمزة)، والباقون بضمّ النون وفتح الباء وكسر الشين مشدّدة. **قوله:** (مكّي) أي ابن كثير المكّي.

الكسرة دليلًا عليها. («تبشرونِ» بالتخفيف: نافع)، والأصل «تبشرونني» فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين، و(**الباقون: بفتح النون**)، وحذف المفعول والنون نون الجمع.

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين الذي لا (لُبس) فيه ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ﴾ من الآيسين من ذلك ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ (وبكسر النون: بصري وعليّ) ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٧] أي لم أستنكر ذلك (قنوطًا) من رحمته ولكن استبعادًا له في العادة التي أجراها.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ فما شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ أي قوم لوط ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يريد أهله المؤمنين، والاستثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام والمستثنى ليس كذلك، أو متصل فيكون استثناء من الضمير في ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم، والمعنى يختلف باختلاف الاستثنائين لأن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم

قوله: («تبشرونِ») بكسر النون (بالتخفيف: نافع). **قوله**: (**الباقون: بفتح النون**) مخفّفة.

قوله: (لُبس) بالضمّ أي شبهة. **قوله**: (**وبكسر النون: بصري**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري وليس من السبعة، (وعليّ) الكسائي، والباقون بفتحها. **قوله**: (قنوطًا) في مختار الصحاح: القُنُوط اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم، فهو قَنِط وقَنُوط وقانط وقرىء: ﴿فلا تكن من القَنِطين﴾. وأمّا قنط يقنط ـ بالفتح ـ فيهما، وقنِط يقنِط ـ بالكسر ـ فيهما، فإنما هو على الجمع بين اللغتين. اهـ.

الإرسال يعني أنهم أُرسِلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يُرسَلوا إلى آل لوط أصلًا، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل: إنا أهلكنا قومًا مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال يعني أن الملائكة أُرسِلوا إليهم جميعًا ليهلكوا وينجوا هؤلاء. وإذا انقطع الاستثناء جرى ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لأن المعنى: لكن آل لوط مُنجون، وإذا اتصل كان كلامًا مستأنفًا كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: فما حال آل لوط؟ فقالوا: إنّا لمنجّوهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ مستثنى من الضمير المجرور في ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ وليس باستثناء من الاستثناء، لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتّحد الحكم فيه بأن يقول: «أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته»، وهنا قد اختلف الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أو بـ ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ و﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ متعلق بـ ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ فكيف يكون استثناء من استثناء. (**﴿لمنْجوهم﴾ بالتخفيف: حمزة وعلي** ﴿قَدَّرْنَآ﴾ **وبالتخفيف: أبو بكر**) ﴿إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب. قيل: لو لم تكن اللام في خبرها لوجب فتح «إن» لأنه مع اسمه وخبره مفعول ﴿قَدَّرْنَآ﴾ ولكنه كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: الآية ١٥٨] وإنّما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أي لا أعرفكم أي ليس عليكم (**زيّ السفر**) ولا أنتم من أهل (**الحضر**) فأخاف أن (**تطرقوني**

قوله: (**﴿لمنْجوهم﴾ بالتخفيف**) أي بسكون النون وتخفيف الجيم (**حمزة وعليّ**) الكسائي. **قوله**: (﴿قَدَّرْنَآ﴾) بتشديد الدال (**وبالتخفيف أبو بكر**) شعبة، والباقون بالتشديد وهما لغتان بمعنى التقدير لا القدرة، أي كتبنا.

قوله: (**زيّ السفر**) في المصباح: الزِّي ـ بالكسر الهيئة، وأصله زوي. اهـ. **قوله**: (**الحضر**) بفتحتين خلاف البدو. اهـ مصباح. **قوله**: (**تطرقوني**

بشر) ﴿قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه سرورك وتَشَفِّيك من أعدائك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أي يشكّون ويكذّبونك ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين من عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في الإخبار بنزوله بهم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ في آخر الليل أو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾وسِرّ خلفهم لتكون مُطّلعًا عليهم وعلى أحوالهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم، أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن مَن يلتفت لا بدّ له في ذلك من أدنى وقفة ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ **(عدّى ﴿قضينا﴾ بـ «إلى» لأنه ضمّن معنى أوحينا)** كأنه قيل: وأوحينا إليه مَقضيًا مبتوتًا، وفسّر ذلك الأمر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر ودابرهم آخرهم أي يَستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ وقت دخولهم في الصبح **(وهو حال من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾)**.

بشرٍ) في تاج العروس[1]: طرق القوم يطرقهم طرقًا وطروقًا جاءهم ليلًا، فهو طارق. انتهى.

قوله: (عدّى ﴿قضينا﴾ بإلى لأنه ضمّن معنى أوحينا) وإلّا ففعل القضاء لا يتعدّى بإلى، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]، وقد عدى هٰهنا إلى لوط عليه الصّلاة والسلام بكلمة إلى باعتبار المضمن. **قوله: (وهو حال من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾)**، وجاز لكون المضاف بعض

(١) وأيضًا فيه: يقال: طرقه الزمان بنوائبه ونعوذ بالله من طوارق السوء، وقال الراغب: كنى عن الحوادث ليلًا بالطوارق. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ۝٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ۝٦٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٠﴾

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ (سدوم) التي ضرب بقاضيها المثل في الجور ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ بالملائكة طمعًا منهم في ركوب الفاحشة ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾ بفضيحة ضيفي لأن مَن أساء إلى ضيفي أساء إليَّ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ۝٦٩﴾ (أي ولا تذلوني بإذلال ضيفي من الخزي) وهو الهوان. (وبالياء فيهما: يعقوب) ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٠﴾ عن أن نُجير منهم أحدًا أو تدفع عنهم فإنهم كانوا يتعرَّضون لكل أحد، وكان عليه السلام يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرّض له فأوعدوه وقالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٧١ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ۝٧٣﴾

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفّار جائزًا ولا تتعرَّضوا لهم ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحلَّ الله دون ما حرَّم فقالت الملائكة للوط عليه السلام ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ﴾ أي في غوايتهم التي أذهَبَت عقولهم وتمييزهم بين الخطإ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يتحيّرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك، أو الخطاب لرسول الله ﷺ وهو قَسَم بحياته وما أقسم

المضاف إليه؛ إذ الدابر أصل الشيء وجزؤه باعتبار هؤلاء كلاًّ، فيكون الدابر جزؤه ولكون الدابر نائب الفاعل باعتبار ضميره المستكن في مقطوع، فكأنه حال مِنْ مفعول ما لم يسمّ فاعله.

قوله: (سدوم) بفتح السين على وزن فعول وذاله معجمة، ورُوي إهمالها، وقيل: إنه خطأ. **قوله**: (أي ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي) وهو الهوان، أو ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء.اهـ بيضاوي. (وبالياء فيهما) أي في ﴿تَفۡضَحُونِ﴾، و﴿تُخۡزُونِ﴾ [الحجر: الآية ٦٩] في الحالين (يعقوب).

بحياة أحد قطّ تعظيمًا له. (والعَمر والعُمر) واحد وهو البقاء إلا أنهم خصّوا القَسَم بالمفتوح إيثارًا للأخف لكثرة دَور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة جبريل عليه السلام ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في الشروق وهو (بزوغ) الشمس.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ للمتفرّسين المتأمّلين كأنهم يعرفون باطن الشيء (بِسِمَة) ظاهرة ﴿وَإِنَّهَا﴾ وإن هذه القرى يعني آثارها ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد. وهم يُبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصافات: الآيتان ١٣٧، ١٣٨]، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ لأنهم المُنتفِعون بذلك.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ وإن الأمر والشأن كان أصحاب الأيكة أي (الغيضة) ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فأهلكناهم لمّا كذبوا شعيبًا ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ يعني قرى قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ لبطريق واضح (والإمام اسم ما يُؤتَمّ به) فسُمّي به الطريق (مطمر البناء) لأنهما مما يُؤتَمّ به ﴿وَلَقَدْ

(والعَمر) بفتح العين (والعُمر) بضمّها. **قوله**: (بزوغ) أي طلوع.

قوله: (بِسِمَة) أي بعلامة.

قوله: (الغَيْضة) في الأصل: اسم للشجر الملتفّ والمراد بها هنا البقعة التي فيها شجر مزدحم، ففي الكلام مجاز من إطلاق اسم الحال على المحل. **قوله**: (والإمام اسم ما يُؤتَمّ به) أي ما يُقتدى به. **قوله**: و(مطمر البناء) المطمر بكسر

﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ـ هم ثمود، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام ـ المُرسَلين يعني بتكذيبهم صالحًا لأن كل رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرُّسل جميعًا، فمَن كذب واحدًا منهم فكأنما كذبهم جميعًا، **(أو أراد صالحًا ومَن معه من المؤمنين كما قيل «الخُبَيبيّون» في ابن الزبير وأصحابه)**.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا﴾ أي ينقبون في الجبال بيوتًا أو يبنون من الحجارة ﴿ءَامِنِينَ﴾ لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ومن **(نقب اللصوص)** والأعداء، أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ العذاب ﴿مُصۡبِحِينَ﴾ **(في اليوم الرابع وقت الصبح)** ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ من بناء البيوت الوثيقة و**(اقتناء الأموال النفيسة)**.

الميم كالمِطمار خيط البنائين الذي يقدرون به البناء. **قوله**: **(أو أراد صالحاً ومَنْ معه مِنَ المؤمنين)** بطريق تغليب صالح على أُمّته المؤمنين **(كما قيل الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه)**، هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشيّ الأسدي أبو بكر وأبو خُبَيْب بالمعجمة مصغّرًا، كان أوّل مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين وولي الخلافة تسع سنين، قُتل في ذي الحجّة سنة ثلاث وسبعين رضي الله تعالى عنهما.

قوله: **(نقْب)** أي خرق. في المصباح: نقبت الحائط ونحوه نقبًا من باب قتل خرقته. اهـ. **قوله**: **(اللّصوص)** جمع اللّصّ السارق بكسر اللام وضمّها لغة حكاها الأصمعيّ. **قوله**: **(في اليوم الرابع وقت الصبح)** قال ابن عباس: إنه تعالى لمّا أمهلهم تلك الأيام الثلاثة فقد رغّبهم في الإيمان، ثم قالوا لصالح عليه السلام: وما علامة ذلك؟ قال: تصير وجوهكم في اليوم الأوّل مصفرّة، وفي الثاني محمرّة، وفي الثالثة مسودّة، ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع؛ فلما رأوا وجوههم مسودّة أيقنوا حينئذٍ بالعذاب، فتحنّطوا واستعدّوا للعذاب، فصبّهم اليوم الرابع. **قوله**: **(اقتناء الأموال النفيسة)** في المصباح: اقتنيته اتّخذته لنفسي قنية لا للتجارة، هكذا قيّدوه. اهـ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ **(إلا خلقًا مُلتبسًا بالحق)** لا باطلًا وعبثًا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي القيامة لتوقعها كل ساعة ﴿لَآتِيَةٌ﴾ وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويُجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه ما خلق السمٰوات والأرض وما بينهما إلا لذلك ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ فأعرض عنهم إعراضًا جميلًا بحلم **(وإغضاء)**. قيل: هو منسوخ بآية السيف، وإن أريد به المخالفة فلا يكون منسوخًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الذي خلقك وخلقهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا﴾ أي سبع آيات وهي الفاتحة أو سبع سور وهي **(الطِّوال)**، واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما، **(وقيل: سورة يونس)** أو أسباع القرآن ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ هي من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما يتكرر في الصلاة، أو من الثَّناء لاشتمالها على ما هو ثناء من الله، والواحدة **(مَثْناة)** أو **(مُثنية)** صفة للآية. وأما السور أو الأسباع فلِما وقع

قوله: (إلّا خلقًا ملتبسًا بالحقّ) أشار إلى أن الباء للملابسة، وبالحقّ صفة للمفعول المطلق المحذوف. **قوله: (وإغضاء)** في المصباح: أغضى الرجل عينه بالألف قارَب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم، فقيل: أغضى على القذى، إذا أمسك عفوًا عنه. اهـ.

قوله: (الطِّوال) بكسر الطاء جمع طويل ككريم وكرام واقتصر عليه. في الصحاح: وأمّا بالضم فالرجل الطويل كما صرح به ابن مالك في مثلثه. **قوله: (وقيل: سورة يونس)** أي السابعة، هي سورة يونس. **قوله: (مثناة)** بفتح الميم وسكون الثاء، وهو إمّا من التَّثْنِية، أي من الثني بمعنى التثنية، أو هو من الثناء وهو إمّا مصدر سُمّي به المفعول مبالغة أو اسم مكان سُمّي به المفعول مبالغةً أيضاً. **قوله: (مثنية)** بضم الميم وكسر النون اسم فاعل أسند الثناء إليها إسنادًا مجازًا لاشتمالها الثناء على الله تعالى.

فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله، وإذا جعلت السبع مثاني فـ «من» للتبيين، وإذا جعلت القرآن مثاني فـ «من» للتبعيض ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لأنه إذا أُريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: الآية ٣]. يعني سورة يوسف، وإذا أُريد به الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعِظَم.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

ثم قال لرسوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي (لا تطمح ببصرك طموح راغب) فيه مُتَمَنٍّ له ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أصنافًا من الكفّار كاليهود والنصارى والمجوس يعني قد أُوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة وهي القرآن العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدنّ عينيك إلى متاع الدنيا. وفي الحديث («ليس منا مَن لم يتغنَّ بالقرآن)،

قوله: (لا تطمح ببصرك) الباء المتعدية، وطمح بمعنى ارتفع. **قوله**: (طموح راغب) قيّد به لأنه المنهيّ عنه. **قوله**: (ليس منّا مَنْ لم يتغنّ بالقرآن) أي مَنْ لم يتغنّ على أن يكون التغنّي المقصور وهو اليسار، وقد جاء التغنّي في الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصّلاة والسلام: «إن الخيل لرجل أجر[1] ولآخر ستر[2] ولثالث وزر»[3]، ثم قال: «وأما الذي هي له ستر، فرجلٌ ربطها تغنّيًا وتعفّفًا، ثم لم ينسَ حق الله تعالى في رقابها»، والمشهور حمله على تحسين الصوت بجعله من الغناء الممدود، فإن التغنّي بهذا المعنى أشهر، كيف وقد قيل لبعض رواة هذا الحديث: يا أبا محمّد، أرأيت إن لم يكن حسن الصوت؟ قال:

---

(١) أي ثواب عظيم. ١٢ منه.
(٢) أي كحاله في معيشته لحفظه من الاحتياج والسؤال. ١٢ منه.
(٣) أي ثقل وأثم.

وحديث (أبي بكر) «مَن أُوتي القرآن فرأى أن أحدًا أُوتي من الدنيا أفضل مما أُوتي (فقد صغَّر) عظيمًا وعظَّم صغيرًا» ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تتمنَّ أموالهم ولا تحزن عليهم (أنهم لم يؤمنوا) فيتقوَّى بمكانهم الإسلام والمسلمون ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وتواضع لمَن معك من فقراء المؤمنين وطِب نفسًا عن إيمان الأغنياء.

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا ﴿عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ وهم أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أجزاء (جمع عِضَة وأصلها عضوة) فعلة (من عضَى الشاة إذا جعلها أعضاء) حيث قالوا بعنادهم:

يحسّنه ما استطاع، ويشهد له الحديث الآخر: «زيِّنوا القرآن بأصواتكم». وقيل: المراد من التغنّي بالقرآن الإفصاح بألفاظه، وقيل: إعلانه والجهر به، وقيل: قراءته على خشية من الله ورقّة من فؤاده، وقيل: معناه كشف الغموم بقراءته وذلك أن الإنسان إذا أصابه غمّ ربما تغنّى بالشعر فطلب بذلك وجه مما هو فيه، والصدّيقون همومهم المعاد وضيق صدورهم بما يشغلهم عن الله ولا يفرّجون كربهم إلا بذكر كلام ربّهم، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا»، أي مَنْ لم يتفرّج من غمومه بقراءة القرآن والتدبّر فيه، فليس منّا خلقًا وسيرة.

قوله: (أبي بكر) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة التيمي، أبو بكر بن أبي قُحافة الصدِّيق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، مات في جُمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستّون سنة. **قوله**: (فقد صغر)... الخ. علّة للمحذوف تقديره: فقد خاب وخسر خسرانًا مبينًا؛ لأنه صغّر عظيمًا. **قوله**: (أنهم لم يؤمنوا) بفتح الهمزة بدل اشتمال من الضمير المجرور، ويجوز أن يكون على تقدير اللام، أي لأنهم لم يؤمنوا.

قوله: (جمع عِضَة) بكسر العين وفتح الضاد بمعنى جزء فهو معتلّ اللام، ولذا قال: (وأصلها عضوة من عضَى الشاة) بالتشديد (إذا جعلها أعضاءً) وأجزاءً فاعل فصار عضة.

بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مُخالِف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه. وقيل: كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي، ويقول الآخر سورة آل عمران لي. أو أُريد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه؛ فاليهود أقرَّت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرَّت ببعض الإنجيل وكذبَت ببعض، ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ منصوبًا بـ ﴿ٱلنَّذِيرُ﴾ أي أنذر المعضين الذين يجزِّئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المُقتَسِمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مدخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين ليُنفِّروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ يقول بعضهم: لا تغترّوا بالخارج منّا فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر **(فأهلكهم الله)**. ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ على الوجه الأول اعتراض بينهما، لأنه لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسّف على كُفرهم ومن الأمر بأن يُقبِل بكليَّته على المؤمنين.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحدًا واحدًا من هؤلاء المقتسمين عمّا قالوه في رسول الله ﷺ أو في القرآن أو في كتب الله ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فاجهر به وأظهره. يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارًا من الصديع وهو الفجر، أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع في الزجاجة وهو الإبانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله:

أمرتك الخير فافعل ما أُمِرْتَ به

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هو أمر استهانة بهم.

قوله: (فأهلكهم الله) يوم بدر.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ الجمهور على أنها (**نزلت في خمسة نفر**) كانوا يُبالغون في إيذاء رسول الله ﷺ والاستهزاء به فأهلكهم الله وهم: الوليد بن المغيرة (**مرَّ بنبّال**) فتعلق بثوبه سهم فأصاب عرقًا في عقبه فقطعه فمات، والعاص بن وائل دخل في (**أخمصه**) شوكة فانتفخت رجله فمات، والأسود ابن عبد المطلب عَمِي، والأسود بن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات، والحارث بن قيس (**امتخط قيحًا**) ومات ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (**عاقبة**) أمرهم يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ فيك أو في القرآن أو في الله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (**فافزع فيما نابك**) إلى الله، والفزع إلى الله هو الذِّكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغمّ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ ودُمْ على عبادة ربك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي الموت يعني ما دمت حيًّا فاشتغِل بالعبادة وكان رسول الله ﷺ (**إذا حَزَبَه**) أمر فزع إلى الصلاة.

قوله: (**نزلت في خمسة نفر**)... الخ. كونهم خمسة قول، وفي شرح البخاري بأنهم سبعة، وفي بعض أسمائهم اختلاف مفصّل في كتب الحديث. **قوله**: (**مرَّ بنبال**) بفتح النون وتشديد الباء الموحدة من يَصْنع النبال، أي السّهام. **قوله**: (**أخمصه**) الأخمص ما دخل في باطن القدم بحيث لا يصيب الأرض. **قوله**: (**امتخط قيحًا**) أي خرج قيح من أنفه بدل مخاطه. **قوله**: (**عاقبة**) أشار إلى مفعوله.

قوله: (**فافزع**) الفزع هنا بمعنى الالتجاء. **قوله**: (**ما نابك**) بمعنى ما نزل بك. **قوله**: (**إذا حَزَبَه**) بالباء الموحدة والنون أيضًا، أي أهمّه ونزل به (**أمر فزع إلى الصلاة**) أي قام إليها واشتغل بها.

تمت سورة الحجر والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة النحل)

(مكِّيَّة، وهي مائة وثمانٍ وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاءً وتكذيبًا بالوعد فقيل لهم: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرًا لقُرْب وقوعه ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تبرَّأ جلَّ وعزَّ عن أن يكون له شريك وعن إشراكهم، فـ «ما» موصولة أو مصدرية، واتصال هذا باستعجالهم من حيث إن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشِّرك ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ **(وبالتخفيف مكي وأبو عمرو)** ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي أو بالقرآن لأن كلًّا منهما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد أو يُحيي القلوب الميتة بالجهل ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ أن مفسّرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: **(سورة النحل)** وتسمى سورة النعم جمع نعمة لما ذكر فيها مما أنعم الله به على الإنسان من المآكل والمراكب وغيره، كما ستراه. **(مكِّية، وهي مائة وثمانٍ وعشرون آية)** وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة، وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف.
قوله: **(وبالتخفيف)** أي بتخفيف الزاي **(مكِّي)** أي ابن كثير المكِّي **(وأبو عمرو)**

معنى القول ومعنى أنذروا ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ اعلموا بأن الأمر ذلك **(من نذرت بكذا إذا علمته)**، والمعنى أعلِموا الناس قولي لا إله إلا أنا فاتقون فخافون. **(وبالياء: يعقوب)**. ثم دلَّ على وحدانيته وأنه لا إله هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وهو قوله:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)﴾ **(وبالتاء في الموضعين: حمزة وعلي)**. وخلق الإنسان وما يكون منه وهو قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤)﴾ أي فإذا هو **(مِنطيق مجادل)** عن نفسه **(مكافح)** لخصومه **(مُبيِّن لحجته)** بعدما كان نطفة لا حِسَّ به ولا حركة، أو فإذا هو خصيم لربِّه مُنكِر على خالقه قائل مَن يحيي العظام **(وهي رميم)**. وهو وصف للإنسان **(بالوقاحة)** والتمادي في كفران النعمة وخلق ما لا بدّ منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله:

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾ **(هي الأزواج الثمانية)**، وأكثر ما يقع على الإبل، وانتصابها بمُضمَر يفسِّره الظاهر كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: الآية ٣٩]، أو

والباقون بتشديدها. **(من نذرت بكذا إذا علمته)** وإذا دخلت عليه همزة التعدية صار بمعنى أعلمته. **قوله**: **(وبالياء)** في الحالين **(يعقوب)** وليس من السبعة.

قوله: **(وبالتاء في الموضعين حمزة وعلي)** الكسائي، والباقون بالياء على الغيبة. **قوله**: **(مِنطيق)** بكسر الميم صيغة مبالغة **(مجادل)** معنى خصيم والمنطيق لازم متقدّم ثابت باقتضاء النصّ. **قوله**: **(مكافح)** مستقبل. **قوله**: **(مُبيِّن لحجّته)** فهو من أبان المتعدّي. **قوله**: **(وهي رميم)** أي بالية ولم يقل بالتاء لأنه اسم جامد لما بلي من العظام لا صفة. **قوله**: **(بالوقاحة)** في المصباح: الوقاحة ـ بالفتح ـ قلّة الحياء. اهـ.

قوله: **(هي الأزواج الثمانية)** وهي الضأن والمعز والإبل والبقر والغنم اسم للجنس المتناول للضأن والمعز.

بالعطف على الإنسان أي خلق الإنسان والأنعام، ثم قال: خلقها لكم أي ما خلقها إلا لكم (**يا جنس الإنسان**) ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ هو اسم ما (**يدفأ**) به من لباس معمول (**من صوفٍ أو وبر أو شعر**) ﴿وَمَنَافِعُ﴾ وهي نَسْلها ودرها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قدَّم الظرف وهو يُؤذِن بالاختصاص، وقد يُؤكَل من غيرها لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم، وأما الأكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر (**فكغير المعتدّ به وكالجاري مجرى التفكّه**).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردّونها من مراعيها (**إلى مُراحها**) بالعشي ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ترسلونها بالغداة (**إلى مسارحها**). من الله تعالى بالتجمّل بها كما مَنَّ بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي، لأن (**الرُّعيان**) إذا روَّحوها بالعشيِّ وسرَّحوها بالغداة تزيَّنت بإراحتها وتسريحها (**الأفنية**)، وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحُرمة عند الناس. وإنما قدَّمت الإراحة على التسريح لأن الجمال في الإراحة أظْهَر إذا أقبلت (**ملأى**) البطون (**حافِلة الضروع**).

قوله: (**يا جنس الإنسان**) إشارة إلى أنه التفات من الغيبة إلى الخطاب. **قوله**: (**يدفأ**) أي يسخن. **قوله**: (**من صوف**) للضأن (**أو وبر**) للإبل (**أو شعر**) للمعز. **قوله**: (**فكغير المعتد به**) في الأغلب (**وكالجاري مجرى التفكّه**) فخرج، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فخرج الأغلب في الأكل من هذه الأنعام.

قوله: (**إلى مراحها**) بضمّ الميم وهو اسم للمكان الذي تأوي إليه الإبل والغنم باللّيل، يقال: أراح إبله أي ردَّها إلى المراح، وذلك لا يكون إلّا بعد الزوال. **قوله**: (**إلى مسارحها**) جمع مَسْرَح وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرّعي. **قوله**: (**الرُّعْيان**) بالضم جمع راعٍ. **قوله**: (**الأفنية**) جمع فناء الدار بالكسر والمدّ وهو ما حولها من الفضاء. **قوله**: (**ملأى**) بفتح الميم وسكون اللام تأنيث ملآن كعطشان وعطشى. **قوله**: (**حافلة الضروع**) أي ممتلئة الضروع لبنًا، يقال: حفل الوادي بالسيل أي امتلأ.

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧﴾

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ (**وبفتح الشين: أبو جعفر**) وهما لغتان في معنى المشقَّة.

وقيل: المفتوح مصدر شقّ الأمر عليه شقًّا وحقيقته راجعة إلى الشّقّ الذي هو (**الصدع، وأما الشّق**) فالنصف كأنه يُذهِب نصف قوّته لِما ينال من (**الجهد**). والمعنى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالِغيه لو لم تخلق الإبل إلا بجهد ومشقّة فضلًا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم، أو معناه لم تكونوا بالِغِيه بها إلا بشقّ الأنفس. وقيل: أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والإنس ومنه ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: الآية ٢] أي بني آدم ﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨﴾

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾ عطف على ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾ أي وخلق هذه للركوب والزينة، (**وقد احتجّ أبو حنيفة رحمه الله على حُرمة أكل لحم**) الخيل بأنه علّل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام، ومنفعة الأكل أقوى، والآية سِيقَت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر في مواضع المِنَّة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما. وانتصاب ﴿زِينَةٗ﴾ على المفعول له عطفًا على محل ﴿لِتَرۡكَبُوهَا﴾ وخلق ما لا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ومَنْ هذا وصفه يتعالى عن أن يُشرَك به غيره.

قوله: (**وبفتح الشين: أبو جعفر**) يزيد بن القعقاع المدني، وليس من السبعة، والباقون بكسرها. **قوله**: (**الصدع**) الإبانة والتفريق. **قوله**: (**وأما الشِّق**) بالكسر. **قوله**: (**الجَهد**) ـ بالفتح ـ المشقّة.

قوله: (**وقد احتجّ أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم**)... الخ. في حاشية تفسير البيضاوي للعلامة شيخ زاده رحمه الله: رُوِيَ عن أبي يوسف ومحمد رحمهما الله أنّهما يبيحان أكل لحم الخيل لما رُوِيَ عن جابر رضي الله تعالى عنه،

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المراد به الجنس) ولذا قال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد. يقال: سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمّه السَّالِك لا يعدل عنه، ومعناه أن هداية الطريق المُوصِل إلى الحق عليه كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: الآية ١٢] وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكن يفعل ذلك تفضّلًا. وقيل: معناه وإلى الله. وقال (الزجّاج): معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ أي من السبيل مائل عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أراد هداية اللطف بالتوفيق والإنعام بعد الهدى العام.

أنه قال: كنّا قد جعلنا في قدورنا لحم الخيل ولحم الحمار، فنهانا عليه الصّلاة والسلام أن نأكل لحم الحمار، وأمرنا بأن نأكل لحم الخيل. ورُوِيَ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أنها قالت: نحرنا فرسًا في عهد رسول الله ﷺ، فأكلناه. ورُوِيَ عن حسن عن أبي حنيفة أنّه كان يحرّم أكلها، والرواية الظاهرة عن أبي حنيفة أنه لا يحرّم الأكل بل يكرهه كراهة تنزيه، ولم يصرّح بالتحريم لاختلاف الصحابة والسلف، انتهت بحروفها. وفي الدرّ المختار: وقيل: إنّ أبا حنيفة رجع عن حرمته قبل موته بثلاثة أيام، وعليه الفتوى عماديه. اهـ. وفي ردّ المحتار على الدُّرّ المختار: قوله: وعليه الفتوى، فهو مكروه كراهة تنزيه وهو ظاهر الرواية كما في كفاية البيهقي، وهو الصحيح على ما ذكره فخر الإسلام وغيره قهستاني، ثم نقل تصحيح كراهة التحريم عن الخلاصة والهداية والمحيط والمغني وقاضيخان والعمادي وغيرهم وعليه المتون، وأفاد أبو السعود أنه على الأوّل لا خلاف بين الإمام وصاحبيه؛ لأنهما وإنْ قالا بالحلّ لكن مع كراهة التنزيه كما صرّح به في الشرنبلالية عن البرهان. قال السيد أحمد الطحطاوي ﷺ: والخلاف في خيل البرّ، أمّا خيل البحر فلا تؤكل اتّفاقًا. اهـ بحروفه. **قوله:** (المراد به الجنس) أي هو شامل للمستقيم وغيره، فإضافة القصد بمعنى المستقيم إليه من إضافة الخاص إلى العام لا من إضافة الصفة إلى الموصوف. **قوله:** (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾، ﴿لَّكُم﴾ متعلق بـ ﴿أَنزَلَ﴾ (أو خبر لـ ﴿شَرَابٞ﴾) وهو ما يُشرَب (﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ﴾) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي (﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ سامت الماشية إذا رعَت فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة) وهي العلامة (لأنها تؤثّر بالرعي علامات في الأرض) ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ ولم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلّها للتذكرة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ بنصب الكل: عليّ وجعل النجوم مسخرات (﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ فقط: حفص ﴿وَٱلشَّمۡسَ

إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة.

قوله: (أو خبر لـ ﴿شَرَابٞ﴾) والجملة صفة لقوله ماء. **قوله:** (﴿وَمِنۡهُ﴾) أي من الماء (﴿شَجَرٞ﴾) أي ينبت بسببه. **قوله:** (﴿فِيهِ﴾) أي الشجر (﴿تُسِيمُونَ﴾) أي ترعون مواشيكم (من سامت الماشية إذا رعت، فهي سائمة وأسامها صاحبها وهو من السُّومة) بضمّ السين كالسِّمة ـ بكسرها ـ بمعنى العلامة، والقراءة المشهورة بضم التاء من الأسامة، وقرىء شاذًا بفتحها على أنّ الإسناد مجاز عقلي؛ إذ السوم حال المواشي، والمعنى حينئذ تسيم مواشيكم. **قوله:** (لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض) بيان المناسبة، يعني أن المواشي تؤثر علامات في الأرض والأماكن التي ترعاها، فلذا سُمِّيت أسامة.

قوله: (﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾) بالرفع فيهما (فقط: حفص) على الابتداء والخبر، فيكون تعميمًا للحكم بعد تخصيصه (﴿وَٱلشَّمۡسَ

﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ شامي على الابتداء والخبر) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ جمع الآية. وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبيَن شهادة للكبرياء والعظمة.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معطوف على ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا﴾ حال ﴿أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتّعظون ﴿(وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ) لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، ووصفه (**بالطراوة**) لأن الفساد يُسرع إليه فيؤكل سريعًا طريًّا خيفة الفساد، وإنما لا يحنث بأكله إذا حلف لا يأكل لحمًا (**لأن مبنى الإيمان على العُرْف**). ومَن قال لغلامه: اشترِ بهذه الدراهم لحمًا، فجاء بالسمك كان حقيقًا

﴿وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾) بالرفع في الأربعة (**شامي**) أي ابن عامر الشامي (**على الابتداء والخبر**)، والباقون بنصب الجميع وكسر تاء ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾.

قوله: (﴿وَهُوَ﴾) أي لا غيره، وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمّها (﴿الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾) أي ذلّله وهيّأه لعيش ما فيه من الحيوان وتكوّن الجواهر وغير ذلك، قال علماء الهيئة: ثلاثة أرباع كرة الأرض غائصة في الماء، فذاك هو البحر المحيط، وجعل في هذا الربع المسكون سبعة أبحر، قال تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: الآية ٢٧]، والبحر الذي سخّره الله تعالى للناس هو هذه البحار، فمِنْ تسخيرها للخلق ما مرّ ومنه جعلها بحيث يتمكّن الناس من الانتفاع بها بالركوب وبالغَوْص وبغير ذلك؛ فمنافع البحار كثير، وذكر سبحانه وتعالى منها هنا ثلاثة منافع، الأُولى: قوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾. الثانية: قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾. الثالثة قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾. اهـ خطيب باختصار.
قوله: (**بالطّراوة**) هي ضد اليبوسة. **قوله**: (**لأن مبنى الإيمان على العُرْف**) أي على ما يتفاهمه الناس في عُرفهم لا على الحقيقة اللغويّة ولا على استعمال القرآن.

بالإنكار ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً﴾ **(هي اللؤلؤ والمرجان)** ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ المراد بلبسهم ليس نسائهم ولكنهن إنما يتزينَّ بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ﴾ **(جواري)** تجري جريًا وتشقّ الماء شقًّا، والمَخْر **(شقّ الماء بحيزومها)** ﴿فِيهِ﴾ في البحر ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ هو عطف على محذوف أي لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ما أنْعَمَ عليكم به.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ **(جبالًا ثوابت)** ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كراهية أن تميل بكم وتضطرب أو لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر. خلق الأرض فجعلت تميد فقالت الملائكة: **(ما هي بمقرّ أحد على ظهرها)** فأصبحت وقد أُرسيت بالجبال لم تُدْرِ الملائكة مِمَّ خلقت ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ وجعل فيها أنهارًا لأنّ ألقى فيه معنى جعل ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم أو إلى توحيد ربكم. ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ هي **(معالم)** الطرق وكل ما يستدلّ به **(السابلة)** من جبل وغير ذلك ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ المراد بالنجم **(الجنس)** أو **(هو الثريا والفرقدان وبنات**

قوله: **(هي اللؤلؤ والمرجان)** في تهذيب الأسماء: المرجان فسّره الواحدي بعظام اللؤلؤ، وقال أبو الهيثم: صغاره، وقال آخرون: هو جوهر أحمر يسمّى النسيد، وهو قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وهو المشهور في عرف الناس. **قوله**: **(جواري)** فهو جمع ماخرة بمعنى جارية. **قوله**: **(شقّ الماء بحيزومها)** بالحاء المهملة والزاي المعجمة، أي بوسط صدرها. قال أهل اللغة: مخر السفينة شقّها الماء بصدرها.

قوله: **(جبالًا ثوابت)** ﴿رَوَٰسِىَ﴾ بمعنى ثوابت صفة لموصوف محذوف. **قوله**: (ما هي **بمقرّ أحد على ظهرها**) مقرّ بفتح الميم اسم مكان من القَرار والباء زائدة. **قوله**: **(معالم)** جمع مَعْلم وهو ما يُستدلّ به على شيء. **قوله**: **(السابلة)** الفرقة التي تسلك سبيلًا ويُطلق على الطريق نفسها، وليس بمراد هنا. **قوله**: **(الجنس)** الاستغراق. **قوله**: و**(هو الثريّا والفرقدان)** نجومٌ معروفة. **قوله**: **(وبنات**

نعش) و(**الجدي**) . فإن قلت: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ مخرج (**عن سنن الخطاب**) مقدَّم فيه النجم مُقحَم فيه هم كأنه قيل: وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون فمَن المراد بهم؟ قلت: كأنه أراد قريشًا فلهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزَم لهم فخُصِّصوا.

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ﴾ أي الله تعالى ﴿كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ أي الأصنام وجيء بـ «مَنْ» الذي هو لأُولي العلم لزعمهم حيث سمّوها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أُولي العلم، أو لأن المعنى أن مَن يخلق ليس كمَن لا يخلق من أُولي العلم فكيف بما لا علم عنده. وإنما لم يقل: أفمَن لا يخلق كمَن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزامًا للذين عبدوا الأوثان وسمّوها آلهة تشبيهًا بالله لأنهم حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيهًا بها فأنكر عليهم ذلك بقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ وهو حجة على المعتزلة في خلق الأفعال ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون فساد ما أنتم عليه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلًا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر، وإنما اتبع ذلك ما عدَّد من نعمة تنبيهًا على أن ما وراءها لا

نعش) قال الجوهري: اتّفق سيبويه والفراء على ترك صرف نعش للمعرفة والتأنيث، قال البدر الدماميني: الظاهر أن المراد ترك الصَّرف جوازًا لا وجوبًا لأنه ثلاثي ساكن الأوسط كهند، فيجوز الأمران. **قوله** : (**الجدي**) نجم عند القطب تُعرف به القِبلة والمنجّمون يقولون له جُدَي بالتصغير فرقًا بينه وبين اسم البرج المعروف، فيصح قراءته في عبارة المصنّف رحمه الله مصغراً ومكبّرًا. اهـ شهاب. وفي حاشية القنوي: الجَدْي نجم عند القطب يُعرف به القبلة ويُستدلّ به على الطريق المطلوب الواقع في جانب القبلة، وهو ليس بمصغّر؛ لأنه من تحريف المنجمين للفرق بينه وبين اسم البرج المعروف. اهـ. **قوله** : (**عن سنن الخطاب**) أي عن طريقه إلى طريق الغيبة.

ينحصر ولا يُعَدّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ والآلهة الذين يدعوهم الكفَّار ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (وبالتاء: **غير عاصم**) ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ﴾ أي هـم أمـوات ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ نفى عنهم خصائص الإلـٰهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالِمين بوقت البعث، وأثبت لهم صفات الخَلْق بأنهم مخلوقون أموات جاهِلون بالبَعْث، ومعنى ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس في ذلك. والضمير في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ للدَّاعين أي لا يشعرون متى تُبعَث عَبَدَتهم، وفيه تهكّم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بَعْثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم، وفيه دلالة على أنه لا بدّ من البَعْث.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي ثبت بما مرَّ أن الإلـٰهية لا تكون لغير الله وأن معبودكم واحد ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عنها وعن الإقرار بها (﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًا) ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي سرّهم

قوله: (وبالتاء غير عاصم) مناسبة لـ ﴿تُسِرُّونَ﴾ التفاتًا من الخطاب العام إلى الخاصّ، وعاصم بياء الغيبة على الالتفات من خطاب عام للمؤمنين إلى غيب خاص للكافرين.

قوله: (﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًّا)... الخ. في هذه اللفظة خلاف بين النحّاة، فذهب الخليل وسيبويه والجمهور رحمهم الله إلى أن لا جرم اسم مركّب مع لا تركيب خمسة عشر، وبعد التركيب صار معناها معنى فعل وهو حقّ وما بعدهما

وعلانيتهم فيُجازيهم وهو وعيد ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن التوحيد يعني المشركين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ لهؤلاء الكفار ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، ﴿مَّاذَآ﴾ منصوب بـ ﴿أَنزَلَ﴾ أي أيَّ شيء أنزل ربكم، أو مرفوع على الابتداء أي أيُّ شيء أنزله ربكم، و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ خبر مبتدأ محذوف، قيل: هو قول المُقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفِّرون عن رسول الله ﷺ إذا سألهم **(وفود الحاجّ)** عمّا أنزل على رسول الله ﷺ قالوا: أساطير الأولين أي أحاديث الأولين وأباطيلهم واحدتها **(أسطورة)**، وإذا رأوا أصحاب رسول الله ﷺ يخبرونهم بصدقه وأنه نبيّ فهم الذين قالوا خيرًا.

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ أي قالوا ذلك إضلالًا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار مَن ضلَّ بضلالهم وهو وزر الإضلال، لأن المُضِلّ والضّالّ شريكان واللام للتعليل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول أي يضلّون مَن لا يعلم أنهم **(ضُلّال** ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾) محل «ما» رفع.

مرتفع بالفاعلية لمجموع لا جرم لتأويله بالفعل أو بمصدر قائم مقامه وهو حقًّا على ما ذكره أبو البقاء رحمه الله، فقوله: حقًّا تفسير له على مذهب الجمهور على مسلك أبي البقاء فيه، وقيل: لا نافية لما تقدَّم، وجرم فعل معناه حقّ، وأن وما في حيِّزه فاعله وقيل غير ذلك.

قوله: (وُفُود) جمع وافد. **قوله**: (الحاجّ) أن يراد به الجنس، وقد يكون اسمًا للجنس .اهـ. لسان العرب. **قوله**: (أسطورة) بالضم.

قوله: (ضُلّال) جمع ضالّ. **قوله**: (﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾) يعني: ألا بِئْس ما يحملون.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ أي من جهة القواعد وهي الأساطين، وهذا تمثيل يعني أنهم **(سوَّوا منصوبات)** ليمكروا بها رُسُل الله فجعل هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانًا وعمَّدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين بأن **(ضعضعت)** فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا، والجمهور على أن المراد به **(نمرود بن كنعان)** حين **(بنى الصرح ببابل)** طوله خمسة آلاف ذراع ـ وقيل ـ **(فرسخان)** فأهَبَّ الله الريح **(فخرَّ عليه وعلى قومه)** فهلكوا (﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾) ـ أي أمره ـ بالاستئصال ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون.

قوله: **(سوّوا منصوبات)** سوى بمعنى صنع ورتّب والمنصوبة هي الحيلة، كما نقل عن الزمخشري، أي رتّبوا حيلًا. **قوله**: **(ضُعْضعت)** على البناء للمفعول، بمعنى هُدِّمت. **قوله**: **(نمرود)** بضم النون آخره دال مهملة وهو اسم رجل أبله عدوّ الله خاصم مع إبراهيم خليل الله على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام **(ابن كنعان)** بكسر الكاف والفتح مرويّ فيه. **قوله**: **(بنى الصرح)** أي أمر ببناء الصرح، أي القصر. **قوله**: **(ببابل)** اسم ناحية معروفة مذكورة في القرآن. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: هي في سواد الكوفة، ومنع صرفها للعلمية والتأنيث.

قوله: **(فرسخان)** الفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعاً. **قوله**: **(فخرّ عليه وعلى قومه)** فهلكوا يقتضي أن هلاك نمرود إذ ذاك بما ذكر، والمعروف أنه عاش بعده وأهلكه الله تعالى ببعوضة وصلت لدماغه إظهارًا لكمال خسّته وعجزه وجازاه من جنس عمله؛ لأنه صعد إلى جهة السماء بالنسور فأهلكه الله تعالى بأخسّ الطيور، وعلى هذا لا يكون تمثيلًا.

قوله: (﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾) أي أمره أوّله بتقدير المضاف لاستحالة الإتيان له تعالى، فإنّ الإتيان المجيء بسهولة.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلّهم بعذاب الخزي سوى ما عُذِّبوا به في الدنيا ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبّخهم بها على طريق الاستهزاء بهم ﴿كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم. (﴿تُشَٰٓقُّونِ﴾ نافع أي تشاقونني) فيهم لأن مشاقَّة المؤمنين كأنها مشاقَّة الله ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي الأنبياء والعلماء من أُممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعِظونهم فلا يلتفتون إليهم ويشاقّونهم يقولون ذلك (شماتة) بهم أو هم الملائكة ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾ الفضيحة ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ (وبالياء: حمزة) وكذا ما بعده ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر بالله ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ أي الصلح والاستسلام أي (أخبتوا) وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من (الشقاق) وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ وجحدوا ما وجد منهم من الكفران والعداوة فردّ عليهم أُولو العلم وقالوا: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فهو يُجازيكم عليه وهذا أيضًا من الشماتة وكذلك ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ جهنم.

قوله: (﴿تُشَٰٓقُّونِ﴾) بكسر النون (نافع، أي تشاقّونني) فحذف إحدى النونين لزوم التخفيف ثم حذف الياء اكتفاءً بالكسرة عنها والباقون بفتحها. **قوله**: (شماتة) في المصباح: شمت به يشمت إذا فرح بمصيبة نزلت به، والاسم الشماتة. اهـ. وفي مختار الصحاح: الشماتة الفرح ببليّة العَدُوّ، وبابه سَلِم. اهـ.

قوله: (وبالياء) التحتانية حمزة) وكذا ما بعده؛ إذ لا تأنيث في الملائكة، والباقون بالتاء الفوقانية نظرًا إلى لفظ الملائكة. **قوله**: (أخبتوا) بخاء معجمة وباء موحدة ومثناة فوقية، من قولهم: أخبت لله، بمعنى ذلّ وتواضع. **قوله**: (الشّقاق) الخلاف.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ وإنما نصب هذا ورفع ﴿أَسَـٰطِيرُ﴾ لأن التقدير هنا أنزل خيرًا فأطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الأولين (فعدلوا بالجواب عن السؤال) ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا: لا إله إلا الله ﴿حَسَنَةٌ﴾ بالرفع أي ثواب وأمن وغنيمة (وهو بدل من ﴿خَيْرًا﴾) حكاية لقول ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ أي قالوا هذا القول فقدَّم عليهن تسميته خيرًا. ثم حكاه، (أو هو كلام مُستأنف) عِدَة للقائلين وجعل قولهم من جملة إحسانهم ﴿وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أي لهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٨] ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدّم ذكره.

﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿جَنَّـٰتُ (عَدْنٍ)﴾ خبر لمبتدأ محذوف أو هو المخصوص بالمدح ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ حال ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم ﴿يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ قيل: إذا (أشرف العبد المؤمن) على الموت جاءه مَلَك،

قوله: (فعدلوا بالجواب عن السؤال) فقالوا: هو أساطير الأوّلين، وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم عدلوا ولم يعتقدوا كونه منزلًا. **قوله**: (وهو بدل من ﴿خَيْرًا﴾) فمحله النصب. **قوله**: (أو هو كلام مستأنف) أي ابتداء كلام.

قوله: (﴿عَدْنٍ﴾) أي إقامة. **قوله**: (أشرف العبد المؤمن) في لسان العرب: أشرف على الموت قارب. اهـ. وأخرج مالك وابن جرير والبيهقي وغيرهم: «إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك»... الخ.

فقال: السلام عليك يا وليَّ الله، الله يقرأ عليك السلام، ويبشِّره بالجنة ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بعملكم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ **(ما ينتظر)** هؤلاء الكفَّار ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم. **(وبالياء: علي وحمزة)** ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ أي العذاب المستأصل أو القيامة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل من الشِّرْك والتكذيب ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ **(بتدميرهم)** ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث فعلوا ما استحقّوا به التدمير ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ **(جزاء سيئات أعمالهم)** ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ **(وأحاط بهم جزاء استهزائهم)**.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا﴾ هذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقادًا لكان صوابًا ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ يعني البَحِيرة والسائبة ونحوهما ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كذبوا الرُّسُل وحرَّموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ

قوله: (ما ينتظر) نبّه به على أن ﴿يَنظُرُونَ﴾ من النظر بمعنى الانتظار، و﴿هَلْ﴾ للإنكار الوقوعي الإبطالي يفيد النفي. **قوله: (وبالياء)** على التذكير **(علي وحمزة)** والباقون بالتاء على التأنيث. **قوله: (بتدميرهم)** أي بإهلاكهم. **قوله: (جزاء سيئات أعمالهم)** على حذف المضاف. **قوله: (وأحاط بهم جزاء استهزائهم)** يعني أن ما مصدرية، وفي الكلام مضاف مقدّر.

﴿ٱلْمُبِينُ﴾ إلا أن يبلغوا الحق ويطّلعوا على بُطلان الشِّرْك وقُبحه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بأن وحّدوه ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الشيطان يعني طاعته ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ لاختيارهم الهدى ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي لزمته لاختياره إياها ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم. ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمانهم وأعلَمه أنهم من قسم مَن حقّت عليه الضلالة فقال:

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ (**بفتح الياء وكسر الدال: كوفي. والباقون: بضم الياء وفتح الدال**)، والوجه فيه أن ﴿مَن يَضِلُّ﴾ مبتدأ و﴿لَا يَهْدِى﴾ خبره ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يمنعونهم من (**جريان**) حُكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذي أعدَّ لهم.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ معطوف على ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾، ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ﴾ هو إثبات لِما بعد النفي أي بلى يبعثهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وهو

قولهُ: (**بفتح الياء وكسر الدال**) على البناء للفاعل،أي لا يهدي الله من يضلّه، فمن مفعول بيهدي ويجوز أن يكون يهدي بمعنى يهتدي، فمَنْ فاعله (**كوفي**) أي عاصم وحمزة والكسائي، (**والباقون بضم الياء وفتح الدال**) على البناء للمفعول. في البيان للعلّامة أبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَري النحوي المتوفّى سنة ستّ عشرة وستّمائة: **قوله** تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ يُقرأ بفتح الياء وكسر الدال على تسمية الفاعل و﴿لَا يَهْدِى﴾ خبر إنّ و﴿مَن يُضِلُّ﴾ مفعول ﴿يَهْدِى﴾، ويُقرأ (لا يُهْدَى) بضم الياء على ما لم يُسمّ فاعله، وفيه وجهان أحدهما: أن ﴿مَن يُضِلُّ﴾ مبتدأ و﴿لَا يَهْدِى﴾ خبره، والثاني أن ﴿لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ بأسره خبر أن؛ كقولك: إن زيدًا لا يُضرَب أبوه، انتهى بحروفه. **قوله**: (جَرَيان) بالتحريك.

مصدر مؤكد لما دلّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾ لأن ﴿يَبْعَثُ﴾ موعد من الله وبيَّن أن الوفاء بهذا الوعد حق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن وعده حق أو أنهم يُبعَثون ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ متعلق بما دلّ عليه ﴿بَلَىٰ﴾ أي يبعثهم ليبيِّن لهم، والضمير لـ ﴿مَن يَمُوتُ﴾ وهو يشمل المؤمنين والكافرين ﴿ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ هو الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ في قولهم: ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ أي فهو يكون، وبالنصب: (شامي وعلي)، على جواب. كن ﴿قَوْلُنَا﴾ مبتدأ و﴿أَن نَّقُولَ﴾ خبره و﴿كُن فَيَكُونُ﴾ من «كان» التامة التي بمعنى (الحدوث) والوجود أي إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف، وهذه عبارة عن سرعة الإيجاد تبيِّن أن مُرادًا لا يمتنع عليه، وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المُطاع إذا ورد على المأمور المُطيع المتمثِّل ولا قول ثَمّ. والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات؟ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

(في حقه ولوجهه) ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففرّوا بدينهم إلى الله، منهم مَن هاجر إلى (الحبشة) ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم مَن هاجر إلى المدينة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ صفة للمصدر أي تبوئة حسنة أو (﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ مباءة حسنة) وهي المدينة حيث آواهم أهلها

قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي. **قوله:** (وعليّ) الكسائي. **قوله:** (الحدوث) بالضمّ كون الشيء لم يكن قبله وبابه دخل.اهـ مختار الصحاح.

قوله: (في حقّه ولوجهه) بتقدير المضاف أو في بمعنى اللام. **قوله:** (الحَبَشة) بفتحتين اسم جنس بمعنى الحَبَش، وهم جيل معروف ويُطلق على بلادهم، وهو المراد هنا وكأنه مجاز. **قوله:** (أو ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ مباءة حسنة) المباءة

ونصروهم ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ الموقف لازم عليه لأن جواب ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ محذوف والضمير للكفار أي لو علموا ذلك لرغبوا في الدين أو للمهاجرين أي لو كانوا يعلمون لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ أي هم الذين صبروا أو أعني الذين صبروا، وكلاهما مدح أي صبروا على مُفارقة الوطن الذي هو حَرَم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم، وعلى المُجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يُفوِّضون الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم في دين الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

ولما قالت قريش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا نزل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ (ـ يُوحَى إليهم ـ) على ألسنة الملائكة. (﴿نُّوحِىٓ﴾ حفص) ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أهل الكتاب ليُعلِموكم أن الله لم يبعث إلى الأُمم السالفة إلا بشرًا. وقيل للكتاب الذِّكْر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي بالمعجزات والكتب والباء يتعلق بـ ﴿رِجَالًا﴾ صفة له أي رجالًا مُلتبسين بالبيِّنات، أو بأرسلنا مُضمَرًا كأنه قيل: بِمَ أرسل الرُسُل؟ فقيل: بالبيِّنات، أو بـ ﴿يُوحِى﴾ أي يوحي إليهم بالبيِّنات أو بـ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ اعتراض على الوجوه المتقدمة وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في الذِّكر مما أُمِروا به ونُهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في تنبيهاته فينتبهوا. ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (أي المكرات السيئات،

بالمدّ المنزل مِنْ بوّأه أنزله، فهو صفة ظرف أو مفعول به إن ضمن الفعل معنى نعطيهم. **قوله**: (يوحى إليهم) بضم الياء من تحت وفتح الحاء مبنيًا للمفعول. **قوله**: (﴿نُّوحِىٓ﴾) بالنون مبنيًّا للفاعل (حفص) وحده. **قوله**: (أي المكرات السيئات) هنا صفة المكرات فانتصابها على المصدر، وجمع السيّئات إشارة إلى أن

وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام) ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فعل بمَن تقدَّمهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي بغتة.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ **(متقلّبين في مسايرهم ومتاجرهم)** ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ متخوِّفين وهو أن يُهلِك قومًا قبلهم فيتخوَّفوا فيأخذهم العذاب وهم مُتخوِّفون مُتوقِّعون وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: الآية ٢٥]، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث يحلم عنكم ولا يُعاجلكم مع استحقاقكم، والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيكم فإنما رأفته تَقِيكم ورحمته تحميكم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ **(وبالتاء: حمزة وعليّ وأبو بكر)** ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ «ما» موصولة بـ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ وهو مبهم بيانه ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ﴾ أي يرجع من موضع إلى موضع. **(وبالتاء: بصري)** ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾

موصوفها يراد به الأنواع، وإلّا فالمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. **قوله: (وهم أهل مكّة وما مكروا به رسول الله عليه السلام)** يعني أن الضمير في مكروا لأهل مكّة، والمراد بالمكر ما مكروا به.

قوله: (متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم) يشير إلى أن قوله: ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ [النحل: الآية ٤٦] حال. اهـ شهاب.

قوله: (وبالتاء حمزة وعليّ) الكسائي **(وأبو بكر)** لقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ﴾، والباقون بالغيب لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ﴾. وعبارة تفسير الخطيب وغيره: قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب على نسق ما قبله، والباقون بالياء على الغيبة، انتهت. **قوله: (وبالتاء: بصري)** أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري

(أي **الأيمان**) ﴿وَالشَّمَآئِلِ﴾ جمع شمال ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حال من الظلال. عن (**مجاهد**): إذا زالت الشمس سجد كل شيء ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون وهو حال من الضمير في ﴿ظِلَالُهُ﴾ لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل. وجمع بالواو والنون لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك مَن يعقِل فغلب. والمعنى أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لا ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب، مُنقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخَّرها له من التفيؤ والأجرام في أنفسها، داخرة أيضًا صاغرة منقادة لأفعال الله فيها غير ممتنعة ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ «من» بيان لما في السمٰوات وما في الأرض جميعًا على أن في السمٰوات خلقًا يدبّون فيها كما تدبّ الأناسي في الأرض، أو بيان لما في الأرض وحده والمراد بما في السمٰوات ملائكتهنّ، وبقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ ملائكة الأرض من الحَفَظَة وغيرهم. قيل: المراد بسجود المكلَّفين طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله. ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبِّر عنهما بلفظ واحد. وجيء بـ «ما» إذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بـ «من» لتناول العقلاء خاصة ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ هو حال من الضمير في ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي لا يستكبرون خائفين ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ إن علقته بـ ﴿يَخَافُونَ﴾ فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم، وإن علقته بـ ﴿رَبَّهُم﴾ حالًا منه فمعناه يخافون ربهم غالبًا لهم قاهرًا كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: الآية ٦١]، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وفيه دليل على أن الملائكة مُكلَّفون مُدارون على الأمر والنهي وأنهم بين الخوف والرجاء.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا: عندي رجال ثلاثة، لأن المعدود

وليس من السبعة لتأنيث الجمع، والباقون بالياء لأن تأنيثه مجازي. **قوله**: (أي **الأيمان**) إشارة إلى أن اليمين في قوّة الجمع؛ إذ المراد به الجنس. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة ثقة إمام في التفسير وفي العلم مات سنة إحدى واثنتين أو ثلاث وأربع ومائة، وله ثلاث وثمانون.

عارٍ عن الدلالة على العدد الخاص، فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدّ فلا حاجة إلى أن يُقال: «رجل واحد ورجلان اثنان». قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دالٌّ على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص. فإذا أُريدت الدلالة على أن المعنيّ به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدلَّ به على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت: «إنما هو إلٰه» ولم تؤكده بواحد لم يحسُن وخُيِّل إنك تثبت الإلٰهية لا الوحدانية ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترغيب من قوله: «فإياي فارهبوا». («فارهبوني» يعقوب).

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾

﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ أي الطاعة ﴿وَاصِبًاۚ﴾ واجبًا ثابتًا لأن كل نعمة منه فالطاعة واجِبة له على كل مُنعَم عليه، (وهو) حال عمل فيه الظرف، أو وله الجزاء دائمًا يعني الثواب والعقاب ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ (وأيّ شيء اتصل بكم من نعمة) عافية وغِنًى و(خصب) ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ فهو من الله ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ المرض والفقر (والجدب) ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ فما تتضرعون إلا إليه، و(الجؤار) رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة.

قوله: (فارهبونِي) بإثبات الياء في الحالين (يعقوبِ) وليس من السبعة.

قوله: (وهو) أي قوله تعالى: ﴿وَاصِبًاۚ﴾. **قوله**: (وأي شيء اتّصل بكم من نعمة) على أن ما شرطية، وفعل الشرط بعدها محذوف، وقوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ جواب للشرط، ويحتمل أن تكون كلمة ﴿مَا﴾ موصولة و﴿بِكُم﴾ صلة، فهي مبتدأ. وقوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ خبرها زيدت الفاء في الخبر لتضمّن الموصول معنى الشرط، و﴿مِّن نِّعۡمَةٖ﴾ بيان للموصول أو التقدير: والذي استقرّ بكم من نعمة فهو من الله. **قوله**: (خِصْب) في مختار الصحاح: الخِصْب بالكسر ضدّ الجَدْب. اهـ. **قوله**: (والجَدْب) ضد الخِصْب. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (الجؤار) بالضمّ.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ الخطاب في ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ إن كان عامًّا فالمراد بالفريق الكَفَرَة، وإن كان الخطاب للمشركين فقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ للبيان لا للتبعيض كأنه قال: فإذا فريق كافر وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم مَن اعتبر كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ (فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ)﴾ [لقمان: الآية ٣٢]، ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من نعمة الكشف عنهم (كأنهم جعلوا غرضهم في الشِّرْك كُفران النعمة)، ثم أوعدهم فقال: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هو عدول إلى الخطاب على التهديد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أي لآلهتهم، (ومعنى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾) أنهم يسمّونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضرّ وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك لأنها جماد لا تضرّ ولا تنفع، أو الضمير في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة أي

(﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾) متوسّط بين الكفر والإيمان، فلا يغلو في كفره لانزجاره بعض الانزجار، ومنهم باقٍ على كفره. قوله: (كأنهم جعلوا غرضهم في الشِّرك كفران النعمة) إشارة إلى أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾ لام العاقبة كما في قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: الآية ٨]، ولما كان شركهم مؤدّيًا إلى كفران النعمة صار الكفران لهم غرضًا مطلوبًا من الشِّرك، فأدخل عليه لام العلّة تشبيهًا لعاقبة الشيء بعلّته.

قوله: (ومعنى ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾) . . . الخ. فالمعنى: ويجعلون لآلهتهم التي ليس اعتقادهم في حقّها علمًا، فإنهم يعتقدون أنها آلهة وأنها تنفع وتضرّ وأن طاعتهم إيّاها تنفعهم وإعراضهم عنها يضرّهم، وليس شيء من هذه الاعتقادات علمًا لكونها مخالفة للواقع، فصحّ أن يقال إنهم لا يعلمونها، فإنّ من رأى شيئًا واعتقد أنه إنسان وهو شجر أو حجر صحّ أن يقال: إنه لا يعلم ذلك الشيء، مع أنه يعرف ذاته، ولو كان لا يعلمونها بمعنى لا يعرفون ذاتها يفسد المعنى؛ لأنه

لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبًا في أنعامهم وزروعهم أم لا، وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرّبًا إليهم ﴿تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ وعيد ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من أنها آلهة وأنها أهل للتقرّب إليها ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ كانت (**خزاعة وكنانة**) تقول الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه (**أو تعجب من قولهم**) ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين. ويجوز في «ما» الرفع على الابتداء و﴿لَهُمْ﴾ الخبر، والنصب على العطف على ﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾، و﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ أي صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة (**لأن أكثر الوضع يتفق بالليل**) فيظل نهاره مغتمًّا مُسْوَدّ الوجه من (**الكآبة**) والحياء من الناس ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء (**حنقًا**) على المرأة ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ يستخفي منهم من أجل سوء المُبَشَّر به ومن أجل تعييرهم ويحدِّث نفسه وينظر ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ أيمسك ما بُشِّر به على هون وذلّ ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ (**أم يئده**) ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم مَن هو على عكس هذا الوصف.

يستحيل أن يجعل الشخص نصيبًا من رزقه لمن لا يعلمه. **قوله**: (**خُزَاعة**) حيّ من الأزد. **قوله**: (**كِنانة**) قبيلة من مُضَر، وكنانة بن خُزَيْمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر. **قوله**: (**أو تعجب من قولهم**) بالنسبة إلى العباد.

قوله: و(**لأن أكثر الوضع يتّفق بالليل**). . . الخ. يعني أن أصل معناه: داوم على الفعل، فإمّا أن يكون على أصل معناه؛ لأن أكثر الوضع يكون ليلًا فيشير به في يوم ليلته فيظلّ نهاره مغتمًّا، أو أنه بمعنى صار كما يستعمل أصبح وأمسى وبات بمعنى الصيرورة. **قوله**: (**الكآبة**) ـ بسكون الهمزة وفتحها ممدودة ـ الغمّ وسوء الحال والانكسار من حزن. **قوله**: (**حَنَقًا**) الحَنَق الغيظ والجمع حِناق كجبل وجبال. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**أم يئده**) في مختار الصحاح: وَأَدَ بنتَه دفنها حيّة وبابه وعد. اهـ.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ صفة السوء وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث، و**(وأدهنّ خشية الإملاق)** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وهو الغني عن العالمين و**(النزاهة)** عن صفات المخلوقين ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في تنفيد ما أراد ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في إمهال العِباد ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ **(قطّ)** ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين. عن **(أبي هريرة)** رضي الله عنه: إن **(الحبارى)** لتموت في **(وكرها)** بظلم الظالم.

قوله: (وأدهُنّ) أي دفنهنّ أحياء. **قوله**: (خشية) مخافة. **قوله**: (الإملاق) أي الفقر. **قوله**: (النَّزاهة) أي البُعْد. **قوله**: (قطّ) مشدّدة الطاء اسم مبنيّ على الضمّ، مثل حيث ومنذ والعرب تستعملها فيما مضى من الزّمان كما تستعمل لفظة أبدًا فيما يستقبل، فيقولون: ما كلّمته قطّ ولا أُكلّمه أبدًا.

قوله: (أبي هريرة) قد اختلف الناس في اسم أبي هريرة ونسبه اختلافًا كثيرًا وأشهر ما قيل فيه: كان في الجاهلية عبد شمس أو عبد عمر، وفي الإسلام عبد الله أو عبد الرحمٰن، وهو دوسي. قال الحاكم: أبو أحمد أصحّ شيء عندنا في اسم أبي هريرة عبد الرحمٰن بن صخر وغلب كنيته، فهو كمن لا اسم له. أسلم عام خيبر وشهدها مع النبيّ ﷺ ثم لزمه وواظب راغبًا في العلم راضيًا بشَبْع بَطْنه وكان يدور معه حيث ما دار، مِنْ أحفظ الصحابة. قال البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين الصحابة والتابعين، فمنهم ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس. قال النووي: اسمه عبد الرحمٰن بن صخر على الأصح من خمسة وثلاثين قولًا وبلغ ما رواه خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وستين، والصحيح أنه توفي بالمدينة سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين، ودُفن بالبقيع رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الحبارى) ـ بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحّدة ـ طائر معروف وهو اسم جنس يقع على الذّكر والأُنثىٰ، واحده وجمعه سواء. **قوله**: (وَكْرها) في

وعن (ابن مسعود) رضي الله عنه: كاد (الجعل) يهلك في (جحره بذنب ابن آدم). وعن (ابن عباس) رضي الله عنهما: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ من مُشرك يدبّ ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي أجَل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم، ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ مع ذلك أي ويقولون الكذب ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عند الله وهي الجنة إن كان البعث حقًّا كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: الآية ٥٠]، و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (بدل من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾)، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾، (﴿مفرطون﴾ نافع ﴿مفرّطون﴾

المصباح: وَكْر الطائر عُشّه أين كان في جبل أو شجر، والجمع وكار مثل سهم وسهام، وأوكار أيضًا مثل ثوب وأثواب. اهـ. **قوله:** (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأوّلين من كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة، وأمّره عمر على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة ﷺ. **قوله:** (الجُعل) ـ بضم جيم وفتح عين ـ دُوَيْبة سوداء تُدَهْده الخراء، أي تديره. **قوله:** (جحره) الجحر بضم جيم فساكنة ما يحتفره الهوامّ والسباع. **قوله:** (بذنب ابن آدم) أي بشؤمه وعدم يُمْنه. **قوله:** (ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر والحبر لسِعَة عِلمه، مات سنة ثمان وستّين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (بدل من ﴿ٱلْكَذِبَ﴾) بدل كلّ من كل. **قوله:** (مفرِطون) بكسر الراء مخفّفة اسم فاعل من أفرط إذا تجاوز (نافع: مفرّطون) بكسر الراء مشدّدة من فرّط

أبو جعفر). فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلانًا (وفرطته) في طلب الماء إذا قدَّمته، أو مَنسيّون متروكون من أفرطت فلانًا خلفي إذا خلفته ونسيته. والمكسور المخفّف من الإفراط في المعاصي، والمشدّد من التفريط في الطاعات أي التقصير فيها.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي أرسلنا رسلًا إلى مَن تقدَّمك من الأمم ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من الكفر والتكذيب بالرُّسُل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي قرينهم في الدنيا تولي إضلالهم بالغرور، أو الضمير لمُشركِي قريش أي زيّن للكفّار قبلهم أعمالهم فهو وليّ هؤلاء لأنهم منهم، أو هو على حذف المضاف أي فهو وليُّ أمثالهم اليوم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامة ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناس ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ هو البعث لأنه كان فيهم مَن يؤمن به ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ (**معطوفان على محل** ﴿لِتُبَيِّنَ﴾) إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب. ودخلت اللام على ﴿لِتُبَيِّنَ﴾ لأنه فِعْل المخاطب لا فِعْل المنزِّل ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ سماع إنصاف وتدبّر لأن مَن لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع.

قصّر (أبو جعفر) وليس من السبعة، وفي رواية عنه بالفتح والتضعيف، والباقون بالفتح مع التخفيف. **قوله**: (وفرطته) من التفريط.

قوله: (**معطوفان على محل** ﴿لِتُبَيِّنَ﴾)... الخ. وإنما ينصب مفعولًا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلّل بمعنى أنهما انتصبا مفعولًا له والناصب ﴿أَنزَلْنَا﴾، ولمّا اتّحد الفاعل في العلّة والمعلول وصل الفعل لهما بنفسه، ولما لم يتّحد في ﴿لِتُبَيِّنَ﴾؛ لأن فاعل الإنزال هو الله تعالى، وفاعل التبيّين الرسول ﷺ وصلت العلّة بالحرف.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦﴾

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ (**وبفتح النون: نافع وشامي وأبو بكر**). قال (**الزجّاج**): سقيته وأسقيته بمعنى واحد. (**ذكر سيبويه الأنعام في الأسماء المفردة**) الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير إليه مفردًا، وأما في بطونها في سورة «المؤمنين» فلأن معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل: كيف العبرة؟ فقال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾، ﴿مِنۢ بَيْنِ (فَرْثٍ) وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ أي يخلق الله اللبن وسيطًا بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله. (**قيل: إذا أكلت**) البهيمة العلف فاستقر في (**كرشها**) طبخته فكان أسفله فرثًا وأوسطه لبنًا وأعلاه دمًا، والكبد مُسَلَّطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم (**ينحدر**)، وفي ذلك عبرة لمَن اعتبر. وسُئِل (**شقيق**)

قوله: (**وبفتح النون**) مضارع سقى (**نافع وشامي**) أي ابن عامر الشامي (**وأبو بكر**) شعبة، والباقون بضمّها. **قوله**: (**الزجاج**) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد. **قوله**: (**ذكر سيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان كان أعلم المتقدِّمين والمتأخّرين بالنَّحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه (**الأنعام**) في باب ما لا ينصرف (**في الأسماء المفردة**)... الخ. **قوله**: (﴿فَرْثٍ﴾[1]) في مختار الصحاح: الفَرْث بوزن الفَلْس السِّرجين ما دام في الكَرِش، والجمع فروث كفلوس. اهـ. **قوله**: (**قيل: إذا أكلت**)... الخ. قائله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**كرشها**) في مختار الصحاح: الكَرِش وزن الكَبِد، والكِرْش بوزن الكِبْد محل مجترّ بمنزلة المعدة للإنسان تؤنّثها العرب. اهـ. وفي المصباح: الكرش لذي الخفّ والظِّلف كالمعدة للإنسان. اهـ. وأيضًا فيه خف البعير جمعه أخفاف، مثل قفلٍ وأقفال. اهـ. وأيضًا فيه الظِّلف من الشاء والبقر ونحوه كالظفر من الإنسان، والجمع أظلاف مثل حِمْل وأحمال. اهـ. **قوله**: (**ينحدر**) في مختار الصحاح: الانحدار الانهباط. **قوله**: (**شقيق**) هو أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من مشائخ خراسان له لسان

---

(١) أي روث.

عن الإخلاص فقال: (تميز العمل عن العُيوب) كتمييز اللبن من بين فرث ودم ﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ سهل المرور في الحلق، ويقال: لم يَغُص أحد باللبن قطّ و«مِن» الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونها، والثانية لابتداء الغاية.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

ويتعلق ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ﴾ بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرهما وحذف لدلالة ﴿نُّسْقِيكُم﴾ قبله عليه، وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ بيان وكشف عن كُنْه الإسقاء، (أو ﴿تَتَّخِذُونَ﴾) ومنه من تكرير الظرف للتوكيد، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ يرجع إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، والسكر الخمر سُمِّيت بالمصدر من (سَكِر سَكَرًا وسُكرًا) نحو رَشِدَ رَشَدًا ورَشَدًا. ثم فيه وجهان: أحدهما أن الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة، وثانيهما أن يجمع بين (العتاب والمِنَّة). وقيل: السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد، وهو حلال عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله إلى حدّ السُّكْر، ويحتجّان بهذه الآية وبقوله عليه السلام: «الخمر حرام لعينها والسُّكْر من كل شراب». وبأخبار (جَمّة) ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ هو الخلّ و(الرُّب) والتمر والزبيب وغير ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

في التوكّل، وكان أستاذ حاتم الأصمّ مات شهيدًا في غزوة كولان سنة أربعة وتسعين، وقيل: ثلاث وخمسين ومائة. **قوله**: (تميز العمل عن العُيوب) كذا في نسخة: والصحيح من العيوب مكان عن العمر، كما في النسخ الصحيحة.

قوله: (أو ﴿تَتَّخِذُونَ﴾) عطف على محذوف في قوله يتعلق بمحذوف، وفي نسخة: أو بتتخذون أي أو يتعلق بتتخذون. **قوله**: (سَكِر سَكَراً) بفتحتين (وسُكرًا) بالضمّ. **قوله**: (العتاب) بالنسبة إلى الخمر (والمِنّة) بالنسبة إلى الرزق الحسن، ولا يبعد أن العتاب بالنسبة إلى شربها والمنّة بالنسبة إلى جعلها خَلّاً، ولما كان العتاب والتهديد أهمّ قدَّمه. **قوله**: (والسكر من كل شراب) حرام. **قوله**: (جَمّة) أي كثيرة. **قوله**: (الرُّب) بالضم سُلافة خُثارة كل ثمرة بعد

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ وألهم ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ هي «أن» المفسّرة لأن الإيحاء فيه معنى القول. قال الزجَّاج: واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا، و«من» في ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾، ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي (تعسل فيها) للتبعيض لأنها لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش، والضمير في ﴿يَعْرِشُونَ﴾ للناس، (وبضم الراء: شامي وأبو بكر).

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي ابني البيوت ثم كُلي كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتِها ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فادخلي الطرق التي ألهَمَكِ وأفْهَمَكِ في عمل العسل، أو إذا أكلتِ الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سُبُل ربك لا تضلِّين فيها ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول وهي حال من السُّبُل لأن الله تعالى ذلَّلها وسهَّلها، أو من الضمير في ﴿فَٱسْلُكِى﴾ أي وأنتِ ذلل منقادة لما أُمِرْتِ به غير ممتنعة ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يريد العسل لأنه مما يُشرَب تُلقيه من فِيْها ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ (منه أبيض وأصفر وأحمر) من الشباب والكهول والشَّيَّب أو على ألوان أغذيتها ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ لأنه من جملة الأدوية النافعة، وقلَّ معجون من

اعتصارها. اهـ قاموس. وفي لسان العرب: الرُّبُّ الطِّلاء الخاثر، وقيل: هو دِبْس كل ثمرة وهو سلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ، والجمع الربوب والرِّباب. اهـ. وفي غياث اللغات: ربّ بالضم وتشديد آب انكور وانار وسيب وغيره كه بيز ندتا غليظ شود. اهـ.

قوله: (تعسل فيها) تفعيل من العسل، أي تصنع العسل فيها. **قوله:** (وبضم الراء شامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو بكر) شعبة، والباقون بكسرها.

قوله: (منه أبيض وأصفر وأحمر). . . الخ. فالأبيض لفتيّها وصغيرها، وهو أقوى وأنفع؛ فالأصفر لكهلها، والأحمر لمسنّها، وهذا معلوم بالاستقرار ولا يرام

المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل. وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك، وتنكيره لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة في الإثبات تخص، (وشكى رجل استطلاق بطن أخيه) فقال عليه السلام: (اِسقه عسلًا) فجاءه وقال: زاده شرًّا. فقال عليه السلام: («صدق الله وكذب بطن أخيك) اسقه عسلًا» فسقاه فصَحَّ. (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور، فعليكم بالشِّفاءين: القرآن والعسل»، ومن بدع الروافض) أن المراد بالنحل عليّ وقومه. وعن بعضهم أن رجلًا قال عند المهدي: إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم. فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك (المهدي)،

له دليل. اهـ قنوي. **قوله:** (وشكى رجل)... الخ. هذا الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (استطلاق بطن أخيه) أي مشيه وهو تواتر الإسهال. **قوله:** (اِسقه) بكسر الهمزة وجوّز فتحها أي أطعم أخاك (عسلًا) وظاهر الأمر بسقيه أنه كان صرفًا، ويحتمل أن يكون ممزوجًا.

قوله: (صدق الله) أي فيما قال: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ (وكذب بطن أخيك) أي أخطأ، كما تقول العرب: كذب سمعي إذا أخطأ، وأراد بخطئه عدم حصول الشفاء له بالعسل. **قوله:** (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور؛ فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل») رواه ابن ماجة والحاكم.

قوله: (ومن بِدع الروافض)... الخ. في كتاب حياة الحيوان الكبرى: وذهبت طائفة إلى أن هذه الآية: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ إنما يُراد بها أهل البيت من بني هاشم، وأنهم النحل وأن الشراب هو القرآن، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس أبي جعفر المنصور، فقال له رجل: جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بني هاشم، فأضحك الحاضرين وأبهت القائل، انتهى. **قوله:** (المهدي) هو أبو عبد الله محمد ابن المنصور وُلِد سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ستّ وعشرين.

وحدَّث به (**المنصور**) فاتخذوه (**أُضحوكة**) من أضاحيكهم. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في عجيب أمرها فيعلمون أن الله أودعها علمًا بذلك وفطنها (**كما أوْلىٰ**) أعطى العقول عقولهم.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بقبض أرواحكم من أبدانكم (﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾) إلى أخَسِّه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بحُكْم التحويل إلى الأرذل من الأكمل أو إلى الإفناء من الإحياء ﴿قَدِيرٌ﴾ على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ أي جعلكم مُتفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما زرق مماليككم وهو بشر مثلكم ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ في الرزق يعني المُلّاك ﴿بِرَادِّي﴾ بمُعطي ﴿رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فكان ينبغي أن تردّوا فضل ما رُزِقتموه عليهم حتى تتساووا في المَلْبَس والمَطْعَم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ جملة اسمية وقعت في موضع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء وتقديره: فما الذين فُضّلوا برادِّي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم في الرزق، وهو مَثَلٌ ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم: أنتم لا تُسَوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنْعَمْتُ به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم، فكيف رضيتم

قوله: (**المنصور**) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وُلد سنة خمس وتسعين وأدرك جدّه ولم يَرْوِ عنه. **قوله**: (**أُضحوكة**) في مختار الصحاح: الأُضْحوكة ما يُضْحك منه. اهـ. **قوله**: (**كما أوْلىٰ**) أي أعطى.

قوله: (﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾)... الخ. قال ابن عباس: ليس هذا في المسلمين؛ لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلّا كرامة عند الله وعقلًا ومعرفة. وقال عكرمة: مَنْ قرأ القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد

أن تجعلوا عبيدي لي شركاء؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (وبالتاء: أبو بكر)، فجعل ذلك من جملة جحود النعمة.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي من جنسكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ جمع حافِد وهو الذي (**يحفد**) أي يُسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت:

وإليك نسعى ونحفد

واختلف فيه فقيل: (**هم الأَختان على البنات. وقيل: أولاد الأولاد. أو المعنى وجعل لكم حَفَدَة أي خدمًا**) يحفدون في مصالحكم ويُعينوكم ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي بعضها لأن كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا (**أنموذج**) منها ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ هو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي

علم شيئًا. اهـ خازن. **قوله**: (**وبالتاء**) على الخطاب (**أبو بكر**) والباقون بالياء على الغيبة.

قوله: (**يحفد**) بابه ضرب. **قوله**: (**هم الأختان على البنات**) متعلّق بمحذوف، أي قوّامون على البنات احتراز عن سائر الأختان. اهـ قنوي. وفي مختار الصحاح: الخَتَن كل ما كان من قِبَل المرأة مثل الأب والأخ وهم الأختان، هكذا عند العرب. وأمّا العامة، فختن الرجل عندهم زوج ابنته. اهـ. قال ابن مسعود والنخعي: الحَفَدة أَختان الرجل على بناته، وعن ابن مسعود أيضًا: أنهم أصهاره، فهو بمعنى الأوّل؛ فعلى هذا القول معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوّجونهم فيجعل لكم بسببهم الأختان والأصهار.

قوله: (**وقيل: أولاد الأولاد**) قائله ابن عباس رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**أو المعنى: وجعل لكم حَفَدة أي خدمًا**)... الخ. قاله الحسن وعكرمة والضحاك. **قوله**: (**أنموذج**) في شرح القاموس المسمّى تاج العروس من جواهر القاموس: (النموذج) بفتح النون والذّال المعجمة والميم مضمومة وهو (مثال

الإسلام ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أو الباطل الشيطان والنعمة محمد ﷺ، أو الباطل ما يُسَوِّل لهم الشيطان من تحريم (البَحِيرة والسائبة) وغيرهما ونعمة الله ما أحلّ لهم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ أي الصنم وهو جماد لا يملك أن يرزق شيئًا، فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق، فإن أردت المصدر نصبت به ﴿شَيْـًٔا﴾ أي لا يملك أن يرزق شيئًا، وإن أردت المرزوق كان ﴿شَيْـًٔا﴾ بدلًا منه أي قليلًا، و﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ صلة للرزق إن كان مصدرًا أي لا يرزق من السمٰوات مطرًا ولا من الأرض نباتًا، وصفة إن كان اسمًا لِما يرزق، والضمير في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لما لأنه في معنى الآلهة بعد

الشيء) أي صورة تتّخذ على مثال صورة الشيء ليُعرف منه حاله (معرب) نموده، والعوام يقولون: نمونه، ولم تعربه العرب قديمًا ولكن عربه المحدثون. قال البحتري:

أو أبلق يلقى العيون إذا بدا   من كل شيء معجب بنموذج

والأُنموذج بضم الهمزة لحن كذا قاله الصاغاني في التكملة، وتبعه المصنّف. قال شيخنا نقلًا عن النواجي في تذكرته: هذه دعوى لا تقوم عليها حجّة، فما زالت العلماء قديمًا وحديثًا يستعملون هذا اللفظ من غير نكير حتى أن الزمخشري، وهو من أئمّة اللغة سمّى كتابه في النحو الأُنموذج، وكذلك الحسن بن رشيق القيرواني وهو إمام المغرب في اللغة سمّى به كتابه في صناعة الأدب، وكذلك الخفاجيّ في شفاء العليل نقل عبارة المصباح، وأنكر على من ادّعى فيه اللّحن، ومثله عبارة المغرب للناصر بن عبد السيد المطرزي شارح المقامات، انتهى بحروفه. **قوله**: (**البحيرة**) فعيلة بمعنى مفعولة واشتقاقها من البحر وهو الشقّ، واختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر، فيشقّ أذنها فيترك فلا تركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء، وقيل غير ذلك. **قوله**: (**والسائبة**) كان يقول الرجل: إذا قَدِمْتُ من سفري أو بَرِئْت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها.

ما قال لا يملك على اللفظ، والمعنى لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتّى ذلك منهم ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فلا تجعلوا لله مثلًا فإنه لا مثل له أي فلا تجعلوا له شركاء ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أنه لا مثل له من الخلق ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك أو إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه الأول.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾

ثم ضرب المثل فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾ هو بدل من ﴿مَثَلًا﴾ ﴿مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ مصدران في موضع الحال أي مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل مَن سَوَّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حُرّ مالِك قد رزقه الله مالًا فهو يتصرَّف فيه وينفق منه ما شاء. وقيّد بالمملوك ليميِّزه من الحرّ لأن اسم العبد يقع عليهما جميعًا إذ هما من عباد الله، وبـ ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ ليمتاز من المُكاتَب والمأذون فهما يقدران على التصرف. و«من» موصوفة أي وحرًّا رزقناه ليُطابق عبدًا، أو موصولة ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ جمع الضمير لإرادة الجمع أي لا يستوي القبيلان ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأن الحمد والعبادة لله ثم زاد في البيان فقال:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦)﴾

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الأبكم الذي وُلِد أخرس **(فلا يَفهم ولا يُفهِم)** ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ أي **(ثقل وعيال)** على **(من يلي أمره)** و**(يعوله)** ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ حيثما يرسله ويصرفه في

قوله: (فلا يَفْهم) لعدم السمع (ولا يُفهِم) غيره من التفهيم لعدم نطقه، والإشارة لا يعتدّ بها لعدم تفهيمها حقّ التفهيم لكل أحد. **قوله**: (ثقل) بكسر فسكون بمعنى ثقيل. **قوله**: (وعيال) عِيال جمع عَيّل كجياد وجَيِّد ويكون اسمًا للواحد وعليه استعمال المصنّف رحمه الله تعالى. **قوله**: (من يلي أمره) تفسير لمولاه، وله معان أُخر. **قوله**: (يعوله) في مختار الصحاح: عال عياله قاتهم

مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأتِ (بنجح) ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي ومَن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ على سيرة صالحة ودين قويم، وهذا مثل ثانٍ ضربه لنفسه ولِما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته، وللأصنام التي هي أموات لا تضرّ ولا تنفع.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي يختصّ به علم ما غاب فيهما عن العباد وخَفِي عليهم علمه، أو أراد بغيب السمٰوات والأرض يوم القيامة على أن علمه عن أهل السمٰوات والأرض لم يطَّلع عليه أحد منهم ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ في قُرْب كونها وسرعة قيامها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ كرجع طرف، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه ﴿أَوْ هُوَ﴾ أي الأمر ﴿أَقْرَبُ﴾ وليس هذا لشك المُخاطَب ولكن المعنى، كونوا في كونها على هذا الاعتبار. وقيل: بل هو أقرب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على أن يُقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

ثم دلَّ على قدرته بما بعده فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ (وبكسر الألف وفتح الميم: عليّ اتباعًا لكسرة النون، وبكسرهما: حمزة، والهاء

وأنفق عليهم وبابه قال وعِيالةً أيضًا، يقال: عاله شهرًا إذا كفاه معاشه.اهـ. وفي المصباح: عال الرجل اليتيم عولًا من باب قال كفله وقام به.اهـ. **قوله**: (بنجح) بضم النون وسكون الجيم والحاء المهملة هو الظفر والفوز.

قوله: (وبكسر الألف وفتح الميم عليّ) الكسائي (إتباعًا لكسرة النون، وبكسرهما حمزة) والباقون بضم الألف وفتح الميم. **قوله**: (والهاء

مَزيدة في **أُمهات للتوكيد)** كما زِيدَت في «أراق» فقيل: «أهراق» **(وشذَّت زيادتها في الواحدة)** ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ حال أي غير عالِمين شيئًا من حق المُنعِم الذي خلقكم في البطون ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي وما ركَّب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتُّم عليه، واجتلاب العلم والعمل به من شُكْر المُنعِم وعبادته والقيام بحقوقه. والأفئدة في فؤاد كالأغربة في غراب وهو من جموع القلّة التي جَرَت مجرى جموع الكثرة لعدم السَّماع في غيرها.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ **(وبالتاء: شامي وحمزة)** ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ مذلَّلات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب **(المؤاتية)** لذلك (﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾) هو الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في قبضهن وبسطهن ووقوفهن ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بقدرته، وفيه نفي لِما يصوِّره الوهم من خاصيَّة القوى الطبيعية

مزيدة في **أُمهات للتوكيد)**؛ إذ أصلها الأُمّات. **قوله: (أراق)** من أراق يُريق. **قوله: (وشذّت زيادتها في الواحدة)** في المصباح: الأمّ الوالدة، وقيل: أصلها أمّهة، ولهذا تجمع على أمّهات. وأُجيب بزيادة الهاء وأن الأصل أمّات. قال ابن جنّي: دعوى الزيادة أسهل من دعوى الحذف، وكَثُر في الناس أُمّهات وفي غير الناس أُمّات للفرق، والوجه ما أورده في البارع أنّ فيها أربع لغات: أُمّ بضم الهمزة وكسرها، وأُمّة وأُمّهة؛ فالأُمّهات والأُمّات لغتان ليست إحداهما أصلًا للأخرى، ولا حاجة إلى دعوى حذف ولا زيادة. اهـ.

قوله: (وبالتاء) على أنه خطاب (شامي) أي ابن عامر (وحمزة) والباقون بالياء على الغيبة. **قوله**: (المؤاتية) أي الموافقة، يقال: آتية على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته وطاوعته، والعامّة تقول: واتية. **قوله**: (﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾) قال كعب الأحبار: إن الطير ترتفع في الجوّ اثنى عشر ميلًا ولا ترتفع فوق ذلك. اهـ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ بأن الخلْق لا غِنَى به عن الخالِق ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ هو فعل بمعنى مفعول أي ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو (إلْف) ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ هي (قِباب الأدم) ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ ترونها خفيفة المَحمَل في الضرب والنقض والنقل ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾ بسكون العين: (كوفي وشامي)، وبفتح العين: (غيرهم). والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ قراركم في منازلكم، والمعنى أنها خفيفة عليكم في أوقات السفر والحَضَر على أن اليوم بمعنى الوقت ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ أي أصوافِ الضأن ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ وأوبار الإبل ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ وأشعار المَعِز ﴿أَثَٰثٗا﴾ متاع البيت ﴿وَمَتَٰعًا﴾ وشيئًا ينتفع به ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ مدة من الزمان.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا﴾ كالأشجار والسقوف ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ جمع (كن) وهو ما سترك من (كهف أو غار) ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾ هي (القمصان) والثياب من الصوف و(الكتان) والقطن ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾

قوله: (إلْف) في لسان العرب: الإلف الذي يألفه. **قوله**: (قِباب) جمع قبّة وهي دون الخيمة. **قوله**: (الأدم) بفتحتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ أو اسم جمع له. **قوله**: (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي. **قوله**: (وشامي) ابن عامر. **قوله**: (غيرهم) أي نافع وابن كثير وأبو عمرو.

قوله: (كنّ) بالكسر. **قوله**: (كهف) في مختار الصحاح: الكهف كالبيت المنقور في الجبل. اهـ. **قوله**: (أو غار) في المصباح: الغار ما يُنحت في الجبل شبه المغارة، فإذا اتّسع قيل: كهف والجمع غيران مثل نار ونيران. اهـ. وفي مختار الصحاح: الغار والمُغار والمغارة كالكهف في الجبل، وجمع الغار غِيران وتصغيره غويرة. اهـ. وفي نسخة صحيحة: وغار بالواو. **قوله**: (القمصان) في مختار الصحاح: القميص الذي يلبس والجمع القُمْصان. اهـ. **قوله**: (الكتّان) بفتح الكاف معروف.

وهي تَقِي البرد أيضًا إلا أنه اكتفى بأحد الضِّدَّين، ولأن الوقاية من الحَرّ أهم عندهم لكون البرد يسيرًا مُحتَمَلًا ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ ودروعًا من الحديد تَرُدُّ عنكم سلاح عدوّكم في قتالكم، والبأس: شدة الحرب والسِّربال عامٌّ يقع على ما كان من حديد أو غيره ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ أي تنظرون في نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أعرضوا عن الإسلام.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي فلا (تبِعَة) عليك في ذلك لأن الذي عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ التي عددناها بأقوالهم فإنهم يقولون إنها من الله ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بأفعالهم حيث عبدوا غير المُنعِم أو في الشدَّة ثم في الرَّخاء ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أي الجاحدون غير المُعترِفين، أو نعمة الله نبوَّة محمد ﷺ كانوا يعرفونها ثم يُنكِرونها عنادًا وأكثرهم الجاحدون المُنكِرون بقلوبهم، و«ثُمَّ» يدل على أن إنكارهم أمر مُستبعَد بعد حصول المعرفة لأن حقَّ مَن عرف النِّعمَة أن يعترف لا أن يُنكِر.

﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَيَوۡمَ﴾ انتصابه بـ «اذكر» ﴿نَبۡعَثُ﴾ نحشر ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ نبيًّا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتذار، والمعنى لا حجة لهم فدلَّ بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عُذر ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ ولا هم يُسترضَوْن أي لا يقال لهم ارضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل. ومعنى «ثم» أنهم (يمنون أي يبتلون) بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو (أطم) وأغلب منها، وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يُؤذَن لهم في إلقاء

قوله: (تبعة) وزان كلمة.

قوله: (يمنون أي يبتلون) قال الجوهري: منوته ومنيته إذا ابتلَيْته. **قوله:** (أطمّ) أي أغلب.

معذرة (ولا إدلاء بحجّة) ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ أي العذاب بعد الدخول ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُمهَلون قبله.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ﴾ أوثانهم التي عبدوها ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا﴾ أي آلهتنا التي جعلناها شركاء ﴿ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾ أي نعبد ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي أجابوهم بالتكذيب لأنها كانت جمادًا لا تعرف من عبدها، ويحتمل أنهم كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهًا لله عن الشِّرك ﴿وَأَلْقَوْاْ﴾ يعني الذين ظلموا ﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ إلقاء السلم الاستسلام لأمر الله وحُكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ وبَطُل عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذّبوهم وتبرؤوا منهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في أنفسهم ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وحملوا غيرهم على الكفر ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي عذابًا بكفرهم وعذابًا بصدّهم عن سبيل الله ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ بكونهم مُفسِدين الناس بالصَّدّ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني نبيّهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ على أمتك. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ (تِبْيَٰنًا﴾ بليغا) ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أمور الدين. أما في

قوله: (ولا إدلاء بحجّة) في مختار الصحاح: أدْلى بحجّة، أي احتجّ بها. اهـ.

قوله: (تبيانا بليغا) إشارة إلى أن التبيان اسم في معنى البيان كالتّلقاء في معنى اللّقاء كما نقل عن الزجاج، إلّا أنه روى ثعلب عن الكوفيّين والمبرد عن

الأحكام المنصوصة فظاهر، وكذا فيما ثبت بالسُّنَّة أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس، لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتّباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: الآية ٩٢] وحثّنا على الإجماع فيه بقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: الآية ١١٥] وقد رضي رسول الله ﷺ لأُمّته باتّباع أصحابه بقوله: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم». وقد اجتهدوا وقاسوا ووطّئوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: الآية ٢] فكانت السُّنَّة والإجماع وقول الصحابي والقياس مستندة إلى تِبيان الكتاب فتبيَّن أنه كان تِبيانًا لكل شيء ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ إلى مَن أساء إليكم أو هما الفرض والندب لأن الفرض لا بدَّ من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وإعطاء ذي القرابة وهو صلة الرَّحم ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ عن الذنوب المُفرِطة في القبح ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ ما تنكره العقول ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ طلب التطاول بالظلم والكبر ﴿يَعِظُكُمْ﴾ حال أو مُستأنَف ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون بمواعظ الله. وهذه الآية سبب إسلام (عثمان بن مظعون) فإنه قال: ما كنت أسلمت إلا حياء منه عليه السلام لكثرة ما كان يعرض عليَّ الإسلام، ولم يستقر الإيمان في قلبي حتى نزلت هذه الآية وأنا

البصريّين أنهم قالوا: لم يأتِ من المصادر على تفعال إلّا حرفان تبيان وتِلْقاء، فعلى هذا يجب أن تكون المصادر التي تكون على تفعال كلّها مفتوحة التاء؛ كالتستار والتذكار والتكرار والتلعاب، وأن يكون ما هو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء أسماء نحو التمساح والتمثال، وقوله: بليغًا إشارة إلى أن صيغة تفعال سواء كانت مفتوحة التاء أو مكسورتها إذا كانت مصدرًا أو اسمًا بمعنى المصدر تكون من أبنية المبالغة وتكرير الفعل؛ فالتكرار والتذكار والتلعاب بمعنى كثرة الكرّ والذِّكر واللّعب. **قوله: (عثمان بن مظعون)** بن حبيب بن وهب بن حذافة يكنى أبا

عنده فاستقر الإيمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال: والله إن له

السائب، أسلم أوّل الإسلام. قال ابن إسحٰق: أسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلًا وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأُولى مع جماعة من المسلمين فبلغهم وهم بالحبشة أن قريشًا قد أسلمت فعادوا. وعن ابن إسحٰق قال: فلمّا بلغ مَنْ بالحبشة سجود أهل مكّة مع رسول الله ﷺ أقبلوا، ومَنْ شاء الله منهم وهم يرون أنهم قد تابعوا النبيّ ﷺ، فلمّا دنوا من مكّة بلغهم الأمر فثَقُل عليهم أن يرجعوا وتخوّفوا أن يدخلوا مكّة بغير جوار، فمكثوا حتى دخل كل رجل منهم بجوار من بعض أهل مكّة، وقدم عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة. قال ابن إسحٰق: فحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف عن أبيه عمّن حدّثه قال: لما رأى عثمان ما يَلْقى رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة، قال عثمان: والله إنّ غدوّي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشِّرك وأصحابي وأهل بيتي يلقون البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص شديد في نفسي، فمضى إلى الوليد بن المغيرة فقال: يا أبا عبد شمس وفت ذمّتك قد كنت في جوارك وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ، فلي به وبأصحابه أُسوة؛ فقال الوليد: فلعلّك يا ابن أخي أُوذيت أو انْتُهكت؟ قال: لا، ولكن أرضى بجوار الله ولا أُريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلِقْ إلى المسجد فارْدُد عليّ جواري علانيةً كما أجرتك علانية، فقال: انطلق فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليردّ عليَّ جواري، فقال عثمان: صدق وقد وجدته وفيًا كريم الجوار، وقد أحببت أن لا أستجير بغير الله عزّ وجلّ، وقد رددتُّ عليه جواره. ثم انصرف عثمان بن مظعون ولبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسي في مجلس قريش، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان: صدقت. قال لبيد:

وكل نعيم لا محالة زائل

لحلاوة، وإن عليه (**لطلاوة**)، وإن أعلاه لمُثمِر، وإن أسفله (**لمُغدِق**)، وما هو بقول البشر. وقال (**أبو جهل**): إن إلـٰهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهي أجمع آية في القرآن للخير والشَّرّ، ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عِظَة جامعة لكل مأمور ومنهي.

فقال عثمان: كذِبْت، فالتفت القوم إليه، فقالوا للبيد: أعِدْ علينا، فأعاد لبيد وأعاد له عثمان بتكذيبه مرّة وبتصديقه مرّة، وإنما يعني عثمان إذا قال: كذبت يعني نعيم الجنّة لا يزول، فقال لبيد: والله يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا، فقام سفيه منهم إلى عثمان بن مظعون فلطم عينه فاخضرّت، فقال له مَنْ حوله: والله يا عثمان لقد كنت في ذمّة منيعة، وكانت عينك غنيّة عما لَقِيَت، فقال عثمان: جوار الله آمَن وأعزّ، وعيني الصحيحة فقيرة إلى ما لَقِيَت أختها ولي برسول الله ﷺ وبمَنْ آمَنَ معه أُسوة. فقال الوليد: هل لك في جواري؟ فقال عثمان: لا إرب لي في جوار أحد إلّا في جوار الله. ثم هاجر عثمان إلى المدينة وشهد بدرًا وكان من أشدّ الناس اجتهادًا في العبادة يصوم النهار ويقوم اللّيل، ويجتنب الشهوات ويعتزل النساء، واستأذن رسول الله ﷺ في التبتّل والاختصاء، فنهاه عن ذلك، وهو ممّن حرّم الخمر على نفسه وقال: لا أشرب شرابًا يُذهب عقلي ويضحك بي مَنْ هو أدنى مني، وهو أوّل رجل مات بالمدينة مِنَ المهاجرين مات سنة اثنتين من الهجرة، قيل: توفي بعد اثنين وعشرين شهرًا بعد شهوده بدرًا، وهو أوّل مَنْ دُفِن بالبقيع. وعن عائشة أنّ النبيّ ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميّت وهو يبكي وعيناه تهراقان، ولما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «اِلْحَق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون»، ورُوِي أنّ النبيّ ﷺ قال ذاك لابنته زينب عليها السلام، وأعلم النبيّ ﷺ على قبره بحجر، وكان يزوره. اهـ أسد الغابة باختصار.

قوله: (**لطلاوة**) في مختار الصحاح: الطلاوة بضم الطاء وفتحها الحسن يقال ما عليه طلاوة. اهـ. وعبارة الصحاح: الطلاوة والطلاوة الحسن والقبول، يقال: ما عليه طلاوة. اهـ. وفي المصباح: وعليه طلاوة ـ بالضم والفتح لغة ـ أي بهجة، انتهى. **قوله**: (**لمُغْدق**) أي مبتلّ ريَّان. **قوله**: (**أبو جهل**) عمرو بن هشام بن المغيرة، يكنى أبا الحكم فكناه النبيّ ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية، قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]، ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾ أيمان البيعة ﴿بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ بعد توثيقها باسم الله. و«أكد» و«وكد» لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ شاهدًا ورقيبًا لأن الكفيل مُراعٍ لحال المكفول به (**مهيمن**) عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ من البر والحنث فيجازيكم به.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٩٢ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾

﴿وَلَا تَكُونُواْ﴾ في نقض الأيمان ﴿كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ كالمرأة التي (**أنحت**) على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته ﴿أَنكَٰثٗا﴾ (**جمع نكث**) وهو ما (**ينكث**) فتله. قيل: هي (**ريطة**) وكانت (**حمقاء**) تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهنّ فينقضن ما غزلن ﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ حال كـ ﴿أَنكَٰثٗا﴾ ﴿دَخَلَۢا﴾ أحد مفعولي ﴿تَتَّخِذُ﴾ أي ولا تنقضوا أيمانكم متَّخِذِيها دَخَلًا ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ أي مفسدة وخيانة ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش ﴿هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ﴾ هي أزيَد عددًا وأوفر مالًا من أمة من جماعة المؤمنين. ﴿هِيَ أَرۡبَىٰ﴾ مبتدأ وخبر، في موضع الرفع صفة لـ ﴿أُمَّةٌ﴾ و﴿أُمَّةٌ﴾ فاعل

قوله: (**مُهيمن**) أي رقيب.

قوله: (**أنحت**) أي أقبلت. **قوله**: (**جمع نكث**) بكسر النون وسكون الكاف بمعنى منكوث، أي منقوص. **قوله**: (**ينكث**) أي يحلّ. **قوله**: (**ريطة**) بفتح الراء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الطاء المهملة وهو علم لامرأة معروفة. **قوله**: (**حمقاء**) أي قليلة العقل.

﴿تَكُونَ﴾ وهي تامة و﴿هِيَ﴾ ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِۦ﴾ الضمير للمصدر أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكّدتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ، أم تغترّون بكثرة قريش (وثروتهم) وقلّة المؤمنين وفقرهم ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب، وفيه تحذير عن مخالفة مِلّة الإسلام ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حنيفة مسلمة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ مَن علِمَ منه اختيار الضلالة ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ مَن عَلِمَ منه اختيار الهداية ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يوم القيامة فتُجزَوْنَ به.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدًا عليهم وإظهارًا لعظمه ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ فتزلّ أقدامكم عن (مَحجَة الإسلام) بعد ثبوتها عليها. وإنما وحّدَت القدم ونكرت لاستعظام أن تَزلّ قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ﴾ بصدودكم ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وخروجكم عن الدين، أو بصدّكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدّوا لاتخذوا نقضها سُنّة لغيرهم يستنّون بها ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ ولا تستبدلوا ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وبيعة رسول الله ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عَرَضًا من الدنيا يسيرًا كأن قومًا ممّن أسلم بمكة زيّن لهم الشيطان لجزَعهم مما رأوا من غَلَبَة قريش واستضعافهم المسلمين، ولِما كانوا يَعِدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ فثبّتهم الله ﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ﴾ من ثواب الآخرة ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (وثروتهم) في المصباح: الثروة كثرة المال. اهـ.

قوله: (محجة الإسلام) بفتح الميم والحاء والجيم المشدّدة، أي طريقه.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من أعراض الدنيا ﴿يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من خزائن رحمته ﴿بَاقٍ﴾ لا ينفد ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ (وبالنون: مكي وعاصم) ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟﴾ على أذى المشركين ومَشاقّ الإسلام ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ «من» مبهم يتناول النوعين إلا أن ظاهره للذكور فبيَّن بقوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ ليعمّ الموعد النوعين ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ شرط الإيمان لأن أعمال الكُفَّار غير مُعْتَدٍّ بها وهو يدل على أن العمل ليس من الإيمان ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ أي في الدنيا لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٨] وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح مُوسِرًا كان أو مُعسِرًا يعيش عيشًا طيبًا إن كان مُوسِرًا فظاهر، وإن كان مُعسِرًا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرِّضا بقسمة الله تعالى. وأما الفاجر فأمر بالعكس؛ إن كان مُعسِرًا فظاهر، وإن كان مُوسِرًا فالحرص (لا يدعه أن يتهنأ) بعيشه. وقيل: الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة الطاعة أو المعرفة بالله، وصدق المقام مع الله، وصدق الوقوف على أمر الله، والإعراض عمَّا سوى الله.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فإذا أردت قراءة القرآن ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فعبَّر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل لأنها سبب له، والفاء للتعقيب إذ القراءة المُصدَّرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني إبليس ﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ المطرود أو

قوله: (وبالنون) قبل الجيم (مكِّي) أي ابن كثير المكِّي (وعاصم) أي: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾ نحن، والباقون بالياء: «وليجزينّ» الله. **قوله**: (لا يدعه) أي لا يتركه. **قوله**: (أن يتهنّأ) بالهمزة في آخره، وقد تُبدل ألفًا.

الملعون. (قال ابن مسعود رضي الله عنه: قرأت) على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي: «قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام».

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ﴾ لإبليس ﴿سُلْطَـٰنٌ﴾ (تسلّط وولاية) ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فالمؤمن من المتوكل لا يقبل منه وساوسه ﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ يتخذونه وليًا ويتبعون وساوسه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ (الضمير يعود إلى ربهم أو إلى الشيطان) أي بسببه ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ تبديل الآية مكان الآية هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ﴾ (وبالتخفيف: مكي وأبو عمرو) ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ هو جواب ﴿إِذَا﴾. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ اعتراض، كانوا يقولون إن محمدًا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدًا فيأتيهم بما هو أهون، ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشقّ بالأهون والأهون بالأشق ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحكمة في ذلك.

قوله: (قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: قرأت)... الخ. رواه الثعلبي والواحدي ولم يتعقّبه العراقي في تخريجه.

قوله: (تسلّط وولاية) إشارة إلى أن السلطان هنا مصدر بمعنى التسلّط وهو الاستيلاء والتمكّن من القهر، فعطف الولاية عليه للتفسير.

قوله: (الضمير يعود إلى ربّهم) والباء للتعدية (أو إلى الشيطان) والباء للسببية. **قوله**: (وبالتخفيف) من الإنزال (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وأبو عمرو) والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ أي جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطُّهْر **(كما يقال: «حاتم الجود»)**، والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من المآثم ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ من عنده وأمره ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ حال أي نزله مُلتَبِسًا بالحكمة ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه هو الحق من ربنا، والحكمة لأنه حكيم لا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، حكم لهم بثبات القدم وصحّة اليقين وطمأنينة القلوب ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ مفعول لهما معطوفان على محل ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ والتقدير تثبيتًا لهم وإرشادًا وبشارة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخِصال لغيرهم.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ أرادوا به غلامًا كان **(لحويطب)** قد أسلم وحَسُن إسلامه، **(اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتب)**، أو هو (جبر) غلام رومي **(لعامر بن الحضرمي)**، أو عبدان: جبر، ويسار، كانا يقرآن

قوله: (كما يقال: حاتم الجود) بمعنى حاتم جواد أو صاحب جود، وكذا روح القدس بمعنى روح مقدّس أو صاحب قدس أُضيف الموصوف إلى صفته للإشعار باختصاصه بها وأنه ليس له شأن سوى الاتّصاف بها.

قوله: (لحُويطب) بن عبد العزّى القريشي أسلم يوم الفتح وشهد حُنينًا والطائف مسلمًا مات بالمدينة آخر خلافة معاوية، وقيل: بل مات سنة أربع وخمسين وهو ابن مائة وعشرين سنة، حديثه في الموطأ في صلاة القاعد، وحُويطب بالحاء المهملة والطاء المهملة أيضًا تصغير حاطب وهو جامع الحطب. **قوله: (اسمه عائش)** بدون التاء مذكّر عائشة **(أو يعيش)** بوزن يبيع. **قوله: (وكان صاحب كتب)** أي كان له دراسة وعلم بالكتب القديمة كالإنجيل. **قوله: (جبر)** بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة والراء المهملة. **قوله: (لعامر بن الحضرمي)**

التوراة والإنجيل، فكان رسول الله ﷺ يسمع ما يقرآن، أو (**سلمان الفارسي**) ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ (**وبفتح الياء والحاء: حمزة وعلي**) ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (**أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بَيِّن، وهذا القرآن**) لسان عربي مُبين (**ذو بيان وفصاحة**) ردًّا لقولهم وإبطالًا لطعنهم، وهذه الجملة أعني ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ لا محل لها لأنها مُستأنفة جواب لقولهم. واللسان اللغة. ويقال: اللَّحد القبر، ولحده

بالضاد المعجمة نسبة إلى حضرموت بحذف الجزء الثاني واسمه على ما ذكره السهيلي في الأعلام عبد الله بن عباد، وله من الأولاد العلاء وعمر وعامر، أسلم العلاء وصحب النبيّ ﷺ.

قوله: (**سلمان الفارسي**) أبو عبد الله ويُعرف بسلمان الخير مولى رسول الله ﷺ، وسُئِل عن نسبه فقال: أنا سلمان ابن الإسلام أصله من فارس من رامَ هُرْمُزْ، وقيل: إنه من جيّ، وهي مدينة أصفهان أوّل مشاهده الخندق. توفي سنة خمس وثلاثين في آخر خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وقيل: أوّل سنة ستّ وثلاثين، وقيل: توفي في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، والأوّل أكثر. قال العباس بن زيد: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأمّا مائتان وخمسون فلا يشكّون فيه. قال أبو نعيم: كان سلمان من المعمّرين يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم وقرأ الكتابين وكان له ثلاث بنات بنت بأصبهان، وزعم جماعة أنهم من ولدها وابنتان بمصر.

قوله: (**وبفتح الياء والحاء حمزة وعليّ**) والباقون بالضمّ والكسر، أي بضم التحتية وكسر الحاء. **قوله**: (**أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه**) أي ينسبون إليه التعليم، وفيه إشارة إلى أن مفعوله محذوف، وقوله: يميلون عن الاستقامة معنى يلحدون. **قوله**: (**لسان أعجمي**) بمعنى أنه صفة موصوف مقدّر. **قوله**: (**غير بين**) تفسير لـ ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ لمقابلته بقول ﴿مُّبِينٌ﴾. **قوله**: (**وهذا القرآن**) الحاضر المعلوم لكل مسلم، وقد سبق ذكره في ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ﴾. **قوله**: (**ذو بيان**) أي المبيّن من أبان اللازم وهو بيان حاصل المعنى لا إشارة إلى أنه من صِيَغ النسب. **قوله**: (**وفصاحة**) عطف تفسير له.

وهو ملحد وملحود إذا أمالَ حفره عن الاستقامة فحفر في شقٍّ منه، ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا: (لحد) فلان في قوله، وألحَدَ في دينه ومنه المُلحِد لأنه أمالَ مذهبه عن الأديان كلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي القرآن ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ ما داموا مُختارين الكفر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة على كفرهم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ على الله ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي إنما يليق افتراء الكذب بمَن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابًا عليه وهو ردٌّ لقولهم ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي وأولئك ﴿هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب، أو وأولئك هم الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ جوَّزوا أن يكون ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ﴾ شرطًا مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب من شرح دالٌّ عليه كأنه قيل: مَن كفر بالله فعليهم غضب ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ ساكن به. ﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي طاب به نفسًا واعتقده ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وأن يكون بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ على أن يجعل ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ اعتراضًا بين البدل والمبدل منه. والمعنى: إنما يفتري الكذب مَن كفر بالله من بعد إيمانه، واستثنى منهم المُكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء، ثم قال: ﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وأن يكون بدلًا من المبتدأ الذي هو ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ أي ومَن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون، أو من الخبر الذي هو ﴿ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ أي وأولئك هم مَن كفر بالله من بعد إيمانه، (وأن ينتصب على الذم.

قوله: (لحد) من باب قطع.

قوله: (وأن ينتصب على الذمّ) بتقدير أعني أو أذمّ.

رُوِيَ) أن ناسًا من أهل مكة فُتِنوا فارتدّوا، وكان فيهم مَن أُكرِه فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو مُعتقدٌ للإيمان منهم (**عمّار بن**)، وأما أبواه (**ياسر**) و(**سُمَيّة**) فقد قُتِلا وهما أول قتيلين في الإسلام فقيل لرسول الله ﷺ: إن عمَّارًا كفر فقال: «كلا إن عمَّارًا مُلِيء إيمانًا (**من قرنه**) إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى **عمّار** رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال: («**ما لَكَ**) إن عادوا لك فعِدْ لهم بما قلت»، وما فعل أبو عمّار أفضل لأن في الصبر على القتل إعزازًا للإسلام.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟﴾ (**آثروها**) ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي بسبب إيثارهم الدنيا على

قوله: (رُوِيَ)... الخ. خرَّج هذا الحديث ابن حجر رحمه الله على اختلاف في طرقه وألفاظه.

قوله: (**عمّار بن ياسر**) بن عامر بن مالك وهو وأبوه، وأُمّه سُمَيّة من السابقين الأوّلين إلى الإسلام، وكان إسلام عمّار بعد بضعة وثلاثين. شهد بدرًا وأُحدًا وغيرهما. **قوله**: (سُمَيّة) بضم السين وفتح الميم وتشديد التحتية أُمّ عمار مولاة أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، كانت سابع سبعة في الإسلام وأوّل الشهداء طعنها أبو جهل رضي الله عنها. **قوله**: (من **قرنه**) في لسان العرب: قَرْن الرجل حدّ رأسه وجانبها. اهـ. **قوله**: (**ما لك**) أي ما **لك** تبكي وتجزع من ذلك، أي لأي شيء تبكي، فلا تبك على ما قلت حتى إن عادوا لك بإكراه تكلّم كلمة الكفر فعد إلى طمأنينة القلب وثباته بما قلت، أي بسبب **ما** قلته من كلمة الكفر.

قوله: (**آثروها**) بالمدّ أي اختاروها، وقدّموها وفسّره به إشارة إلى تعدّي الاستحباب بعلى لتضمّنه معنى الإيثار.

الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ما داموا مُختارين للكفر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ فلا يتدبّرون (**ولا يصغون إلى المواعظ**) ولا يُبصِرون طريق الرشاد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ أي الكاملون في الغفلة لأن الغفلة عن تدبّر العواقب هي غاية الغفلة ومُنتهاها ﴿(لَا جَرَمَ) أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ «يدل» على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة أي أنه لهم لا عليهم يعني أنه وليُّهم وناصِرهم لا عدوّهم وخاذِلهم كما يكون المُلك للرجل لا عليه فيكون مَحميًا منفوعًا غير مضرور ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ بالعذاب والإكراه على الكفر (﴿فَتَنُواْ﴾): شامي أي بعد ما عذّبوا المؤمنين ثم أسلموا ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ المشركين بعد الهجرة ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الجهاد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد هذه الأفعال (**وهي الهجرة والجهاد والصبر**) ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم لما كان منهم من التكلّم بكلمة الكفر تقية ﴿رَّحِيمٌ﴾ لا يعذّبهم على ما قالوا في حالة الإكراه.

قوله: (**ولا يصغون إلى المواعظ**) في مختار الصحاح: صغا أي مال، وبابه عدا وسما، ورَمى وصدى وصُغِيًا أيضًا. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: الآية ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأنعام: الآية ١١٣]، وأصغى إليه مال بسمعه نحوه، وأصغى الإناء أماله. اهـ. **قوله**: (﴿لَا جَرَمَ﴾) أي لا شكّ.

قوله: (﴿فَتَنُواْ﴾) بفتح الفاء والتاء مبنيًا للفاعل (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، وعليها فيحتمل أن الفعل لازم فيكون فتنوا بمعنى افتتنوا، أي كفروا، ويحتمل أنه متعدٍّ أي فتنوا الناس عن الإيمان. وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر التاء مبنيًا للمفعول. **قوله**: (**وهي الهجرة والجهاد والصبر**) ولو زاد الفتن كان أظهر، وتركه لدخوله في الصبر.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ (منصوب برحيم) أو بـ «اذكر» ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ وإنما أُضيفت النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي، فالنفس الأولى هي الجملة، والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته (لا يهمه) شأن غيره كلٌّ يقول: (نفسي نفسي). ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: الآية ٣٨]، ﴿(رَبَّنَآ) إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] (الآية)، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٣]، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ تُعطى (جزاء عملها) وافيًا، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في ذلك.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي جعل القرية التي هذه حالها مثلًا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولَّوا فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن يُراد (قرية مقدّرة على هذه الصفة)، وأن تكون في قرى الأوَّلين (قرية) كانت هذه

قوله: (منصوب برحيم) أي على الظرفية، ولا يضرّ تقييد الرحمة بذلك اليوم؛ لأن الرحمة في غيره تثبت بالطريق الأولى، وهذا أحسن لارتباط النظم به ومقابلته لقوله في الآخرة: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. **قوله**: (لا يهمّه) من أهمّه الأمر أقلقه وأحزنه. **قوله**: (جزاء عملها) يعني أنه تجوّز بجعل الجزاء كأنه عين العمل أو فيه مضاف مقدّر. **قوله**: (نفسي نفسي) مفعول لفعل محذوف أي أطلب خلاص نفسي نفسي والتكرار لمزيد العناية بها أو نجّ نفسي من العذاب ونحو ذلك، والتكرار لمزيد الضّراعة والابتهال. **قوله**: (الآية) أي ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: الآية ٦٧] أي طريق الهدى. **قوله**: (﴿رَبَّنَآ﴾) بالجرّ نعت والنصب نداء.

قوله: (﴿قَرْيَةً﴾ مقدّرة على هذه الصفة) غير معيّنة. **قوله**: (قرية) معيّنة.

حالها فضربها الله مثلًا لمكة إنذارًا من مثل عاقبتها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من القتل والسبي ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ (لا يزعجها) خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ من كل بلد ﴿فَكَفَرَتْ﴾ أهلها (﴿بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ **جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء**) كدرع وأدرع، (**أو جمع نِعَم**) كبؤس وأبؤس ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ الإذاقة واللباس استعارتان والإذاقة المُستَعارة موقعة على اللباس المُستَعار، ووجه صحة ذلك أن الإذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسّ الناس منها فيقولون: ذاق فلان البؤس والضّرّ، وأذاقه العذاب شبّه ما يُدرَك من أثر الضرر والألم بما يُدرَك من طعم المرّ (**والبشع**).

وأما اللباس فقد شبّه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، (**وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف**) فلأنه لمّا وقع عبارة عمّا يغشى منهما ويُلابِس فكأنه قيل: فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف.

قوله: (**لا يزعجها**) في المصباح: أزعجته عن موضعه إزعاجًا أزَلْته عنه. اهـ.

قوله: (﴿بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ **جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء**) لأن المطّرد جمع فعل على أفعل، فنعمة لا تُجمع على أنعم إلّا بملاحظة إسقاط التاء.

قوله: (**أو جمع نعم**) بضمّ النون بمعنى النعمة. **قوله**: (**والبشع**) في مختار الصحاح: شيء بَشِع، أي كَرِيه الطعم يأخذ بالحلق. اهـ.

قوله: (**وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف**)... الخ. لمّا كان في الآية إشكال من حيث إن الله تعالى أوقع الإذاقة على اللباس، مع أن اللّباس ليس مما يُدْرَك بالذّوق، ثم أضاف اللّباس إلى الجوع والخوف وليس لهما لباس، فكيف صحّت إضافة اللّباس إليهما؟ أشار المصنف رحمة الله عليه إلى دفع الإشكال المذكور بأن جعل الذوق مستعارًا لإدراك أثر الضرر بأن شبه إدراك الإنسان أَثَر ما يضرّه بإحساس طعم الشيء المرّ بالفم الذي هو الذوق، فأطلق

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ أي محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي في حال التباسهم بالظلم قالوا: إنه القتل بالسيف يوم بدر. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ وجّه إلى أهل مكة في سِنِي القَحْط بطعام ففرّق فيهم فقال الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ على يديّ محمد ﷺ ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ بدلًا عمّا كنتم تأكلونه حرامًا خبيثًا من الأموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ تطيعون أو إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده. ثم عدّد عليهم مُحَرَّمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم

على المشبه الذي هو أمر عقلي اسم المشبّه به وهو الذوق، وجعل اللّباس مستعاراً لِمَا غَشِيَهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف بأنّ شبّه ما يغشى الإنسان ويلتبس به من أثر الجوع والخوف باللّباس الحقيقي والجامع بينهما كونهما مشتملين على الإنسان وغاشِيَيْن له، ثم أطلق اسم اللّباس على ما يغشى الإنسان من أثرهما، وجعل إضافته إليهما قرينة صارفة عن إرادة المعنى الحقيقيّ، فكلّ واحد من الإذاقة واللّباس استعارة مغايرة لاستعارة الآخرة، ثم أوقعت الإذاقة المستعارة على اللّباس المستعار بأن جعل اللّباس مفعولًا للإذاقة بالنظر إلى المستعار له، يعني أن الإذاقة بمعنى الإصابة والإيصال، وإنْ لم تكن ملائمة للمعنى الذي اسْتُعِير منه اللّباس لكنها ملائمة للمعنى الذي اسْتُعِير له اللّباس وهو أثر الخوف والجوع الذي يغشى الإنسان كما يغشاه اللّباس، فأوقعت الإذاقة بمعنى الإصابة على اللّباس، فإطلاق الإذاقة بمعنى الإصابة أو الإيصال على اللّباس بالمعنى المجازي بطريق التجريد لكونها ملائمة لما هو أثر الجوع والخوف، فإنّ الاستعارة على ثلاثة أقسام مطلقة ومجرّدة ومرشحة، فالمطلقة ما لم تُقرن بصفة مما يلائم المستعار له أو المستعار منه، والاستعارة المجرّدة ما

بأهوائهم فقال:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ «إنما» للحصر أي المحرَّم هذا دون (البَحيرة) وأخواتها وباقي الآية قد مرَّ تفسيره.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ هو منصوب بـ ﴿لَا تَقُولُوا﴾ أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحِلّ والحُرمَة في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٩] من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحي أو إلى القياس المُستَنبَط منه. واللام مثلها في قولك لا تقولوا لِما أحلَّ الله هو حرام. وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بدل من الكذب ولك أن تنصب ﴿الْكَذِبَ﴾ بـ ﴿تَصِفُ﴾ وتجعل «ما» مصدرية وتعلق ﴿هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ بـ ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب، أي ولا تحرِّموا ولا تحلِّلوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم

قُرنت بما يلائم المستعار له، والاستعارة المرشَّحة ما قُرنت بما يلائم المستعار منه.

قوله: (﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾) أي دعته ضرورة المخمصة إلى تناول شيء من ذلك (﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾) على مضطرٍّ آخر (﴿وَلَا عَادٍ﴾) متعدٍّ قدر الضرورة وسدّ الرمق، فالله لا يؤاخذه بذلك. اهـ شهاب.

قوله: (البحيرة) اختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر فيشقّ أذنها فتترك فلا تُركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء وقيل غير ذلك.

ويجول في أفواهكم لأجل حجة وبَيِّنة ولكن (**قول ساذج**) ودعوى بلا برهان. (**وقوله: و﴿تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ من فصيح الكلام**) جعل قولهم كأنه عين الكذب فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلَّت الكذب بحِليته وصورته بصورته كقولك: «وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر». (**واللام في ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض**) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ

قوله: (قول ساذج) في لسان العرب: حجة ساذجة وساذَجَة ـ بالفتح ـ غير بالغة، قال ابن سِيِّده: أراها غير عربية إنما يستعملها أهل الكلام فيما ليس ببرهان قاطع، وقد يُستعمل في غير الكلام والبرهان، وعسى أن تكون أصلها **ساذَةَ** فعرّبت كما اعتيدَ مثل هذا في نظيره من الكلام المعرّب، انتهى.

قوله: (**وقوله: و﴿تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ من فصيح الكلام**).. الخ. جواب عمّا يقال: الكذب مصدر لكَذَب والألف واللام فيه لتعريف الحقيقة، وألسنتهم لا تصف، أي لا توضح ولا تبين حقيقة الكذب وماهيّته، بل تتكلّم كلامًا موصوفًا بالكذب، فما وجه كون الكذب مفعول ﴿تَصِفُ﴾؟

وتقرير الجواب: نعم إنّ مقتضى الظاهر أن يقال: مما تصف ألسنتكم الكلام الكاذب وتظهره إلّا أنه جعل الظاهر المتبيّن بألسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغةً في وصف كلامهم بالكذب، فإنّ أصل الكلام مما تَصِف ألسنتكم الكلام الكاذب، ثم عدل عنه فقيل: الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف وأُقيم الكذب مقامه، فقيل: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾، كما يقال: وجهها يصف الجمال، مع أن وجهها إنما يظهر الشكل المخصوص الموصوف بالجمال لا نفس الجمال، وحقيقته إلا أن وجهها لما كان في غاية الحسن والجمال صار كأنه عين حقيقة الجمال، فإذا وصف الشكل الجميل صحّ أن يقال: إنه وصف نفس الجمال، وكذلك العين لمّا كانت تشبه الساحر وتصفه كمال المشابهة والتوصيف صحّ أن قال: إنها تصف السِّحر.

قوله: (**واللام في ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض**)، يعني أن اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا للتعليل الصريح؛ إذ

ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ هو خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ في سورة الأنعام يعني ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا (كُلَّ ذِى ظُفُرٍ)﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] **(الآية)**. ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالتحريم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فحرَّمنا عليهم عقوبة على معاصيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير متدبّرين للعاقِبَة لغَلَبَة الشهوة عليهم، ومُرادهم لذَّة الهوى لا عصيان المولى ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ من بعد التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم.

ليس الافتراء على الله غرضًا لهم من التحريم والتحليل من غير حجّة، بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل إليه تعالى، ويقولون: إنه تعالى أمرنا بذلك، فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله تعالى.

قوله: (﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾) وهو ما لم تفرق بين أصابعه، أي ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير؛ كالإبل والنّعام والإوزّ والبطّ.

قوله: **(الآية)** وهي ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١] (بمعنى الواو) ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (الأمعاء) ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (منه وهو شحم الإلية أي المذكور من الأنواع الثلاثة أحلّ لهم) ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٨] (التحريم) ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (به) ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء) ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦] (في أخبارنا ومواعيدنا).

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إنه كان وحده أمة من الأُمم لكماله في جميع صفات الخير (كقوله:

لـيـس عـلـى الله بـمـسـتـنـكـر أن يجمع العالم في واحد)

وعن (**مجاهد**): كان مؤمنًا وحده والناس كلهم كفَّار، أو كان أُمة بمعنى مأموم يؤمّه الناس ليأخذوا منه الخير ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ هو القائم بما أمره الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن (**معاذًا**) كان أُمة قانتًا لله فقيل له: إنما هو إبراهيم عليه السلام. فقال: الأُمة الذي يعلم الخير والقانِت المُطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك. وقال (**عمر**) رضي الله عنه: لو كان معاذ حيًّا لاستخلفته فإني سمعت

قوله: (**كقوله**) أي قول أبي نواس الشاعر المشهور يمدح به الفضل بن الربيع الوزير:

(لـيـس[١] عـلـى الله بـمـسـتـنـكـر)

أي ليس بمستغرب.

(أن يـجـمـع الـعـالـم فـي واحـد)

أي خواص العالم في شخصٍ واحد بأن يوجد في هذا الشخص من المناقب والفضائل التي لا توجد إلّا مفرقًا في أشخاص العالم.

قوله: (**مجاهد**) بن جَبْر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله**: (**معاذًا**) أي معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمٰن من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المُنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ثمان عشرة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**عمر**) بن الخطاب بن نفيل ـ بنون وفاء مصغرًا ـ ابن عبد العزّى بن رباح ـ بتحتانية ـ ابن عبد الله بن قرط ـ بضمّ القاف ـ ابن رزاح ـ براء ثم زاي

---

(١) يعني أن الله قادر أن يجمع في واحد ما في الناس من أنواع الفضل والكمال. ١٢ منه رحمه الله.

رسول الله ﷺ يقول: («أبو عبيدة) أمين هذه الأُمة، ومعاذ أُمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون». ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن الأديان إلى ملَّة الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشِّرك تكذيبًا لكُفَّار قريش لزعمهم أنهم على مِلَّة أبيهم إبراهيم، وحذف النون للتشبيه بحروف اللِّين.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ رُوِيَ أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفًا فأخَّر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيّلوا له أن بهم جذامًا فقال: الآن وجبت مؤاكلتكم شكرًا لله على أنه عافاني وابتلاكم ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ اختصّه واصطفاه للنبوّة ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى ملّة الإسلام ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نبوّة وأموالًا وأولادًا، أو (تنويه الله بذكره) فكل أهل دين يتولَّونه، أو قول المصلّي منّا كما صلَّيت على إبراهيم ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لمَن أهل الجنة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ في «ثم» تعظيم منزلة نبيّنا عليه السلام وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما

خفيفة ـ ابن عدي بن كعب القرشي العدويّ أمير المؤمنين مشهور جمّ المناقب استشهد في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا.

قوله: (أبو عبيدة) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة، أسلم قديمًا وشهد بدرًا، مشهور، مات شهيدًا بطاعون عَمْواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وخمسون سنة.

قوله: (تنويه الله بذكره) في المصباح: ناه بالشيء نوهًا من باب قال ونوّه به تنويهًا رفع ذكره وعظّمه. اهـ.

أُوتي خليل الله من الكرامة اتّباع رسولنا ملّته ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ رُوِيَ أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يومًا للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم فرغ الله فيه من خلق السمٰوات والأرض وهو السبت، إلا (**شرذمة**) منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لأن بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة، فأذِنَ الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد، فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون، و(**أعقابهم**) لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيُجازي كل واحد من الفريقين بما هو أهله.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل المُوَضِّح للحق المُزيل للشُّبهة ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وهي التي لا يخفى عليهم أنك تُناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها، أو بالقرآن أي ادعُهُم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، أو الحكمة المعرفة بمراتب الأفعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرِّفْق اللّيِّن من غير (**فظاظة**)، أو بما يُوقِظ القلوب ويَعِظ النفوس ويجلو العقول وهو ردٌّ على مَن يأبى المُناظرة في الدين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي هو أعلم بهم فمَن كان فيه خير كفَاه الوعظ القليل ومَن لا خير فيه عجزت عنه الحِيَل.

قوله: (شِرْذمة) الشرذمة الطائفة القليلة. اهـ كمالين. **قوله**: (**أعقابهم**) جمع العقب بكسر القاف وبسكونها للتخفيف الولد وولد الولد. اهـ مصباح.

قوله: (فظاظة) في مختار الصحاح: الفَظّ من الرجال الغليظ، وقد فظّ يفظ ـ بالفتح ـ فظاظةً بفتح الظاء. اهـ.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ سمّى الفعل الأول عقوبة والعقوبة هي الثانية لازدواج الكلام كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: الآية ٤٠] فالثانية ليست بسيئة، والمعنى إن صنع بكم صَنيع سوء مِن قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه. رُوِيَ أن المشركين (**مَثَّلوا بالمسلمين**) يوم أُحُد، (**بَقَروا**) بطونهم وقطعوا مَذاكيرهم، فرأى النبي عليه السلام حمزة مَبقور البطن فقال: «أما والذي أحلف به لأُمَثِّلَنَّ (**بسبعين مكانك**)» فنزلت فكَفَّر عن يمينه وكَفَّ عمّا أراده. ولا خلاف في تحريم المثلة لورود الأخبار بالنهي عنها حتى (**بالكلب العقور**) ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ الضمير في ﴿لَهُوَ﴾ يرجع إلى مصدر ﴿صَبَرْتُمْ﴾ والمراد بالصابرين المُخاطَبون أي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ موضع الضمير ثناء من الله عليهم لأنهم صابرون على الشدائد، ثم قال لرسول الله ﷺ.

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَٱصْبِرْ﴾ أنت فعزم عليه بالصبر ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي بتوفيقه وتثبيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ على الكُفّار أن لم يؤمنوا وعلى المؤمنين وما فعل بهم الكُفّار

قوله: (**مثّلوا بالمسلمين**) من التمثيل، في المصباح: مثّلت بالقتيل مثلًا من بابي قتل وضرب إذا جدّعته وظهرت آثار فعلك عليه تنكيلًا والتشديد مبالغة، والاسم المثلة وزان غرفة. اهـ. **قوله**: (**بقروا**) في المصباح: بقرت الشيء بقرًا من باب قتل شققته. اهـ.

قوله: (**بسبعين**) حذف مميّزه وهو رجلًا للقرينة عليه. **قوله**: (**مكانك**) خطاب لحمزة رضي الله تعالى عنه لتنزيله منزلة الحيّ لكونه سيّد الشهداء. **قوله**: (**بالكلب العَقُور**[1]) وهو كل سبع يجرح ويقتل ويفترس؛ كالأسد والنمر والذئب سمّاها كلبًا لاشتراكها في السبعيّة.

---

(١) أي العضوض وألحق به كل سبع. ١٢ منه برّد الله مضجعه.

فإنهم وصلوا إلى مطلوبهم ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (﴿ضَيْقٍ﴾ **مكي. والضيق تخفيف الضّيق**) أي في أمر ضيّق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول، والمعنى ولا يضيقنَّ صدرك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾) أي هو وليُّ الذين اجتنبوا السيئات ووليُّ العامِلِين بالطاعات. قيل: مَن اتقى في أفعاله وأحسن في أعماله كان الله معه في أحواله. ومَعِيَّته نُصرته في المأمور وعصمته في المحظور.

قوله: (﴿ضَيْقٍ﴾) بكسر الضاد (مكّي) أي ابن كثير المكّي، والباقون بفتحها. **قوله:** (والضيق) بالفتح (**تخفيف الضيق**) المشدّد كمَيْت في ميّت. **قوله:** (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾) قيل لهرم بن حيان عند قرب وفاته: أوْصِ، فقال: إنّ الوصية في المال ولا مال لي، ولكني أُوصيك بخواتيم سورة النحل.

تمّ ما يتعلق بسورة النحل بحُسن توفيقه وكمال لطفه وعونه
والحمد لله أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا والصلاة والسلام على رسولناسيّد الأنبياء وعلى آله وأصحابه أئمّة الهدى ومَنْ تَبِعه إلى يوم الحشر والجزاء

سورة الإسراء

(سورة بني إسرائيل)
(مكية وهي مائة وعشر آيات بصري وإحدى عشرة آية كوفي وشامي)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَ﴾ تنزيه الله عن السوء (**وهو علم للتسبيح**) كعثمان للرجل، وانتصابه بفِعْل مُضمَر متروك إظهاره تقديره أُسبِّح الله سبحان، ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسدَّ مَسَدَّه ودلَّ على التنزيه البليغ ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ وسرى وأسرى لغتان ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف وقيَّده بالليل والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد،

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة بني إسرائيل) وتسمّى سورة إسراء وسبحان (مكّية وهي مائة وعشر آيات بصري، وإحدى عشر آية كوفي وشامي) وألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وعدد حروفها ستّة آلاف وأربعمائة وستّون حرفًا. اهـ خطيب.

قوله: (وهو عَلَم للتسبيح) دائمًا وهو علم جنس؛ لأن علم جنس كما يوضح للذوات يوضح للمعاني. وقال ابن الحاجب رحمه الله: إنه إذا أُضيف ليس بعلم، لأن الأعلام لا تُضاف إلّا شذوذًا، وإذا لم يضف فهو علم.

أو ليدلّ بلفظ التنكير على تقليل مدة الإسراء وأنه أُسْرِي به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قيل: أُسْرِي به من دار **(أم هانىء)** بنت أبي طالب. والمراد بالمسجد الحرام لإحاطته بالمسجد والتِباسه به. وعن **(ابن عباس)** رضي الله عنهما: الحرم كله مسجد. وقيل: هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر، فقد قال عليه السلام: «بينا أنا في المسجد الحرام في **(الحِجْر)** عند البيت **(بين النائم واليقظان)** إذ أتاني جبريل **(بالبُراق)** وقد عُرِجَ بي إلى السماء في تلك الليلة»، وكان العروج به من **(بيت المقدس)** وقد أخبر قريشًا عن **(عِيرِهم)** وعدَّد **(جمالها)** وأحوالها، وأخبرهم أيضًا بما رأى في السماء من العجائب، وأنه

قوله: (أُمّ هانىء) بالهمز بنت أبي طالب الهاشميّة اسمها فاختة، وقيل: هند، لها صحبة وأحاديث، ماتت في خلافة معاوية ﷺ. **قوله**: **(ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلِد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يُسمّى البحر والحَبر لسِعَة عِلْمه، مات سنة ثمان وستّين بالطائف، وهو أحد المُكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة. **قوله**: **(الحجر)** ـ بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء المهملة ـ ما يلي الميزاب من الحوطة المعروفة المفرزة من البيت بحائط قصير.

قوله: (بين النائم واليقظان) اليقظان بسكون القاف صفة من اليقظة بفتحها ولا تسكنْ إلّا في ضرورة الشعر، والمراد بكونه بينهما أنه قد عرضت له سنة وفتور يعتري قبل النوم على ما هو عادته ﷺ إذا نزل عليه الوحي، وهو مستيقظ حقيقة. **قوله**: (بالبُراق) ـ بضم الباء ـ من دوابّ الجنّة سمّي به لشدّة سرعته كالبرق الخاطف. **قوله**: (بيت المقدس) بالإضافة بوزن مجلس اسم مكان أو مصدر ميمي من القدس وهو الطُّهر، أي المكان الذي يطهر فيه العابد من الذنوب أو يطهر من عبادة الأصنام، وجاء فيه ضمّ الميم وفتح القاف وتشديد الدال المفتوحة وقد تُكسر، ويقال أيضًا: البيت المقدّس بالتوصيف، والأشهر الإضافة. **قوله**: (عيرهم) في المصباح: العِير ـ بالكسر ـ الإبل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة. **قوله**: (جمالها) في مختار الصحاح: الجَمَل من الإبل الذكر والجمع جِمَال وأجْمال وجمالات وجَمائل. اهـ.

لَقِي الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسِدرَة المنتهى. وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة، وعن **(عائشة)** رضي الله عنها أنها قالت: **(والله ما فُقِدَ جسد رسول الله ﷺ ولكن عُرِجَ بروحه)**. وعن **(معاوية)** مثله، وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة **(للحالِم ولا مِزية)** للنائم ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ هو بيت المقدس **(لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد)** ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ يريد بركات الدين والدنيا لأنه مُتَعَبَّد الأنبياء عليهم السلام ومَهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المُثمرة ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ أي محمدًا عليه السلام ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ الدَّالَّة على وحدانية الله وصدق نبوّته برؤيته السمٰوات وما فيها من الآيات ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بالأفعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلِّم فقيل: ﴿أَسْرَىٰ﴾ ثم ﴿بَٰرَكْنَا﴾ ثم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة.

قوله: **(عائشة)** بنت أبي بكر الصدِّيق أُمّ المؤمنين أفقه النساء مطلقًا وأفضل أزواج النبيّ ﷺ إلّا خديجة، ففيها خلاف شهير، ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح رضي الله تعالى عنهم. **قوله**: **(والله ما فُقِد جسد رسول الله ﷺ، ولكن عرج بروحه)** إن الإسراء كان مرّتين: مرّة بروحه قبل البعثة، ومرّة بجسده بعدها، وبهذا يجمع بين ما في الروايات من الاختلاف مع صحتها، ثم إنه لكون رؤيا الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام تقع بعينها وتجيء كفلق الصبح أُسْرِيَ به بعد ذلك حقيقةً، وكان الإسراء الروحاني تقدمة لهذا وتعليمًا لطريق الدخول في حظائر القدس. اهـ شهاب. **قوله**: **(معاوية)** بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُميّة الأُموي، أبو عبد الرحمٰن الخليفة صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي ومات في رجب سنة ستّين، وقد قارب الثمانين رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(للحالم)** في المصباح: حلم يحلم من باب قتل حُلُمًا ـ بضمّتين وإسكان الثاني تخفيف ـ واحتلم رأى في منامه رؤيا. اهـ.

قوله: **(ولا مِزية)** أي فضيلة، في مختار الصحاح: المِزية الفضيلة، يقال: عليه مِزْية أي فضيلة ولا يُبْنى منه فعل. اهـ. **قوله**: **(لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد)** وجه لتسميته بالأقصى بمعنى الأبعد، فهو أبعد بالنسبة إلى مَنْ بالحجاز ثم بقي هذا الاسم، وإنْ كان وراءه مسجد.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي الكتاب وهو التوراة ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ **(أي لا تتخذوا. وبالياء: أبو عمرو أي لئلا يتخذوا)** ﴿مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ **(ربًا تكلون إليه أموركم)** ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ **(نصب على الاختصاص أو على النداء)** فيمن قرأ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ بالتاء على النهي أي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلًا يا ذريَّة مَن حملنا مَعَ نوح ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن نوحًا عليه السلام ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ في السَّرَّاء والضَّرَّاء، والشكر مقابلة النعمة بالثَّناء على المُنعِم. ورُوِيَ أنه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله، وأنتم ذرِّيَّة مَن آمن به وحمل معه فاجعلوه أُسوتكم كما جعله آباؤكم أُسوتهم، وآية رشد الأبناء صحة الاقتداء بسُنَّة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الأبناء كذلك.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وأوحينا إليهم وحيًا مَقضيًا أي مقطوعًا مبتوتًا بأنهم يُفسِدون في الأرض لا محالة، والكتاب التوراة، و﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جواب قسم محذوف، أو جرى القضاء المبتوت مجرى القَسَم فيكون ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ جوابًا له كأنه قال: وأقْسَمْنا لتُفسِدنَّ في الأرض ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس **(أرمياء عليه السلام)** حين أنذرهم سخط الله، والأخرى

قوله: **(أن لا تتخذوا)** مجزوم بحذف النون ولا ناهية وأن زائدة، كما قال: **(أي لا تتخذوا)**. **قوله**: **(وبالياء أبو عمرو)** وقرأ غيره بالتاء. **قوله**: **(أي لئلا يتخذوا)** يعني أنْ أنْ مصدرية ولام التعليل مقدّرة. **قوله**: **(ربًّا تكِلُون إليه أُموركم)** إشارة إلى أن وكيل فعيل بمعنى مفعول وهو الموكول إليه أي المفوّض إليه الأُمور، وهو الربّ. **قوله**: **(نصب على الاختصاص)** هو مفعول لأخصّ، أو أعني مقدّرًا. **قوله**: **(أو على النداء)** فيا محذوفة فيه.

قوله: **(أرمياء عليه السلام)** في مطالع المسرّات بجلاء دلائل الخيرات: هو في بعض النسخ المعتمدة بفتح الهمزة، والذي في القاموس أنه بكسرها، وعند ابن

قتل يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ولتستكبرنَّ عن طاعة الله من قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: الآية ٤] والمراد به البغي والظلم وغَلَبَة المُفسِدِين على المُصلِحِين.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي وعد الله عقاب أولاهما ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ سلَّطنا عليكم ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أشدَّاء في القتل يعني (**سنحاريب**) وجنوده أو (**بخت نصّر**) أو جالوت، قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرَّبوا المسجد وسَبوا منهم سبعين ألفًا ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ تردَّدوا للغارة فيها. قال (**الزَّجَّاج: الجوس**) طلب الشيء بالاستقصاء ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ وكان وعد العقاب وعدًا لا بدَّ أن يفعل.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ أي الدولة والغَلَبَة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على الذين بعثوا عليكم حين تُبتُم ورجعتم عن الفساد والعلو. قيل: هي قتل بختنصّر واستنفاذ بني إسرائيل (**أسراهم**) وأموالهم ورجوع المُلْك إليهم. وقيل: أعَدْنا لكم الدولة بملك

حجر أنه بكسرها، وقيل بضمّها، وأشبعوا واوًا، انتهت. وفي الكشف: أن أرميا بضمّ الهمزة وكسرها وتشديدها وتخفيفها، وفي القاموس: أنه نبيّ.

قوله: (سنحاريب) يُروى بالجيم وهو المعروف، ورُوِي بالحاء المهملة اسم ملك بابل. **قوله: (بخت نصّر)** بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معرب بوخت بالعبرانية معناه ابن، ونصّر بفتح النون وتشديد الصاد المهملة اسم صنم وهو علم أعجمي مُركّب، قال في القاموس: كان وجد عند الصنم ولم يُعرف له أب، فنُسِب إليه. **قوله: (الزجّاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد رحمه الله. **قوله: (الجوس)** بفتح الجيم وضمّها. اهـ شيخ زاده ولسان العرب.

قوله: (أسْراهم) جمع أسير.

طالوت وقتل داود جالوت. ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ مما كنتم وهو تمييز جمع (نفر) وهو مَن (ينفر) مع الرجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧﴾

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ قيل: اللام بمعنى «على» كقوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] والصحيح أنها على بابها لأن اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله، حسنة كانت أو سيئة يعني أن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم. وعن (عليّ) رضي الله عنه: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وعد المرة الآخرة بعثناهم (﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟﴾) أي هؤلاء ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ وحذف لدلالة ذكره أوّل عليه أي ليجعلوها (**بادية آثار المساءة والكآبة**) فيها كقوله:

قوله: (نفر) بسكون الفاء. **قوله**: (ينفر) أي يذهب.

قوله: (عليّ) بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشميّ ابن عمّ رسول الله ﷺ وزوج ابنته، من السابقين الأوّلين المرجّح أنه أوّل مَنْ أسلم، وهو أحد العشرة مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنّة، وله ثلاث وستّون سنة على الأرجح. اهـ تقريب.

قوله: (**بادية آثار المساءة**) بنصب بادية منوّنًا ورفع آثار به، يعني أنه عدّى المساءة إلى الوجوه وإنْ كانت عليهم؛ لأن آثار الأعراض النفسانية إنما تظهر في الوجه كنضارة الوجه وإشراقه بالفرح وكلوحه وسواده بالخوف والحزن، فالوجه عبارة عن الذات لظهور الآثار فيه فهو مجاز مرسل، وقيل: إنه استعارة تبعية، وقيل: الوجوه بمعنى الرؤساء، وهو تكلّف، واخْتير هذا على ليسوؤكم مع أنه أخصر وأظهر إشارة إلى أنه جمع عليهم ألم النفس والبدن المدلول عليه بقوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾. اهـ شهاب.

قوله: (والكآبة) في المصباح: كئب يكأب من باب تعب كآبة بمدّ الهمزة وكأبا وكأبة مثل سبب وتمرة حزن أشدّ الحزن فهو كئب وكئيب. اهـ. وفي مختار الصحاح: الكآبة ـ بالمدّ ـ سوء الحال والانكسار من الحزن، وقد كَئِب من باب

(﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) [الملك: الآية ٢٧]. «ليسوء» (**شامي وحمزة وأبو بكر**)، والضمير لله عزَّ وجلَّ أو للوعد أو للبعث. («لنسوء» **علي**). ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾ مفعول لـ «يتبروا» أي ليهلكوا (**كل شيء غلبوه واستولوا عليه، أو بمعنى مدة علوهم**).

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ٨﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ﴾ بعد المرة الثانية إن تُبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾ مرة ثالثة ﴿عُدۡنَا﴾ إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط (**الأكاسرة**) وضرب (**الأتاوة**) عليهم. وعن ابن عباس رضي الله

سَلِم وكآبة أيضًا بوزن رَهْبة فهو كَئِيب وامرأة كئيبة وكَأْبَاء بالمدّ واكتأب مثله. اهـ. **قوله**: (﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) قال المصنف رحمة الله عليه في سورة الملك: (﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾) أي الوعد، يعني العذاب الموعود (﴿زُلۡفَةٗ﴾) قريبًا منهم وانتصابها على الحال (﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) أي أساءت رؤية الوعد وجوههم بأن عَلَتْها الكآبة والمساءة وغَشِيَتْها القَتَرة والسواد. اهـ. **قوله**: (﴿لِيَسُـُٔواْ﴾) بالياء وفتح الهمزة والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي (**شاميّ**) أي ابن عامر الشامي (**وحمزة وأبو بكر**)... الخ. (**لنسؤ**) بنون العظمة وفتح الهمزة والفعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي (**عليّ**) الكسائي، والباقون بالياء وضمّ الهمزة وبعدها واو ضمير الجمع العائد على العباد والنفير وهو موافق بقوله تعالى: ﴿وَلِيَدۡخُلُواْ﴾... الخ. **قوله**: (**كل شيء غلبوه واستولوا عليه**) يعني أن ما موصولة والعائد محذوف. **قوله**: (**أو بمعنى مدّة علوهم**) يعني أن ما مصدرية ظرفيّة.

قوله: (**الأكاسرة**) في المصباح: كسرى ملك الفرس، قال أبو عمرو بن العلاء: بكسر الكاف لا غير، وقال ابن السرّاج كما رواه عنه الفارسي واختاره ثعلب وجماعة: الكسر أفصح، والنسبة إلى المكسور كسري وكِسْروي بحذف الألف وبقلبها واو النسبة إلى المفتوح بالقلب لا غير، والجمع أكاسرة. اهـ. **قوله**: (**الأتاوة**) الخراج. اهـ مختار الصحاح.

عنهما: سلّط عليهم المؤمنون إلى يوم القيامة ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسًا. يقال: للسجن (محصر) وحصير.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها وهي توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (﴿وَيَبْشُرُ﴾ حمزة وعلي). ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ بأن لهم ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أي الجنة ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾ وبأن الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أي أعددنا قُلِبَت تاء ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني النار. والآية ترد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر (الفسقة).

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير، أو يطلب النفع العاجل وإن قلّ بالضرر الآجل وإن جلّ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يتسرّع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنّى فيه تأنّي المتبصّر، أو أُريد بالإنسان الكافر وأنه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعوه بالخير إذا مسّته الشدة. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال؟ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحارث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: الآية

قوله: (محصر) بفتح الميم وسكون الحاء وكسر الصاد.

قوله: (﴿وَيَبْشُرُ﴾) بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وضمّ الشين مخفّفة (حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشدّدة. **قوله:** (الفَسَقة) جمع فاسق.

٣٢٢] **(الآية)**. فأُجيب **(فضُربت)** عُنقه **(صبرًا. وسقوط الواو من** ﴿يَدْعُ﴾ **في الخط على موافقة اللفظ)** ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين **(كإضافة العدد إلى المعدود)** أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة، أو جعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر، فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعًا كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بيّنة، وجعلنا الشمس ذات شعاع يُبصِر في ضوئها كل شيء ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف في معايشكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ باختلاف **(الجديدين)** ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ يعني حساب الآجال ومواسم الأعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح **(حراص)**

قوله: (الآية) أي: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢]. **قوله: (فضربت)** عنقه يوم بدر **(صبرًا)** أي مصبورًا، يقال: قُتِل فلان صبرًا إذا حُبِس على القتل حتى يُقتل بخلاف مَنْ قُتل في حرب أو على غفلة منه، وصبرًا منصوب على المصدرية، أي قتلا صبرًا.

قوله: (وسقوط الواو من ﴿وَيَدْعُ﴾ **في الخطّ على موافقة اللّفظ)**، وفي الخطيب: حُذِفت واو يدع أي التي لام الفعل خطأ في جميع المصاحف ولا موجب لحذفها لفظًا في العربية، لكنها لمّا كانت لا تظهر في اللّفظ حُذِفت في الخط ونظيره قوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: الآية ١٨]، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: الآية ١٤٦]، ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: الآية ٤١]، ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: الآية ٥].

قال الفراء: ولو كان ذلك بالواو والياء لكان صوابًا. وقال الرازي: أقول هذا يدلّ على أنه سبحانه وتعالى قد عظّم هذا القرآن المجيد عن التحريف والتغيير، فإن إثبات الواو والياء في أكثر ألفاظ القرآن، وعدم إثباتها في هذه المواضع المعدودة يدلّ على أن هذا القرآن نُقل كما سُمِع وأن أحدًا لم يتصرّف فيه بمقدار فهمه وقوّة عقله. **قوله: (كإضافة العدد إلى المعدود)** كأربع نسوة مثلًا. **قوله: (الجديدين)** الليل والنهار. **قوله: (حراص)** جمع حريص مثل ظريف وظراف وغليظ وغلاظ

المكتسبين و(**التجار**) ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ بيّنّاه بيانًا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ عمله ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ يعني أن عمله لازم له لزوم (**القلادة**) أو (**الغلّ**) للعنق لا يفك عنه ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ﴾ هو صفة لـ ﴿كِتَٰبًا﴾. (**يُلَقَّاه شامي**) ﴿مَنشُورًا﴾ حال مَن ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ يعني غير مطوي ليمكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ أي كتاب أعمالك وكلٌّ يُبعَث قارئًا ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ﴾ الباء زائدة (**أي كفى نفسك**) ﴿حَسِيبًا﴾ تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليك كذا، أو بمعنى الكافي. وضع موضع الشهيد فعُدّي بـ «على» لأن الشاهد يكفي المُدَّعي ما

وكريم وكِرام. اهـ مصباح. **قوله**: (**التجار**) في المصباح: تَجِر تجرًا من باب قتل واتَّجر، والاسم التجارة وهو تاجر والجمع تجر مثل صاحب وصحب وتجار بضم التاء مع التَّثْقيل وبكسرها مع التخفيف. اهـ.

قوله: (**القلادة**) بكسر القاف ما يُعلَّق في العنق. اهـ كمالين. **قوله**: (**الغلّ**) في المصباح: الغلّ بالضم طوق من حديد يُجْعل في العنق، والجمع أغلال مثل قِفل وأقفال. اهـ.

قوله: (**يُلَقّاه**) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف مضارع لَقِي بالتشديد (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، والباقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف مضارع لَقِيَ. **قوله**: (**أي كفى نفسك**) يعني أن كفى فعل ماض فاعله نفسك والباء زائدة كما في بحسبك درهم، وذكروا إن كان مثله يؤنث؛ كقوله: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: الآية ٦] لأن تأنيثه مجازي. اهـ شهاب. وقال العلاّمة شيخ زاده عليه الرحمة: على هذا ينبغي أن يؤنّث الفعل لتأنيث فاعله، كما في قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ [الأنعام: الآية ٤]، إلاّ أنه ذكّر لكونه مسندًا إلى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي، وفي مثله يجوز الأمران. اهـ.

أَهَمَّه. وإنما ذكر حسيبًا لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير إذ الغالب أن يتولى هذه الأمور الرجال فكأنه قيل: كفى نفسك رجلًا حسيبًا، أو تؤوّل النفس بالشخص.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ أي فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾ أي كل نفس حاملة وزرًا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وما صحّ منّا أن نعذّب قومًا عذاب استئصال في الدنيا إلا بعد أن نرسل إليهم رسولًا يلزمهم الحجة ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ أي أهل قرية ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن أبي عمرو والزجّاج ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ أي خرجوا عن الأمر كقولك: «أمرته فعصى» أو أَمَرنا كَثَّرنا، دليله (**قراءة يعقوب آمرنا**) ومنه الحديث (**«خير مال المرء سكة مأبورة ومهرة مأمورة»**) أي كثيرة النَّسْل ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ فوجب عليها الوعيد ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ فأهلكناها إهلاكًا ﴿وَكَمْ﴾ مفعول ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ بيان لكم ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ﴾ يعني عادًا وثمود وغيرهما ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ وإن أخفوها في الصدور ﴿بَصِيرًا﴾ وإن أرخوا عليها الستور.

قوله: (**قراءة يعقوب**) بن إسحٰق وليس من السبعة: (**آمرنا**) بالمدّ من الأفعال. **قوله**: (**خير المال**)... الخ. في الجامع الصغير: (**«خير مال المرء مهرة مأمورة أو سكة مأبورة حم طب**) يعني رواه الإمام أحمد والطبراني. (**عن سويد بن هبيرة**) بن عبد الحارث، ورجاله ثقات. اهـ بزيادة. **قوله**: (**سِكَّة**) أي نخل مصفوف. **قوله**: (**مأبورة**) بالباء الموحدة والراء المهملة أي مؤبّرة. **قوله**: (**مُهْرَة**) مثل غرفة أُنثى الخيل.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ لا ما يشاء ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بَدَل من ﴿لَهُۥ﴾ بإعادة الجار وهو بدل البعض من الكل إذ الضمير يرجع إلى ﴿مَّن﴾ أي مَن كانت العاجلة هَمَّه ولم يُرِد غيرها ـ كالكَفَرَة ـ تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد، فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بإرادته وهكذا الحال، ترى كثيرًا من هؤلاء يتمنّون ولا يعطون إلا بعضًا منه، وكثيرًا منهم يتمنّون ذلك البعض وقد حُرِموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، وأما المؤمن التقي فقد اختار غِنى الآخرة؛ فإن أوتي حظًا من الدنيا فبها وإلا فربما كان الفقر خيرًا له ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ممقوتًا ﴿مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا من رحمة الله ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ **(هو)** مفعول به **(أو حقها من السعي)** وكفاءها من الأعمال الصالحة ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مصدق لله في وعده ووعيده ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ مقبولاً عند الله مثابًا عليه. عن بعض السلف: مَن لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت ونيّة صادقة وعمل مُصيب وتلا الآية. فإنه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعي مشكورًا: إرادة الآخرة والسعي فيما كلف والإيمان الثابت.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿كُلًّا﴾ كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض عن المضاف إليه وهو منصوب بقوله: ﴿نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ أي نمد هؤلاء ﴿وَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾ أي مَن أراد العاجلة ومَن أراد الآخرة ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ رزقه و«من» تَتعلّقُ بـ «نمد» والعطاء اسم للمعطي أي نزيدهم من عطائنا ونجعل **(الآنف)** منه مددًا **(للسالف)** لا نقطعه

قوله: (هو) أي قوله: سعيها. **قوله**: **(أو حقّها من السعي)** إشارة إلى أن قوله: سعيها مفعول مطلق مبيّن للنوع.

قوله: **(الآنف)** بالمدّ ما اسْتُؤنف مرّة بعد أخرى. **قوله**: **(للسالف)** ما سبق منه.

فنرزق المطيع والعاصي جميعًا على وجه التفضل ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعًا عن عباده وإن عصوا ﴿ٱنظُرْ﴾ بعين الاعتبار ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في المال والجاه والسعة والكمال ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ رُوِيَ أن قومًا من الأشراف فمَن دونهم اجتمعوا بباب **(عمر)** رضي الله عنه فخرج الإذْن **(لبلال)** و**(صهيب)** فشقّ على **(أبي سفيان)** فقال **(سهيل بن عمرو)**: إنما آتينا من قبل. إنهم دعوا ودعينا ـ يعني إلى الإسلام ـ فأسرعوا وأبطأنا، وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة، ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعدّ الله لهم في الجنة أكثر.

قوله: **(عمر)** رضي الله تعالى عنه ابن الخطاب بن نفيل ـ بنون وفاء مصغرًا ـ ابن عبد العزى بن رباح ـ بتحتانية ـ ابن عبد الله بن قرط ـ بضم القاف ـ ابن رزاح ـ براء ثم زاي خفيفة ـ ابن عدي بن كعب القرشي العدويّ أمير المؤمنين مشهور جمّ المناقب، استشهد في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا. **قوله**: **(لبلال)** بن رباح المؤذن، وهو ابن حمامة وهي أُمّه، أبو عبد الله مولى أبي بكر ﷺ، من السابقين الأوّلين شهد بدرًا والمشاهد، مات بالشام سنة سبع عشر أو ثمان عشرة، وقيل: عشرين، وله بضع وستّون سنة. **قوله**: **(صُهيب)** بن سنان أبو يحيىٰ الرومي أصله من النّمر، يقال: كان اسمه عبد الملك، وصهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة عليّ، وقيل قبل ذلك. **قوله**: **(أبي سفيان)** صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي صحابي شهير أسلم عام الفتح، ومات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: بعدها. **قوله**: **(سهيل بن عمرو)** هو أبو يزيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن حِسْل بن عامر بن لُؤَيّ بن غالب القريشي العامريّ أحد سادات قريش وأشرافهم وخطبتهم، أسره المسلمون يوم بدر، على يديه انْبرم الصلح يوم الحديبية ثم أسلم يوم الفتح، قال سعيد بن مسلم: لم يكن أحد من كبراء قريش الذين أسلموا يوم الفتح أكثر صلاة وصومًا وصدقة واشتغالًا بما ينفعه في آخرته من سُهيل بن عمرو وحتى شحب لونه وتغيّر، وكان كثير البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن، كان يختلف إلى معاذ بن جبل يقرئه القرآن ويبكي حتى خرج معاذ من مكّة، فقيل له: تختلف إلى هذا الخزرجي لو كان اختلافك إلى رجلٍ من قومك، فقال: هذا

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد به أمته ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ فتصير جامعًا على نفسك الذمّ و(**الخذلان**). وقيل: مشتومًا بالإهانة محرومًا عن الإعانة، إذ الخذلان ضد النصر والعون. دليله قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٠]. حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ (**وأمر أمرًا مقطوعًا به**) ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ «أن» مفسرة

الذي صنع بنا ما صنع حتى سُبقنا كل السبق، لعمري اختلف لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية ورفع الله بالإسلام قومًا كانوا في الجاهلية لا يُذكرون، فلَيْتنا كنّا مع أُولئك فتقدَّمنا، وإني لأذكر ما قسم الله لي في تقدّم أهل بيتي من الرجال والنساء فأسرّ به وأحمد الله عليه وأرجو أن يكون الله نفعني بدعائهم أن لا أكون متُّ على ما مات عليه نظرائي، فقد شهدت مواطن أنا فيها معاندٌ للحقّ، ولمّا توفي رسول الله ﷺ وبلغ خبره مكّة ارتجّت مكّة لما رأت من ارتداد العرب، فقام سُهيل بن عمرو خطيبًا فقال: يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم وأوّل مَنِ ارتدَّ، والله ليمتدنّ هذا الدِّين امتداد الشمس والقمر. . . في خطبة طويلة، وخرج بأهل بيته إلى الشام مجاهدًا فاستشهد باليرموك، وقيل: بمرج الصُّفَّر، وقيل: توفي في طاعون عَمْواس سنة ثماني على أحد الأقوال في تاريخها، وهو والد أبي جندل رضي الله تعالى عنهما. اهـ تهذيب الأسماء.

قوله: (الخذلان) في مختار الصحاح: خَذَله يخذُله ـ بالضمّ ـ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عونه ونصرته. اهـ.

قوله: (وأمر أمرًا مقطوعًا به) يعني أن القضاء في أصل اللغة: إتمام الشيء والفراغ منه، وما تمّ وفرغ منه يلزمه أن يتقرّر ولا يتغيّر، أي لا يقبل النسخ والتغيير، فإذا استُعمل القضاء في موضع الأمر والإلزام كما في هذه الآية يُفهم منه

و﴿لَّا تَعْبُدُوٓا﴾ نهي (أو بأن لا تعبدوا) ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (وأحسنوا بالوالدين إحسانًا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا) ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ «إما» هي «إنْ» الشرطية زِيدَت عليها «ما» تأكيدًا لها ولذا دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت «إن» لم يصحّ دخولها لا تقول: «إن تكرمن زيدًا يكرمك» ولكن «إما تكرمنَّه» ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعل ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ (وهو في قراءة حمزة وعليّ «يبلغان» بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين) ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ عطف على ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ فاعلًا وبدلًا (﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ مدني وحفص ﴿أُفَّ﴾ مكي وشامي.

أن الإيجاد والتكوين على ذلك الوجه دون الآخر أمر مقرّر موافق للحكمة؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فُصِّلَت: الآية ١٢]، وقد يُطلق القضاء على تعلّق الإرادة الإلـٰهيّة بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه، ويُطلق أيضًا على وجود جميع الموجودات في اللّوح المحفوظ إجمالًا، والقدر: هو تفصيل قضائه السابق بإيجادها في موادّ الأحكام الخارجية واحدًا بعد واحد. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله:** (أو بأن لا تعبدوا) إشارة إلى أنّ أنْ مصدرية مقدّر قبلها الباء، ولا نافية. **قوله:** (وأحسنوا بالوالدين إحسانًا) على أن يكون قوله: ﴿إِحْسَٰنًا﴾ واقعًا موقع فعل المحذوف، ويكون ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ متعلّقًا بذلك المحذوف، وتكون هذه الجملة الأمرية معطوفة على ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا﴾، على أن تكون ﴿أَن﴾ فيها مفسّرة و﴿لَا﴾ ناهية عطف الجملة الأمرية على النهي، ووجه المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين الوالدين أنّ السبب الحقيقي لوجود الإنسان هو الله تعالى، والسبب الظاهر الأبوان، فأمر بتعظيم السبب الحقيقي ثم أتبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري. **قوله:** (أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا) على أنّ أنْ مصدرية ولا نافية، وأنّ الباء في قوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ متعلّقة بقضى. **قوله:** (وهو في قراءة حمزة وعليّ «يبلغان») بألف التثنية قبل نون التوكيد الشديدة المكسورة (بدل) بعض (من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين) وكلاهما عطف عليه بدل كل، ولولا أحدهما لكان كلاهما توكيدًا للألف والباقون بغير ألف وفتح النون على التوحيد لأنها تفتح مع غير الألف وأحدهما فاعله وكلاهما عطف عليه. **قوله:** (﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾) بتشديد الفاء مع كسرها منوّنة (مدني) أي نافع المدني وكذا أبو جَعْفَر المدني، وليس من السبعة (وحفص: ﴿أُفَّ﴾) بفتح الفاء من غير تنوين فيها (مكّي) أي ابن كثير المكي

﴿أُفِّ﴾ **غيرهم**). وهو صوت يدل على (**تضجر**)، فالكسر على أصل (**التقاء الساكنين**)، والفتح للتخفيف، والتنوين (**لإرادة التنكير أي أتضجر تضجرًا**)، وتركه لقصد التعريف أي أتضجر التضجّر المعلوم ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ (**ولا تزجرهما**) عما يتعاطيانه، مما لا يعجبك والنهي والنهر (**أخوان**) ﴿وَقُل لَّهُمَا﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (**جميلًا**) ليّنًا كما يقتضيه حُسْن الأدب، أو هو أن يقول: (**يا أبتاه**) يا أُماه ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من (**الجفاء**)، ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها: (**نحلني أبو بكر**) كذا، وفائدة ﴿عِندَكَ﴾ أنهما إذا صار (**كلاً**) على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته و(**كنفه**) وذلك أشق

(**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (﴿أُفَّ﴾) بكسرها بلا تنوين (**غيرهم**)، ولا خلاف بينهم في تشديد الفاء. **قوله**: (**تضجر**) في المصباح: ضجر من الشيء ضجرًا فهو ضَجِر من باب تعب اغتمّ وقلق مع كلام منه وتضجّر منه كذلك وأضجرته منه فضجر وهو ضجور. اهـ. **قوله**: (**التقاء الساكنين**) وهما الفاآن. **قوله**: (**لإرادة التنكير**[1]) أي الدال على أن مدخوله غير معيّن (**أي أتضجّر تضجّرًا**) ما، وأمّا إذا لم ينوّن فيراد التضجّر المخصوص في وقت مخصوص. **قوله**: (**ولا تزجرهما**) من باب نصر. **قوله**: (**أخوان**) أي متقاربان في المعنى **قوله**: (**جميلًا**) أي حسنًا. **قوله**: (**يا أبتاه**) بإلحاق الألف بعد التاء جمعًا بين العِوَضين التاء والألف؛ لأنه يجوز أن يكون لشيء عوضان، فكما قالوا بتعويض التاء وحدها: يا أبتِ، وتعويض الألف وحدها: يا أبا، قالوا بتعويضهما معًا: يا أبتاه، والهاء للسَّكت. قوله: (يا أباه) بقلب ياء المتكلّم ألفًا والهاء للسَّكت. **قوله**: (**الجفاء**) ممدود ضدّ البِرّ. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (**نحلني**) أي أعطاني، في مختار الصحاح: النُّحْل ـ بالضم ـ مصدر نَحله ينحله ـ بالفتح ـ نُحْلًا أي أعطاه. اهـ. **قوله**: (**أبو بكر**)[2] عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرّة التيمي الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، مات في جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستّون سنة. **قوله**: (**كلًا**) ثقيلًا. **قوله**: (**كنفه**) أي منزله. اهـ. وفي مختار الصحاح: كنفه حاطه وصانه وبابه نصر، والكنف ـ بفتحتين ـ الجانب،

---

(١) أي: لا تقل لهما أفّ ما في وقعت ما. ١٢.

(٢) ابن أبي قحافة، ١٢.

عليه، فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر منهما «أف» فضلًا عمّا يزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده، ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة (**تنفلت**) من المتضجّر مع مُوجِبات الضَّجَر ومع أحوال لا يكاد يصبر الإنسان معها.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ أي اخفض لهما جناحك كما قال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: الآية ٨٨] فأضافه إلى الذل (**كما أضيف حاتم إلى الجود**) والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ (**من فرط رحمتك لهما**) وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى مَن كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس. وقال الزجّاج: وألِن **جانبك** متذلّلًا لهما من مبالغتك في الرحمة لهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ولا تكتفِ برحمتك عليهما التي لا بقاء لها، وادعُ الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك. والمراد بالخطاب غيره عليه السلام، والدعاء مختصٌّ بالأبوين المسلمين، وقيل: وَإذا كانا كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية. (**وعن النبي ﷺ «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما»**). ورُوِيَ يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاقّ ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة». وعنه عليه السلام «إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد

وتكنَّفوه واكتنفوه وكنّفوه تكنيفًا أحاطوا به، والكِنف ـ بكسر الكاف ـ وِعاء يكون فيه أداة الراعي وبتصغيره جاء في الحديث: «كُنَيْف مُلِيء علمًا»، والكَنِيف الساتر، ومنه قيل للمذهب كنيف. اهـ. **قوله**: (**تنفلت**) في المصباح: انفلت خرج بسرعة.

قوله: (**كما أُضيف حاتم إلى الجود**) أي إضافته إلى الذلّ من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته. **قوله**: (**من فرط رحمتك لهما**) إشارة إلى أن كلمة (مِنْ) للتعليل؛ كما في قوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: الآية ٢٥]، أي واخفض جناحك من أجل الرحمة وفرط الرحمة زيادتها والمبالغة فيها. **قوله**: (**وعن النبيّ ﷺ**: «**رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما**») أخرجه الترمذي.

ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد عاقٌّ ولا قاطع رَحِم ولا شيخ زانٍ ولا جارّ إزاره (خُيَلاء) إن الكبرياء لله ربّ العالمين».

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين ومن (النشاط) والكرامة في خدمتهما ﴿إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ﴾ قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند (حرج الصدر هنة) تؤدي إلى أذاهما ثم إبتُم إلى الله واستغفرتم منها ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ الأواب الذي إذا أذنب بادر إلى التوبة فجاز أن يكون هذا عامًا لكل مَن فرطت منه جناية، ثم تاب منها ويندرج تحت الجاني على أبويه التائب من جنايته (لوروده على إثره).

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ منك ﴿حَقَّهُ﴾ أي النفعة إذا كانوا محارم فقراء ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي وآتِ هؤلاء حقهم من الزكاة ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ولا تسرف إسرافًا. قيل: التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل؛ فعن (مجاهد): لو أنفق (مدًا)

قوله: (خُيَلاء) وهو الكبر والإعجاب.

قوله: (النشاط) ضدّ الكَسَل. اهـ لسان العرب. **قوله**: (حرج الصدر) ضِيقه. **قوله**: (هنة) الهَنُ مخفّفة النون وقد تشدّد النون في الشعر كناية عن كل اسم جنس ومعناه شيء يقال هذا هَنُك، أي شيئك، والأنثى هَنَةٌ. **قوله**: (لوروده على إثره) أي لوقوعه بعده، وهو تعليل للاندراج.

قوله: (مجاهد) بن جبر ـ بفتح الجيم وسكون الموحدة ـ ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون رحمه الله. **قوله**: (مدًا) في المصباح: المدّ ـ بالضمّ ـ كيل، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز فهو ربع صاع؛ لأن الصاع خمسة أرطال وثلث، والمدّ رطلان عند أهل العراق. اهـ. وأيضًا فيه: الرطل معيار يُوزَن به وكسره أشهر من فتحه، وهو بالبغدادي اثنتا عشرة أُوقية، والأُوقية أستار وثلثا أستار، والأستار أربعة مثاقيل ونصف مثقال، والمِثقال درهم وثلاثة أسباع درهم، والدرهم ستّة دوانق، والدّانق

في باطل كان تبذيرًا. وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه: لا خير في (السَّرف) فقال: لا سرف في الخير.

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أمثالهم في الشرارة وهي غاية المَذَمَّة لأنه لا أَشَرَّ من الشيطان، أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ فما ينبغي أن يُطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ إن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرّدّ ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي وإن أعرضت عنهم لفَقْد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك ـ فسمَّى الرزق رحمة ـ فرُدَّهم ردًّا جميلًا، فوضع الابتغاء موضع الفَقْد لأن فاقِد الرزق مُبتَغٍ له فكان الفَقْد سبب الابتغاء، والابتغاء مُسبَّبًا عنه، فوضع المسبّب موضع السبب. يقال: (يُسِرَ الأمر وعُسِر) مثل

ثمان حبّات وخمسا حبة؛ وعلى هذا، فالرطل تسعون مثقالًا وهي مائة درهم وثمانية وعشرون درهمًا وأربعة أسباع درهم، والجمع أرطال. اهـ. وفي مجمع بحار الأنوار: الصاع هو مكيال يسع أربعة أمداد، والمد رطل وثلث بالعراقي، وبه يقول الشافعي وفقهاء الحجاز، وقيل: هو رطلان وبه أخذ أبو حنيفة وفقهاء العراق، فيكون الصاع خمسة أرطال وثلثًا أو ثمانية أرطال. اهـ. **قوله**: (السَّرف) في المصباح: أسرف إسرافًا جاز القصد، والسرف ـ بفتحتين ـ اسم منه. اهـ.

قوله: (يُسِرَ الأمر) بصيغة المجهول وكذا ما بعده، فكأنه لم يسمع إلّا مجهولًا إذا تعدّى، في المصباح: يَسِرَ الأمر يَيْسَرِ يَسَرًا من باب تعب[1] ويسر يسرًا من باب قرب، فهو يسير أي سهل. اهـ. **قوله**: (وعُسِر) في المصباح: عسر الأمر عسرًا مثل قرب قربًا، وعسارة ـ بالفتح ـ فهو عسير أي صعب شديد، ومنه قيل للفقر: عسر، وعسر الأمر عسرًا فهو عسر من باب تعب وتعسّر واستعسر

---

(١) وضرب، ١٢ منه.

(**سَعِد الرجل ونُحِس فهو مفعول**). وقيل: معناه: فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسِّر عليهم فقرهم كأن معناه قولًا ذا ميسور وهو اليُسر أي دعاء فيه يسر. و﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ مفعول له أو مصدر في موضع الحال و﴿تَرْجُوهَا﴾ حال.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ ﴿كُلَّ﴾ نصب على المصدر لإضافته إليه. (**وهذا تمثيل لمنع الشحيح**) وإعطاء المُسرِف أمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف (**والتقتير**) ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ فتصير ملومًا عند الله لأن المُسرِف غير مرضي عنده. وعند الناس يقول الفقير: أعطى فلانًا وحرمني، ويقول الغني: ما يحسن تدبير أمر المعيشة، وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت ﴿مَّحْسُورًا﴾ منقطعًا بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا أثَّر فيه أثرًا بليغًا أو عاريًا

كذلك، وعسر الرجل عسرًا فهو عسر أيضًا وعسارة بالفتح قلّ سماحه في الأُمور. **قوله**: (**سَعِد الرجل**) في المصباح: سعد فلان يسعد من باب تعب في دين أو دنيا سعدًا.اهـ. وأيضًا فيه: سُعِد - بالضم - خلاف شقي.اهـ. **قوله**: (**ونُحِس**) في مختار الصحاح: النَّحْس ضد السَّعْد وقرىء قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ [القمر: الآية ١٩] على الصفة والإضافة أكثر وأجود، وقد نَحِس الشيء من باب فهم نَحِسٌ بكسر الحاء ومنه قيل: أيام نَحِسات. **قوله**: (**فهو مفعول**) يعني أنه اسم مفعول من يسر كما أن المسعود المنحوس كذلك يقال: سُعِد الرجل فهو مسعود ونُحِس فهو منحوس.اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (**وهذا تمثيل لمنع الشحيح**) أي لامتناع البخيل عن إنفاق ماله على المحاويج مثل حال مَنْ يده مغلولة إلى عنقه فلا يقدر على شيء من التصريف، وحال من يُسرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقى شيء في كفّه، ثم استعمل ألفاظ الممثّل به في الممثل، والمعنى لا تجعل يدك في الانقباض عن الإنفاق كالمغلولة الممنوعة من الانبساط، ولا تتوسّع في الإنفاق توسّعًا بحيث لا يبقى في يدك شيء. **قوله**: (**والتقتير**) في مختار الصحاح: قتر على عياله أي ضيّق عليهم في النفقة، وبابه ضرب ودخل وقتّره تقتيرًا وأقتر أيضًا ثلاث لغات.اهـ.

من (حسر) رأسه. وقد (خاطرت) مسلمة (ضَرَّتها) اليهودية في أنه - يعني محمدًا عليه السلام - أجودُ من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذي عليه فدفعه وقعد عريانًا فأُقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت. ثم سلى رسول الله ﷺ عمّا كان يرهقه من الإضافة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك، ولكن بسط الأرزاق وقدرها مفوض إلى الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فليس البسط إليك ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي هو يضيق فلا لوم عليك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ بمصالحهم فيمضيها ﴿بَصِيرًا﴾ بحوائجهم فيقضيها.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ قتلهم أولادهم (وأدهم بناتهم) ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ إثمًا عظيمًا. يقال: (خطىء خطأ كأثم إثمًا. ﴿خَطَـًٔا﴾) شامي وهو ضد الصواب (اسم) من (أخطأ). وقيل: والخطء كالحذر والحذر («خطاء» بالمدّ والكسر: مكي) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ (ٱلزِّنَىٰٓ﴾ القصر فيه أكثر والمدّ لغة وقد قرىء به) وهو نهي عن دواعي الزنا كالمسّ والقبلة ونحوهما، ولو أُريد النهي عن نفس الزنا

قوله: (حسر) من باب ضرب. **قوله**: (خاطرت) في تاج العروس: المخاطرة المراهنة. اهـ. **قوله**: (ضَرّتها) أي امرأة زوجها.

قوله: (وأدهم بناتهم) أي دفنها حيّة كما كانوا يفعلونه في الجاهلية. **قوله**: (خطىء خطأ) بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة بعدها من باب علم (كأثم إثمًا) أي لفظًا ومعنى، ويكون بمعنى تعمّد الكذب، وليس بمراد هنا. (و﴿خَطَـًٔا﴾) بفتح الخاء والطاء من غير مدّ. **قوله**: (اسم) أي اسم مصدر من (أخطأ) إخطاء فهو مغاير الخطأ الذي يقابل العمد. **قوله**: (خطّاء بالمدّ والكسر) بوزن قتّال (مكّي) أي ابن كثير المكّي، وقرأ ابن ذكوان بفتح الخاء والطاء ولا مدّ بعد الطاء، والباقون بكسر الخاء وسكون الطاء. قال الرماني: الخطء بكسر ثم سكون لا يكون إلّا تعمّدًا إلى خلاف الصواب والخطأ أي محرّكًا قد يكون من غير تعمّد. اهـ خطيب. **قوله**: (﴿ٱلزِّنَىٰٓ﴾ القصر فيه أكثر والمدّ لغة، وقد قرىء به) في مختار الصحاح:

لقال: «ولا تزنوا» ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ معصية مجاوزة حدّ الشرع والعقل ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ وبئس طريقًا طريقه.

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ﴾ أي بارتكاب ما يُبيح الدم ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير مرتكب ما يُبيح الدم ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ تسلّطًا على القاتل في الاقتصاص منه ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ﴾ الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية، أو الإسراف المثلة، **(أو الضمير للقاتل الأول «فلا تسرف» حمزة وعلي)** على خطاب الوليّ أو قاتل المظلوم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ الضمير للوليّ أي حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزِد على ذلك، أو للمظلوم أي الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وبنصره في الآخرة بالثواب، أو للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فإنه كان منصورًا بإيجاب القصاص على المسرف. وظاهر الآية يدل على أن القصاص يجري بين الحُرّ والعبد وبين المسلم والذِّمّي لأن أنفس أهل الذمة والعبيد داخلة في الآية لكونها محرَّمة.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة والطريقة التي هي أحسن وهي حفظه وتثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ أي ثمانية عشرة سنة ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ﴾

الزّنا يمدّ ويقصر، فالقصر لأهل الحجاز وبه نطق القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾، والمدّ لأهل نجد.اهـ. وفي لسان العرب قال اللِّحيانيّ: الزنا مقصور لغة أهل الحجاز، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ بالقصر، والزناء ممدود لغة بني تميم، وفي الصحاح: المدّ لأهل نجد.اهـ.

قوله: (أو الضمير للقاتل الأوّل) أي مريد القتل ومباشرة ابتداء أي لا يُسرف القاتل المبتدىء. **قوله: («فلا تُسرف») بالتاء (حمزة وعليّ)** الكسائي رحمه الله، والباقون بالياء على الغيبة.

بأوامر الله تعالى ونواهيه ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ مطلوبًا **(يطلب من المعاهد أن لا يضيّعه)** ويَفِي به، **(أو أن صاحب العهد كان مسؤولا)**.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ **(بكسر القاف: حمزة وعلي وحفص)**، وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها. **(وقيل: هو القرسطون أي القبّان)** ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ المعتدل ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ولا تتبع ما لم تعلم أي لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت. وعن **(ابن الحنفية)**: لا تشهد بالزور. وعن ابن عباس: لا تَرْمِ أحدًا بما لا تعلم.

قوله: **(يطلب من المعاهد أن لا يضيّعه)** يعني أن قولك سألته الشيء معناه طلبته منه، وليس المراد من كون العهد مسؤولًا كون ذاته مطلوبًا، بل المعنى أن عدم تضييع العهد كان مطلوبًا من المعاهد، وأن المعاهد كان مسؤولًا مطلوبًا فحذف المضاف والمضاف إليه، وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعتمادًا على دلالة المقام على المراد. **قوله**: **(أو أن صاحب العهد كان مسؤولًا)** أي يقدر مضاف قبل العهد.

قوله: **(بكسر القاف حمزة وعليّ)** الكسائي **(وحفص)**، والباقون بضمّها. **قوله**: **(وقيل: هو القَرَسْطُون)** في لسان العرب: القرسطون أعجمي؛ لأن فَعَلُّولًا وفَعَلُونًا ليسا من أبنيتهم. اهـ. **قوله**: **(أي القبّان)** كشدّاد، في لسان العرب: القبّان الذي يوزن به لا أدري أعربي أم معرب. قال الجوهري: القبّان القسطاس معرب. اهـ.

قوله: **(ابن الحنفيّة)** هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفيّة، واسمها خولة من سبي بني حنيفة، وهي خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلم بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، كنيته محمد هذا أبو

....

القاسم، ويقال أبو عبد الله، وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وقال ابن أبي حاتم: لثلاث بقين، وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب وسمع عثمان وأباه رضي الله تعالى عنهم، روى عنه بنوه الحسن وعبد الله وإبراهيم وعون وجماعات من التابعين، روينا عنه عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله! إنْ وُلِد لي مولود بعدك أسمّيه باسمك وأكنيه بكنيتك، قال: «نعم»، قال: أحمد بن عبد الله العُقَيلي الإمام الحافظ ثلاثة يسمّون محمد أرخص في كنيتهم بأبي القاسم: محمد بن أبي بكر، ومحمد بن عليّ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله. وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الحافظ: لا نعلم أحدًا أسند عن عليّ عن النبيّ ﷺ أكثر ولا أصحّ مما أسند محمد ابن الحنفية، قال عمرو بن علي وأبو نُعَيم في روايات عنه: مات محمد ابن الحنفية سنة أربع عشرة ومائة، وقال البخاري: قال أبو نعيم: مات سنة ثمانين، وقال يحيى بن بكير: سنة إحدى وثمانين، وقال المدائني: سنة ثلاث وثمانين. وفي طبقات الفقهاء للشيخ أبي إسحٰق عن الهيثم بن عدي: سنة ثلاث أو اثنتين وسبعين. وفي تاريخ البخاري عن أبي حمزة ـ بالحاء ـ قال: قضينا نُسْكَنا حين قُتل ابن الزبير ثم رجعنا إلى المدينة مع محمد ابن الحنفية، فمكث ثلاثة أيام ثم توفي، وهذا يوافق قول الهيثم، فإنّ ابن الزبير قُتل سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة اثنتين.

فصل

(يقال لمحمد هذا) ابن الحنفية، ويقال: محمد بن عليّ، ويقال: محمد بن علي ابن الحنفية، فينسب إلى أبيه وأُمّه جميعًا؛ فعلى هذا يشترط أن ينوّن عليّ ويكتب ابن الحنفية بالألف ويكون إعرابه إعراب محمّد؛ لأنه وصف لمحمد لا لعليّ، ولهذا نظائر وقد أفردتها في جزء منها عبد الله بن مالك بن بُحَيْنة مالك أبوه، وبحينة أُمّه، وعبد الله بن أُبيّ ابن سَلُول المنافق أُبيٌّ أبوه وسلول أُمّه، وإسماعيل بن إبراهيم ابن علية مثلهما، والمقداد بن عمرو ابن الأسود أبوه الحقيقي عمرو وتبنّاه الأسود فنُسِب إليه، وإسحٰق بن إبراهيم ابن راهويه، فراهويه هو إبراهيم، ومثله محمد بن يزيد ابن ماجه صاحب السنن ماجه هو يزيد وآخرون كذلك. اهـ تهذيب الأسماء.

ولا يصحّ **(التشبث به)** لمُبطِل الاجتهاد لأن ذلك نوع من العلم **(فإن علمتموهنّ مؤمنات)**، وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما في الشهادات ولنا في العمل بخَبَر الواحد لما ذكرنا ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد لأن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم كقول **(جرير**:

قوله: **(التَّشَبُّث به)**، أي التعلّق.اهـ مختار الصحاح. **قوله**: **(فإن علمتموهن مؤمنات)** في سورة الممتحنة: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾) بألسنتهنّ (﴿مُهَٰجِرَٰتٍ﴾) من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبيّة على أن مَنْ جاء منهم إلى المؤمنين يرد (﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾) بالحلف أنهنّ ما خرجن إلّا رغبةً في الإسلام لا بغضًا لأزواجهنّ الكفّار ولا عشقًا لرجالٍ من المسلمين، كذا كان النبيّ ﷺ يحلفهنّ (﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾) ظننتموهن بالحلف (﴿مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾) تردّدهنّ **(إلى الكفار)**.اهـ جلالين. قال المصنف رحمة الله عليه: في السورة المذكورة (﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾) العِلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظنّ الغالب لظهور الأمارات، وتسمية الظنّ علمًا يُؤذن بأن الظنّ الغالب وما يفضي إليه القياس جارٍ مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.اهـ.

قوله: **(جرير)** هو أبو حَزْرَة ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء بعدها هاء ساكنة ـ وهي المرّة من الحزر، جرير بن عطية بن حذيفة ولقب حذيفة الخطفي ـ بفتح المعجمة والمهملة والفاء ـ يزيد بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوح بن حنظلة بن زيد الشاعر المشهور، كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائص وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن، وأجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، ولمّا مات الفرزدق وبلغ خبره جريرًا بكى وقال: أمَا والله إني لا أعلم أني قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحدًا وكل واحد منّا مشغول بصاحبه، وقلّما مات ضدًّا وصديق إلّا وتبعه صاحبه، وكذلك كان. وتوفي في سنة عشر ومائة، وفيها مات الفرزدق.

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام)

و﴿عَنْهُ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولًا عنه، فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: الآية ٧]. يقال للإنسان: لِمَ سمعت ما لم يحلّ لك سماعه، ولِمَ نظرت إلى ما لم يحلّ لك النظر إليه، ولِمَ عَزَمْتَ على ما لم يحلّ لك العزم عليه؟ كذا في الكشاف، وفيه نظر لبعضهم لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخرا عن الفعل، فأما إذا تقدّما فلا.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ هو حال أي (ذا مرح) ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ لن تجعل فيها خرقًا بدوسك لها وشدة وطئتك ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ بتطاولك وهو

قوله:

(ذمّ[1] المنازل بعد منزلة اللّوى والعيش بعد أُولئك الأيام)

اللّوى موضع بعينه، يعني أن المنزلة الطيّبة والعيش الطيّب ما مضى بمنزلة اللّوى وما سوى ذلك مذموم في جنبه.اهـ شرح أبيات كشاف. وفي تفسير الخطيب: يجوز في ذمّ فتح الميم وكسرها وضمّها، وقوله: بعد منزلة اللّوى أي بعد مفارقتها، والإضافة في منزلة اللّوى للبيان، وهو ممدود ولكن قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل والأيام صفة لاسم الإشارة أو عطف بيان له.اهـ.

قوله: (ذا مرح) إشارة إلى أن المرح ـ بفتح الراء ـ مصدر واقع موقع الحال بتقدير المضاف، والمرح شدّة الفرح، يقال: مرح يمرح مرحًا فهو مَرِح المصدر بفتح الراء والنعت بكسرها.

---

(١) أمر من ذم يذم، ومعناه أنه يخاطب صاحبه ويقول له: اذمم كل منزل وكل حياة بعد تلك المنازل وأيامها الخالية منها، واللوى موضع معروف، ١٢ منه رحمه الله تعالى.

تهكّم بالمختال، أو لن تحاذيها قوة (وهو حال من الفاعل أو المفعول) ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ (سَيِّئُهُۥ﴾ كوفي وشامي على إضافة سيىء إلى ضمير «كل» سيّئة غيرهم) ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ذكر ﴿مَكْرُوهًا﴾ لأن السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات (فلا اعتبار بتأنيثه ألا تراك تقول: «الزنا سيئة»، كما تقول: «السرقة سيئة»)، فإن قلت: الخِصال المذكورة بعضها سيىء وبعضها حَسَن قرأ مَن قرأ ﴿سَيِّئَةً﴾، بالإضافة أي ما كان من المذكور سيئًا كان عند الله مكروهًا، فما وجه قراءة مَن قرأ ﴿سَيِّئَةً﴾؟ قلت: كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخِصال المعدودة.

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى هذه الغاية ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس (بإسوته) ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ مطرودًا من الرحمة. عن ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام، أولها ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وآخرها ﴿مَّدْحُورًا﴾ ولقد

قوله: (وهو) أي ﴿طُولًا﴾ (حال من الفاعل أو المفعول) ويجوز أن يكون تمييزًا ومفعولًا له ومصدرًا من معنى ﴿تَبْلُغَ﴾. **قوله**: (﴿سَيِّئُهُۥ﴾) بضم الهمزة والهاء وإشباع ضمّتها (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (وشامي) أي ابن عامر الشامي (على إضافة سيِّىء إلى ضمير «كل» سيّئة) بفتح الهمزة وبالتاء منوّنة منصوبة (غيرهم). **قوله**: (فلا اعتبار بتأنيثه) ولا فرق بين سيئة وسيئ (ألا تراك تقول: الزنا سيئة، كما تقول: السرقة سيئة)؛ فلا فرق بين إسنادها إلى مذكّر ومؤنّث.

قوله: (بإسوته) في المصباح: الإسوة - بكسر الهمزة وضمّها - القدوة، وتأسَّيْت به وائتسيت اقتديت. اهـ. وأيضًا فيه: القدوة اسم من اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسّيًا، وفلان قدوة أي يُقتدى به، والضمّ أكثر من الكسر. قال ابن فارس: ويقال إنّ القدوة الأصل الذي يتشعّب منه الفروع. اهـ.

جعلت فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشِّرك لأن التوحيد (**رأس كل حكمة وملاكها**)، من عدمه لم تنفعه حكمة وإن (**بذ**) فيها الحكماء وحكَّ (**بيافوخه**) السماء، وما أغنت عن (**الفلاسفة أسفار الحكم**) وهم عن دين الله أضلّ من (**النَّعم**). ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله:

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ الهمزة للإنكار يعني أفخصَّكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم، فالعبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ حيث أضفتم إليه الأولاد وهي من خواصّ الأجسام، ثم فضّلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي التنزيل

قوله: (رأس كل حكمة) الرأس معروف، ويُطلق على الأوّل والأشرف. **قوله**: (ملاكها) في مختار الصحاح: مَلاك الأمر ـ بفتح الميم وكسرها ـ ما يقوم به. اهـ. **قوله**: (بَذّ) أي غلب. **قوله**: (بيافوخه) في المصباح: اليأفوخ ـ بهمز ـ وهو أحسن وأصوب، ولا يهمز ذكر ذلك الأزهري، فمَنْ همزه قال: هو في تقدير يفعول، ومنه يقال: أفخته إذا ضربت يافوخه، ومن ترك الهمز قال في تقدير فاعول، ويقال: يفخته واليافوخ وسط الرأس، ولا يقال: يافوخ حتى يصلب ويشتدّ بعد الولادة. اهـ.

قوله: (الفلاسفة) الفلسفة باليونانية محبّة الحكمة، والفيلسوف هو فيلا وسوفا، وفيلا هو المحبّ، وسوفا هو الحكمة، أي هو مُحبّ الحكمة. **قوله**: (أسفار الحكم) في مختار الصحاح: السِّفْر ـ بالكسر ـ الكتاب والجمع أسفار، قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٥]. اهـ.

قوله: (النَّعم) المال الراعي وهو جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. اهـ مصباح.

والمراد ولقد صرفناه أي هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ (وبالتخفيف: حمزة وعلي)، أي كرّرناه ليتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق. وكان (الثوري) إذ قرأها يقول: زادني لك خضوعًا ما زاد أعداءك نفورًا.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣)﴾

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ مع الله ﴿ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ (وبالياء: مكي وحفص). ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (يعني لطلبوا) إلى مَن له المُلْك والربوبية سبيلًا بالمُغالبة

قوله: (وبالتخفيف) أي بسكون الذال ورفع الكاف من غير تشديد من الذِّكر الذي هو بمعنى التذكر (حمزة وعليّ) الكسائي، والباقون بفتح الذال والكاف مع تشديدها. **قوله**: (الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر الثوري الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن، وهو من تابعي التابعين، وُلد سنة سبع وتسعين، سمع سفيان الثوري أبا إسحٰق السبيعي وعبد الملك بن عمير وعمرو بن مرّة وخلائق من كبار التابعين وغيرهم، روى عنه محمد بن عجلان والأعمش وهما تابعيّان، ومعمر والأوزاعي وابن أبي إسحٰق ومالك وابن عُيينة وشعبة والفُضَيْل بن عياض وأبو الأحوص وأبو إسحٰق الفزاري وابن المبارك وزائدة وابن مهدي ووكيع وأبو نعيم ويحيىٰ القطّان ومحمد بن يوسف الفريابي وخلائق، واتّفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزُّهد وخشونة العيش والقول بالحق وغير ذلك من المحاسن، وأحوال الثوري والثناء عليه أكثر من أن يحصر، وأوضح من أن يشهر. قال محمد بن سعد: أجمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستّين ومائة رضي الله تعالى عنه، والثوري بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء، هذه النسبة إلى ثور بن عبد مناة.

قوله: (وبالياء) على الغيبة (مكي) أي ابن كثير المكّي (وحفص)، والباقون بالخطاب. **قوله**: (يعني لطلبوا)... الخ. فقوله: ﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ بمعنى إلى

كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض، **(أو لتقربوا إليه)** كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ ﴿وَإِذًا﴾ دالّة على أن ما بعدها وهو ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾ جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ «لو» ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ **(وبالتاء: حمزة وعلي)** ﴿عُلُوّٗا﴾ أي تعاليًا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ﴿كَبِيرٗا﴾ وصف العلو بالكِبْر مبالغة في معنى البراءة والبُعْد مما وصفوه به.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾

﴿تُسَبِّحُ﴾ **(وبالتاء: عراقي غير أبي بكر)** ﴿لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده. عن **(السدي)** قال عليه السلام: «ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله تعالى» ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ لاختلاف اللغات أو لتعسّر الإدراك أو سبب لتسبيح الناظر إليه، والدّالّ على الخير كفاعله. والوجه الأول ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عن جهل العباد ﴿غَفُورٗا﴾ لذنوب المؤمنين.

مقابلته ومغالبته. **قوله**: **(أو لتقربوا إليه)** فالسبيل بمعنى الوسيلة المُوصِلة إليه.
قوله: **(وبالتاء)** على الخطاب **(حمزة وعليّ)** الكسائي، والباقون بالياء على الغيبة.

قوله: **(وبالتاء عراقي غير أبي بكر)** شعبة، وقوله: عراقي إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة قيل **عراقي**، وعبارة غيث النفع: قرأ الحرميان والشامي وشعبة بالياء، والباقون بتاء التأنيث. اهـ. وعبارة علامة شيخ زاده قوله: (وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو بكر ﴿يُسَبِّحُ﴾ بالياء) أي الياء المنقوطة من تحت لإسناد الفعل إلى ظاهر المؤنّث الغير الحقيقي، ولوجود الفصل بين الفعل وفاعله المؤنّث، والباقون بتاء التأنيث. اهـ. **قوله**: **(السدي)** أي إسماعيل بن عبد الرحمٰن وهو بالضمّ والتشديد نسبة إلى سدّة جامع الكوفة أي بابه؛ لأنه كان يبيع عنده. اهـ لبّ الأسباب في تحرير الأنساب. وفي المصباح: السدّة الباب ويُنْسب إليها على اللفظ، فيقال: السدّي، ومنه الإمام المشهور، وهو إسماعيل السدّي لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدّة مسجد الكوفة، والجمع سُدد مثل غرفة وغرف. اهـ. وفي دستور الإعلام بمعارف الأعلام: السدّي الكبير الكوفي المفسّر الأعور أبو محمد

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ **(ذا ستر)** أو حجابًا لا يرى فهو مستور ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾ جمع كنان وهو الذي يستر الشيء ﴿**أَن يَفْقَهُوهُ**﴾ **(كراهة أن يفقهوه)** ﴿**وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا**﴾ **(ثقلًا)** يمنع عن الاستماع ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾ يقال: وحد يحد وحدًا وحدة نحو وعد يَعِد وعدًا وعِدَة فهو مصدر سدّ مسدّ الحال **(أصله يحد وحده)** بمعنى واحدًا ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ﴾ رجعوا على أعقابهم ﴿نُفُورًا﴾ مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تُذكَر معه آلهتهم لأنهم مُشرِكون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا.

إسماعيل بن عبد الرحمٰن بن أبي كريمة التابعي، روى عن أنس بن مالك وابن عباس، روى له الجماعة إلّا البخاري والصغير الكوفي المفسّر صاحب الكلبي وهو متروك الحديث محمد بن مروان. اهـ. مات إسماعيل سنة سبع وعشرين بعد المائة. اهـ.

قوله: (ذا ستر) على أن مستورًا من باب النسب كلابن وتامر، وهو وإن اشتهر في فاعل فقد جاء في مفعول أيضًا، كما نبّهوا عليه وله نظائر كرجل مرطوب، أي ذي رطوبة، ومكان مهول وجارية مغنوجة أي ذي هول وذات غنج، وكان وعده مأتيًا بمعنى ذي إتيان، لا أنه يُؤتى إليه والحجاب ليس بمستور بل المستور ما وراءه، فلذلك جعل المستور للنسب، ويحتمل أن يكون توصيف الحجاب بكونه مستورًا عبارة عن كونه غير مرئيّ على طريق إطلاق الملزوم وإرادة لازمه؛ لأن ما يكون مستورًا يلزمه أن لا يُرى. **قوله: (كراهة أن يفقهوه)** يعني أنه مفعول به بتقدير مضاف. **قوله: (ثقلًا)** بفتح القاف ضدّ الخفّة، وأمّا بسكونها، فهو واحد الأثقال، أي الأحمال، ويمكن إرادته هنا أيضًا. **قوله: (أصله يحدّ وحدّه)** فيحدّ فعل مضارع حال من ربك، فوحده مفعول مطلق فحذف يحده ووضع وحده موضعه.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾ أي نحن أعلم بالحال أو الطريقة التي يستمعون القرآن بها، فالقرآن هو المُستمع وهو محذوف و﴿بِهِۦٓ﴾ حال وبيان لـ «ما» أي يستمعون القرآن هازئين لا جادِّين والواجب عليهم أن يستمعوه جادِّين ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ نصب بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ وبما يتناجون به إذ هم **(ذوو نجوى)** ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بدل من ﴿إِذْ هُمْ﴾ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سُحِرَ فَجُنَّ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ **(مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون)**، ﴿فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي فضلّوا في جميع ذلك ضلال مَن يطلب في التِّيه طريقًا فلا يقدر عليه فهو متحيِّر في أمره لا يدري ما يصنع.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي منكرو البعث ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا (وَرُفَٰتًا) أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ أي مجددًا و﴿خَلْقًا﴾ حال أي مخلوقين ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ أي السمٰوات والأرض فإنها تكبر عندكم عن قبول الحياة ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ﴾ يعيدكم ﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعيدكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويردّه إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظامًا يابسة مع

قوله: (ذوو نجوى) إشارة إلى تقدير المضاف. **قوله**: **(مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون)** أي قالوا تارة هذا وتارة هذا، مع عِلمهم بخلافه؛ فإنما قصدوا تشبيه حالك فيما قلته ونطقت به من القرآن بحال هؤلاء، فمثَّلوك بمعنى شبّهوك إمّا على أن الأمثال: جمع مثل بفتحتين، أو مثل بكسر فسكون.

قوله: (﴿وَرُفَٰتًا﴾) الرّفات ما بَلِيَ فتفتّت، وقيل: إنه تراب.

أن العظام بعض أجزاء الحيّ بل هي عمود خلقه الذي يُبنَى عليه سائره، فليس ببِدْع أن يردّها الله بقدرته إلى الحالة الأولى، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدًا لكان قادرًا على أن يردّكم إلى حال الحياة ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ فسيحرّكونها نحوك تعجّبًا واستهزاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي البعث استبعادًا له ونفيًا ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي هو قريب و«عسى» للوجوب ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى المحاسبة وهو يوم القيامة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي تُجيبون حامدين والباء للحال. عن (**سعيد بن جبير**): ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللّهمّ وبحمدك ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لبثًا قليلًا أو زمانًا قليلًا في الدنيا أو في القبر.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ وقل للمؤمنين ﴿يَقُولُوا۟﴾ للمشركين الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وألين ولا يخاشنوهم وهي أن يقولوا يهديكم الله ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يُلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقّة. والنزغ: إيقاع الشر وإفساد ذات البين. وقرأ طلحة ﴿يَنزِغُ﴾ بالكسر وهما لغتان ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ظاهر العداوة أو فسر ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالهداية والتوفيق ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ (**بالخذلان**) أي يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ اعتراض

قوله: (**سعيد بن جبير**) الكوفي أحد أعلام التابعين، قُتل بين يدي الحجاج في شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة بواسط، ومات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة المذكورة، ولم يسلّطه الله عزّ وجلّ بعده على قتل أحد إلى أن مات.

قوله: (**بالخذلان**) في مختار الصحاح: خَذَله يخذُله ـ بالضمّ ـ خِذْلانًا ـ بكسر الخاء ـ ترك عونه ونصرته. اهـ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ حافظًا لأعمالهم وموكولًا إليك أمرهم وإنما أرسلناك بشيرًا ونذيرًا (**فدارهم**) ومُر أصحابك بالمُداراة.

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وبأحوالهم وبكل ما يستأهل كل واحد منهم. ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ﴾ فيه إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ دلالة على وجه تفضيله وإنه خاتم الأنبياء، وأن أُمته خير الأُمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٥]. وهم محمد وأمته. ولم يعرف الزبور هنا وعرفه في قوله: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ لأنه (**كالعباس وعباس والفضل وفضل**) ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ إنها آلهتكم ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله وهم الملائكة، أو عيسى وعزير، أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ أي ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب، ولا أن يحوِّلوه من واحد إلى آخر.

قوله: (**فدارهم**) في المصباح: داريته مداراة لَاطَفْته ولَايَنْته. اهـ.

قولهُ: (﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾) كتاب داود عليه السلام (﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾) التوراة (﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾) أي الشام، كذا أفاده المصنف رحمه الله في سورة الأنبياء. **قوله:** (**كالعباس، وعباس**) في تقريب التهذيب: عباس بن عبد المطّلب بن هاشم عمّ النبيّ ﷺ مشهور، مات سنة اثنتين وثلاثين أو بعدها، وهو ابن ثمانٍ وثمانين. اهـ. (**والفضل، وفضل**) في تقريب التهذيب: الفضل بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وأكبر ولد العبّاس، استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه. اهـ. يعني أن الزبور علم لكتاب داود على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، فكيف عرّف تارة ونكّر أُخرى، والتعريف العلمي يُغني عن التعريف اللاميّ. وأجاب عنه: بأنه ليس من الأعلام المرتجلة، بل هو من الأعلام المنقولة، فإنه منقول عن اسم صفة كعباس أو عن اسم معنى كفضل؛ لأنه اسم فعول بمعنى

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ۝٥٧﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ صفة أي يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ يعني أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة إلى الله عزَّ وجل ﴿أَيُّهُمۡ﴾ بدل من واو ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ و«أي» موصولة أي يبتغي مَن هو ﴿أَقۡرَبُ﴾ منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل: يحرصون أيّهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ حقيقًا بأن يحذره كل أحد من ملك مُقرَّب ونبي مُرسَل فضلًا عن غيرهم.

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٥٨﴾

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾ قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَسۡطُورٗا﴾ مكتوبًا. وعن (**مقاتل**): وجدت في كتب (**الضحاك**) في تفسيرها: أما مكة فيخرِّبها الحبشة، وتهلك المدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالتُّرك،

مفعول كحلوب، أو بمعنى المصدر كقبول وبعدما نقل إلى العلميّة جاز تعريفه تلميحًا وإشارة إلى أصله، وجاز تنكيره اعتبارًا للعلمية؛ كالعباس وعباس والفضل وفضل.

قوله: (**مقاتل**) بن سليمان، أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها وكان مشهورًا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور، وكان من العلماء الأجلاء، حُكِيَ عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: الناس كلّهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام. توفي سنة خمسين ومائة بالبصرة رحمه الله تعالى. **قوله**: (**الضحاك**) بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد

و(**الجبال**) بالصواعق والرواجف. أما (**خراسان**) فعذابها ضروب، وأما (**بلخ**) فتصيبهم (**هدَّة**) فيهلك أهلها، وأما (**بدخشان**) فيخرِّبها أقوام، وأما (**ترمذ**) فأهلها يموتون بالطاعون، وأما (**صفانيان**) إلى (**وأشجِرد**) فيُقتَلون بقتل (**ذريع**)، وأما (**سمرقند**) فيغلب عليها (**بنو قنطور**) فيقتلون أهلها قتلًا ذريعًا، وكذا

الخراساني صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة. **قوله**: (**الجبال**) في أخبار الدول وآثار الأُوَل: الجِبَال ناحية مشهورة يقال لها بالفارسية كوهستان شرقيّها مفازة خراسان وفارس وغربيّها آذربيجان، وأهلها أصحّ الناس مزاجًا وأحسنهم صورة، قالوا: إنها تربة ديلميّة لا تقبل العدل والإنصاف، ومن وَلِيها عصى ومُعظم بلادها أصفهان والريّ وهمدان وقزوين وبها من الجبال والأودية ما لا يُحصى. اهـ. **قوله**: (**خراسان**) في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: خراسان بلاد مشهورة فيما وراء النهر[1] من أحسن أرض الله وأعمرها وأكثرها خيرًا وأهلها أحسن الناس صورة وأكملهم عقلًا وأكثرهم رغبة في الدِّين والعلم وبها الثعلب الطيّار وهو صنف من الثعلب له جناحان يطير بهما. اهـ. **قوله**: (**بلخ**) في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: بلخ مدينة عظيمة من أُمّهات بلاد خراسان بناها منوجهر بن أيرج بن أفريدون، وكان بها بيت النار وهو من أعظم بيوت الأصنام، وكان في خدمته برمك جدّ البرامكة، وكان يحكم في تلك البلاد إلى أن فُتِحت خراسان في أيام عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه، وانتهت السدانة إلى برمك أبي خالد فرغب في الإسلام وسار إلى عثمان رضي الله تعالى عنه وضمن منه المدينة. اهـ. **قوله**: (**هَدَّة**) الهدّ الهَرْم الشديد والصوت الغليظ، والهدّة المرّة. **قوله**: (**بدخشان**) في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: بَدَخْشان مدينة مشهورة بأعلى طخارستان بها معدن البلخس وبها معدن اللاجورد ومعدن البلّور الخالص. اهـ. **قوله**: (**ترمذ**) مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له: جيحون. **قوله**: (**صفانيان**) في القاموس: صفانيان كُورةٌ عظيمة بما وراء النهر. **قوله**: (**وأشجِرد**) بكسر الجيم وسكون المعجمة قبلها والراء المهملة وراء النهر. اهـ لبّ الأسباب في تحرير الأنساب. **قوله**: (**ذريع**) أي فظيع. **قوله**: (**سَمَرْقَنْد**) مدينة مشهورة بما وراء النهر. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل. **قوله**: (**بنو قنطور**) في القاموس: بنو قَنْطُوراء الترك أو السودان، أو هي جارية

---

(١) يُراد به ما وراء نهر جيحون. ١٢ أخبار الدول.

(فرغانة) و**(الشاش)** و**(أسبيجاب)** و**(خوارزم)**، وأما **(بخارى)** فهي أرض الجبابرة فيموتون قحطًا وجوعًا، وأما **(مرو)** فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد، وأما **(هراة)** فيُمطَرون بالحيّات فتأكلهم أكلًا، وأما **(نيسابور)** فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم، وأما **(الري)** فيغلب عليها **(الطبرية والديلم)** فيقتلونهم، وأما **(أرمينية)** و**(أذربيجان)** فيهلكها

لإبراهيم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، من نَسْلها الترك. اهـ. **قوله: (فَرْغانة)** في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: فَرْغانة ناحية مشتملة على بلاد كثيرة مُتاخمة لبلاد الترك. اهـ. **قوله: (الشاش)** مدينة وراء نهر جيحون. اهـ لبّ الأسباب. **قوله: (اسبيجاب)** بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية ثم جيم ثم ألف ثم باء موحدة، ويقال: بالفاء موضع الباء الأُولى بلدة كبيرة من ثغور الترك. **قوله: (خوارَزْم)** ناحية مشهورة ذات مدن وقرى كثيرة. اهـ أخبار الدول وآثار الأُول. **قوله: (بُخارىٰ)** مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل. **قوله: (مَرْو)** من أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيرًا وأحسنها منظرًا. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل. **قوله: (هَرَاة)** في أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: هَرَاة مدينة ببلاد فارس قرب إصطخر كثيرة البساتين والخيرات. اهـ. وأيضًا فيه: وهراة أيضًا مدينة عظيمة من مدن خراسان بها بساتين كثيرة ومياه غزيرة بناها الإسكندر. اهـ. **قوله: (نَيْسابُور)** في أخبار الدُّول وآثار الأُول: نَيْسابور مدينة من مدن خراسان. اهـ. **قوله: (الريّ)** مدينة مشهورة. **قوله: (الطَّبَرية)** اسم مدينة، انتهى. لسان العرب. وفي أخبار الدول وآثار الأُول: طبرية موضعان، الأوّل: مدينة جليلة قديمة، وهي من أعظم مدن الشام مُشرفة على بحيرة طبرية، وهي قصبة كورة الأردن والنسبة إليها طبراني، والثاني قرية من قرى واسط والنسبة إليها طبريّ، انتهى باختصار. **قوله: (والدَّيْلم)** كحَيْدر جِيل[1] معروف وهم أصحاب الشُّور الأعاجم من بلاد الشرق، وقال كراع: هم الترك وهم بنو الدَّيلم بن باسل بن ضَبّة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، قاله ابن الكلبي. **قوله: (أَرْمِينِيَة)** بلدة حصينة بأذربيجان. **قوله: (آذَرْبيجان)** ناحية واسعة ومملكة متّسعة بها مدن كثيرة

---

(١) الجِيْل كل صنف من الناس، التُّرك جيل، والصِّين جيل، والعرب جيل، والروم جيل؛ كذا في لسان العرب. ١٢ منه رحمه الله تعالى.

(**سنابك**) الخيول والجيوش والصواعق والرواجف، وأما (**همذان**) فالديلم يدخلها ويخرِّبها، وأما (**حلوان**) فتمرّ بها ريح ساكنة وهم نِيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من (**جهينة**) فيدخل (**مصر**)، فويل لأهلها ولأهل (**دمشق**)، وويل لأهل (**إفريقية**) وويل لأهل (**الرملة**)، ولا يدخل بيت المقدس، وأما (**سجستان**) فيصيبهم ريح عاصف أيامًا ثم هدّة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما (**كرمان وأصبهان وفارس**) فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تنخلع القلوب وتموت الأبدان.

وقرى وجبال وأنهار كثيرة. **قوله**: (**سنابك**) أي حوافر. **قوله**: (**هَمَذان**) مدينة مشهورة من مدن الجبال بناها همذان بن علوج بن سام بن نوح عليه السلام. اهـ أخبار الدُّول وآثار الأُول. **قوله**: (**حلوان**) بضم الحاء وسكون اللام أربعة مواضع: الأوّل: مدينة بين همدان وبغداد، وهي آخر مدن العراق، وهي الآن خَراب. والثاني: حلوان قرية عند فسطاط مصر. والثالث: بليدة من نواحي نيسابور. والرابع: قرية من قرى كوهستان. اهـ أخبار الدول وآثار الأُول. **قوله**: (**جُهَيْنة**) اسم قبيلة. **قوله**: (**مِصْر**) مدينة مشهورة. **قوله**: (**دِمَشْق**) كحِضَحر وقد تكسر ميمه قاعدة الشام. اهـ قاموس.

قوله: (**إفرْيقيَة**) مدينة كبيرة بالمغرب. **قوله**: (**الرَّمْلة**) مدينة بفلسطين. **قوله**: (**سِجِسْتان**) ناحية كبيرة واسعة عمّرها سجستان بن فارس. اهـ أخبار الدُّول وآثار الأُول. **قوله**: (**كرمان**) أربعة مواضع بفتح الكاف ومنهم من يكسرها، الأوّل: ناحية مشهورة بين فارس وخراسان يُنسب إلى كرمان بن فارس بن طهمورث، وهي بلاد واسعة الخيرات وافرة الغلات بها خشب لا تحرقه النار، ولو تُرِكَ أيّامًا، وبها معدن التوتيا تحمل منها إلى جميع الدنيا تشتمل على مدن كثيرة. والثاني: بلد بين غرس وبلاد الهند. والثالث: بلد بحجر اليمامة من ديار العرب. والرابع: كرمانية محلّة بنيسابور. اهـ أخبار الدول وآثار الأُوَل.

قوله: (إصبهان) بكسر أوّله وفتح الباء، ويقال: بالفاء، وأصبهان أشهر بلاد الجبال. اهـ لبّ الأسباب في تحرير الأنساب. **قوله**: (فارِس) ناحية مشهورة سُمّيت باسم فارس بن الأسور بن سام بن نوح عليه السلام. اهـ أخبار الدول وآثار الأُول.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ۝٥٩﴾

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ استعير المنع لترك إرسال الآيات. و«أن» الأولى مع صلتها في موضع النصب لأنها مفعول ثانٍ لـ ﴿مَنَعَنَآ﴾ و«أن» الثانية مع صلتها في موضع الرفع لأنها فاعل ﴿مَنَعَنَآ﴾ والتقدير: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين. والمراد بالآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبًا ومن إحياء الموتى وغير ذلك وسُنَّة الله في الأُمم أن مَن اقترح منهم آية فأُجيب إليها ثم لم يؤمن أن يُعاجِل بعذاب الاستئصال. والمعنى: وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود، وأنها لو أُرسِلَت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعُذِّبوا العذاب المستأصل، وقد حكمنا أن نؤخِّر أمر مَن بعثت إليهم إلى يوم القيامة. ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأوَّلون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا **(واحدة)** وهي ناقة صالح عليه السلام، لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يُبصِرها صادرهم ووارِدهم فقال: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ باقتراحهم ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ **(آية بيّنة)** ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ فكفروا بها ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ إن أراد بها الآيات فالمعنى لا نرسلها ﴿إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ من نزول العذاب العاجل **(كالطليعة والمقدمة له)**، فإن لم يخافوا وقع عليهم، وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفًا وإنذارًا بعذاب الآخرة وهو مفعول له.

قوله: (واحدة) مفعول ذكر. **قوله**: (آية بيّنة) قدّر الموصوف ليُشعر بأنها من الآيات التي كذّب بها الأوّلون، وهي منصوبة على الحال. **قوله**: (بيّنة) يشير إلى أن المُبصرة للنسبة بمعنى ذي بصارة.

قوله: (كالطليعة) في المصباح: الطليعة القوم يُبعثون أمام الجيش يتعرّفون طلع العدوّ بالكسر أي خبره، والجمع طلائع. اهـ. **قوله**: (والمقدمة له) في المصباح: مقدّمة الجيش للذين يتقدَّمون بالتثقيل اسم فاعل، ومقدّمة الكتاب مثله. اهـ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش علمًا وقدرة فكلهم في قبضته، فلا تُبالِ بهم وامضِ لأمرك وبلِّغ ما أُرسِلْتَ به، أو بشَّرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ (وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ) ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: الآية ٤٥]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ (وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ) ﴿١٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٢]. فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سُنَّته في إخباره، ولعل الله تعالى أراه **(مصارعهم)** في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر «والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» وهو يُومِىء إلى الأرض ويقول: «هذا مَصرَع فلان» **(فتسامَعَت)** قريشًا بما أُوحي إلى رسول الله ﷺ من أمر بدر وما أُرِي في منامه من مَصارِعِهِم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء. ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، فإنهم حين سمعوا بقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: الآية ٤٣] جعلوها سخرية قالوا: إن محمدًا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة، ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قَدَروا الله حقَّ قدره إذا قالوا ذلك فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار، **(فوبر السمندل)** ـ وهو دُوَيبَة ببلاد الترك ـ يتخذ منه مناديل إذا اتَّسخت طُرِحَت في النار فذهب **(الوسخ)** وبقي المنديل سالمًا لا تعمل فيه النار، وترى النعامة تبتلع **(الجمر)** فلا يضرّها، وخلق في كل شجرة نارًا فلا تحرقها، فجاز أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها. والمعنى أن الآيات إنما تُرسَل تخويفًا للعباد، وهؤلاء قد خُوِّفوا بعذاب الدنيا

قوله: (﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾) أي الأدبار، وإنما أفرد محافظة للفواصل على إرادة الجنس، أو لأن كلّ أحد يولّي دبره. اهـ كمالين. **قوله:** (﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾) الفراش هي. **قوله:** **(مصارعهم)** المصارع جمع مصرع وهو محل صرع فيه القتيل. **قوله:** **(فتسامعت)** قريش أي سمعوه، فالتسامع ليس على بابه. **قوله:** **(فوَبَر)** أي صوف. **قوله:** **(السَّمندل)** بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام في آخره. **قوله:** **(الوَسَخ)** الدَّرَن. **قوله:** **(الجَمْر)** جمع جَمْرة من النار.

- وهو القتل يوم بدر - وخُوِّفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقّوم فما أثَّر فيهم. ثم قال: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ أي بمخاوف الدنيا والآخرة ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات؟ وقيل: الرؤيا هي الإسراء، والفتنة ارتداد مَن استعظم ذلك وبه تعلّق مَن يقول: كان الإسراء في المنام، ومَن قال: كان في اليقظة، فَسّر الرؤيا بالرؤية. وإنما سمّاها رؤيا على قول المُكَذِّبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادًا منهم كما سمَّى أشياء بأساميها عند الكَفَرة كقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ [الصَّافَّات: الآية ٩١]، ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل: الآية ٢٧]، أو هي رؤيا أنه سيدخل مكة، والفتنة الصّدّ بالحديبية. فإن قلت: ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم. قلت: معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الكَفَرَة لأنه قال: ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ فوُصِفَت بلعن أهلها على المجاز، ولأن العرب تقول: لكلّ طعام مكروه ضارّ ملعون، ولأن اللعن هو الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ هو تمييز أو حال من الموصول، والعامل فيه ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ على أأسجد له وهو طين أي أصله طين ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ الكاف لا موضع لها ذُكِرَت للخطاب تأكيدًا، هذا مفعول به والمعنى أخبرني عن هذا الذي ﴿كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ أي فضَّلته، لِمَ كرّمته عليّ وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فحذف ذلك اختصارًا لدلالة ما تقدّم عليه. ثم ابتدأ فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ (وبلا ياء: كوفي وشامي). واللام موطئة للقسم المحذوف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ لأستأصلنهم

قوله: (وبلا ياء: كوفي وشامي) أي ابن عامر الشامي وقفًا ووصلًا اتباعًا للرسم، وقرأ نافع وأبو عمرو بزيادة ياء بعد النون في «أخرتني» عند الوصل، وحذفها في الوقف، وأثبتها ابن كثير وصلًا ووقفًا.

بإغوائهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم المخلصون. قيل: من كل ألف واحد. وإنما علم الملعون ذلك بالإعلام أو لأنه رأى أنه خلق شهواني.

﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ ليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء وإنما معناه امضِ لشأنك الذي اخترته (خذلانًا) وتخلية. ثم عقَّبه بذِكر ما جرَّه سوء اختياره فقال: ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ والتقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل ﴿جَزَآؤُكُمْ﴾ وانتصب ﴿جَزَآءً (مَّوْفُورًا)﴾ أي موفرًا بإضمار تُجازون ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ استزلّ أو استخفّ استفزّه أي استخفّه والفز الخفيف. ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ بالوسوسة أو بالغناء أو بالمِزمار ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ اجمع (وصح) بهم من (الجلبة) وهو الصِّياح ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ بكل راكب وماشٍ من أهل (العيث)، فالخيل (الخيالة، والرجل اسم جمع للراجل) ونظيره الرَّكب والصِّحب (﴿وَرَجِلِكَ﴾ حفص) على أن فعلًا بمعنى فاعل كتعب وتاعب، معناه (وجمعك الرجل) وهذا لأن أقصى ما يُستَطاع في طلب الأمور والخيل والرجل. وقيل: يجوز أن يكون لإبليس خيل (ورجال) ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ قال (الزجّاج): كل معصية في مال وولد فإبليس شريكهم فيها كالرِّبا والمكاسب

قوله: (خذلانًا) بكسر الخاء. **قوله:** (﴿مَّوْفُورًا﴾) أي موفرًا، وفي الجلالين: ﴿مَّوْفُورًا﴾ وافرًا كاملًا، انتهى. أشار إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل، والفز الخفيف ضدّ الثقيل. **قوله:** (وصح) بالكسر أمر من صاح يصيح صيحة. **قوله:** (الجلبة) بفتحات. **قوله:** (العيث) الإفساد. اهـ مختار الصحاح. **قوله:** (الخيالة) ـ بفتح الخاء وتشديد الياء ـ ركبان الخيل وأصحابها. **قوله:** (والرجل اسم جمع للراجل)... الخ. لا جمع لغلبة وزنه في المفردات، والراجل خلاف الفارس. **قوله:** (﴿وَرَجِلِكَ﴾) بكسر الجيم مع فتح الراء (حفص) والباقون بسكون الجيم. **قوله:** (وجمعك الرجل) أي الرجال، والرجل مفعول جمعك لأنه مصدر. **قوله:** (ورجّال) جمع راجل. **قوله:** (الزجّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن

المحرَّمة و(البَحيرة) و(السائبة) والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصّل إلى الأولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العُزَّى وعبد شمس ﴿وَعِدْهُمْۚ﴾ المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجِل ونحو ذلك ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ هو تزيين الخطأ بما يُوهِم أنه صواب.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ الصالحين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ يد بتبديل الإيمان ولكن (بتسويل) العصيان ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك أو حافظًا لهم عنك، والكل أمر تهديد فيعاقب به أو إهانة أي لا يخل ذلك بمُلْكي.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ يجري ويسير ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓۚ﴾ يعني الربح في التجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ أي خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ ذهب عن أوهامكم كل مَن تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه، أو ضلَّ مَن تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده الذي ترجونه على الاستثناء المنقطع ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإخلاص بعد الخلاص ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي الكافر ﴿كَفُورًا﴾ للنِّعَم.

محمد رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله**: **(البحيرة)** فعيلة بمعنى مفعولة، واشتقاقها من البحر، وهو الشقّ، واختلف فيها، فقيل: هي الناقة تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر، فيشقّ أذنها فتترك فلا تُركب ولا تُحلب ولا تُطرد عن مرعى ولا ماء، وقيل غير ذلك. **قوله**: **(السائبة)** بوزن فاعلة بمعنى مسيّبة مفعولة من باب ساب يسوب إذا ذهب كانوا يسيِّبونها، أي يرسلونها لآلهتهم فلا يُحمل عليها شيء.

قوله: **(بتسويل)** أي بتزيين.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ **(الهمزة للإنكار)** والفاء للعطف على محذوف تقديره: أنجوتم فأمنتم **(فحملكم)** ذلك على الإعراض ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ انتصب ﴿جَانِبَ﴾ بـ ﴿يَخْسِفَ﴾ مفعولًا به كالأرض في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: الآية ٨١] و﴿بِكُمْ﴾ حال، والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه **(وأنتم عليه)**، والحاصل أن الجوانب كلها في قدرته سواء، وله في كل جانب برًّا كان أو بحرًا سَبَبٌ من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصًّا به، بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر الخسف، وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب تحت الماء، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ هي الريح التي تحصب أي **(ترمي بالحصباء)** يعني أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يصرف ذلك عنكم.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي أم أمنتم أن يقوّي دواعيكم ويوفّر حوائجكم إلى أن ترجعوا البحر الذي نجّاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم ﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفرانكم النعمة هو

قوله: (الهمزة للإنكار) بمعنى أنه لا ينبغي إلّا من. **قوله**: (فحملكم)... الخ. إشارة إلى أن الفاء تفيد سببية لما قبله، كما تقول: تأهّب الشتاء فقد دنى وقته فهو معطوف عليه، والجملة معترضة. اهـ شهاب.

قوله: (وأنتم عليه) معنى بكم؛ لأن الباء للملابسة حال من جانب البرّ، أي مصحوبًا بكم، قوله: وأنتم عليه حاصل المعنى. اهـ قنوي. **قوله**: (ترمي بالحصباء) وهي الحجارة الصغار.

إعراضكم حين نجاكم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ **(مطالبًا)** من قوله ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٨] أي مطالبة، والمعنى إنّا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا أحدًا يطالبنا بما فعلنا انتصارًا منّا ودركًا **(للثأر)** من جهتنا وهذا نحو قوله: (﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾) [الشمس: الآية ١٦] («**أن نخسف**» «**أو نرسل**» «**أن نعيدكم**» «**فنرسل**» «**فنغرقكم**» **بالنون مكّي وأبو عمرو**).

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدي. وعن **(الرشيد)** أنه أحضر طعامًا فدعا **(بالملاعق)** ـ وعنده

قوله: **(مطالبًا)** فعيل بمعنى مفاعل. **قوله**: **(للثأر)** وهو طلب الدم. **قوله**: (﴿وَلَا يَخَافُ﴾) تعالى (﴿عُقْبَٰهَا﴾) تَبِعتها كما يخاف الملوك عاقبة ما يفعله.اهـ جلالين مع الكمالين. وفي الجمالين: قوله تَبِعتها أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود، فيبقي بعض الإبقاء.اهـ. **قوله**: («**أن نخسف**» «**أو نرسل**» «**أن نعيدكم**» «**فنرسل**» «**فنغرقكم**» **بالنون**) في الأفعال الخمسة **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي **(وأبو عمرو)** البصري، والباقون بالياء.

قوله: **(الرشيد)** هارون أبو جعفر ابن المهدي محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، استُخلف بعهدٍ من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة، وكان أبيض طويلًا جميلًا مليحًا فصيحًا له نظر في العلم والأدب، وكان يصلّي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلّا لعلّة ويتصدّق من صُلْب ماله كل يوم بألف درهم، وكان يحبّ العلم وأهله ويعظّم حرمات الإسلام ويبغض المراء في الدِّين والكلام في معارضة النصّ، ومات في الغزو بطوس من خراسان، ودُفِن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وله خمس وأربعون سنة، وصلّى عليه ابنه صالح.اهـ تاريخ الخلفاء للجلال السيوطي بالتقاط. **قوله**: **(بالملاعق)** الملعقة ـ بكسر الميم ـ آلة معروفة، والجمع المَلَاعِق.اهـ مصباح.

(أبو يوسف) رحمه الله تعالى ـ فقال له: جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردّها وأكل بأصابعه ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ باللذيذات أو بما كسبت أيديهم ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ أي على الكل كقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٢٣] قال **(الحسن)**: أي كلهم، وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [يونس: الآية ٣٦] ذكر في الكشاف أن المراد بالأكثر الجميع. وعنه عليه السلام: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة»، وهذا لأنهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة، وفي البهائم شهوة بلا عقل، وفي الآدمي كلاهما، فمَن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة، ومَن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم، ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟﴾ منصوب بـ «اذكر» ﴿كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ الباء للحال والتقدير مختلطين بإمامهم أي **(بمَن ائتمّوا به)** من نبي، أو مقدَّم في الدين أو كتاب أو دين فيقال: يا أتباع فلان، يا أهل دين كذا أو كتاب كذا. وقيل: بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر ﴿فَمَنْ أُوتِىَ﴾ من هؤلاء المدعوين ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ وإنما قيل أولئك لأن «من» في معنى الجمع ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ **(ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)**. ولم يذكر الكفار

قوله: **(أبو يوسف)** يعقوب بن إبراهيم الأنصاري صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وكانت ولادة أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة، وتوفي يوم الخميس أوّل وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد. **قوله**: **(الحسن)** البصري، كان من سادات التابعين وكُبرائهم وجمع كل فنّ من علم وزهد وورع وعبادة، توفي بالبصرة مستهلّ رجب سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: **(بمن ائتمّوا به)** أي بمن اقتدوا به. **قوله**: **(ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)** يعني أن المراد من المظلوميّة المنفيّة نقص ما يستحقّونه من الثواب

وإيتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله:

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ كذلك ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من الأعمى أي أضلّ طريقًا، والأعمى مُستَعار ممَّن لا يدرك المبصرات لفساد حاسَّته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة، أما في الدنيا فلفَقْد النظر وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه. (وقد جوَّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل) بدليل عطف ﴿وَأَضَلُّ﴾ ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول مُمالًا والثاني مفخَّمًا، لأن أفعل التفضيل تمامه بـ «من» فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلمة فلا يقبل الإمالة وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف فقبلت الإمالة، وأمالهما حمزة وعلي وفخَّمهما الباقون.

ولمّا قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل:

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارِقَة بينها وبين النافية، والمعنى (إن الشأن قاربوا) أن يفتنوك أي يخدعوك فاتِنين ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ

الموعود بإزاء عملهم وأن الفتيل مستعار للشيء التافه الحقير، وهو في الأصل اسم للقشرة الرقيقة التي تكون على ظهر النواة، وسُمِّيت فتيلًا لأنه إذا أراد الإنسان استخراجها انفتلت، وقيل: الفتيل هو الوسخ الذي يفتله الإنسان بين سبابته وإبهامه، وهو فعيل بمعنى مفعول.

قوله: (وقد جوَّزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل) يعني قيل: إن لفظ أعمى في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ ليس أفعل التي للصفة، بل هي صيغة التفضيل بمعنى أشدّ عمى.

قوله: (إن الشأن) إشارة إلى أن اسمها ضمير شأن مقدّر. **قوله**: (قاربوا) بمعنى كادوا.

﴿إِلَيْكَ﴾ من أوامرنا ونواهينا ووعدنا وعيدنا ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ لتتقوّل علينا ما لم نقل يعني ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدًا والوعيد وعدًا ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ (أي: ولو اتبعت مرادهم) لاتخذوك خليلًا ولكنت لهم وليًّا وخرجت من ولايتي.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ ولولا (تثبيتنا) وعصمتنا ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ لقاربت (أن تميل) إلى مكرهم ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ ركونًا قليلًا، وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت ﴿إِذًا﴾ لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك بشرف منزلتك ونبوّتك كما قال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٠] (الآية). وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان: عذاب في الممات وهو عذاب القبر، وعذاب في الآخرة وهو عذاب النار. والعذاب يُوصَف بالضِّعف كقوله: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] أي مضاعفًا فكأنه أصل الكلام لأذقناك عذابًا ضعفًا في الحياة وعذابًا ضعفًا في الممات، ثم حذف الموصوف وأُقيمت الصفة مقامه وهو الضعف، ثم أُضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات. ويجوز أن يُراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا، وبضعف الممات مما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار. وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب

قوله: (أي: ولو اتّبعت مرادهم) إشارة إلى أن إذا حرف جواب وجزاء، فأقام أداة الشرط مقامها دليلًا على تضمينها معنى المجازاة، وقوله: ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ﴾ جواب قسم مقدّر تقديره: إذن والله لاتّخذوك، وليس مراد المصنّف أنّ كلمة لو مقدّرة في النظم ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ﴾ جواب لها؛ إذ لا حاجة إلى تقديرها، وإنما المراد تفسير المعنى وهو لا يُوجبه الإعراب.

قوله: (تثبيتنا) إشارة إلى أن المصدرية. **قوله**: (أن تميل) تفسير للركون. **قوله**: (الآية) أي مبنية يضاعف لها العذاب ﴿ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

المضاعف في الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عِظَم شأن فاعله. ولما نزلت كان عليه السلام يقول: «اللَّهمَّ **(لا تكلني)** إلى نفسي **(طرفة عين)**». ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مُعينًا لك يمنع عذابنا عنك.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

(﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ **أي أهل مكة**) ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من أرض مكة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ﴾ لا يبقون («**خلْفك**» **بعدك أي بعد إخراجك** (﴿خِلَٰفَكَ﴾ **كوفي غير أبي بكر وشامي بمعناه**) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زمانًا قليلًا فإن الله مُهلِكهم وكان كما قال، فقد أُهلِكوا ببدر بعد إخراجه

قوله: **(لا تَكِلْني)** من الوكول من باب ضرب، أي لا تسلّمني ولا تفوّضني بترك الفضل والتوفيق. **قوله:** **(طرفة عين)** لحظة ولمحة.

قوله: (﴿وَإِن كَادُوا۟﴾ **أي أهل مكّة**) أي وأن الشأن قرب أهل مكّة ليزعجوك من أرض مكّة على أنّ أنْ مخفّفة واللام فارقة، والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركي مكّة، وحمل الأرض على أرض مكّة، على ما قاله مجاهد وقتادة؛ لأن الآية مكّية وما قبلها إخبار عن أحوال مكّة، يعني هَمَّ المشركون أن يُخرجوه من مكّة، فكفَّهم الله تعالى عنه وأمره عليه الصّلاة والسّلام بالهجرة فخرج بنفسه، فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: الآية ١٣] يعني أهلها، وهو صريح في أنهم أخرجوه، وذكر هٰهنا: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ فكيف الجمع بينهما على قول مَنْ قال: المراد بالأرض هٰهنا مكّة؟ أُجيب بأن قوله: ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمَّد: الآية ١٣] من قبيل إسناد الحكم إلى سببه، فإنهم همّوا بإخراجه عليه الصّلاة والسّلام منها إلّا أنه عليه الصّلاة والسلام ما خرج بإخراجهم، وإنما خرج بأمر الله تعالى، فزال التناقض. **قوله:** («**خلفك**») بفتح الخاء وإسكان اللام بلا ألف نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر، (**بعدك، أي بعد إخراجك** ﴿خِلَٰفَكَ﴾) بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها (**كوفي غير أبي بكر**) أي حفص وحمزة والكسائي (**وشامي**) ابن عامر الشامي (**بمعناه**) أي هما بمعنى.

بقليل، أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا (**عن بَكْرَة أبيهم**) ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربّه. وقيل: من أرض العرب أو من أرض المدينة ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسُنَّة الله أن يُهلِكهم، ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سَنَّ الله ذلك سُنَّة ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلًا.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ لزوالها. وعلى هذه الآية جامعة للصلوات الخمس، أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ هو الظلمة هو وقت صلاة العشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الفجر سُمِّيت قرآنًا وهو القراءة لكونها ركنًا كما سُمِّيت ركوعًا وسجودًا، وهو حجة على (**الأصم**) حيث زعم أن القراءة ليست بركن، أو سُميت قرآنًا لطول قراءتها وهو عطف على ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار، أو يشهده الكثير من المُصلِّين في العادة.

قوله: (**عن بَكْرَة أبيهم**) بفتح الباء وسكون الكاف، وهي التي يستقى عليها الماء، وهذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفير العدد، أي لم يبق منهم أحد.

قوله: (**الأصمّ**) هو أبو عبد الرحمٰن حاتم[١] بن علوان هو من قدماء المشائخ بخراسان من أهل بلخ صحب شقيقًا البلخي وهو أستاذ أحمد بن خضرويه، مات بواشجرد سنة سبع وثلاثين ومائتين، ودُفن عند رباط يقال له سروند على جبل فوق واشجرد. اهـ طبقات شعراني رحمه الله. وفي الرسالة القشيرية: قيل: لم يكن أصمّ وإنما تصامم مرّة فسُمّي به سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق رحمه الله يقول: جاءت امرأة فسألت حاتمًا عن مسألة فاتّفق أنه خرج منها في

---

(١) حاتم بن علوان، ويقال: حاتم بن يوسف الأصمّ. اهـ الرسالة القشيرية. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ وعليك **(بعض الليل)** ﴿فَتَهَجَّدۡ﴾ **(والتهجّد ترك الهجود)** للصلاة **(ويقال في النوم أيضًا: تهجد)** ﴿بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس، وضع ﴿نَافِلَةٗ﴾ موضع «تهجّدًا» لأن التهجّد عبادة زائدة فكان التهجّد والنافلة يجمعهما معنى واحد، والمعنى أن التهجُّد زِيدَ لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوّع لهم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيُقيمك مقامًا محمودًا، أو ضمن يبعثك معنى يقيمك وهو مقام الشفاعة عند الجمهور، ويدلّ عليه الأخبار أو هو مقام يُعطَى فيه لواء الحمد.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ **(هو مصدر)** أي أدخِلني القبر إدخالًا مرضيًّا على طهارة من الزَّلَّات ﴿وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ أي أخرجني مِنْهُ عند البعث إخراجًا مرضيًّا **(ملقى بالكرامة)** آمنًا من الملامة، دليله ذكره على أثر ذِكر البعث. وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة، أو هو عامٌّ في كل ما يدخل فيه ويُلابسه من أمر ومكان ﴿وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ حجة

تلك الحالة صوت فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك، فأرى من نفسه أنه أصمّ فسُرَّت المرأة بذلك، وقالت إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الصَّمم. اهـ.

قوله: (**بعض اللّيل**) إشارة إلى أنّ مِنْ تبعيضيّة. **قوله**: (**والتهجّد ترك الهجود**) بالضمّ أصل معناه النوم والتفعل للسلب كتأثم بمعنى ترك الإثم. **قوله**: (**ويقال في النوم أيضًا: تهجّد**) عبارة حاشية تفسير البيضاوي للعلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: وقيل: الهجود من الأضداد يكون بمعنى اليقظة والنوم. اهـ.

قوله: (**هو مصدر**) ميمي. **قوله**: (**ملقى بالكرامة**) أي بإكرام الله والملائكة عليهم الصّلاة والسّلام.

تنصرني على مَن خالفني أو ملكًا وعزًّا قويًّا ناصرًا للإسلام على الكفر مُظهِرًا له عليه ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ﴾ وذهب وهلك ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ الشِّرْك أو جاء القرآن وهلك الشيطان ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ كان مضمحلاً في كل أوان.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَنُنَزِّلُ﴾ **(وبالتخفيف)**: أبو عمرو ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ **(«من» للتبيين)** ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ من أمراض القلوب ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الحديث «مَن لم يَسْتَشْفِ بالقرآن فلا شفاه الله» ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ ضلالاً لتكذيبهم به وكفرهم ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالصحة والسَّعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يولِّيه عرض وجهه والنأي بالجانب أي يلوي عنه **(عطفه)** ويولِّيه ظهره، أو أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المُستكبرين (﴿وَنَـَٔا﴾ **بالإمالة)** حمزة **(وبكسرها عليّ)** ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والمرض **(أو نازلة)** من النوازل ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ شديد اليأس

قوله: **(وبالتخفيف)** أي بإسكان النون وتخفيف الزاي، أبو عمرو البصري، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله**: **(«من» للتبيين)** فإن قيل: من البيانية لا بدّ أن يتقدَّمها ما يحتاج إلى البيان لا أن تُقدَّم هي عليه، وهاهنا قد تقدَّمت عليه، فكيف تكون بيانية؟ فالجواب: أن المبيّن لا يجب تقدُّمه لفظًا، بل يكفي تقدّمه رتبة وهو حاصل هاهنا، فإنّ قوله: من القرآن، بيان لمفعول ﴿وَنُنَزِّلُ﴾، وهو قوله: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾، وحال منه كما أنّ ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحَج: الآية ٣٠] في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ [الحَج: الآية ٣٠] من الأوثان حال من الرجس وبيان له، وذو الحال متقدّم من حيث الرتبة على الحال. **قوله**: **(عطفه)** بكسر العين أي جانبه.

قوله: (﴿وَنَـَٔا﴾) بفتح النون **(بالإمالة)** أي إمالة الهمزة مثل رمى حمزة (وبكسرها) أي بكسر النون **(عليّ)** الباقون بفتحتين كَرَمى. **قوله**: **(أو نازلة)** في

من (روح الله) ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ أي كل أحد ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ على مذهبه وطريقته التي تُشاكِل حاله في الهدى والضلال ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أَسَدُّ مذهبًا وطريقة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي من أمر يعلمه ربي، الجمهور على أنه الروح الذي في الحيوان، سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر بعلمه. وعن (أبي هريرة): لقد مضى النبي ﷺ وما يعلم الروح، وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد اتفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه. والحكمة في ذلك تعجيز العقل من إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدلّ على أنه عن إدراك خالِقِهِ أعجَز، ولذا ردّ ما قيل في حدِّه أنه جسم دقيق هوائي في كل جزء من الحيوان. وقيل: هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو جبريل عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤]. وعن الحسن: القرآن دليله، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: الآية ٥٢]، ولأن به حياة القلوب و﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر. ورُوِيَ أن اليهود

المصباح: النازلة المصيبة الشديدة تنزل بالناس.اهـ. **قوله**: (روح الله) بفتح الراء بمعنى رحمة.

قوله: (أبي هريرة) الدّوسي الصحابي الجليل حافظ الصحابة، اختُلف في اسمه واسم أبيه، قيل: عبد الرحمٰن بن صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل: عبد الله بن عائذ، وقيل: ابن عامر، وقيل: ابن عمرو، وقيل: سكين بن رزمة، وقيل: ابن هانيء، وقيل: ثرمل، وقيل: ابن صخر، وقيل: عامر بن عبد شمس، وقيل: ابن عمير، وقيل: يزيد بن عشرقة، وقيل: عبد نهم، وقيل: عبد شمس، وقيل: غنم، وقيل: عبيد بن غنم، وقيل: عمرو بن غنم، وقيل: ابن عامر، وقيل: سعيد بن الحارث هذا الذي وقفنا عليه من الاختلاف في ذلك، ويقطع بأن عبد شمس وعبد نهم غيره بعد أن أسلم واختلف في أيُّها أرجح؛ فذهب الأكثرون إلى الأوّل، وذهب جمع من النسّابين إلى عمرو بن عامر مات سنة سبع، وقيل: سنة ثمان،

بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح، فإن أجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبيَّن لهم القصتين وأبهَم أمر الروح **(وهو مبهم)** في التوراة فندموا على سؤالهم. وقيل: كان السؤال عن خلق الروح يعني أهو مخلوق أم لا. وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ دليل خلق الروح فكان هذا جوابًا ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الخطاب عامّ فقد رُوِيَ أن رسول الله ﷺ لمّا قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصّون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال: «بل نحن وأنتم لم نُؤتَ من العلم إلا قليلًا»، وقيل: هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي ﷺ: قد أُوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩]، فقيل لهم: إن علم التوراة قليل في جنب علم الله. فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية، فالحكمة التي أُوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أُضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة. ثم نبَّه على نعمة الوحي وعزاه بالصبر على أذى الجدال في السؤال بقوله:

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، ﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾ جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط، واللام الداخلة على «إن» توطئة للقسم، والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرًا ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي ثم لا تجد لك بعد الذهاب به مَن يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظًا مسطورًا ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ أي إلا إن يرحمك ربك فيردّه عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد، أو يكون على الاستثناء المنقطع أي ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظًا بعد المِنَّة العظيمة في تنزيله وتحفيظه ونزل جوابًا لقول النضر: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: الآية ٢١].

وقيل: تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة. اهـ تقريب التهذيب. **قوله: (وهو مُبهم)** أي غير مبيّن في التوراة يشير إلى أن عدم بيانه لا ينافي النبوّة.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ مُعينًا و﴿لَا يَأْتُونَ﴾ جواب قسم محذوف، (ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابًا للشرط كقوله:

يقول لا غائب مالي ولا حرم)

لأن الشرط وقع ماضيًا أي لو (تظاهروا) على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحُسْن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله.

قوله: (ولولا اللام الموطئة) فإن القسم مقدّر معها. **قوله**: (لجاز أن يكون) قوله: ﴿لَا يَأْتُونَ﴾ (جوابًا للشرط) غير مجزوم بناءً على أن حرف الشرط إذا لم يعمل فيما هو أقرب منه فلأن لا يعمل في الأبعد أوْلى كما في البيت، فإنه رفع يقول فيه مع أنه جواب الشرط لما ذكرنا. **قوله**: (كقوله) أي زُهير بن أبي سُلَمى[1] بن رباح المزني الشاعر المشهور:

(يقول لا غائب مالي ولا حرمُ)

أوّله:

وإن أتاه خليل يوم مسألةٍ

يمدح به هَرَم بن سنان المرّي أحد أمراء العرب في الجاهلية، والخليل الفقير من الخلّة ـ بالفتح ـ أي الحاجة أو الحبيب من الخلّة ـ بالضم ـ يوم مسألة أي يوم يسأل الناس فيه لقحطهم، وفي رواية: يوم مسغبة أي جوع، والمال واحد يقول: أي هرم بن سنان بالرفع وهو محل الاستشهاد، والحرم بكسر الراء كحذر صفة مشبّهة من الحرمان، والمعنى إن سأله سائل لم يتعلّل بل أعطاه وأغناه، والمناسب أن يجعل المصدر بمعنى المفعول، أي لا غائب مالي ولا محروم من حرمة المال إذا جعلته ممنوعًا عنه. **قوله**: (تظاهروا) بمعنى اجتمعوا وتعاونوا.

(١) بضم السين وليس في العرب سُلمى بالضمّ غيره. ١٢ منه رحمه الله.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ رددنا وكررنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحُسنه ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا. (وإنما جاز) ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ولم يجز «ضربت إلا زيدًا» لأنَّ أبى مُتأوّل بالنفي كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفورًا. ولمّا تبيَّن إعجاز القرآن وانضمَّت إليه المعجزات الأُخَر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحيِّر.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ (وبالتخفيف: كوفي) ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي مكة ﴿يَنۢبُوعًا﴾ عينًا (غزيرة) من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع، يفعول من نبع الماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ﴾ (والتشديد هنا مجمع عليه) ﴿ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ (**بفتح السين: مدني وعاصم**). أي قطعًا يقال: أعطني كسفة من هذا الثوب. وبسكون

قوله: (وإنما جاز)... الخ. يعني أن قوله: ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ مستثنى مفرغ في الكلام الموجب، وقد تقرّر أن عدم ذكر المستثنى منه إنما يجوز في غير الموجب لفساد المعنى، فكان القياس أن لا يجوز أن يقال: أبى أكثر الناس إلّا كفورًا، إلّا أنه جاز من حيث إن قوله: أبى أكثر الناس في قوة لم يفعلوا ولم يرضوا إلّا كفورًا.

قوله: (وبالتخفيف) أي بفتح التاء وسكون الفاء وضمّ الجيم مخفّفة مضارع فجر الأرض شقّها (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي، والباقون بضمّ التاء وفتح الفاء وكسر الجيم مشدّدة مضارع فجر للتكثير. **قوله**: (غزيرة) كثيرة الماء. اهـ مصباح. **قوله**: (والتشديد هنا مجمع عليه) للتصريح بمصدرها. **قوله**: (بفتح السين: مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (وعاصم) وكذا ابن ذكوان[1]

(١) يروي عن ابن عامر كما يروي عنه هشام بن عمار. ١٢ منه رحمه الله.

السين: غيرهما (جمع كسفة كسدرة وسدر) يعنون قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: الآية ٩]، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ كفيلًا بما تقول شاهدًا بصحته، (والمعنى: أو تأتي بالله قبيلًا وبالملائكة قبلًا كقوله: «كنت منه ووالدي بريئًا» أو مقابلًا) كالعشير بمعنى المعاشر ونحو: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: الآية ٢١]. أو جماعة حالًا من الملائكة.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تصعد إليها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لأجل رقيّك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ (وبالتخفيف: أبو عمرو) ﴿كِتَٰبًا﴾ أي من السماء فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾ صفة كتاب ﴿قُلْ﴾ (﴿قَالَ﴾ مكي وشامي)

جمع كسفة كقطعة وقطع. **قوله:** (جمع كسفة) أيضًا (كسدرة وسدر). **قوله:** (والمعنى: أو تأتي بالله قبيلًا وبالملائكة قبلًا) بضمّتين جمع قبيل بمعنى كفلاء وشهداء، فهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها، أي والملائكة قبلًا؛ (كقوله: كنت منه ووالدي بريئًا) أي كما حذف الخبر في قول الفرزدق:

رماني بأمرٍ كنت منه ووالدي بريئًا ومن جُوْل الطَّوِيّ رماني

الجول[1] - بضم الجيم - جدار البئر، قال أبو عبيدة: وهو كل ناحية من نواحي البئر من أعلاها إلى أسفلها، وفي المثل: رماني من جول الطَّوِيّ، أي رماني بما هو راجع إليه. **قوله:** (أو مقابلًا) والمعنى: أوَ تأتي بالله مقابلًا وبالملائكة مقابلين.

قوله: (وبالتخفيف أبو عمرو) ويعقوب، الآخرون بالتشديد. اهـ تفسير النيسابوري. **قوله:** (﴿قَالَ﴾) بصيغة الماضي (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون: ﴿قُلْ﴾ بصيغة الأمر من الله تعالى لنبيّه ﷺ.

---

(١) البئر من داخل. ١٢ منه رحمه الله.

أي قال الرسول: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب من اقتراحاتهم عليه ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي أنا رسول كسائر الرُّسُل بشر مثلهم، وكان الرُّسُل لا يأتون قومهم إلا بما يُظهِره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إليَّ إنما هو إلى الله، فما بالكم تتخيَّرونها عليّ.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني أهل مكة، ومحل ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ نصب بأنه مفعول ثانٍ لـ ﴿مَنَعَ﴾ ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ النبي والقرآن ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ فاعل ﴿مَنَعَ﴾ والتقدير: وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوّة محمد ﷺ إلا قولهم ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي إلا شبهة تمكّنت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله البشر، والهمزة في ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾ للإنكار **(وما أنكروه ففي قضية حكمته منكر)**.

ثم ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ﴾ على أقدامهم كما يمشي الإنس، ولا يطَّيَّرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ حال أي ساكنين في الأرض قارّين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ يعلِّمهم الخير ويهديهم المراشد، فأما الإنس فإنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوَّة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم و﴿بَشَرًا﴾ و﴿مَلَكًا﴾ حالان من ﴿رَّسُولًا﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ على أني بلَّغتُ ما أُرسِلْتُ به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم ﴿شَهِيدًۢا﴾ تمييز أو حال ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ﴾ المنذِرين والمنذَرين ﴿خَبِيرًۢا﴾ عالمًا بأحوالهم ﴿بَصِيرًا﴾ بأفعالهم فهو مُجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكَفَرَة.

قوله: (وما أنكروه، ففي قضية حكمته منكر) عبارة تفسير الكشاف: وما أنكروه، فخلافه هو المنكر عند الله؛ لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي إلّا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء.اهـ.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ﴾ **(وبالياء: يعقوب وسهل، وافقهما أبو عمرو)، (ومدني في الوصل)** أي مَن وفَّقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدي عند الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ أي ومَن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ﴾ أي أنـــصـــارًا ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي **(يُسْحَبونَ)** عليها كقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: الآية ٤٨]، **(وقيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام)**: كيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يُمشيهم على وجوههم» ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ﴾ كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامّون عن استماعه، فهم في الآخرة كذلك لا يُبصِرون ما يقرّ أعينهم ولا يسمعون ما يلذّ مسامعهم ولا ينطِقون بما يقبل منهم ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ طَفِيء لهبها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ **(توقدًا)**.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ أي ذلك العذاب بسبب أنهم كذبوا بالإعادة بعد الإفناء فجعل الله جزاءهم أن سلَّط النار على أجزائهم تأكلها ثم تُعيدها، لا يزالون على ذلك ليزيد في تحسّرهم على تكذيبهم البعث.

قوله: **(وبالياء)** بعد الدال في الحالين **(يعقوب)** بن إسحٰق **(وسهل)** بن محمد وليسا من السبعة، **(وافقهما أبو عمرو)** البصري **(ومدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة **(في الوصل)** دون الوقف والباقون بحذف الياء وقفًا ووصلًا. **قوله**: **(يُسْحَبونَ)** يُجرّون. **قوله**: **(وقيل لرسول الله ﷺ)**... الخ. حديث صحيح، ووقع في البخاري بمعناه عن أنس رضي الله تعالى عنه، والمشي على الوجه هو الزحف منكسًا. **قوله**: **(توقدًا)** إشارة إلى أن السعير مصدر بمعنى التسعير، وهو التوقّد والتلهّب كالنذير والنَّكير بمعنى الإنذار والإنكار.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ **(أو لم يعلموا)** ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ من الإنس ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو الموت أو القيامة ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا مع وضوح الدليل ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ تقديره: لو تملكون أنتم لأن «لو» تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بدَّ من فعل بعدها فأضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل ـ وهو الواو ـ ضمير منفصل ـ وهو أنتم ـ لسقوط ما يتصل به من اللفظ فـ ﴿أَنتُمْ﴾ فاعل الفعل المضمر و﴿تَمْلِكُونَ﴾ تفسيره، وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب. وأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن ﴿أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصّون بالشحّ المُتبالغ ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ رزقه وسائر نِعمه على خلقه ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ أي **(لبخلتم)** خشية أن يفنيه الإنفاق ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلًا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم **(والحجر)** والبحر والطور الذي

قوله: (أو لم يعلموا) إشارة إلى أن رأى هنا علمية؛ لأنه المناسب. **قوله: (لبخلتم)** إشارة إلى أن أمسكتم لا يقدّر له مفعول ويجعل لازمًا لتضمّنه معنى بخلتم، ويجوز أن يجعل متعدّيًا ويقدّر له مفعول أي ﴿لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ المال والخيرات التي ملكتموها إلّا أنه لمّا حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه، و﴿خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾ مفعول له لقوله: «أمسكتم».

قوله: (والحجر) قيل: كان الرجل منهم مع أهله في الفراش، وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت حجرًا، ورُوِيَ أن عمر بن عبد العزيز سأل

(نتقه) على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان و**(السنون)** ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فقلنا له اسأل بني إسرائيل أي سلهم مَن فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل. وقوله: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ متعلق بقوله المحذوف أي فقلنا لهم سلهم حين جاءهم ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ سُحِرْتَ فخولط عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قَالَ﴾ أي موسى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ﴿بَصَآئِرَ﴾ حال أي بيِّنات مكشوفات إلا أنك مُعانِد ونحوه ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: الآية ١٤]، (﴿عَلِمْتُ﴾) بالضم: **(عليّ)** أي إني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر، وأن هذه الآيات منزلها ربّ السمٰوات والأرض. **(ثم قارع ظنه بظنه)** بقوله: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ كأنه قال: إن ظننتني مسحورًا فأنا أظنك مثبورًا هالكًا وظني أصحّ من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومُكابرتك لآيات الله بعد وضوحها، وأما ظنك **(فكذب بحت)**، لأن قولك مع علمك بصحة أمري ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ قول كذب. وقال **(الفراء)**: مثبورًا مصروفًا عن الخير من قولهم: «ما ثبرك عن هذا» أي ما منعك وصرفك؟

محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس، فقال عمر: هذا يجب أن يكون الفقيه، ثم قال: يا غلام أخرج ذلك الجراب، فأخرجه فإذا فيه بيض مكسّر نصفين وجوز مكسر نصفين وثوم وبصل وعدس كلّها حجارة. اهـ خازن. **قوله:** (نتقه) أي رفعه من أصله. **قوله:** (السنون) أي القحط.

قوله: (﴿عَلِمْتُ﴾) بضم التاء مسندًا لضمير موسى (عليّ) الكسائي، والباقون بالفتح على جعل الضمير للمخاطب، وهو فرعون. **قوله:** (ثم قارعَ ظنّه بظنّه) أي قابله به لدفعه كما يتقابل المتقارعان بالرماح، فهو استعارة. **قوله:** (فكذب بَحت) بفتح الباء الموحدة والحاء المهملة والتاء الفوقية، أي خالص لا يطابق واقعًا ولا اعتقادًا ولا أمارة عليه، وإنما سُمّي ظنًّا لتعبيره به. اهـ شهاب. **قوله:** (الفراء) هو

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ يُخرجهم أي موسى وقومه ﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ فحاق به مكره بأن استفزَّه الله بإغراقه مع قبطه ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ﴾ من بعد فرعون ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ التي أراد فرعون أن يستفزكم منها. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جمعًا مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميِّز بين سعدائكم وأشقيائكم، واللفيف الجماعات من قبائل شتى.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسًا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير، أو ما أنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظًا **(بالرصد)** من الملائكة، وما نزل على الرسول إلا محفوظًا بهم من تخليط الشياطين. قال الراوي: اشتكى **(محمد بن السماك)** فأخذنا ماءه وذهبنا به إلى طبيب نصراني، فاستقبلنا رجل حَسَن الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لنا: إلى أين؟ فقلنا له: إلى فلان الطبيب نُريه ماء ابن السماك. فقال: سبحان الله تستعينون على وليّ الله بعدو الله! اضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السماك

أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلميّ الكوفي كان أبرع الكوفيّين وأعلمهم بالنّحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكّة وعمره ثلاث وستّون سنة رحمه الله، والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له فرّاء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها؛ لأنه كان يفري الكلام.

قوله: (بالرَّصد) جمع راصد كحرس وحارس لفظًا ومعنى. **قوله**: (محمد بن السمّاك) كان زاهدًا عابدًا حسن الكلام صاحب مواعظ جمع كلامه وحفظ ولقي جماعة من الصدر الأوّل وأخذ عنهم مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما، وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد، فمكث بها مدّة ثم رجع إلى الكوفة، فمات بها سنة ثلاث وثمانين ومائة رحمه الله تعالى، والسماك بفتح السين المهملة والميم المشدّدة وبعد الألف كاف،

وقولوا له: ضع يدك على موضع (الوجع) وقل: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ ثم غاب عنّا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجه قال ما قال الرجل وعُوفِي في الوقت وقال: كان ذلك الخَضر عليه السلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ أي فصلناه أو فرّقنا فيه الحق من الباطل ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ على (تؤدة) وتثبت ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ على حسب الحوادث ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا﴾ أي اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم. ثم علّل بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي التوراة من قبل القرآن ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ حال.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ لقوله: ﴿ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا﴾ أي أعرض عنهم فإنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خيرًا منهم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب قد آمنوا به وصدقوه، فإذا تلي عليهم خرّوا سُجّدًا وسبّحوا الله تعظيمًا لأمره لإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور. «إن» بمعنى «إنه» وهي تؤكد الفعل كما أن «إن» تؤكد الاسم، وكما أكدت «إن» باللام في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: الآية ١٥٨] أكدت «إن» باللام في ﴿لَمَفْعُولًا﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه، وإنما خصّ الذقن لأن أقرب

هذه النسبة إلى بيع السمك وصيده. **قوله:** (الوَجع) في مختار الصحاح: الوَجع الم ﷺ والجمع أوْجاع ووِجاع مثل جَبَل وأجْبال وجِبال. اهـ.

قوله: (تؤدة) بضم التاء وفتح الهمزة والدال المهملة هي التأني والتمهّل في الفعل.

الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن. يقال: خرَّ على وجهه وعلى ذقنه، وخرَّ لوجهه ولذقنه. أما معنى «على» فظاهر، وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور، واختصَّه به إذ اللام للاختصاص. وكرر ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ لين قلب ورطوبة عين.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ لما سمعه (**أبو جهل**) يقول يا ألله يا رحمٰن قال: إنه نهانا أن نعبد إلٰهين وهو يدعو إلٰهًا آخر فنزلت. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذلك الرحمٰن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت. والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء، وأو للتخيير أي سمّوا بهذا الاسم، أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا، والتنوين في ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ عوض من المضاف إليه و«ما» زِيدَت للتوكيد و«أيا» نصب بـ ﴿تَدْعُواْ﴾ وهو مجزوم بأي أي هذين الاسمين ذكرتم وسمّيتم ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ والضمير في ﴿فَلَهُ﴾ يرجع إلى ذات الله تعالى، والفاء لأنه جواب الشرط أي أيًّا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لأنه إذا حَسُنَت أسماؤه حَسُن هذان الاسمان لأنهما منها، ومعنى كونها أحسن الأسماء إنها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس، إذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لا غير، والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأُمِرَ بأن يخفض من صوته، والمعنى ولا تجهر حتى تُسمِع المشركين ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ حتى لا تسمع من خلفك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾ وسطًا، أو معناه ولا

قوله: (أبو جهل) عمرو بن هشام بن المغيرة، يكنى أبا الحكم، فكناه النبي ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر.

تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغِ بين ذلك سبيلًا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زعمت اليهود والنصارى و(**بنو مليح**) ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ كما زعم المشركون ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي لم يذلّ فيحتاج إلى ناصر أو لم يُوالِ أحدًا (**من أجل مذلّة به ليدفعها**) بموالاته ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمّى النبي الآية آية العز (**وكان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية**).

قوله: (**بنو مُلَيح**) بطن. اهـ لسان العرب. وفي تاج العروس: بنو مليح كزبير حيّ من خزاعة، وهم بنو مليح بن عمرو بن ربيعة وعمرو هو جماع خزاعة. اهـ. **قوله**: (**من أجل مذلّة به**) يشير إلى أن مَنْ هنا تعليليّة. **قوله**: (**ليدفعها**) أي ليمنعها عنه قبل لحوقها أو بعده. **قوله**: (**وكان إذا أفصح الغلام**) أي أنطق لسانه بالكلام وفهم ما يلقى إليه (**من بني عبد المطلب علمه هذه الآية**)، والمراد بهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: الآية ١١١] إلى آخر السورة، وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة وعبد الرزّاق وغيرهما، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ.

تمّت سورة بني إسرائيل بحمد الله وعونه
ويليه شرح سورة الكهف
وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين
وسلّم تسليمًا كثيرًا، كثيرًا

فهرس المحتويات